المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية العلوم الاجتماعية
قسم التاريخ والحضارة



مواقف ولاة بني أمية من الاتجاهات العلمية والفكرية في العصر الأموي

(٤١- ١٣٢هـ / ٦٦٠- ٧٤٩م)

دراسة تاريخية حضارية

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ والحضارة

إعداد

طارق بن عبد الله بن محمد الرميح

إشراف

د/ بسام بن عبد العزيز بن محمد الخراشي

إستاذ التاريخ الإسلامي المشارك

١٤٣٥هـ. ١٤٣٦ هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن سار على نهجه ، واتبع هداه إلى يوم الدين، أما بعد :

شهد العالم الإسلامي نهضة فكرية وعلمية في مختلف الاتجاهات ، حيث تميز العصر الأموي بحراك فكري وعلمي فظهرت العديد من المذاهب والفرق ؛ وذلك نظراً لأتساع مساحة الدولة الأموية وتعدد أقاليمها ، فكان للخلفاء والولاة تأثير في الكثير من المواقف المتنوعة تجاه تلك الاتجاهات الفكرية والعلمية.

ولعل أبرز ما يلفت الانتباه في هذا الجانب ما حفلت به المصادر التاريخية — سيما كتب التراجم والطبقات — من معلومات مهمة ، ترشدنا إلى مواقف ولاة بني أمية من الاتجاهات الفكرية والعلمية التي كان لها دور مؤثر في الحياة العامة خلال العصر الأموي .

حيث واكب نمو النهضة الحضارية التي شهدها العصر الأموي ظهور العديد من الولاة الذين أثروا بجهودهم المختلفة ، وعطائهم المتنوع على الحياة العامة بجوانبها المتعددة ، ولعل ظهور الأحزاب السياسية والمذاهب المختلفة شكل عبئاً ثقيلًا على الولاة في شتى الأقاليم الإسلامية ، لذا فقد شهدت هذه الفترة التاريخية بروز عدد من الولاة، اشتهروا في ميادين العلم والمعرفة والشعر و غيرها ، فكانت لهم مواقف مشرقة ومؤثرة في العديد من الاتجاهات العلمية والفكرية، وصارت لهم منزلة رفيعة في الدولة الأموية، واتسعت شهرتهم في الآفاق .

ومن هنا أتجه الرأي إلى دراسة (مواقف ولاة بني أمية من الاتجاهات الفكرية والعلمية في العصر الأموي) أتناول فيه ولاة الأقاليم ، ومواقفهم من تلك الاتجاهات المختلفة ، حيث أسهموا في الكثير من الجهود الفكرية والسياسية والعلمية.

علماً بأننا لن نتطرق إلى مواقف ولاة بني أمية، ومواجهتهم العسكرية مع أصحاب تلك الاتجاهات الفكرية أوالعلمية .

وإن الأسباب التي دفعتني لاختيار موضوع البحث عديدة ، ولعل من أهمها مايلى:

١- قلة الدراسات و البحوث التي تناولت مواقف الولاة من تلك الاتجاهات الفكرية

والعلمية، وتركز أغلب الدراسات على مواقف الخلافة والخلفاء ، دون تتبع العوامل المؤثرة في مواقف ولاة بني أمية ، على الرغم مما قام به الولاة من أعمال مؤثرة على الاتجاهات السياسية والثقافية والحياة العامة ، ولذلك رأيت أن أطرق هذا الجانب باختيار موقف الولاة ودراسته.

٢- إسهام بعض ولاة بني أمية في تثبيت قيام الدولة الأموية ، و مشاركتهم الفعلية في القضاء على الفتن و الثورات التي قامت في العصر الأموي .

٣- انتشار العلم وخاصة من خلال التصدي لبعض الأفكار المنحرفة في العصر الأموي ، وانتشارها في بعض الأقاليم .

٤- تنوعت أساليب مواجهة بعض الاتجاهات والمعتقدات عند الولاة ، مما يحفز الباحث الوقوف على ذلك التنوع، وأسباب حدوثه .

٥- ثقافة ولاة بني أمية التي شملت العديد من المصادر، كالتعليم، والمجالس، والمنتديات وغيرها .

كما تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية :

الكشف عن دراسة التاريخ السياسي في عصر الدولة الأموية من خلال تقديم دراسة تتناول مواقف ولاة بني أمية من الاتجاهات الفكرية والعلمية .

٢- الكشف عن الأثر السياسي لولاة بني أمية، ومدى إسهامهم في تثبيت قيام الدولة الأموية ، بالإضافة إلى معرفة مدى وعي الولاة بالمخاطر التي تحيط بالأمة والمجتمع، خاصة في ظل ظهور بعض الفرق المنحرفة ،كالخوارج والشيعة .

٣- الكشف عن العوامل المؤثرة في ثقافة ولاة بني أمية، ومصادرها المتنوعة، والتنوية ببعض مواقف العلماء والقضاة ودورهم تجاه أصحاب الاتجاهات الفكري والعلمي .

٤- الكشف عن إسهامات الولاة في التصدي للأفكار الثقافية المنحرفة، ومواقفهم المختلفة من العلوم المتنوعة ، ودورهم في نشر العلم .

٥- الكشف عن دور الولاة في المحافظة على الاستقرار والأمن الفكري ، وكيفية التعامل مع مصادر التهديد الظاهرة .

٦- كشف النتائج التي انتهت إليه المواجهات الفكرية ، كالاقتناع بالفكرة المطروحة من الوالي ، أو التنازل عن فكرة خاطئة ، وغير ذلك .

الدراسات السابقة :

أما الدراسات التي لها صلة بالموضوع فهناك خمس دراسات:

كتاب **الفرق الإسلامية في بلاد الشام في العصر الأموي** ، من تأليف الأستاذ حسين أحمد حسين عطوان ، طبع ببيروت بدار الجيل عام ١٩٨٦م، وهو مكون من ثلاثمائة وتسعة وسبعين صفحة ، وتختلف هذه الدراسة عن الدراسة الحالية في تحديدها المكاني، حيث ركز المؤلف على إقليم بلاد الشام، دون باقي الأقاليم في الدولة الأموية ، بالإضافة إلى أنه لم يتطرق المؤلف إلى الجانب الفكري والعلمي، وإنما ركز على تعريف بالفرق دون التطرق إلى مواقف الولاة من تلك الفرق ، وقد تم الاستفادة من هذا الكتاب فيما يتعلق بمواقف الولاة من فكر الفرق في الفصل الرابع من الرسالة .

دراسة بعنوان (**موقف الفرق الإسلامية من سياسة بني أمية**) لأحمد بوقجاني ، وهي عبارة عن رسالة ماجستير مقدمة لجامعة المعهد الوطني العالي لأصول الدين في الجزائر ، وهي تختلف عن الدراسة الحالية في موضوعها؛ حيث تركز الدراسة على موقف الفرق السياسي من خلفاء بني أمية ، دون النظر في مواقف الولاة ، حيث تم الاستفادة من هذه الرسالة فيما يخص سياسية الدولة الأموية .

دراسة بعنوان (**الخوارج في العصر الأموي**) لسليمان بن عبدالله السويكت ، وهي عبارة عن رسالة ماجستير مقدمة لجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية عام ١٣٩٨هـ ، وتختلف هذه الدراسة عن الدراسة الحالية؛ لأنها تقتصر على فرقة واحدة من الفرق الإسلامية ، وقد تم الاستفادة منها في مواقف ولاة بني أمية من أفكار فرقة الخوارج في العصر الأموي وآثارهم الأدبية .

دراسة بعنوان (**العلماء في الحياة السياسية في الدولة الأموية**) لعبدالله بن عبدالرحمن الخرعان ، وهي عبارة عن رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٢٠هـ ، وتضم الدراسة ستة فصول : الأول : مكانة العلماء في الإسلام ، والثاني : أبرز العلماء في الدولة الأموية ، والثالث : علاقة التعاون والمشاركة ، والرابع :علاقة الاعتزال وبذل النصيحة ، والخامس : الخلاف والمنازعة بين العلماء والخلفاء والولاة ، السادس : موقف العلماء من الحركات . وقد يستفاد من هذه الدراسة في جزئيات من الفصل الخامس : الخلاف

بين العلماء والولاة ، أما باقي الرسالة فهي تختلف عن جوهر الرسالة الحالية لتركزها على الجانب السياسي دون التطرق للجانب الفكري ، وقد تم الاستفادة منها فيما يتعلق في المبحث الرابع من الفصل الثاني : نشاط الحركات العلمية والفكرية ، ومواقف الولاة من الاتجاهات العلمية والثقافية في المجتمع الإسلامي.

دراسة بعنوان (**تاريخ القضاء في عهد الدولة الأموية**) لمحمد بن عبدالله الغنام ، وهي عبارة عن رسالة ماجستير مقدمة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٧هـ ، وتختلف الدراسة عن الدراسة الحالية كونه تركز على القضاة، ومهامهم، ومكانتهم ، وقد يستفاد منها من خلال علاقة القضاة بولاة الدولة الأموية، والخلافات بين القضاة والولاة ، فقد تم الاستفادة منها في موقف العلماء والقضاة من الاتجاهات الثقافية والسياسية في العصر الأموي .

وحيث إن معظم تلك الدراسات تتناول موقف الفرق الإسلامية من سياسة الخلافة الأموية، فهي تختلف عن الدراسة التي سأقوم بها – إن شاء الله– من حيث المحتوى للرسالة، فهي تتناول مواقف ولاة بني أمية من الاتجاهات الفكرية والعلمية ، فليس هناك نقاط التقاء بينهما، اللهم إلا في بعض المسائل التمهيدية ، لأن جوهر هذه الرسالة قائم على مواقف الولاة من تلك الاتجاهات في العصر الأموي، كما هو واضح من عنوان الرسالة، و فصولها .

المادة العلمية :

إن المصادر التي استقيت منها المادة العلمية لإنجاز هذا البحث كثيرة ومتنوعة، كل منها يمثل أهمية، وخصوصية معينة من حيث المادة التي اشتمل عليها، وذلك لأن المعلومات عن الأسر مبعثرة في ثنايا المصادر، ولهذا فقد استعنت في هذا البحث – بعد الله تعالى – بعدد من المصادر الأصلية، كما اعتمدت على بعض المراجع الحديثة، وسأشير هنا إلى أبرز المصادر المتقدمة التي كانت لمادتها العلمية قيمة أساسية بالنسبة لموضوع البحث مرتبة على حسب تاريخ وفاة مؤلفيها :

كتاب الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد (ت٢٣٠هـ) ،ويعد من المصادر المهمة التي اعتمدت عليها ، فهو من أوسع كتب الأنساب والتراجم التي رفدت البحث كثيراً ، حيث أتى

على ترجمة أغلب ولاة بني أمية ،وذكر شيئاً من أخبارهم على الجملة، وجلالة أقدارهم ، كما أنه قدم تفصيلات قيمة في بعض أخبارهم العلمية الفكرية ، وأورد نصوصاً مهمة خاصة عن تكوينهم الأسري والثقافي .

كتاب نسب قريش لمصعب بن عبدالله الزبيري (ت ٢٣٦هـ) ويعد كتابه من أهم كتب الأنساب ، فهو يهتم في سياقه للأنساب بذكر النساء — والأمهات والبنات — ومن تزوجهن وأولادهن ، ويتتبع ذلك حتى يذكر نهاية كل ولد ، ومن أعقب منهم، ومن مات بدون عقب ، والكتاب شامل لكثير من الأخبار التاريخية من البعثة النبوية حتى أيام المؤلف في العصر العباسي الأول ، التي قد لا يوجد بعضها عند غيره ، كما أنه يحرص في غالب الأحيان على تسجيل تاريخ الوفيات ، وأسبابها ، وقد صاحبني تقريباً من أول الدراسة إلى أخرها .

كتاب أنساب الأشراف لأحمد بن يحيى بن جابر المعروف بالبلاذري (ت ٢٧٩هـ) ، والذي يعد من المصادر القيمة، والتي غطت مساحة واسعة من الدراسة ، وأنساب الأشراف ككل الكتب ذات الأسانيد، يذكر الخبر برواياته المختلفة ، ويعقد تراجم مطولة لبعض الأعلام الذين اشتهروا من حكام ، وولاة ، وعلماء ، وأدباء ، والكتاب يختلف عن كتب التاريخ ، فهو لا يسوق الحوادث على تسلسل الأعوام ، ولا يتتبع تسلسل الحكام، ويختلف عن كتب الأنساب فلا يسرد النسب موجزاً ، ولم يقتصر في ترجمته للحاكمين على مبدأ حياتهم ، ومنتهاها باختصار ، بل هو صاحب طريقة، وأسلوب يختلف عن كل ذلك .

كتاب تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) ،وهو من المصادر الأساسية المطولة في التاريخ الإسلامي، مرتب على أساس الحوليات ، ويتوقف عند أحداث سنة ٣٠٢هـ ، ويضم الكتاب معلومات قيمة من الناحية السياسية، والاجتماعية، والفكرية .

كتاب تاريخ دمشق لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، ويعتبر كتابه من أوسع كتب التاريخ، و التراجم التي رفدت البحث كثيراً ، وبالرغم من أنه ذكر فضل دمشق، وتسمية من حلها من الأماثل، أو اجتاز بنواحيها من وارديها، وأهلها، إلا أنه يظل من أهم المصادر التي اهتمت بعاصمة الدولة الأموية، وأخبار خلفائها، وولاتها ، فقد أتى على أخبار الولاة مع العديد من الأحزاب السياسية، والفرق الدينية ، كما أنه قدم تفصيلات قيمة، وخاصة في أخبار الولاة، والقادة، وبعض الحوارات التي دارت بينهم في مختلف الاتجاهات العلمية والفكرية .

كتاب معجم البلدان لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي (ت٦٢٦هـ)، وهو معجم جغرافي كبير في أسماء البلدان، والجبال، والأودية وغيرها ، وقد استفدت منه في التعريف بأغلب الأماكن التي مرت في ثنايا البحث، بالإضافة إلى كتابه معجم الأدباء الذي أمد البحث بمعلومات جيده عن الأسرة .

كتاب لسان العرب لجمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، المعروف بابن منظور (ت٧١١هـ)، وهو من أشهر معاجم اللغة العربية، والمصادر الأدبية ، حيث جمع فيه الألفاظ والمعاني اللغوية ، وقد استفدت منه بالتعريف بأغلب الكلمات التي مرت في ثنايا البحث .

كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي (ت ٧٤٧ هـ)، ويعد كتابه أحد أهم الموسوعات التاريخية الكبرى في تاريخنا الإسلامي ، فقد أتى على ترجمة عدد من ولاة بني أمية ، كما تعد مؤلفات الذهبي مثل تذكرة الحفاظ ، والعبر في خبر من غبر ، وميزان الاعتدال في نقد الرجال ، وغيرها من الكتب من الروافد المهمة التي أعانت على إتمام مادة هذا البحث ، حيث أضفت عليه معلومات مهمة وقيمة .

وفي قائمة المصادر المثبتة آخر البحث عدد كبير من المصادر لم يشر إليها هنا، ومعظمها لا يقل أهمية عن تلك التي استعرضناها في هذه الدراسة ، وهي مابين مصادر تاريخية، وأخرى فقهية وأدبية وغيرها .

وإذا كانت الدراسة قد نهلت مادتها الأساسية بالدرجة الأولى من المصادر ، فإن ذلك لا يعني مطلقاً أنها كانت بمنأى عن الاستفادة من الدراسات الحديثة ، فقد تم الاستفادة منها هي أيضاً إلا أنها كانت متفاوتة في حجم إفادة البحث منها ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : كتاب الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد، والحجاز في العصر الأموي لعبدالله السيف ، والذي أفاد البحث في الجانب الاقتصادي ، كذلك لا يفوتنا جهود حياة بن محمد بن جبريل في كتابه الآثار الواردة عن عمر بن عبدالعزيز في العقيدة ، حيث أعطى معلومات جيدة تخص الفصل الرابع ، وغيرها من الدراسات الحديثة التي أشرنا لها في ثبت المصادر والمراجع.

هذا وتنتظم الرسالة في مقدمة، وتمهيد، وخمسة فصول، ومن ثم خاتمة ، إضافة إلى بعض الملاحق، والفهارس، ثم ثبت للمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في كتابة هذا البحث ، أما المقدمة، فقد أشير فيها إلى أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، والدراسات السابقة،

وأهم مصادر البحث ، وأما التمهيد، فقد عنى بإبراز جانبين متعلقين بالدراسة استعرض الجانب الأول: الإطار المكاني والزماني ، وتناول الجانب الآخر : الأوضاع العامة في العالم الإسلامي في عصر بني أمية .

أما فصول الرسالة الخمسة، فكانت على النحو الآتي : الفصل الأول بعنوان (الولاة على الأقاليم في عصر بني أمية) ، وفيه الولاية على الأقاليم في الدولة الأموية (دور الوالي، وواجباته، وصلاحياته، وعلاقاته مع الخليفة) ، ثم الحديث عن الولاة في الجزيرة العربية ، ثم تسليط الضوء على ولاة الشام ومصر ، وبعد ذلك الحديث عن ولاة العراق والمشرق ، ثم خاتمة الفصل الحديث عن ولاة إفريقية، والمغرب الإسلامي .

وفي الفصل الثاني تناول (العوامل المؤثرة في مواقف الولاة من الاتجاهات العلمية والفكرية) ، وفيه التكوين الأسري، والثقافي للولاة ، ثم الحديث عن سياسة الدولة الأموية ، وبعد ذلك نتطرق إلى موقف العلماء، والقضاة ، وأخيراً تسليط الضوء على نشاط الحركات العلمية والفكرية .

أما الفصل الثالث، وعنوانه (موقف الولاة من الاتجاهات العلمية) ، فقد تضمن الحديث عن مواقفهم من العلوم الشرعية ، ثم الحديث عن مواقفهم من علوم الأدب واللغة ، ثم التطرق إلى موقفهم من العلوم الطبيعية ، ثم خاتمة الفصل ببيان موقفهم من علوم وآداب الأمم السابقة (الإسرائيليات ، علوم الفرس).

وفي الفصل الرابع تناول (مواقفهم من فكر الفرق)، وقد عالج البحث في هذا الفصل موقهم من فكر الخوارج ، ثم إيضاح موقفهم من فكر الشيعة ، ثم تسليط الضوء على موقفهم من فكر الجهمية ، ثم بعد ذلك التطرق إلى موقفهم من فكر المعتزلة ، وفي نهاية الفصل الحديث عن موقفهم من فكر القدرية .

أما الفصل الخامس بعنوان (أثر مواقف الولاة على الحياة العامة في الدولة الأموية)، فقد تضمن الحديث عن أثر مواقفهم في تقوية مركز الخلافة في الأقاليم ، ثم الحديث عن أثر مواقفهم في تماسك الجبهة الداخلية من التفكك والفوضى ، ثم إبراز أثرهم في التعامل بشكل حاسم مع مصادر التهديد الظاهرة ، ثم خاتمة الفصل ببيان أثر مواقف بعض الولاة السلبي في ضعف الدولة وسقوطها ، أما الخاتمة، فاشتملت على ملخص لأهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث.

وتم تطبيق المنهج التاريخي في الدراسة ، من خلال جمع المادة العلمية وتحليلها ، وذلك بتقصي مواقف الولاة بمقدار ماتيسر من روايات في بطون المصادر التاريخية، والجغرافية، والشرعية، والأدبية، وغير ذلك من روافد العلم المختلفة ، ثم دراسة الروايات التاريخية من خلال عرضها على ميزان النقد للوصول للحقائق التاريخية الصحيحة، ومن ثم إثباتها وتنظيمها ، كما يتعامل مع المعلومات التاريخية بالتحليل، والاستنتاج، والمقارنة، والتعليل، والإيضاح ، مع الالتزام بالموضوعية، والحياد دون تعصب، أو انحياز بروح الباحث العلمي ، لأن الهدف من البحث هو الوصول إلى الحقيقة التاريخية، أياً كانت تلك الحقيقة .

وأود أن أنبه إلى أنه في بعض المواضع كان لي اجتهادي الخاص، وبعد فترة وجدت أني مسبوق لذلك الاجتهاد ، فلم أشأ أن ألغي اجتهادي، ولا أن أغفل اجتهاد من سبقني لئلا يُظن أني آخذ اجتهاد الآخرين، وأنسبه إلى نفسي، وأغفلهم ، لذلك جمعت بين الحسنيين، فأبقيت اجتهادي، وأشرت إلى من سبقني إليه ،كما عرفت بالمصادر والمراجع حين ورودها لأول مرة ، ولكن أكتفي بعد ذلك بذكر المصدر،أو المرجع مختصراً ، كذلك قمت بتوضيح ماقد يرد في البحث من غموض كالألفاظ الغريبة، والأماكن غير المعروفة، وتراجم الأعلام غير المشهورين.

ولا يخفى على الدارسين في التاريخ الإسلامي، وخاصة في جانبه الحضاري ما يواجهه الباحث من صعوبات، وعقبات كثيرة، ولكن بتوفيق من الله، ثم بالصبر والمثابرة لا تلبث تلك العقبات أن تتبدد شيئاً فشيئاً ، ومن الصعوبات التي واجهتني في هذا البحث قلة المادة العلمية في بعض جوانب البحث،مما تتطلب مزيداً من البحث في مصادر متنوعة، فكنت في بعض الأحيان أقرأ كتاباً من عدة مجلدات، فلا أجد فيه إلا النزر اليسير ، وسافرت إلى دولة تركيا من أجل البحث عن أكبر قدر ممكن من المعلومات غير متوافرة ، كذلك مما زاد من صعوبة البحث أن المدة الزمنية للبحث كانت غنية بالأحداث ، كما تشعبت جزيئات البحث بتناول الجانبين العلمي والفكري ، وبعضها يعتمد على المنهج التحليلي الذي يتطلب الوقوف أمام النصوص لاستنطاقها .

وأخيراً، فإن الاعتراف بالفضل لأهل الفضل فضيلة لذا أتوجه بالشكر أولا وأخراً إلى العزيز الرحيم صاحب الإفضال والإنعام على خلقه، حيث وفقني لتسجيل هذا البحث وأعانني على إتمامه على الرغم من تعدد المسؤوليات وتقلب الظروف والأحوال فله الحمد والمنة .

كذلك يطيب لي أن أتوجه بوافر الشكر الجزيل لأستاذى المشرف الأستاذ الدكتور بسام بن عبدالعزيز الخراشي على ما تفضل به من الإشراف على هذه الرسالة التي هي في واقع الأمر ثمرة طيبة من ثمار توجيهاته المباركة، وآرائه الموفقة السديدة ، حيث كان متابعًا لي في كل فقرة من فقرات البحث، حتى وصل إلى هذا الشكل ، كما كان له الفضل الكبير – بعد فضل الله تعالى– في تذليل كافة الصعوبات التي واجهتني خلال إعدادي لهذا البحث ، فأسأل الله رب العرش الكريم أن يعظم مثوبته، ويجزيه خير الجزاء، وأن يمد في عمره، ويديم عليه لباس الصحة والعافية، وينفع به، وبعلمه .

كما أشكر عمادة كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية على متابعتها لي، ولغيري من طلاب الدراسات العليا ، والشكر موصول لرئيس قسم التاريخ، والحضارة، ووكيله، وأعضاء القسم لجهودهما في تذليل العقبات التي واجهتني أثناء البحث، وحال إعداد الرسالة .

ولا يفوتني أن أسجل عظيم امتناني، وصادق محبتي لكل من أعانني، وساعدني في هذا البحث، أو ساهم في تزويدي ببعض المصادر، والمراجع المتعلقة به، وأخص بالشكر الإخوة العاملين في مكتبة الملك عبد العزيز العامة ، ومكتبة المسجد النبوي الشريف ، وللجميع دون تعيين خالص الشكر والتقدير.

وفي الختام، فإنني لا أدعي أني أحطت بجوانب هذا الموضوع من كل الوجوه ، وبحسبي أني بذلت قصارى جهدي ، ويعلم الله كم عانيت، وتحملت المشاق الكبيرة في سبيل إعداد هذا البحث ، وماكان في البحث من صواب فبتوفيق من الله وعونه ، وأسأل الله أن يعفو عن التقصير، وأن يغفر الزلل ، وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

التمهيد

المبحث الأول – الإطار المكاني والزماني .

المبحث الثاني – الأوضاع العامة في العالم الإسلامي في عصر بني أمية .

المبحث الأول: الإطار المكاني والزماني:

١/ الإطار المكاني

يستفاد مما أوردته المصادر أن حدود الدولة الإسلامية[١] قبل عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ (٤١هـ – ٦٠هـ) امتدت شرقًا إلى مرو[٢]، وشمالًا إلى الثغور الشامية[٣]، وإلى مصر وتونس في الغرب[٤].

وبعد استقرار البلاد، أرسل الخليفة معاوية ﷺ الجيوش لاستكمال الفتوحات، إضافة إلى الجهود المبذولة في تثبيت الإسلام في المناطق المفتوحة سابقًا، أو التي حاول أهلها الخروج عن طاعة الدولة الإسلامية، حيث اتسعت رقعة الدولة في عهده، فوصلت أولى الحملات لبلاد المشرق سنة ٤١هـ، ابتداءً من (فارس)، و (خراسان)، و (سجستان)، وتمكن من خلالها من

---

(١) يراجع الملاحق: خريطة الفتوحات في العصر الراشدي ص٣٠٢ .

(٢) مَرْو بفتح أوله، وإسكان ثانيه، بعده واو: من أشهر مدن خراسان، مَرْو بالفارسية: مَرْج، وهي الآن عاصمة منطقة ماري في دولة تركمانستان، وتقع على ضفاف نهر المرغاب. البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت٤٨٧هـ) : معجم ما استعجم في أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، ط٣، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٣هـ، مادة: الميم والراء، ٣٣٠/١؛ الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ): معجم البلدان، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٤هـ، باب الميم والراء، ٥/ ١١٦.

(٣) أنطاكية والمصيصة وملطية. خليفة بن خياط (ت٢٤٠هـ): تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط٢، الرياض، دار طيبة، ١٤٠٢هـ، ص١٦٧؛ ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد (ت٦٣٠هـ): الكامل في التاريخ، ط٤، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٣هـ، ١٣٧/٣. وتشير المصادر أنه في سنة ٣٢هـ كانت غزوة معاوية ﷺ مضيق القسطنطينية، ومعه زوجته عاتكة أو فاختة بنت قرظة. الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ): تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، بيروت، دار سويدان، ١٣٨٢هـ، ٣٠٤/٤؛ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ): البداية والنهاية، تحقيق: أحمد أبوملحم، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ، ص٦٨، ٢٦.

(٤) خليفة بن خياط : تاريخه، ص١٥٩؛ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (ت ٢٨٤هـ): تاريخ اليعقوبي، ط٤، العراق، المكتبة الحيدرية، ١٣٩٤هـ، ٢ /١٦٥؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٤٨/٥؛ ابن أعثم الكوفي، أبو محمد أحمد بن علي (ت ٣١٤هـ): الفتوح، تحقيق: علي شيري، ط١، حيدر آباد، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٨٨هـ، ٣٥٩/١؛ الذهبي، محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٣ هـ، ص ٣١٢.

فتح أو إعادة فتح العديد من المناطق، ومن أشهرها: (هيرات) [1]، و(كابل) [2]، و(غزنة) [3] و(بلخ) [4]، و(قندهار) [5].

كما عبرت جيوش المسلمين[6] بلاد ماوراء النهر في عهد معاوية ، وضمت بعضًا من من مدنها، ومنها (ترمذ) [7]، و(بخارى) [8] ،و(بيكند) [9]، وذلك سنة ٥٤هـ [10].

---

(١) هيرات: مدينة عظيمة من أمهات مدن خراسان، قيل إن الذي بناها الإسكندر. الحموي: معجم البلدان، ٣٩٦/٥. وهي في مستوى من الأرض، ويتبعها العديد من المدن والقرى. الإدريسي، محمد بن محمد (ت٥٦٠هـ): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط١، بيروت، دار عالم الكتاب، ١٤١٠هـ ، ٤٧٣/١.

(٢) كَابُل: ولاية ذات مروج كبيرة، وهي بين الهند ونواحي سجستان في ظهر الغور، وتعتبر حاليًا عاصمة دولة أفغانستان. الحموي: معجم البلدان ، ٤٥٨/٣. ويقع بنواحيها الثلج ،ولا يقع بها. القزويني، زكريا بن محمد (ت٦٨٢هـ): آثار البلاد وأخبار العباد، ط١، بيروت، دار صادر، ١٤١٨هـ، ٩٦/١.

(٣) غَزنَة: وهي مدينة عظيمة، وولاية واسعة في طرف خراسان، وهي الحُد بين خراسان والهند، تقع جنوب غربي كابل، كما كانت من أهم مراكز الثقافة والآداب في العالم الإسلامي. الحموي: معجم البلدان ، ٢٨٦/٣.

(٤) بَلْخ: إحدى مدن خراسان المشهورة. قيل إن الذي بناها الإسكندر، وقيل غير ذلك، وتبعد عن نهر جيحون بعشرة فراسخ. الحموي: معجم البلدان ، ١/ ٤٧٩-٤٨٠.

(٥) من مدن أفغانستان حاليًا -ويُذكر أن والي البصرة لمعاوية عبد الله بن عامر بن كريز قام بنقل الآف الأسر المسلمة من بلاد العراق إلى تلك المدن، تمهيدًا لانطلاق الفتح في بلاد ماوراء النهر. البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ): فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، ط١، بيروت، دار عالم الكتب ، ١٤٠٣هـ، ص ٣٨٨-٣٩٨.

(٦) استعمل معاوية (عبيد الله بن زياد) على خراسان، وأوصاه بغزو بلاد ماوراء النهر – نهر جيحون – ،وكانت تحتوي على أقاليم وأسلحة ومدن كثيرة. البلاذري: فتوح البلدان ، ص٤٠١؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ١٦٧/٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٤٩٩/٣.

(٧) ترِمذ: مدينة مشهورة من أمهات المدن تقع على نهر جَيحون من جانبه الشرقي متصلة العمل بالصغانيان، ولها ولها حصن، وربض يحيط بها سوٌر، وأسواقها مفروشة بالآجر. الحموي: معجم البلدان ، ٤١١/١.

(٨) بخارى: من أعظم مدن ماوراء النهر وأجلها، وهي في موقع من الأرض مستو، وحولها ربض يحيط بها. الحموي: معجم البلدان ، ١/ ٣٥٣ – ٣٥٦؛ الحميري، محمد بن محمد (ت ٩٢٢هـ): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، بيروت، دار السراج، ١٤٠١هـ ، ص ٨٢ – ٨٤.

(٩) بيكند: بلدة تقع بين بخارى ونهر جيحون. الحموي: معجم البلدان ، ٥٣٣/١. وهي من المدن التابعة لبخارى. الأدريسي: نزهة المشتاق ، ٤٩٥/١.

(١٠) الملاحق: فتوحات الجبهة الشرقية ومسير كل قائد ص٣٠٣. البلاذري: فتوح البلدان ، ص٤٠١؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ١٦٧/٥؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٤٩٩/٣.

ولم تتوقف فتوحات المسلمين[1] في عهد معاوية ﷺ عند هذا الحد، بل واصلت المسير حتى وصلت بلاد السند[2]، وتمكنوا من فتح (كرمان)، و(كش) [3]، و(قصدار) [4] وغيرها، وغيرها، على أن هذه المناطق المفتوحة لم تضم إدارياً إلى الدولة الأموية في تلك الفترة، بل بقيت السيطرة فيها لغير المسلمين حتى سنة ٩٤هـ.

وفي بلاد الروم استطاع المسلمون في عهد الخليفة معاوية ﷺ أن يشنوا حملات متتالية لغزو معاقلهم، وتمكنوا من فتح جزيرة قبرص، ورودس[5]، وبعض الجزر اليونانية [6].

وفي شمال إفريقيا اتسعت رقعة الدولة الأموية في عهد معاوية ﷺ، وذلك عندما قاد عقبة بن نافع الجيوش لفتح تلك البلاد المترامية الأطراف، حيث اتخذ من (برقة) قاعدة لانطلاق الجيوش الإسلامية، وامتدت فتوحه إلى منطقة (القرن) بالقرب من القيروان، و(بنزرت)، ثم تمكن المسلمون من فتح العديد من المواقع والمدن في سواحل إفريقيا في منطقة تونس حالياً، وتمكنوا من فتح (بجاية)، و(قسنطينة)، و(تلمسان)، و(تاهرت) حتى وصلوا إلى

---

(١) كانت بقيادة المهلب بن أبي صفرة ، وذلك سنة ٤٤هـ. خليفة بن خياط : تاريخه، ص٢٠٦؛ البلاذري: فتوح فتوح البلدان، ص٤٢١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٤٤٦/٤.

(٢) هي البلاد الممتدة من إيران غرباً إلى جبال الهملايا في الشمال، وهي حالياً تشمل جزءاً كبيراً من دولة دولة الباكستان.

(٣) كَشُ: بالفتح ثم التشديد، قرية على جبل تبعد مايقارب ٨٠كم جنوب سمرقند، وهي اليوم مدينة في دولة أوزبكستان، وتسمى "شهر سبز " أي المدينة الخضراء بالفارسية، ولد فيها القائد المغولي تيمورلنك. اليعقوبي: البلدان، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ، ٢٦/١؛ الحموي: معجم البلدان، باب الكاف والشين ومايليهما، ٤٨٣/٣.

(٤) قُصدار وقيل قُزدار: بالضم ثم السكون ودال مهملة وآخره راء، مدينة صغيرة ذات أسواق، وهي الآن بنفس الاسم تقع بين الهند وسجستان، وتابعة لإمارة كلات في بلوجستان. الأصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت٣٤٦هـ): المسالك والممالك، بيروت، دار صادر، ٢٠٠٤م، ٦٦/١؛ بارتولد: الجغرافيا التاريخية، ص١٢٨.

(٥) رودس جزيرة مقابل الإسكندرية على بعد سفر ليلة منها في البحر، وكانت في ذلك الوقت تتبع بلاد الروم، وهي ضمن الجزر الواقعة شرقي البحر المتوسط، فتحت جزيرة رودس سنة ٥٣هـ بقيادة جنادة بن أمية البلاذري: فتوح البلدان ، ٢٧٨/١؛ الحموي: معجم البلدان ، باب الواو والراء ومايليها، ١٥٤/١؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٦١/٨.

(٦) كأرواد: وهي جزيرة قريبة من حصون القسطنطينية، وتسميها المصادر الأوربية " كزيكوس "، وقد اتخذها المسلمون قاعدة لمهاجمة القسطنطينية. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ١٩٣/٥-١٩٤.

المغرب الأقصى وفتحوا مدنه الواحدة تلو الأخرى، وتوقفوا[1] على ساحل بحر الظلمات – المحيط الأطلسي – في بلاد المغرب [2].

وبوفاة معاوية ﷺ سنة ٦٠هـ بايع المسلمون ابنه يزيد (٦٠هـ – ٦٤هـ)، ثم تولى بعده ابنه معاوية بن يزيد (٦٤هـ – ٦٤هـ)، وكان ورعًا، زاهدًا، فتنازل عن الخلافة بعد ثلاثة أشهر، ثم تولى الخلافة مروان بن الحكم (٦٤هـ – ٦٥هـ)، فلم تتغير حدود الدولة المكانية حيث انشغل المسلمون بأوضاعهم الداخلية [3].

ثم استقرت الخلافة لعبد الملك بن مروان (٦٥هـ – ٨٦هـ)، فسعى إلى تثبيت أقدام المسلمين في البلاد المفتوحة، والاستعداد لضم أراضٍ جديدة للدولة الأموية، حيث بعث الصوائف والشواتي إلى آسيا الصغرى، وأكثر من غزو الروم حتى أرهق قواهم، وتمكن المسلمون من دخول مدينة (الَمصَّيصَة) [4]، ثم قاموا بتخريب قلاع الروم وتحصيناتهم بالقرب من بلاد

---

(١) لما وصل عقبة بن نافع ساحل بحر الظلمات أقحم فرسه فيه، وأخذ يناجي الله، ويقول: " اللهم إنك تعلم أني لا أريد أن يعبد على وجه الأرض أحد سواك، ولو كنت أعلم أن وراء هذا البحر أرضًا لوطئتها أذكر فيها اسمك العلي العظيم اللهم أشهد أني قد بلغت عذرًا ". ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٤/ ١٠٦.

(٢) خليفة بن خياط : تاريخه، ص ٢٠٤؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٣٠؛ الرقيق القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (ت ٤٢٥هـ): تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق: المنجي الكعبي، ط١، تونس، ١٣٨٧هـ، ص٤٠: ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٤/ ١٠٦.

(٣) السدوسي، مؤرج بن عمرو (ت ١٩٥هـ): حذف من نسب قريش، تحقيق: صلاح الدين المنجد، ط٢، بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٣٩٦هـ، ٧/١؛ ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ): الطبقات الكبرى ، ط٣، بيروت، دار صادر، ١٣٨٠هـ، ٣٩/٥؛ البلاذري: أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار و رياض زركلي، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٤١٧هـ، ٢٠٤/٢؛ الطبري: تاريخ الأمم و الملوك، ٣٢٢/٣؛ ابن أعثم الكوفي: الفتوح، ٣٠٣/٥؛ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين الشافعي (ت ٣٤٦هـ): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: كمال حسن مرعي، ط١، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٦هـ، ٨٢/٣؛ ابن حزم، علي بن أحمد الأندلسي (ت٤٥٦هـ): جوامع السيرة، تحقيق: إحسان عباس، ط١، مصر، دار المعارف، ١٤٠١هـ ، ٣٥٨/١؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٢٠٠/٢.

(٤) المصيصة: بالفتح ثم الكسر والتشديد وياء ساكنة وصاد أخرى، وهي مدينة على شاطئ سيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم، تقارب طرسوس، وبها بساتين كثيرة يسقيها جيحان، وهي الآن تقع في جنوب تركيا. الحموي: معجم البلدان، باب الميم والصاد، ١٤٥/٥.

الشام حتى يسهل اجتياح آسيا الصغرى [1].

أما بالنسبة لإفريقيا، فقد استطاع المسلمون تثبيت الأمن في معظم شمال إفريقيا، بل واصلوا المسير حتى فتحوا (قرطاجنة) [2]، وذلك عام ٧٤هـ، وتوغلوا في القارة الإفريقية حيث نشروا الإسلام في نواحي من موريتانيا –حاليًا – [3].

وقد ساعدت الأعمال الإدارية، والتسامح مع الشعوب، ونشر الإسلام في تنظيم الفتوحات، وتشكيل الألوية والجيوش في استمرار توسيع رقعة الدولة الأموية، فبعد وفاة الخليفة عبد الملك بن مروان، جاء بعده ابنه الوليد بن عبد الملك (٨٦هـ - ٩٦هـ)، فبلغت الدولة الأموية أقصى اتساع لها[4]، فسطر المسلمون أروع البطولات في مشارق الأرض ومغاربها، ففي المشرق تسابقت الجيوش للوصول إلى الصين[5]، حيث تحركت الجيوش عام ٩١هـ إلى بلاد السند[6]، حيث فتحوا العديد من المدن والمواقع حتى وصلوا إلى (الملتان) [7].

---

(١) خليفة بن خياط : تاريخه، ص٢٧٩-٢٨٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٤/٥٢٣.

(٢) قَرطَاجنة: بالفتح ثم السكون وطاء مهملة وجيم ونون مشددة، وقيل إن اسم هذه المدينة قرطَا، وأضيف إليها جنة لطيبها ونزهتها وحسنها، ويُذكر أن عبد الملك بن مروان ولى حسان بن النعمان الأزدي إفريقية، فلما قدمها نزل القيروان وقال: " أي مدينة بإفريقية أشد؟ قيل له: ليس مثل قرطاجنة، فإنها دار الملك، فنازلها وقاتل أهلها قتالاً شديدًا، ثم طلبوا الأمان فأعطاهم إياه... ". المسعودي: مروج الذهب، ١/٢٦٤؛ الحموي: معجم البلدان، باب القاف والتاء ومايليها، ٣/٣٧٨؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٢/٧٨؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٨/٣١٧.

(٣) خليفة بن خياط : تاريخه، ص ٣٠٢؛ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، ص ٦٥؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٤/٥٤٠.

(٤) الملاحق: خريطة حدود الدولة الأموية في عهد الوليد بن عبد الملك ص٣٠٤ .

(٥) حينما عين والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي قيادة الجيش لمحمد بن القاسم المتوجه إلى بلاد السند، وقتيبة بن مسلم الباهلي المتوجه بلاد ماوراء النهر، قال لهما: " أيكما سبق إلى الصين فهو عامل عليها، وعلى صاحبها ". اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ١/٢٢٦.

(٦) هي البلاد الممتدة من إيران غربًا إلى جبال الهملايا في الشمال الشرقي. الأصطخري: المسالك والممالك، ١/٣٦.أي شمال غرب دولة الهند، وهي حاليًا تشمل جزءًا كبيرًا من دولة باكستان، وكانت الجيوش بقيادة محمد بن القاسم.

(٧) خليفة بن خياط : تاريخه، ص ٣٠٥-٣٠٧؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٢٦-٤٢٧؛ ابن الأثير : الكامل الكامل في التاريخ، ٤/ ٥٣٦-٥٨٨.

وفي المقابل تحركت الجيوش متوجهةً إلى بلاد ماوراء النهر[1]، ففتحوا مدينة (بلخ) التي تقع على مفترق الطرق المؤدية إلى الصفد والصين، ومنها عبروا نهر جيحونفأخضعوا كثيراً من القبائل، فدخلوا (بيكند)، وضموا (بخارى)، واستمروا بإخضاع المدن، ففي عام ٩٣هـ سيطروا على مناطق (خوارزم) على مصب نهر جيحون بالقرب من بحيرة خوارزم [2].

وفي عام ٩٤هـ دخل المسلمون بلاد (الشاس)، و(فرغانة)، وفتحوا العديد من المدن[3]،حتى المدن[3]،حتى وصلوا عام ٩٦هـ إلى حدود الصين[4].

أما بالنسبة لبلاد الروم، فاستطاع المسلمون الوصول إلى أسوار القسطنطينية، فبسطوا نفوذهم على العديد من المدن ك (طرسوس)، و(هرقلة)، و(عمورية) [5].

وفي إفريقية واصل المسلمون سيطرتهم الواسعة على شمالها، وذلك بعدما دخل البربر في الإسلام، بل أصبح المسلمون في المنطقة يتطلعون إلى فتوح جديدة، وهذا ماحصل؛ حيث أتيحت لهم الفرصة للدخول إلى بلاد الأندلس[6]، وذلك عام ٩٢هـ[1]، فبعد فتح (شذونة) في

---

(1) تقع هذه البلاد حالياً جنوب روسيا وفي كازاخستان، وتمتد شرقاً في أواسط قارة آسيا . محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، ط٧ ، بيروت ، دار المكتب الإسلامي ، ١٤٢١هـ ، ص ٢٢٤.

(٢) خليفة بن خياط : تاريخه ، ص ٣٠٠- ٣٠٣؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٦١/٨-٦٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ٥٢٧/٤- ٥٧٥.

(٣) خليفة بن خياط : تاريخه، ص ٣٠٦؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٩١/٨.

(٤) دارت بين القائد قتيبة وملك الصين المراسلات، حيث قال ملك الصين لرسل قتيبة: انصرفوا إلى صاحبكم،فقولوا له ينصرف، فإني قد عرفت حرصه، وقلة أصحابه، وإلا بعثت عليكم من يهلككم ويهلكه، فقال له رسول قتيبة: كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك، وآخرها في منابت الزيتون،... وإن لنا آجالاً إذا حضرت فأكرمها بالقتل، فلسنا نكرهه، ولا نخافه، فقال الملك: فماذا يرضيكم؟ قال رسول قتيبة: إن القائد قد حلف ألا ينصرف حتى يطأ أرضكم، ويختم ملوككم، ويعطى الجزية، فقال: فإنا نخرجه من قسمه، فنبعث إليه بتراب من تراب أرضنا فيطؤه، ونبعث ببعض أبنائنا فيختمهم، ونبعث إليه بجزية يرضاها، ثم بعث ملك الصين إلى قتيبة بالهدايا والجزية، وبعث بأواني من ذهب فيها من تراب الصين، وأربعة غلمان من أبناء الملوك، فقبل قتيبة الجزية، والهدايا، وختم الغلمان، وردهم، ووطئ التراب، ثم عاد إلى خراسان. البلاذري: فتوح البلدان، ص٣٩١-٣٩٢؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ١٠٠/٨؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٥/٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ١٤٠/٩.

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٣٥١/٢.

(٦) الملاحق: خريطة فتح الأندلس مع بيان سير الفتوحات ومسير كل قائد ص٣٠٥ .

في جنوب غرب الأندلس، بدأت المدن الأخرى تتهاوى في يد المسلمين الواحدة تلو الأخرى، فتمكنوا من فتح (إشبيلية)، و(قرطبة)، و(طليطلة)، وتوجهوا شمالاً، فأخذت المدن تتساقط تباعًا، ومنها (سرقسطة)، و(وشقة)، و(لاردة) حتى وصلوا إلى (جبال البرانس) عند الطرف الجنوبي لفرنسا [٢].

كما تمكن المسلمين من فتح معظم أسبانيا في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك، حيث فتحت مناطق جديدة في بلاد السند، والأندلس، وبلاد ماوراء النهر، حتى جاء بعده أخوه سليمان بن عبد الملك (٩٦هـ - ٩٩هـ)، ولم تتسع حدود الدولة الأموية في عهده عما سبق سوى في بعض بلاد المشرق، ففتحت جرجان، ودهستان، وطبرستان[٣]، بل تركزت جهوده بغزو بلاد الروم[٤]، ففتح العديد من المدن، والحصون كـ (حصن الحديد)، و(حصن الوضاح)[٥]، ومدينة غزالة، وماسة، وسردوسل، وسردانية وغيرها[٦].

---

(١) للمزيد حول انتصارات المسلمين في الأندلس راجع: الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، ص ٧٣-٧٨؛ ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك التوزري (ت ٦٨١هـ): تاريخ الأندلس، تحقيق: أحمد مختار العبادي، مدريد، معهد الدراسات الاسلامية، ١٩٧١م، ص ١٤٧- ١٥٥.

(٢) الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ٧٨؛ ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص ١٤٤؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٥٦٤/٤؛ المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ) : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ط١، بيروت، دار صادر، ١٣٨٨هـ، ٢٦٠/١.

(٣) بعض المناطق فتحت للمرة الثانية حيث سبق وأن فتحت، ولكن أهلها نقضوا العهد.

(٤) المقصود بها: جبال طوروس الممتدة من البحر الأبيض المتوسط عند (مرسين) نحو الشمال الشرقي حتى تصل إلى مناطق قريبة من البحر الأسود في هضبة أرمينيا، وقد أقيمت هناك ثغور. وقلاع لكلا الجانبين، ومن أشهرها: مرسين، والمصيصة، ومرعش، وملاطية، والحدث، وزبطرة، وخرشة، وعين زربة. للمزيد حول هذا الموضوع راجع: عبد الرحمن علي الحجي: التاريخ الأندلسي، ط٢، بيروت، دار القلم، ١٤٠٢هـ.

(٥) ويسمى بحصن أبو عوف. الذهبي: تاريخ الإسلام، ٢٣٠/٢.

(٦) خليفة بن خياط : تاريخه، ٣٠٤؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٣٢؛ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ٧٨؛ ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص ١٤٤؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٥٦٤/٤؛ ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت٧١١هـ): مختصر تاريخ دمشق لأبن عساكر، تحقيق: روحية النحاس وآخرين، دمشق، دار الفكر، ٢٧٣/٧؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٢٣٠/٢ ؛ الجرجاني، علي بن محمد الشريف (ت ٨١٦هـ): تاريخ جرجان، تحقيق: عبد الرحمن المعلمي، ط١، الهند، دائرة المعارف، ١٣٩٦هـ، ٤٠/١ ؛ المقري: نفح الطيب ، ٢٠٠/١ ومابعدها .

ثم تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩هـ - ١٠١هـ) الذي غير من سياسة الدولة الأموية[١]؛ حيث أمر جيوش المسلمين حول القسطنطينية بالعودة، وفي بلاد ماوراء النهر، وبلاد السند بعدم التوغل في البلاد المفتوحة، بل ركز جهوده على نشر الإسلام فيها بدلاً من فتح بلاد جديدة [٢].

غير أنه في بلاد الأندلس[٣] لم تتوقف جيوش المسلمين عن الفتوحات، فاستكملت بعض المواقع في شرق الأندلس[٤]، ثم اخترقت جبال البرانس، وسيطرت على العديد من القواعد كأربونة[٥] وغيرها.

واستمرت الجيوش بالزحف على مقاطعتي (سبتمانيا)، و(بروفانس)[٦]، وأغارت على

---

(١) والسبب في ذلك: الاهتمام بالشأن الداخلي، وإعادة تنظيم وترتيب الدولة مستغلاً بذلك خبرته الإدارية، ودرايته بها حيث كان والده واليا على مصر، ومن ثم كان هو والياً على المدينة النبوية، بالإضافة إلى تثبيت الإسلام كدين وعقيدة لدى الأمصار، والبلاد التي فتحت خلال حكم الدولة الأموية، والتي بلغت أقصى ما يمكن أن تصله حدود دوله في ذلك الزمان، فحول الإنفاق على الفتوحات إلى الإنفاق على الدعاة والعلماء الذين أرسلهم ليبلغوا كلمة الله، ويعلموهم الإسلام، ولتكون تلك البلاد هي قواعد انطلاق الفتوحات من جديد بدلا من بلاد العرب وفي هذا نظرة عسكريه ودينيه وإداريه بالغه الحنكة والخبرة. خليفة بن خياط : تاريخه، ٣٩٢/١؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٥٤٠/٥؛ الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف (ت٣٥٥هـ): الولاة والقضاة، تحقيق: محمد حسن وأحمد المزيدي، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م، ص٥٥.

(٢) خليفة بن خياط : تاريخه ، ص٣٢٠؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ١٣٠/٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٤٣/٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ١٨٤/٩.

(٣) استعمل على الأندلس السمح بن مالك الخولاني، وأمره أن يميز أرضها، ويخرج منها ما كان عنوةً، ويأخذ منه الخمس، ويكتب إليه بصفة الأندلس، وكان رأيه إقفال أهلها منها لانقطاعهم عن المسلمين. ابن عذاري، أحمد بن محمد المراكشي (ت ٦٩٥هـ): البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، ط٢، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٣م ، ١٤٩/١؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٤/٣.

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٥٦٦/٤؛ المقري: نفح الطيب، ٢٨١/١.

(٥) أَرْبُونَةُ: بفتح أوله، ويضم، ثم السكون، وضم الباء الموحدة، وسكون الواو، ونون وهاء، وهي التسمية العربية لمدينة (ناربون) التي تقع جنوبي شرقي فرانسا، كانت وقت الفتح الإسلامي تابعة لإسبانيا، وجزء من الدولة القوطية، وقاعدة لإمارة (سبتمانيا) أي المدن السبعة، فتحها القائد العربي السمح بن مالك سنة ١٠١هـ لحماية حدود الأندلس الشمالية حتى استردها شارل مارتل بعد ذلك. الحموي: معجم البلدان، باب الهمزة والراء ومايليها، ٨٩/١.

(٦) أقيمت بهما حكومة إسلامية، ووزعت الأراضي بين الفاتحين والسكان، وفرض الجزية على النصارى، وترك لهم

=

(إكتانيا)، وحاصرت (طلوشة – طولوز) [1] في جنوب فرنسا [2].

ثم تولي الخلافة يزيد بن عبد الملك (١٠١هـ - ١٠٥هـ)، فكانت بداية النهاية للدولة الأموية؛ حيث أنهكتها المشكلات الداخلية، ومع ذلك لم يمنع الخليفة يزيد من إرسال الجيوش لتثبيت الأراضي المترامية الأطراف في شرق الدولة وغربها، حيث غزا أرمينية [3]، وأرسى الأمن في حدودها، وأشرف على جيوش المسلمين في بلاد الأندلس [4].

ويعتبر عهد الخليفة يزيد حافلاً بالغزوات البحرية على الروم (صقلية – سردانية – قرشقة[5])، فكانت ولايته علامة مميزة في تاريخ البحرية الإسلامية الناشئة في إفريقية، إذ وصلت تحت إمرته مطلع القرن الثاني الهجري إلى مرحلة الفتوة، وذلك بعد استيلاء المسلمين على السواحل الشرقية لإسبانيا [6].

أما في عهد أخيه هشام بن عبد الملك (١٠٥هـ - ١٢٥هـ)، فلم يكن هناك فتوحات واسعة كالتي حدثت أيام الوليد بن عبد الملك، وإنما كانت غزوات يحدث فيها تقدم قليل، ثم

لهم حرية الاحتكام إلى شرائعهم.

(١) طلوشة: ويسميها قسم من العرب تولوز، وهي مدينة طولوز جنوبي فرنسا، وتسميها قسم من المراجع العربية: طرسونة، وطرسونة هذه في مدن تطيلة، ولا علاقة لها بطلوشة. الحموي: معجم البلدان، ٦/ ٤١؛ الحميري: الروض المعطار، ص١٢٣؛ شكيب أرسلان: الحلل السندسية ٢/ ١٧٢ .

(٢) المقري: نفح الطيب، ١٥/٣؛ شكيب أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص٧٥.

(٣) للتوسع في فتوحات الخليفة يزيد بن عبد الملك في أرمينية: محمود شيت الخطاب: قادة الفتح الإسلامي في أرمينية، ط١، جدة، دار الأندلس الخضراء، ١٤١٩هـ، ص ٢٥٥-٢٥٩.

(٤) المقري: نفح الطيب، ١٠/٣-١٧؛ شكيب أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص ٧٠-٧٦؛ المصري: دولة الإسلام في الأندلس، ط٢، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤١١هـ، ٦٩/١-٧٦.

(٥) قرشقة هي بجزيرة تقع غرب إيطاليا وشمال جزيرة سردانية، ويُطلق عليها (كورسيكا) غزاها العرب عدة مرات، وهي الرابعة من حيث المساحة في البحر المتوسط بعد (صقلية – سردانية – قبرص)وحالياً هي تابعة لفرنسا. الإدريسي: نزهة المشتاق، ١٨٨/١.

(٦)كانت تلك الغزوات سبباً في إشغال الروم عن مهاجمة سواحل المغرب. خليفة بن خياط : تاريخه، ٢٥٦/١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٥٦٦/٤؛ المقري: نفح الطيب ، ١٠/٣-١٦؛ عبد الله حسين: الدولة الأموية في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك، ص ٢٨٦-٢٩٦.

يعود المسلمون إثرها إلى ثغورهم، أو تفتح رقعة صغيرة من الأرض أو بعض الحصون[1]، أو يحدث قتال بسبب نقض العهد من قبل أعداء المسلمين، الأمر الذي يضطر فيه المسلمون إلى معاودة قتالهم، وإجبارهم على طلب الصلح ثانية، ودفع الجزية.

ومع ذلك نجد جيوش المسلمين في الأندلس تعد العدة للجهاد وراء جبال البرانس في جنوب فرنسا، ومكثت عاماً، وانتصرت في العديد من المعارك [2]، حتى توقفوا في انتصاراتهم عند بواتييه[3]، مع العلم أنهم حاولوا العودة إلى جنوب فرنسا، ونجحوا في إقامة بعض الإمارات في جنوب فرنسا، وهذا كله في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك [4].

أما في عهد الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥هـ - ١٢٦هـ) فبدأت عوامل الضعف تسري في جسد الدولة الأموية، وانحصرت حدود الدولة الأموية في بعض البلاد، وثبتت في بلاد أخرى، وظهرت الفتن والقلاقل على مسرح الأحداث.

لم يتغير الوضع السياسي بعد وفاة الوليد؛ حيث خلفه يزيد بن الوليد بن عبد الملك — الناقص[5]- (١٢٦هـ - ١٢٦هـ)، فكانت خلافته خمسة أشهر، ثم قام بالأمر أخوه إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك (١٢٦هـ - ١٢٧هـ) شهرين، ثم خلع نفسه، ودخل في طاعة الخليفة مروان بن محمد بن مروان (١٢٧هـ - ١٣٢هـ)، وكانت خلافته مليئة بالفتن والاضطرابات، ومالبث أن انهزم أمام جيوش بني العباس في معركة الزاب ١٣٢هـ، وانتهت

---

(١) تم فتح مدينة قيصرية، وحصن خرشنة في ناحية مرعش. خليفة بن خياط : تاريخه، ٢٧٠/١؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ١٣١/٤؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٤٠٧/٢.

(٢) وذلك عام ١١٢هـ. المقري: نفح الطيب، ١٦/٣.

(٣) وهي مدينة فرنسية، سميت المعركة "ببلاط الشهداء "، وذلك عام ٤ ﻫ‍ وقد عولت المصادر الفرنسية كثيراً على هذه المعركة، واعتبرت أن الانتصار فيها على المسلمين قد أوقف تقدمهم في أوربا الغربية. للمزيد يراجع بعض الدراسات منها: شكيب أرسلان: تاريخ غزوات العرب، ص ٩٨-١٠٢.

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٨١/٤.

(٥) سمي بيزيد الناقص لأن سلفه الوليد بن يزيد كان قد زاد في أعطيات الجند، فلما ولي يزيد نقص الزيادة، مات بالطاعون، وقيل: مسموما سنة ١٢٦ هـ. الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٥٦٤/٥؛ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ١١٥/٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، ط٧، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ، ١٢٢/٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ١١/١٠.

بذلك الخلافة الأموية[1].

على أي حال، فإن الدولة الإسلامية في العصر الأموي حققت انجازات سياسية وحضارية، فقد وصلت إلى بلاد ما وراء النهر في آسيا الوسطى، وإقليم السند في شبه القارة الهندية، أما في إفريقيا، فامتدت من حدود مصر الغربية إلى المحيط الأطلسي، بالإضافة إلى الشمال الإفريقي، ومن مضيق جبل طارق إلى جنوب فرنسا، كما سيطرت على معظم الجزر في شرقي البحر المتوسط وجنوبيه، بل أن خلفاء بني أمية واصلوا ضغطهم على مدينة القسطنطينية، عاصمة الدولة البيزنطية، وحاصروها أكثر من مرَّة، في مدة زمنية قصيرة قاربت التسعون عاماً.

ولما اكتملت الفتوحات الأموية وأدخلت العديد من البلدان تحت مظلة الإسلام، نجد أنها امتدت مساحتها من كاشغر على حدود الصين شرقاً إلى الأندلس وجنوب فرنسا غرباً، ومن تركمانستان وبحر قزوين شمالًا إلى المحيط الهندي جنوباً [2].

وقدر الجغرافيون مساحة الدولة الأموية بسبعة ملايين وأربع مئة وستين ألف ميل مربع، وهي أكبر دولة إسلامية عرفها التاريخ على الإطلاق[3].

٢/ الإطار الزماني

يستفاد مما أوردته المصادر أن الدولة الإسلامية في العصر الأموي شغلت إحدى وتسعين سنة ابتداءً من عام الجماعة[4] عام واحد وأربعين للهجرة (٤١هـ) [1]، واستمرت حتى سنة

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٣١٢/٤؛ المسعودي: مروج الذهب، ٤٥٤/١؛ ابن المطهر، الحسن بن يوسف الحلي (ت٧٢٦هـ): البدء والتاريخ، ط١، بورسعيد، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٨م، ٣٤٣/١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ٤٩٠/٢.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ١٠٤/٩.

(٣) محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، ص ٥٦، ٥٥.

(٤) سمي بهذا الاسم لتنازل الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، فسلم له الكوفة أواخر شهر ربيع الأول، وقيل الآخر مقدمًا مصلحة الأمة، وحقن دماءها، وقد دفعه لذلك أمران: أولهما: ما رآه من اختلاف جيشه على أبيه من قبل، وتفرق أهوائهم وآرائهم، وكثرة تخاذلهم. وثانيهما: حرصه على حقن الدماء، وإنهاء الخلاف الذي طال أمده في الأمة، وقد أجمعت الأمة على معاوية، وبايعه علماء الصحابة والتابعين، وعدوا خلافته شرعية، ورضوا إمامته. خليفة بن خياط : تاريخه، ص ٢٠٣؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢٠٣/٣.

مئة واثنتين وثلاثين للهجرة (١٣٢هـ) ، وإن كان بعض المؤرخين[٢] يستثني من ذلك إمارة عبد الله بن الزبير ﷺ مدة تسع سنين [٣].

علّما بأن ولاية ابن الزبير كانت بالحجاز والأهواز والعراق، ولم تنسلب يد بني أمية من الشام أصلاً، ولم تزول دولتهم بالكلية.

ومن خلال مقارنة العصر الأموي بما بغيره من العصور، نجد أنه لا مثيل له في التوسع وبسط النفوذ امتدادًا للعصر الراشدي، واستفادت منه الدولة الإسلامية في العصور اللاحقه.

---

(١) خليفة بن خياط : تاريخه، ص٢٠٣؛ ابن أبي زرعة، عبد الرحمن بن عمرو الدمشقي (ت٢٨١هـ): تاريخ أبي زرعة، دراسة وتحقيق: خليل عمران منصور، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ، ١/١٩٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٣٧/٣.

(٢) وهناك من يعتبر أو يميل إلى اعتبار خلافة ابن الزبير شرعية باعتبار أن معظم الأمصار الإسلامية خضعت له، ولذلك يذكر اسمه مع الخلفاء. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٣٢٣/٣؛ ابن حزم: المحلى، تحقيق: محمد منير الدمشقي، ط١، القاهرة، دار الطباعة المنيرية، ١٣٥٢هـ، ٢٣٦/١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ٣٦٣/٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ١٠٤/٩؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت٩١١هـ): تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محيي الدين، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٣هـ، ص٢٤٠.

(٣) بعد موت يزيد بن معاوية لم يكن هناك من خليفة، وإذا كان يزيد قد أوصى لابنه معاوية، فإن معاوية ترك الأمر شورى، ولم يستخلف أحدًا، ولم يوص إلى أحد، وكان عبد الله بن الزبير، رضي الله عنهما قد بويع له في الحجاز والعراق، وما يتبعه إلى أقصى مشارق ديار الإسلام، وفي مصر، وما يتبعها إلى أقصى بلاد المغرب، وبايعت الشام أيضًا إلا بعض جهات منها، ففي دمشق بايع الضحاك بن قيس الفهرى لابن الزبير، وفي حمص بايع النعمان بن بشير، وفي قنسرين زفر بن الحارث الكلابي، وفي فلسطين بايع ناتل بن قيس، وأخرج منها روح ابن زنباع الجذامي، ولم يكن رافضًا بيعة ابن الزبير في الشام إلا منطقة البلقاء وفيها حسان بن مالك بن بحدل الكلبي. المسعودي: مروج الذهب، ٣٨٦/١؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٢٠٦/٢؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ٥٣/١٠؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٢٠٢/٢؛ الكتبي، محمد بن شاكر (ت ٧٦٨هـ): فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٧٣م، ٤٠٢/٢.

المبحث الثاني: الأوضاع العامة في العالم الإسلامي في عصر بني أمية

يستفاد مما أوردته المصادر أن العالم الإسلامي كان يعاني من بعض الظروف والتحديات السياسية والحضارية، نتيجة لاتساع الدولة الأموية، كما مّر بنا أن الدولة الإسلامية في العصر الأموي امتدت مساحتها من كاشغر على حدود الصين شرقًا، إلى الأندلس وجنوب فرنسا غربًا، ومن تركمانستان وبحر قزوين شمالًا، إلى المحيطالهندي جنوبًا، ، ولعل من أبرز معالم الأوضاع العامة في هذا العصر الأتي:

١/ الحالة السياسية: امتد نفوذ الدولة الأموية السياسي إلى العديد من الأقاليم المتفرقة، ويستنتج ما أوردته المصادر أن الخلفاء الأمويين اتبعوا سياسة متوازنة في التعامل مع أهالي البلاد المفتوحة، فعلى سبيل المثال نجد أن أكثر الأفارقة كانوا ينتظرون قدوم المسلمين لتخليصهم من حكم الكاهنة في شمال إفريقيا، بسبب ماقامت به وجنودها في تخريب البلاد؛ حيث هدموا المدن، والحصون، وقطعوا الأشجار، وأتلفوا المزارع [١].

وكانت بلاد الأندلس محكومة من قبل القوط الغربيين، وملكهم (لذريق)، وقد عانى أهل الأندلس ظلًما شديدًا من ذلك الحكم، وسمعوا ما قام به المسلمون من تنظيم لإفريقية، وحسن معاملة وعدل بين الناس، ولذلك تطلعوا إلى الدخول تحت حكم الإسلام، وأحسوا أن في ذلك إنقاذًا لهم من الظلم الذي كانوا يعيشونه [٢].

ومما يلاحظ أن المسلمين التزموا بنصوص المعاهدات وروحها التي أعطيت لأهالي تلك البلاد المفتوحة، فلم ينكثوا عهدًا، أو ينقضوا معاهدة، وإذا حدث شيء من هذا؛ فإن الدولة تسارع بتصحيح الخطأ [٣]، مما ساعد في نشر الإسلام.

---

(١) للمزيد حول هذا الموضوع راجع: الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، ص ٥٦؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٣٧٠/٤.

(٢) الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ٥٧ – ٦١؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٣٧٠/٤– ٣٧١.

(٣) ذكرت بعض المصادر التاريخية أن قتيبة بن مسلم الباهلي دخل مدينة سمرقند بدون أن يخيرهم بين الدخول في الإسلام أو الجزية أو الحرب، وإنما باغتهم وفتح بلادهم، وقد اشتكوا إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز، فأمر الوالي بأن يعين قاضي يحكم في المسألة بإنصاف، فحكم القاضي بإخراج المسلمين من سمرقند، وأن يخير أهلها قبل دخولها، فخرجوا، فما كان من أهل سمرقند، إلا أن أسعدهم هذا المسلك من الحكومة الإسلامية التي لم تفرق بين المسلم وغير المسلم في العدل، =

كما أن عصر الدولة الأموية كان عصر نمو الحضارة الإسلامية التي وضعت بذورها منذ عهد الرسول ﷺ والعصر الراشدي في شتى الميادين المختلفة من إدارة وعمارة وعلوم، وهذه كلها أعمال جليلة تشهد للأمويين بدورهم البارز في التاريخ الإسلامي، بالرغم من أن العصر الأموي واجه في تلك الفترة حملة شرسة من أعدائه؛ سواء في داخل أسوار الدولة، أو خارجها [1].

ولو ألقينا نظرة على ماتميز به عهد كل خليفة من الأحداث السياسية التي أدت إلى نشاط الفرق وانتشارها ، وموقف كل خليفة من تلك الفرق ، ففي عهد الخليفة **معاوية بن أبي سفيان** رضي الله عنه لازالت فرقتي الخوارج والشيعة في بداية نشأتها ، ومع ذلك فقد تعامل الخليفة معاوية رضي الله عنه بحنكة وسياسة حكيمة معهما ، حيث جعل على ولاية العراق (الكوفة — البصرة) الولاة الأكفاء كالمغيرة بن شعبة ، وزياد بن أبيه، وعبدالله بن خالد بن أسيد ، والضحاك بن قيس، وعبيدالله بن زياد ، والنعمان بن بشير ، وغيرهم ؛ لأن ولاية العراق تعتبرموطناً لمشاهد الخوارج والشيعة .

فلاشك أن الخوارج تأثروا إلى حد كبير بتسلم الخليفة معاوية رضي الله عنه دفة الحكم ، ولعل ابتداء العصر الأموي وما جدَّ فيه من أحداث واضطرابات جعلت الخوارج يؤمنون إيماناً قاطعًا بأن أسلافهم كانوا على حق ، وأنهم قتلوا ظلًما واستشهدوا في سبيل إعلاء كلمة الدين [2].

ولم تقف الأمور عند هذا الحد ؛ بل إن الخليفة معاوية رضي الله عنه نقل الخلافة من بعده إلى إبنه يزيد، فأصبحت محصورةً في أسرته ، وهذه نقمة جديدة سجلها الخوارج على معاوية رضي الله عنه ، ومن جاء بعده من أسرته فأعتبروهم غازين على الأمة ، وأعتبروهم عابثين بأموال المسلمين في إتخاذهم القصور ، والحراس ، والحجاب ، وما إلى ذلك من مظاهر الملك [3].

فأقبلوا على اعتناق الإسلام. للتوسع راجع: السمرقندي، نصر بن محمد (ت ٣٧٢هـ): طلب القند في تاريخ سمرقند، تحقيق: يوسف الهادي، طهران، مركز نشر التراث المخطوط، ١٤٢٠هـ، ص ٨٩-٩٤.

(١) بالإضافة إلى صعوبة المحافظة على المناطق المفتوحة من المنافقين الذين طالما ذاقوا المسلمين الويلات بنقض العهود والمواثيق.

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، ٢٢/٨ .

(٣) للمزيد من المعلومات حول فكر فرقة الخوارج ونشاطهم في العصر الأموي راجع : سليمان بن عبدالله السويكت : الخوارج في العصر الأموي ، رسالة ماجستير ، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،

=

وبهذا فإن فرقة الخوارج في عهد معاوية رضي الله عنه أصبحوا يعتقدون جازمين بشرعية خروجهم ، وعدالة موقفهم فمن اعتراه شك أو ريبة في عهد الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه قام ينادي :" قد جاء الآن مالا شك فيه ، فسيروا إلى معاوية فجاهدوه "[١] .

لذا فقد تعامل الخليفة معاوية رضي الله عنه وولاته بشكل صارم تجاه ثوراتهم المتتالية ، وخاصة في البصرة التي سيطر عليها طابع الشدة والصرامة واستعراض الناس وقتلهم من قبل الخوارج ، ومع ذلك فقد كان الخليفة معاوية رضي الله عنه يحاول بقدر استطاعته تجنب إراقة الدماء معهم ، ومن ذلك موقفه مع حوثرة بن وداع الأسدي[٢] أحد زعماء الخوارج ، حيث دعا الخليفة معاوية رضي الله عنه أبا حوثرة فَقَالَ:" أخرج إلى إبنك فلعله يرق إذا رآك، فأتاه أبوه فكلمه وناشده ، وقال له: ألا أجيئك بابنك فلعلك إذا رأيته كرهت فراقه؟ ..." [٣].

وفي موقف آخر كان معاوية رضي الله عنه يعفوا ويتسامح معهم ، فعلى سبيل المثال لما وثب حمران ابن أبان على البصرة، فأخذها وتغلب عليها، بعث معاوية إليه جيشاً ليقتلوه ومن معه، فجاء أبو بكرة الثقفي رضي الله عنه إلى معاوية، فسأله في الصفح عنهم والعفو، فعفا عنهم وأطلقهم [٤].

وأما فرقة الشيعة فقد نعمت بالأمن والاستقرار في عهد الخليفة معاوية رضي الله عنه ، ولم يعكر صفو حياتهم في ذلك العهد إلا حادثة مقتل حجر بن عدي رضي الله عنه وأصحابه وذلك سنة (٥١هـ) [٥].

١٣٩٨هـ .

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ١٦٦/٥ .

(٢) حوثرة بن وداع بن مسعود الأسدي ، يعتبر من شيعة الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه في بدء عهده ، شارك معه في كثير من الوقائع ، وفارقه بعد التحكيم ، ولما قتل الخليفة علي رضي الله عنه تحالف حوثرة مع حابس الطائي على قتال معاوية رضي الله عنه ، فجمعا أصحابهما في النخيلة – قرب الكوفة– ومعاوية رضي الله عنه يومئذ في الكوفة، فعلم بأمرهم ووجه إليهم جيشًا أكثره من أهل الكوفة، فكانت بين الفريقين وقائع قتل فيها حوثرة . المبرد : الكامل ، ١٥٥/٢– ١٥٦ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٦٤/٣.

(٣) البلاذري : أنساب الأشراف ، ٣٧١/٢ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٥٠/١١ .

(٥) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٢١٨/٣ .

وقد أورد ابن الأثير أن الشيعة كانوا سببًا في تولية يزيد بن معاوية وليًا للعهد بعد أبيه ، حيث كان لهم دور في إقناع الخليفة معاوية رضي الله عنه في تولية ابنه من بعده ، وذلك لما قدم على معاوية أربعين رجلاً من أهل الكوفة ، فلما دخلوا على معاوية قاموا خطباء فقالوا: يا أمير المؤمنين كبرت سنك فانصب لنا علًما ،وحد لنا حدًا ننتهي إليه ، فقال: أشيروا علي ، فقالوا: نشير بيزيد ابن أمير المؤمنين. فقال: أوقد رضيتموه؟ قالوا: نعم ، قال: وذلك رأيكم؟ قالوا: نعم، ورأي من وراءنا ، قال: ننظر ما قدمتم له، ويقضي الله ما أراد، والأناة خير من العجلة، فرجعوا. وقوي عزم معاوية البيعة ليزيد ، فأرسل إلى زياد يستشيره [1].

لذا يتبين لنا مما سبق مايلي :

١. أن الخليفة معاوية رضي الله عنه كان يتمتع بصفات نادرة قلما تتوفر لغيره من أرباب السياسة.
٢. يعتبر الخليفة معاوية رضي الله عنه داهية من دهاة العرب المعدودين ، وله معرفة تامة بأصول الحكم والسياسة وتدبير الأمور ، وهذه الصفات مكنته من ترسيخ قدمه في الحكم وانفراده فيه .
٣. استطاع أن يكبح جماح الطامحين في الخلافةسواءً من الشيعة أوالخوارج .
٤. استطاع أن يسوس الأمة الإسلامية سياسة تدل على الحكمة وحسن التدبير[2].

ولم تشهد الساحة السياسية أحداثًا مؤثرة في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه كالذي حدث في عهد أبنه الخليفة **يزيد بن معاوية** الذي انتشرت في عهده الفتن، وقامت الشيعة والخوارج بعدة ثورات ، وخاصة بعد استشهاد الحسين بن علي رضي الله عنه ، الذي جعلت منه ذريعة للخروج على خلفاء بني أمية فيما بعد .

وبما أن الخليفة يزيد بن معاوية اعتمد على ولاة كانوا على درجة عالية من الكفاءة الإدارية، وذلك أدى إلى استتاب الأمن ، وشدّ السلطان ، وتأكيد هيبة الدولة ، والقضاء على الثورات

---

(١) الكامل في التاريخ ، ١٤١/٢ .

(٢) ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا (٧٠٩هـ) : الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، ط١، مصر،مطبعة الموسوعات ، ١٣١٧هـ ، ص٨٨ .

المتتالية من الشيعة أوالخوارج .

وفي عهد الخليفة **عبدالملك بن مروان** لم تهدأ فرقتي الخوارج والشيعة ؛ بل قويت شوكتهم، وكثرت جموعهم ، وتفاقم خطرهم ، فكان هذا دافعًا قويًا للخليفة عبدالملك بن مروان للتفكير جديًا في القضاء عليهم وتخليص الدولة من المؤونة الثقيلة التي تتحملها في حربهم ، وأدرك أن أول مايجب التفكير فيه وأول خطوة عملية في هذا الشأن هو اختيار والٍ كفء يستطيع أن يدير أمور العراق بجدارة وقوة ، ولهذا جمع مجلس شوراه ، وقرر أن يرسل الحجاج بن يوسف الثقفي واليًا على العراق [1].

ولم تشهد خلافة **الوليد بن عبدالملك وسليمان بن عبدالملك** نشاطًا ملموسًا للفرق ؛ في ظل تواجد ولاتهم باعٌ طويل في الترصد لتلك الثورات ، والقضاء عليها في مهدها، فعلى سبيل المثال أمر الخليفة الوليد بن عبدالملك عامله على المدينة النبوية عثمان بن حيان بالقبض على الهيصم بن جابر[2] وقتله ، وخرج داود بن عقبة العبدي[3] فأرسل إليه الخليفة سليمان بن عبدالملك مروان بن المهلب فقتله [4].

وهذه الثورات والحركات والأحزاب التي قامت ضد الدولة الأموية لا يجمعها هدف واحد سوى العداء لبني أمية، والقضاء على حكمهم، على الرغم من تعدد مشاربها، إذ كان منها الحركات ذات الطابع الديني، مثل حركات الشيعة، والخوارج الذين اتخذوا من الدين سندًا لمحاربة بني أمية.

---

(١) ابن أعثم : الفتوح ، ٣٢٢/٦ .

(٢) الهيصم بن جابر ، وهو أبو بيهس بجني سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، كان واحدًا من الخوراج المحكمة ثم أنشق عنهم بعد خلاف حصل بينهم ، ويعتبر رأس فرقة البيهسية أحد فرق الخوارج . البلاذري : أنساب الأشراف ، ٩٨/٢ ؛ الشهرستاني : الملل والنحل ، ١٤٤/١.

(٣) داودبن عقبة العبدي من شعراء عبدالقيس ، وأحد شعراء الخوارج ، وكان من عبادهم المجتهدين ، زاهدًا ورعًا ، وهو القائل :

إلى الله أشكو فقد فتيان غارة ... شهدتهم يوم النخيلة والنهر

البلاذري : أنساب الأشراف ، ١١٩/٢ .

(٤) للمزيد حول ذلك راجع : الشهرستاني : الملل والنحل ، ٣٩/٢ ؛ مجهول : العيون والحدائق ، ٣٦/٣-٣٨ .

أما الخليفة **عمر بن عبدالعزيز** فقد عامل الفرق المختلفة في عهده باللين وقارعهم بالحجة، فلم يشأ أن يأخذهم بالشدة أو القسوة كما فعل من قبله من الخلفاء ، ولعل الثقافة الدينية والأدبية التي تلقاها أثناء إقامته بالمدينةأثر بعيد المدى في قوة حجته وشدة عارضته ، فأستطاع أن يلزمهم الحجة .

وأما الخليفة **هشام بن عبدالملك** فقد سار على نهج من سبقه من الخلفاء في تتبع الخارجين على الدولةسواءً من الخوارج أو الشيعة ، كما أنه قام بملاحقة رؤوس بعض الفرق الضالة التي ظهرت في عهده كالمعتزلة والجهمية وغيرها، والقضاء عليهم [(١)].

وبعد وفاة الخليفة هشام بن عبدالملك ، وبسبب تباعد المسافات بين أجزاء الدولة الإسلامية في العصر الأموي، والتعددية العصبية[(٢)]، وظهور بعض الخلافات الداخلية في الدولة الإسلامية [(٣)]، والرغبة في الانفصال عن الدولة من بعض البيوتات ذات الأطماع والأحقاد

---

(١) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ٤٣٠/٥ ؛ ابن كثير : ٢٢٠/٩ .

(٢) كالعصبية القبلية، فمن ذلك أن الخليفة معاوية ﷺ اعتمد على اليمنيين دون المضريين، فتزوج من قبيلة كلب اليمنية، وأنجب منها يزيد، ولذا ارتفع شأن كلب في خلافة يزيد، مما أثار الغيرة في قلوب قيس، وهي من مُضَر، كما قرَّت عين مضر لخروج عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما في الحجاز، فأسرعت إلى تأييده، ولما مات يزيد أبت مضر أن تعترف بولده معاوية خليفة، وبايعت لابن الزبير، وإلى جانب العصبية القبلية كان هناك عصبية المدن، ففي خلافة يزيد بن معاوية مثلاً كانت العراق تؤيد الحسين بن علي ﷺ، في حين بايع الحجاز عبد الله بن الزبير ﷺ وكان الحَجَّاج عند بنائه واسط يهدف إلى عدم مخالطة جند الشام لأهل العراق، حتى يبقى جنده محتفظين بعصبيتهم الإقليمية ضد أعدائه العراقيين. البلاذري: أنساب الأشراف، ١٣٣/٥-١٣٤؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٥٣١/٥، ٥٣٨؛ المسعودي: مروج الذهب، ٩٥/٣.

(٣) كنظام ولاية العهد الذي أثر على الدولة الإسلامية، حيث برزت الخلافات داخل البيت الأموي، وذلك عندما لجأ الخلفاء إلى نقض العهود التي أعطوها لأولياء عهدهم، حيث كانوا يعزلون من هو ليس من أبنائهم؛ ليحولوا ولاية العهدإلى أبنائهم، هذا فضلاً عما أحدثته عملية تعيين إثنين لولاية العهد من زيادة الشقاق والتنافس بين أفراد البيت الأموي، مما أورثهم الحقد والبغضاء، وماترتب على ذلك من انعكاس هذه الخلافات على أهل الحل والعقد في الشام والأمصار الأخرى، وانقسام الأمة بين مؤيد لهذا، ورافض لذاك، وامتداد هذه الخلافات إلى قادة الجيوش والعمال، لدرجة أنه لم يكد يتم الأمر لولي العهد الثاني حتى ينكل بمن ظاهر خصمه، وساعده على إقصائه من ولاية العهد، وبالتالي فقد تطورت المنافسة بين أفرادالبيت الأموي بصورة كبيرة لدرجة أنها شكلت خطًرا على الدولة، وكانت سببًا في ضعفها وعاملاً مساعدًا في سقوطها.

التاريخية، بدأت تضعف مظاهر التضامن الإسلامي في الدولة الإسلامية[1]، وحل محلها في كثير من البقاع دعوات ذات أهداف خاصة، تريد تمزيق جسم الدولة الإسلامية المترامية الأطراف، هذا بالإضافة إلى تحرك بعض الدول التي قهرتها الدولة الإسلامية، ورغبت قيادة تلك الدول في الثأر لما حل لأسرهم الحاكمة[2].

ففي أواخر العصر الأموي مالت الخلافة إلى فرقة القدرية ، وذلك منذ عهد الخليفة الأموي **يزيد بن الوليد – الناقص – بن عبد الملك،** الذي قال بقولهم، وقّربهم، وأعان على نشر مقالتهم، وبذل الأموال والصّلات لمن مدحه من شعرائهم، وقد ساعدته القدرية في الظفر بالخلافة، والقضاء على الخليفة الذي سبقه الوليد بن يزيد بن عبدالملك [3].

كما أن الخليفة **مروان بن محمد** اتهم بأنه تأثر بأقوال بعض الفرق كالقدرية والمعتزلة ، فرأس المعتزلة الجعد بن درهم[4] كان مربيًا ومؤدبًا له ، حيث لقب الخليفة بالجعدي نسبة إليه[5]، وقد التقى به الخليفةمروان حينما كان واليًا على الجزيرة وحران، فأعجبته آراؤه، فتأثر به[6] .

ولابد من الإشارة إلى أن خلفاء بني أمية بذلوا جهودًا كبيرة في نشر العقيدة الإسلامية ، ومحاربة الفرق الضالة بشتى الطرق والوسائل المتاحة آنذاك ، وإن كان غلب عليها الطابع العسكري في مواقف عديدة إلا أنها لم تخلو من الحوارات والمناظرات مع أصحاب تلك الفرق .

---

(١) كالفرس وبعض الأجناس في شتى البلاد المفتوحة.

(٢) وتكمن تلك الأسر في فتوحات بلاد المشرق، أو بلاد الأندلس.

(٣) البسوي: المعرفة والتاريخ، ٣٩/٢-٤٢؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٢٦٩/٧-٢٩٥ ؛ المسعودي: مروج الذهب، ٢٣٤/٣؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٨٦/٤٨-١٩٠؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢٥٥/٤؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٨٦/١.

(٤) الجعد بن درهم، أصله من خراسان، وهو مولى لُسَوِيْد بن غَفَلة الجعفي، وقيل: إنه من موالي بني مروان، سكن دمشق، وكانت له بها دار، قتله والي العراق خالد بن عبدالله القسري بأمر من الخليفة هشام بن عبدالملك، وذلك سنة ١٢٤هـ. البلاذري: أنساب الأشراف، ١٣٩/٣؛ الذهبي: تاريخ الاسلام، ٢٣٨/٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٣٥٠/٩-٣٦٠؛ ابن حجر: لسان الميزان، ١٠٥/٢.

(٥) ويقال: لقب بالجعدي لأن خاله الجعد بن درهم فنسب إليه. النويري: نهاية الأرب، ١١٧/٦.

(٦) الجاحظ: البيان والتبيين، ٧/١.

٢/ الحالة الفكرية والثقافية: المتتبع لأحداث الدولة الأموية يُلاحظ ازدهارًا ملحوظًا؛ حيث تضافرت دعائم وعوامل متنوعة، رفعت الشأن الثقافي والفكري في تلك الحقبة التاريخية، فوجود العلماء الأفذاذ من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، كان له دور كبير في ازدهار الحركة العلمية والثقافية، كأبي هريرة ﷺ، وأبي سعيد الخدري ﷺ، وعبد الله بن عمر ﷺ، وأبي الدرداء ﷺ، والأوزاعي وغيرهم [١].

وقد خرج كثيرٌ من الصحابة ﷺ من المدينة النبوية للمشاركة في حركة الفتوح الإسلامية في مختلف الميادين، ثم استقر كثيرٌ منهم في المدن التي كانت بمثابة معسكرات يسكنها المجاهدون، ليكونوا مددًا لجيوش الفتح عند الحاجة، وكان لاستقرار هؤلاء الصحابة أثر كبير في نشر العلم، وذلك من خلال الدروس، وتفقيه الناس في أمور دينهم، وحمل العلم عنهم عدد كبير من التابعين.

كما شهدت الأمصار الإسلامية المختلفة حركة علمية قوية في العصر الأموي؛ حيث يظهر ذلك جليًا في كثرة العلماء، وتعدد دروس العلم وحلقاته، لذا تعتبر المدينة النبوية المنطلق الأول للعلم، ففيها أكبر عدد من الصحابة الذين هم رواة العلم عن رسول الله ﷺ [٢].

وثَمة عامل آخر كان له أقوى الأثر في الحياة الثقافية؛ حيث اهتم الخلفاء الأمويون بالخطباء والشعراء، فمن الخطباء كرب بن رقبة، وابنه مصقلة[٣]، ومن الشعراء جرير، والفرزدق، وغيرهم،

---

(١) ابن حبان، محمد بن حبان البستي (ت٣٥٤هـ): مشاهير علماء الأمصار، تحقيق: فلايشهمر، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٧٩هـ ، ص ١٥؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ١/١٢٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٢/٥٧٨-٥٧٩، ٣/ ٢٠٤؛ تذكرة الحفاظ، تحقيق : زكريا عميرات ، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٨هـ، ١/٤٤؛ السيوطي: إسعاف المبطأ برجال الموطأ، ط١، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٨٩هـ، ص ٣١.

(٢) للوقوف على عوامل تميز الحركة العلمية في المدينة راجع: شُراب: محمد محمد حسن: المدينة في العصر الأموي، ط١، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ١٤٠٤هـ، ص ٣٥٨ ومابعدها.

(٣) كرب بن رقبة وابنه مصقلة بن كرب، وهما أشهر خطباء هذه الأسرة، وقد ذكر الطبري أن الحجاج لما دخل الكوفة بعد هزيمة ابن الأشعث، أجلس مصقلة بن كرب إلى جانبه، وأمره أن يخطب فيشتم كل امرئ بما فيه، وكان ابنه كرب بن مصقلة خطيبًا مفوهًا كذلك، وكان له خطبة يقال لها «العجوز»، كان آل رقبة يفاخرون بها. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٥/١٦٩؛ ابن ماكولا، أبو نصر علي بن الوزير (ت ٤٧٥هـ): الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ، ٤/٨٨.

وكذلك موقف ولاة بني أمية منهم، فقد دأب خلفاء بني أمية وولاتهم على إكرام العلماء وطلابهم، بالإضافة إلى الشعراء الذين يمدحونهم، فأغدقوا عليهم الأموال بسخاء [1].

أما في الميدان الفكري، فتظهر مؤثرات تتجه بالفكر الإسلامي وجهات لا عهد له بها، وتثير قضايا لم تخطر له من قبل، فيثور الجدل بين المسلمين في شؤون عقدية، كالقضاء، والقدر، وحرية الإرادة، والثواب، والعقاب، والكبائر، ونحوها، وتظهر الفرق الكلامية، كالقدرية[2]، والمعتزلة[3]، والجهمية[4]، والمرجئة[5] وغيرها[1]، وينشغل المسلمون بالجدل في هذه الأمور، ويتلون

(١) أبو الفرج الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ): الأغاني، تحقيق: عيد علي وسمير جابر، ط١، بيروت ، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ.، ٨/٨٠.

(٢) القدرية: هم من أوائل الفرق الضالة المنتسبة إلى الإسلام، ويزعمون أن كل عبد خالق لفعله، ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله ﷻ، وكان معبد الجهني أول من تكلم بالقدر، وذلك في زمن الصحابة ﭫ، وقيل: غيلان الدمشقي، وقد تابعهما في القول بالقدر واصل بن عطاء رأس القدرية الواصلية والمعتزلة، وتفرقت القدرية إلى عدة طوائف كالقدرية النفاة، والقدرية المجبرة، والقدرية المشركون. ولقبت القدرية بمجوس هذه الأمة. البغدادي، عبد القادر بن طاهر (ت٤٢٩هـ): الفرق بين الفرق، ط٢، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٧م، ص٩٦، ١٠٠-١٠١؛ ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: أحمد شمس الدين، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م، ٣/٨٢؛ الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ): الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ط١، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٠هـ،؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤/١٨٥؛ الجرجاني: التعريفات، ط١، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٥م، ص١٨١.

(٣) المعتزلة: هي إحدى الفرق المنحرفة عن منج الإسلام السوي؛ سميت بذلك بعدما اعتزل واصل بن عطاء – رأس المعتزلة – مجلس الحسن البصري بعد اختلافهم في مسألة مرتكب الكبيرة،وقد اختُلف في جذورها، فقيل: إنها ترجع لبداية العصر الأموي، وقيل: ظهرت مع بدء القرن الثاني الهجري، وقيل غير ذلك، وتنقسم إلى عدة فرق، ومن أبرز عقائدها: نفي الصفات والقدر، وتخليد الفاسق في النار إن لم يتب، ووجوب الخروج على السلطان الجائر بالسيف، وغير ذلك. راجع: الشهرستاني : الملل والنحل، ١/٤٣وما بعدها؛ محمد أبو زهرة: تاريخ الجدل، ط٢، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٤م، ص٩٥-٢٠٠.

(٤) الجهمية: نسبة إلى الجهم بن صفوان الراسبي (ت١٢٨هـ) الذي تتلمذ على يد الجعد بن درهم، والجعد بن درهم تتلمذ على يد طالوت، وطالوت تتلمذ على يد لبيد بن الأعصم اليهودي، فهم تلاميذ اليهود، فهم لا يثبتون لله أسماً، ولا صفة، ويزعمون أنه ذات مجردة عن الأسماء والصفات، فهم جمعوا بين الجبر في القدر وبين التجهم في الأسماء والصفات. الشهرستاني: الملل والنحل، ١/٣٥٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ١٠/١٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٥/٤٣٣؛ الجرجاني: التعريفات، ص٨٤.

(٥) المرجئة: سميت بهذا الاسم؛ لأنهم قدموا القول على العمل، وانقسموا إلى عدة فرق، من أشهرها: مرجئة الفقهاء، ومرجئة المتكلمين، وتنسب المرجئة إلى التابعي ذر بن عبد الله الهمذاني، وقيل: إن أول من قال بالإرجاء

=

الأدب الأموي من جراء ذلك بألوان فكرية تخصبه وتوسع آفاقه [٢].

٣/ الحالة الاجتماعية والاقتصادية شارك جميع عناصر المجتمع في شؤون الحياة الاجتماعية، وتقلدوا الوظائف الإدارية، وحظي العنصر العربي[٣] بالكثير من تلك الوظائف، وحرص الخلفاء عليهم، وذلك بإسناد الوظائف الحساسة، والمهمة لهم، مع مشاركة الموالي لهم في جميع شؤون الحياة، وهذا يدحض تلك الافتراءات التي يطلقها المستشرقون فون كريمر، وفان فلوتن، وبروان، ورددها كما هي جورجي زيدان، وفيليب حتى، ونقلها بعض المؤرخين المحدثين مثل: حسن إبراهيم حسن، وعلى حسني الخربوطلى، وغيرهم، وهي أن بني أمية كانوا متعصبين ضد الموالي، وأنهم استغلوهم، واضطهدوهم، واحتقروهم، وأنه كان من نتائج ذلك سخط الموالي الذي تولد عنه سقوط الدولة الأموية، هذا ليس على إطلاقه، فقد تبين أن هناك مجموعات من الموالي مع الأمويين، وأنه كانت أعداد كبيرة من الموالى مثلهم مثل بقية العرب المعارضين للحكم الأموي، استطاعت الدعوة العباسية أن توظف هذه الشريحة من المجتمع الإسلامي، وتقنعها بمبادئها وأهدافها، فانضوت تحت لواء الدعوة العباسية، وأسهمت في القضاء على الدولة الأموية[٤].

حماد بن أبي سليمان شيخ الإمام أبي حنيفة، وتلميذ إبراهيم النخعي، وقيل: غير ذلك. الطبري: تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله ﷺ، تحقيق: علي إبراهيم مصطفى، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م، ١٨٢/٢؛ ابن حزم: الفصل في الملل ، ٣٥/٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ٢٢٣/٥؛ ؛ ابن حجر، أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ): تهذيب التهذيب، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٤هـ، ٤٩٠/٧.

(١) سيأتي التفصيل بالكامل عن الفرق الكلامية، وموقف الولاة من أفكارها في الفصل الرابع.

(٢) للمزيد حول هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى بعض الدراسات: أحمد الحوفي: أدب السياسة في العصر الأموي، ط١، مصر، مكتبة نهضة مصر، ١٣٨٠هـ؛ إحسان عباس: شعر الخوارج، ط٣، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٤م؛ نعمان القاضي: الفرق الإسلامية في الشعر الأموي، ط١، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٠م.

(٣) ممالاشك فيه تولي رجالات قرشية من بني أمية، وبني مخزوم، وبني سهم، وبني عدي، وغيرهم من بطون قريش كثير من الوظائف الإدارية في العصر الأموي، بالإضافة إلى مشاركة العديد من القبائل العربية كثقيف، وغطفان، وفزارة، وسليم، وأسد، وتيم، وكلاب، وباهلة، والأزد، وكلب، وكندة، وخولان، وغيرها من قبائل العرب. للاطلاع على تأثير القبائل العربية في الحكم الأموي يراجع بعض الدراسات، منها: علي بن عايش المزيني، القبائل العربية وأثرها في سلطان بني أمية، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، الدراسات العليا، المدينة المنورة، ١٤١١هـ.

(٤) للمزيد حول دحض ما يثار حول وضع الموالي في العصر الأموي، وتفضيل العرب عليهم راجع بعض =

ونلحظ – من خلال ما تمدنا به المصادر التاريخية من معلومات حول هذا الجانب – مايلي :

١. اعتماد خلفاء بني أمية على الموالي في أعمالهم الخاصة[١] .

٢. توليهم قيادة الجيوش، والإمارة على البلدان[٢].

٣. أنهم بلغوا مكانة علمية[٣] مرموقة في المجتمع الأموي.

وشهد العصر الأموي نشاطًا زراعيًا، واقتصاديًا واسعًا، إذ كان هناك اهتمام متزايد بتحويل

الدراسات، منها: عبد العزيز اللميلم: وضع الموالي في الدولة الأموية، ص ٨٥ – ١٦٩.

(١) فمثلاً نجد أن " سرجون بن منصور " الرومي كان يكتب للخليفة معاوية ﷺ على ديوان الخراج، و يكتب لزياد مولاه مرادس، وعلى الخراج زاذان فروخ، وكان ذلك في أيام معاوية بن يزيد بن معاوية، ويكتب للخليفة عبد الملك ابن مروان على ديوان الرسائل " أبو الزعيزعة " مولاه، وعلى ديوان الخاتم للوليد بن عبد الملك شعيب الصابي مولاه، ويكتب له على المستغلات بدمشق يفيع بن ذؤيب مولاه. خليفة بن خياط : تاريخه، ٥٦/١، ٦٨، ٨١؛ ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٢٥٧هـ): فتوح مصر وأخبارها، تحقيق: محمد الحجيري، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٤١٦هـ، ٢٠٠–٢٠٤؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٢٤٣/٤، ٢٥/٥؛ الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ): الوزراء والكتاب، تحقيق: إبراهيم الأبياري ومصطفى السقا، ط١، تونس، دار الكتب الوطنية، ٢٠٠٩م، ١٧/١–٢٢؛ ابن عساكر، علي بن الحسن (ت٥٧١هـ): تاريخ دمشق، تحقيق: شكر الله بن نعمة الله قوجاني، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ، ١١٦/١٩، ١٦١/٢٠، ٣٢٠/٢٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٥٩٨/٢.

(٢) من كبار الفاتحين المسلمين " طارق بن زياد " مولى من البربر، وكان عامة جيشه الذي فتح به الأندلس من الموالي، وتولى الإمارة في الأندلس، ومعه القائد موسى بن نصير، وهو من الموالي –كان والده من سبي عين التمر –، وولى أبا المهاجر دينار مولى الأنصار إفريقية سنة ٤٧ هـ، وتولى يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج ولاية إفريقية أيضًا، وغيرهم. ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ٢٠٣؛ البلاذري: فتوح البلدان، ٣٠٣/٢؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٢٦٤/٥؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق، ٤٠٧/١٧.

(٣) ففي المدينة على سبيل المثال كان من سادة العلماء، فيها: سليمان بن يسار مولى ميمونة بنت الحارث، ونافع مولى ابن عمر، وربيعة الرأي، وهو من شيوخ الإمام مالك، وفي مكة: مجاهد بن جبر، مولى قيس المخزومي، وعكرمة مولى ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، وفي البصرة: الحسن البصري، وأبوه مولى زيد بن ثابت، وفي الشام مكحول، وفي مصر: يزيد بن أبي حبيب "بربري "، وهو شيخ الليث بن سعد، وغيرهم كثير. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ): التاريخ الكبير، تحقيق: مصطفى عبد القادر و أحمد عطا، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ، ٤١/٤، ٤١١/٧، ٢١/٨؛ الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت ٤٧٦هـ): طبقات الفقهاء، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، بيروت، دار الرئد العربي، ١٩٨١م، ٧٨/١، ٨١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٣٢/٦، ١٥٩، ٥٨٤/٩.

الأراضي الصحراوية، والجرداء إلى أراضي زراعية عامرة، حيث عملت الدولة على زيادة رقعة الأرض المزروعة، وتنشيط الحركة الاقتصادية، فأقطعت الأراضين من أراضي بلاد الشام ومصر والعراق لاستغلالها وزراعتها [١].

كما ساهم بعض خلفاء بني أمية بشكل فاعل في نمو الاقتصاد الأموي إلى معدلات مرتفعة، تجلت ذروتها في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، حيث طلب من والي العراق أن يدفع الأرض غير المزروعة إلى من يزرعه، فإن لم يجد فليزرعها، ولينفق عليها من بيت مال المسلمين[٢]، وهذه دلالة واضحة على حرصه رحمه الله في الاستفادة من الموارد الطبيعية في ذلك الإقليم لوجود نهري دجلة والفرات، وتأمين المنتجات الزراعية، والاكتفاء الذاتي لتلك المنطقة، وإن كنا نرى أنه أراد بذلك توفير فرص العمل لأهل العراق من أجل يبتعدون عن مناوئة الولاة، ومخاصمتهم في الأحوال السياسية.

ومن جملة الاهتمامات بالنشاط الاقتصادي ما قدمه خلفاء بني أمية وولاتهم من دعم مادي ومعنوي للفلاحين؛ حيث منحوا لهم القروض[٣]، وأُنشئت السدود والخزانات من بيت مال المسلمين، كما رفض الخليفة عبد الملك بن مروان طلب والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي في أخذ فضول أموال الفلاحين، وقال له: " لا تكن على درهمك المأخوذ أحرص منك على درهمك المتروك، وأبق لهم لحومًا يعقدون بها شحومًا " [٤].

فبالرغم من ذلك، فإن الاضطرابات السياسية والفتن التي تقع بين الحين والحين، كانت تترك أثرًا وخيمًا على الحياة الاقتصادية؛ لما يترتب عليها من النهب والسلب، فترتفع الأسعار،

---

(١) فعلى سبيل المثال: حوَّلت أرض الموات في بلاد الشام أيام الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﵁ إلى حقول ومروج، وحدائق وبساتين. ابن عساكر: تاريخ دمشق ، ٢/٢٠٠- ٢٠٨.

(٢) ابن عساكر : تاريخ دمشق، ٤٥/٢١٣.

(٣) ومن ذلك أن الحجَّاج أسلف الفلاحين في العراق مليوني درهم، وعمل على توفير الأيدي العاملة، وبقيت بقية في بيت مال المسلمين في العراق أيام عمر بن عبد العزيز، فكتب عمر إلى والي العراق: " أنظِر من كانت عليه جزية – خراج الأرض– فَضَعُفَ عن أرضه، فأسلفه ما يقوى به على عمل أرضه؛ فإنا لا نريدهم لعام ولا لعامين. ابن عساكر : تاريخ دمشق، ٤٥/٢١٣.

(٤) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (ت ٤٥٠هـ): الأحكام السلطانية، تحقيق : عبدالرحمن عميرة ، ط٢، القاهرة، دار الأعتصام ، ١٤٢٥هـ، ١/٤٩.

وتقل الأقوات، إلا أن الخلفاء، وولاتهم كانوا يحاولون معالجة مثل هذه الأمور، مثل ما نقل عن والي العراق زياد بن أبيه قوله لعمال الخراج: "أحسنوا إلى المزارعين، فإنكم لا تزالون سمانًا ماسمنوا "[1]، فطالما وجد الأمن والحماية عاش الناس بأمن وسلام، لذا لم يتوان الولاة بتقديم العون والمساعدة لأفراد المجتمع بشتى أشكاله وألوانه [2].

وفي الجانب العمراني، فقد ازدهر في العصر الأموي، فأنشئت المدن مثل: القيروان، وواسط وغيرها[3]، وشيدت المساجد مثل: مسجد القيروان، والجامع الأموي، وجامع الزيتونة، وغيرها، وازدهرت الحركة الفكرية، وتطورت، فبرز العديد من العلماء الأعلام ممن لمع نجمهم، وأصبح يُشار لهم بالبنان، ونمت اللغة العربية وعلومها، واعتمدت لغة للتخاطب، وللإدارة، وللدواوين، وشاركت الأسرة في شتى المجالات وتفع مستواها ماديًا ومعنويًا[4]، وعمل الخلفاء وولاتهم على توفير سبل الراحة للمجتمعات في نواحي البلاد.

وعلى أية حال؛ فإن الأوضاع في العالم الإسلامي عامة تتحسن عندما تقل المشكلات داخل الدولة، وتنعدم الفتن والقلاقل، وتزداد سوءًا كلما كثرت المشكلات والخلافات داخل البيت الأموي لتأثيره على المجتمع، ويعُد عهد الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز من أفضل فترات حكم بني أمية من حيث قلة الفتن والثورات، وقلة المحتاجين والفقراء حيث عمَّ الأمن والرخاء شتى بقاع الدولة الأموية.

---

(١) ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ): عيون الأخبار، تحقيق: محمد الأسكندراني، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي ، ١٤٢٣هـ ، ١/٤٠.

(٢) للمزيد حول الحياة الاقتصادية راجع: عبد الله السيف: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي، ط٣، بيروت، ١٤٠٣هـ؛ سعيد بن عبد الله القحطاني: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدن خراسان في العصر الأموي، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، الرياض ، ١٤٠٤هـ.

(٣) ولم يقتصر بناء المدن على الخلفاء؛ بل سعى الولاة في بناء المدن، ومن ذلك أن عبد العزيز بن مروان بنى مدينة حلوان، وأقام فيها الدور والمساجد وعمّرها، وأحسن عمارتها، وأحكمها وغرس نخلها وكرمها. ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ١/٢٥٦؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٣/٦٦٦.

(٤) كان زياد بن أبيه الوالي الأموي يجلس ليفصل في الخصومات بين الأزواج. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/١٢٤.

الفصل الأول:

الولاة على الأقاليم في عصر بني أمية

المبحث الأول- الولاية على الأقاليم في الدولة الأموية (دور الوالي وواجباته وصلاحياته وعلاقاته مع الخليفة)

المبحث الثاني- الجزيرة العربية

المبحث الثالث- الشام ومصر

المبحث الرابع- العراق والمشرق

المبحث الخامس- إفريقية والمغرب الإسلامي

المبحث الأول: الولاية على الأقاليم في الدولة الأموية (دور الوالي وواجباته وصلاحياته وعلاقاته مع الخليفة)

اتبع خلفاء بني أمية النظام الإداري الذي كان سائدًا في عصر الخلفاء الراشدين، ومن ذلك الولاية على الأقاليم[1]، ويلاحظ بأن الدولة الأموية مقسمة إلى علّة ولايات ذات حدود غير ثابتة، فقد كانت تتغير بين الحين والآخر وفق توسع الدولة[2].

لذا حرص الخلفاء الأمويون في اختيار الولاة، و تعيينهم في الأمصار الكبرى مثل مصر، والشام، والكوفة، والبصرة، ويترك إلى هؤلاء الولاة تعيين ولاة البلدان الداخلية في عملهم، إلا أن هذا التعيين لم يكن يتم بعيدًا عن نظر الخليفة، وعلمه، وموافقته، وكان الخليفة يضطر أحيانًا إلى عزل من ولاه هؤلاء الولاة، وتعيين آخرين اقتضاء للمصلحة العامة على نحو ما كان يحدث في بلاد خراسان التابعة لولاية البصرة، وفي إفريقيا التابعة لولاة مصر [3].

وكانت **مهمة الوالي وواجباته** تتمثل في الآتي: **أولاً**: النظر في تدبير الجيوش وترتيبهم في النواحي، وتقدير أرزاقهم إلا أن يكون الخليفة قدرها فيذرها عليهم[4]، ففي خلافة الوليد بن عبد الملك قام والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي بتعيين قتيبة بن مسلم الباهلي على خراسان سنة ٨٦هـ، فبدأت الفتوح في بلاد ماوراء النهر تأخذ طابعًا جديدًا يدفعها

---

(١) ورد عند الماوردي في بيان ولاية الاستكفاء وولاية الاستيلاء، أن ولاية الاستكفاء تتم عن اختيار، وتشتمل على عمل محدود، ونظر معهود، أي أن الخليفة هو الذي يختار الوالي، ويعيّن الأعمال الموكولة إلى نظره، أما ولاية الاستيلاء فهي التي تتم عن اضطرار، وتشتمل على البلاد التي غلب عليها المستولي، ويكون الوالي مستوليًا عليها بالقوة، ومستبدًا بالسياسة، والتدبير فيها، ويقوم الخليفة بتقليد المستولي استدعاءً لطاعته، وحسمًا لمخالفته ومعاندته. الأحكام السلطانية، ٤٩/١.

(٢) نجدة خماش : الإدارة في العصر الأموي، ط١، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٠م، ص١٣ .

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٧٢/٦ – ١٥٤/٧؛ ابن الجوزي، أبوالفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن (ت٥٩٧هـ): سيرة عمر بن عبد العزيز، تحقيق: نعيم زرزور، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ، ص ١١٦-١١٧.

(٤) الماوردي : الأحكام السلطانية، ٥٠/١.

الحماس لنشر الإسلام، والجهاد الصادق من قتيبة وجنده لتثبيت أركان الدولة الإسلامية في تلك البقاع [(١)]، فكانت من حسنات الحجاج بن يوسف حيث وضع القائد المناسب في المكان المناسب لما تميز به قتيبة من شجاعة، وإقدام حتى وصلت فتوحاته حدود الصين[(٢)].

ثانيًا: النظر في الأحكام، وتقليد القضاة والحكام [(٣)]، فبما أن الدولة شهدت عددًا من التطورات التي ساهمت في إثراء الناحية الأمنية [(٤)]، فعندما اتسعت الدولة الإسلامية في العصر الأموي صعب على الخليفة متابعة ولاياتها، مما جعله يفوض أمور إدارة الولايات إلى ولاة الأقاليم، والمحافظة على أمنها، وذلك بمنحهم سلطات شبه مطلقة في إدارة شؤون ولاياتهم، لذا نجد والي العراق زياد بن أبيه استعان بأفضل القضاة في الفصل في الخصومات بين الناس، بل كان يتحرى العدل في الأحكام، والإحسان في معاملة الرعية، ولم يغفل عن مشارفة الأمور بنفسه والسؤال عن أحوال الناس [(٥)].

أما بالنسبة لتعيين القضاة، فتارة تكون من مهام الخليفة، وخاصة في الأمصار المهمة في أوقات محدودة[(٦)]، وأخرى يكون الوالي هو المسئول الأول في ذلك، فمثلاً نرى والي العراق

---

(١) وقد طلب قتيبة من الحجاج توزيع الغنائم على المجاهدين للتخفيف من ألم الغربة، وفراق الأهل، فوافق الحجاج على ذلك. خليفة بن خياط : تاريخه، ص ٢٩١؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٥٩/٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٥٢٣/٤.

(٢)خليفة بن خياط : تاريخه، ص ٣٠٥ ؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٢٦ .

(٣) الماوردي: الأحكام السلطانية، ٥٠/١.

(٤) مثل: اتخاذ الحاجب، وإنشاء بعض الدواوين، كالبريد، والخاتم. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت٣٩٥هـ): الأوائل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ، ٢٤/١؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ): تاريخ ابن خلدون، ط٣، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٧هـ، ٤٩/٢، ١٥٠.

(٥) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ٢٣٥/٢؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ٢٠٣/٤-٢٠٥.

(٦) نجد الخليفة الزاهد عمر برعبد العزيز غالبًا ما يقوم بتعيين القضاة، ويشرف عليهم بنفسه، ويراسلهم، ويلبي احتياجاتهم.

عمر بن هبيرة[١] جعل على قضاء الكوفة المغيرة بن عيينة بن النهاس[٢]، وكذلك الوالي يوسف بن عمر الثقفي[٣] عين محمد بن أبي ليلى[٤] على قضاء الكوفة، وغيرهم [٥].

ثالثًا: جباية الخراج[٦]، وقبض الصدقات، وتقليد العمال فيهما، وتفريق ما استحق منها[٧]، اهتم الخلفاء الأمويون[٨] بجباية الخراج، ووضعوا له نظامًا خاصًا، تمثل في المحاسبة[٩]،

---

(١) عمر بن هبيرة بن معاوية الفزاري تولى إمارة العراق في عهد يزيد بن عبد الملك، وجُمعت له ولاية العراقين سنة ١٠٣هـ، ثم عزله هشام بن عبد الملك، وأمر خالد القسري بسجنه، ولكن غلمان عمر بن هبيرة أخرجوه من السجن عن طريق نقب عملوه، فهرب، واستجار بمسلمة بن عبد الملك، ثم مات سنة ١٠٧هـ، وهو والد يزيد بن عمر بن هبيرة الذي تولى العراق في نهاية الدولة الأموية. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٥٦٢/٤.

(٢) المغيرة بن عُيينة بن النهاس، قاضي الكوفة، ولاه قضاء الكوفة خالد القسري فترة يسيرة، ثم عزله، وقيل أكرهه الوالي ابن هبيرة على القضاء، فجلس مدة يسيرة جدًا، ثم استعفاه فأعفاه. وكيع، أبو بكر محمد بن خلف (ت٣٠٦هـ): أخبار القضاة، تحقيق: سعيد اللحام، ط١، مصر، دار عالم الكتب، ٢٠١١م، ٢٣/٣.

(٣) يوسف بن عمر بن محمد الثقفي، كان يوسف بن عمر كثير الصلاة، ليِّن الكلام، شديد العقوبة، فيه شيء من الحمق والتناقض، تولى إمارة اليمن سنة ١٠٦هـ، ثم انتقل إلى العراق واليًا عليها سنة ١٢٠هـ وفي سنة ١٢٧هـ تَمَّ عزله، وسجنه، ثم مات في السجن. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٥/ ٢٢٥-٢٢٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤٤٢/٥.

(٤) محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قاضي الكوفة تولى القضاء في أواخر الدولة الأموية، ثم تولى القضاء في أول أول العصر العباسي الأول، وكان فقيهًا مفتيًا بالرأي، توفي سنة ١٤٨هـ. ابن سعد: الطبقات، ٣٥٨/٦؛ ابن قتيبة: المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، ط١، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠١هـ، ص ٤٩٤؛ ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ) : وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ١٧٩/٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ٣١٠/٦.

(٥) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ١٨/١؛ وكيع: أخبار القضاة، ١٣٠/٣؛ الكندي: الولاة والقضاة، ص ٣١٢.

(٦) وهو إيراد الأراضي التي افتتحها المسلمون عنوة، وأوقفها الإمام لمصالح المسلمين على الدوام. أبو يوسف، يعقوب ابن إبراهيم (ت ١٨٢هـ): الخراج، تحقيق: محمد المناصيري، ط١، الأردن، دار كنوز المعرفة، ٢٠٠٩م، ص ٢٤، ٢٥.

(٧) الماوردي: الأحكام السلطانية، ٥٠/١.

(٨) وذلك أن الخليفة معاوية ﷺ فصل ولاية الخراج عن الولاية بشكل غير معهود، وهذا بلاشك تطلب الإعداد لجند ضخم، ليواجه ثورات الأقاليم ومشكلاته، كما يتطلب نفقات عظيمة، تتمثل في أُعطيات الجند، والإنفاق عليهم.

المحاسبة[1]، والمقاسمة[2]، والالتزام[3]، ولهذا يعتبر عامل الخراج من أهم العمال الذين يعتمدون عليهم الولاة في أقاليمهم، حيث يديرون شؤونه المالية، وغالبًا ما يُعين من قبل الخليفة مباشرة، وقد أحدث الخليفة عبد الملك بن مروان نقلة نوعية، وذلك من خلال تعريب ديوان الخراج[4]، فكان له أثر حضاري كبير في التاريخ الإسلامي.

رابعًا: حماية الدين، والذب عن الحريم، ومراعاة الدين من تغيير أو تبديل[5]، فكانت إقامة حدود الله سببًا في نشر الأمن، والطمأنينة على المسلمين، لذا نرى ولاة الأقاليم يسارعون في تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين، وقطع الخصام بين المتخاصمين [6]،كما سعى ولاة الأقاليم في في خدمة الدين في كثير من المجالات، من تشييد للمساجد[7]، وخدمة لحجاج بيت الله

---

(١) المحاسبة هي: أن الخراج يُجَبى وفقًا لمساحة الأرض ونوع الغلة. ابن رجب، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد (ت٧٩٥هـ): الاستخراج لأحكام الخراج، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ، ١/١٦.

(٢) المقاسمة: يقضي بأن يخَصص جزءٌ من المحصول يقدر بالثلث، أو الربع لبيت مال المسلمين. الماوردي : الأحكام السلطانية، ١/٤١٣؛ ابن رجب: الاستخراج، ١/٩٠.

(٣) الالتزام هو: أن يتعهد رجل من الأثرياء بخراج قرية، أو مدينة، أو إقليم من الأقاليم لحول كامل، ثم يتولى هو بنفسه جمع الخراج. الماوردي : الأحكام السلطانية، ١/٣٠٧.

(٤) ظل ديوان الخراج على ما كان عليه قبل الإسلام، فقد كان ديوان الشام بالرومية، وديوان العراق بالفارسية، وديوان مصر بالقبطية، ولم يزل الأمر على ذلك حتى زمن الخليفة عبد الملك بن مروان، فأمر بتعريب دواوين الخراج في الأمصار الإسلامية المختلفة سنة ٨١هـ، ففي الشام أمر عبد الملك سليمان بن سعد الخشني، وكان يتقلد ديوان الرسائل بنقل ديوانالشام إلى العربية، فسأله أن يُعيِّنَه بخراج الأردن سنة ففعل، وولاّه الأردن فلم تنقضِ السنة حتى فرغ من نقله، وأتى به عبدالملك، فدعا سرجون الرومكاتبه، فعرض ذلك عليه فغَمَّه، وخرج من عنده كئيبًا، فلقيه قوم من كُتَّابِ الروم؛ فقال لهم: اطلبوا المعيشة من غير هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم. البلاذري: فتوح البلدان، ١/٢٣٠؛ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قميحة وآخرين، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ ، ٢/٤٢٦.

(٥) الماوردي: الأحكام السلطانية، ١/٥٠.

(٦) ابن سعد: الطبقات، ٥/١٢٦؛ ابن حبيب، محمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ): المنمق في أخبار قريش، ط١، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٦هـ، ١/٣٩٩؛ ابن قتيبة : عيون الأخبار، ١/٤٠؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٣/٦٠١-٦٠٦.

(٧) كان للمساجد في العصر الأموي إسهامات في الجانب السياسي، فقد كانت مقًرا لعقد البيعات، ومناقشات

=

الحرام[١]، ونشر للعلم الشرعي وتشجيع العلماء [٢]، وغير ذلك.

ومن صور خدمة ولاة بني أمية للإسلام ما قام به والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي حيث اهتم بالقرآن الكريم اهتمامًا كبيرًا [٣]، والسنة النبوية، مما أدى إلى النهوض بالحركة العلمية، والمساهمة في إثراء الثقافة الإسلامية، ومشاركة الشعوب الأخرى في تلك المجالات [٤].

خامسًا: إقامة الحدود في حق الله وحقوق الآدميين[٥]، سعى خلفاء بني أمية إلى تطبيق شرع الله وإقامة حدوده، لذا كان من شروط اختيار الولاة[٦] في شتى الأقاليم الصلاح، والفضل ومن أهل الدين [٧]، ولم يتوان ولاة الأقاليم في إقامة الحدود والسعي في نشر العدل بين الناس،

بين أعلام المسلمين وقياداتهم، ومشاورة الرعية، ومنطلقًا للفتوحات، واستعملها الحكام للدعوة من منابرها لطاعتهم ولمحاربة أعدائهم، كما استعملها المعارضون في الترويج لدعواتهم للانقلاب على الحكام بحجة أحقيتهم بالحكم.

(١) للمزيد حول خدمة ولاة بني أمية لحجاج بيت الله الحرام راجع: الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله (ت٢٥٠هـ): أخبار مكة وما جاء فيها من آثار، تحقيق: رشدي ملحس، ط٤، مكة، دار الثقافة، ١٤٠٣هـ، ١/٧١-٨٦؛ الفاكهي، محمد بن إسحاق (ت ٢٧٢هـ): أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق: عبد الملك بن عبدالله بن دهيش، ط١، مكة، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، ١٤٠٧هـ، ٥/١٢٩-١٣٨؛ أحمد السباعي: تاريخ مكة، ط٧، مطبوعات نادي مكة الأدبي، ١٤١٤هـ، ١/٥٥-٧٨.

(٢) لقد حظي العلماء وطلاب العلم بمزيد من الاهتمام، والدعم المادي من بعض الولاة والخلفاء، كما شملت عنايتهم الفائقة جوانب علمية أخرى، فكانوا يحثونهم على التصنيف، ويطلعون على ما يستجد للعلماء من مصنفات. الفاكهي: أخبار مكة، ٢/٣٠٣؛ البسوي، يعقوب بن سفيان (ت٢٧٧هـ): المعرفة والتاريخ، تحقيق: خليل المنصور، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ، ١/١٣٩-١٦٣؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٨/١٣٣، ٢٣٤، ٢٧٥.

(٣)سيأتي الحديث مفصلاً في الفصل الثالث حول مواقف الولاة من العلوم الشرعية.

(٤) السجستاني، أبو بكر عبد الله بن سليمان (ت ٣١٦هـ): المصاحف، تحقيق: محب الدين عبد السبحان واعظ، ط٢، القاهرة، دار البشائر، ١٤٢٣هـ، ص ٤٩-٥٥؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٤/٢٠٨.

(٥) الماوردي: الأحكام السلطانية، ١/٥٠.

(٦) للمزيد حول شروط اختيار الولاة في العصر الأموي، راجع: محمد ضيف الله البطاينة: سياسة بني أمية في اختيار الولاة، مجلة العرب، جـ ٧-٨، ١٤٠٥هـ، ص ٥٧.

(٧) ورد عن الخليفة عمر بن عبد العزيز أنه لما أراد أن يولّي على مصر، قال: دلوني على رجل من أهل مصر له شرف وصلاح أوليه صلاتها، ولما قتل يزيد بن أبي مسلم الوالي على إفريقية، اجتمع الناس فنظروا في رجل يقوم بأمرهم، واجتمع رأيهم آخر الأمر على تولية محمد بن أوس الأنصاري، ولما سأل الخليفة يزيد بن عبد الملك عن محمد قيل له: رجل =

ولا يعني ذلك خلو الولاة من الجور والظلم وسلامتهم من الخطأ، لأن الخلفاء يجلسون لرد المظالم والنظر في أخطاء الولاة [١].

ولما تعددت مهام الوالي في العصر الأموي وواجباته لزم عليه الاستعانة بصاحب الشرطة[٢]، ومن صور محافظة الولاة على الناحية الأمنية في ولاياتهم إقامة الحدود على المذنبين، كشاربي الخمور وغيرهم[٣].

سادسًا: الإمامة في الجمع والجماعات حتى يؤم بها أو يستخلف عليها[٤]، تعتبر إمامة الصلاة من مهام الخليفة وواجباته[٥]، ولهذا كان الوالي يؤم المسلمين في المسجد الجامع بكل ولاية في صلاة الجمعة، والأعياد، بوصفهِ نائبًا عن الخليفة، ونال بذلك لقب أمير الصلاة، وهو

من أهل الدين والفضل معروف بالفقه. ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص٢١٥؛ الكندي: الولاة والقضاة، ص ٦٧.

(١) كان أول من أفرد للظلامات يومًا يتصفح فيه قصص المتظلمين من غير مباشرة للنظر عبد الملك بن مروان، فكان إذا وقف منها على مشكل، أو احتاج فيها إلى حكم منفذ، رده إلى قاضيه أبي إدريس الأودي، فنفذ فيه أحكامه لرهبة التجارب من عبد الملك بن مروان في علمه بالحال، ووقوفه على السبب، فكان أبو إدريس هو المباشر، وعبد الملك هو الآمر، ثم زاد من جور الولاة، وظلم العتاة ما لم يكفهم عنه إلا أقوى الأيدي، وأنفذ الأوامر، فكان عمر بن عبدالعزيز رحمه الله أول من ندب نفسه للنظر في المظالم، فردها، وراعى السنن العادلة وأعادها، ورد مظالم بني أمية على أهلها، حتى قيل له وقد شدد عليهم فيها وأغلظ: إنا نخاف عليك من ردها العواقب، فقال: كل يوم أتقيه وأخافه دون يوم القيامة لا وقيته. الماوردي : الأحكام السلطانية، ١/١٣٤-١٣٥.

(٢) الشرطة: وهي الجند الذين يعتمد عليهم الخليفة أو الوالي في استتباب الأمن، والقبض على الجناة والمفسدين، وإقامة الحدود، فكانت الشرطة تابعة للقضاء أول الأمر، حيث تقوم بتنفيذ الأحكام القضائية، ويتولى صاحبها إقامة الحدود، ولكنها لم تلبث أن انفصلت عن القضاء، واستقل صاحب الشرطة بالنظر في الجرائم. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ١/١١٦.

(٣) لمعرفة نماذج من إقامة الحدود راجع: خليفة بن خياط: تاريخه، ١/٧٧؛ ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ١/٣٩٩؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ٢/٤٥٨؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٤٥/٢١٣.

(٤) الماوردي: الأحكام السلطانية، ١/٥٠.

(٥) يحكى عن الخليفة عبد الملك بن مروان أنه قال لحاجبه: قد جعلت لك حجابة بابي إلا عن ثلاثة: صاحب الطعام، فإنه يفسد بالتأخير، والآذن بالصلاة، فإنه داع إلى الله، والبريد فإن في تأخيره فساد القاصية. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ١/١١٤.

تكريم يدل على هيبة الأمير[1].

وقد ذكر ابن خلدون في مقدمته كلامًا مطولاً عن أهمية إمامة الصلاة بالنسبة للخلفاء والولاة فقال: "... وكذا كان رجال الدولة الأموية من بعدهم استئثارًا بها، واستعظامًا لرتبتها"[2].

ومن النماذج في هذا المجال يصعب حصره فعلى سبيل المثال ما ورد أن ابن عمر رضي الله عنه وسعيد بن جبير[3]، وغيرهم، صلوا خلف الحجاج بن يوسف الثقفي [4]، وقد ينيب الوالي من يقوم بتلك المهمة بدلاً عنه كالقضاة، أو صاحب الشرطة أو غيرهم، فمن ذلك ما ورد في المحادثة بين سعيد بن جبير بعد القبض عليه مع والي العراق الحجاج بن يوسف؛ حيث ذكر له ما كان من البيعة للخليفة عبد الملك بن مروان، ثم قال له: " أما قدمت الكوفة، وأخذت البيعة منك، ووليتك إمامة الصلاة... "، فهذا دليل على أهمية هذه الشعيرة لدى الولاة، ومكانتها بينهم[5].

سابعًا: ومن المهام المناطة بالخليفة تسيير الحجيج من عمله، ومن سلكه من غير أهله حتى

---

(١) ولكن لما فسد الولاة، ولم يكن من ترضى حالته للإمامة، بقيت الولاية في يده بحكم الغلبة، وقدم للصلاة من ترضى حالته، سياسة منهم للناس، وإبقاء عليهم. ابن الأزرق، أبو عبد الله محمد بن علي (ت ٨٩٦هـ): بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: علي سامي النشار، ط١، القاهرة، الدار العربية للمطبوعات، ٢٠٠٦م، ٤٣/١.

(٢) ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ١١٣/١-١١٦.

(٣) سعيد بن جبير بن هشام الأسدي، من موالي بني أسد، وليس من عربهم، أكثر من لازم شيخه ابن عباس رضي الله عنه، ولاه الحجاج بن يوسف القضاء، ثم استقضى الحجاج أبا بردة بن أبي موسى الأشعري، وأجلس معه سعيد بن جبير، وأمره ألا يقطع أمرًا دون مشورة سعيد، ثم خرج سعيد مع ابن الأشعث ضد الحجاج، ثم هرب إلى مكة، وأخيرًا جيء به إلى الحجاج سنة ٩٥هـ فقتله. ابن سعد: الطبقات، ٢٥٦/٦؛ وكيع: أخبار القضاة، ٤٠٧/٢؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٩٦/٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٣٢١/٤.

(٤) ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد (ت ٢٣٥هـ): المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤١٤هـ، رقم الحديث ١٣٩٨٣، ٢٥٧/٣.

(٥) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٢٦٠/٥-٢٦٥.

يتوجهوا معانين عليه [1]، إذا حج الخليفة تولى إمارة الحج، وتدبير شؤون الحجاج بنفسه [2]، خاصة وأن هذا المنصب يزيد من مكانته، ويدعم مركزه عند المسلمين؛ فهذا الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ أقام الحج بنفسه، ثم أرسل ولي عهده يزيد في سنة ٤٤هـ و ٥٠هـ و ٥١هـ [3].

وغالبـًا ما يتولى والي الحجاز مهمة إمارة الحج [4]، ويطلق عليه أمير الحج ، حيث يورد خليفة بن خياط في تاريخه من كان أمير الحج في نهاية كل سنة، أما اليعقوبي فيذكر من تولى إمارة الحج في نهاية عهد كل خليفة من خلفاء بني أمية ، فمن ذلك على سبيل المثال تولى إمارة الحج هشام بن إسماعيل المخزومي[5] أربع سنوات متتالية ٨٣هـ، و٨٤هـ، و٨٥هـ، و٨٦هـ[6].

ويسعى خلفاء بني أمية لتوطيد الأمن في أنحاء إقليم الحجاز خاصة في مواسم الحج، ويحاولون قدر استطاعتهم إخماد الحركات والفتن الثورية، ومن ذلك ماحدث سنة ١٢٩هـ عندما امتد من حضرموت إلى مكة خطر فتنة أبي حمزة الخارجي، حيث تمكن من السيطرة على مكة

---

(١) الماوردي: الأحكام السلطانية، ٥٠/١.

(٢) السدوسي: حذف من نسب قريش، ص ١١، ١٤، ١٧؛ الجزيري، عبد القادر بن محمد (ت ٩٧٧هـ): الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج، وطريق مكة المعظمة، أعده للنشر: حمد الجاسر، ط١، الرياض، دار اليمامة، ١٤٠٣هـ، ٢٥٧/١.

(٣) خليفة بن خياط : تاريخه، ٢٤٠/١، ٢٥٠، ٢٥٨.

(٤) لما آلت الخلافة لبني أمية، واتخذوا من دمشق عاصمة لدولتهم، وغدت المركز الرئيس الذي تصدر منه الأوامر السياسية والاقتصادية والإدارية للدولة، مما أدى إلى صعوبة إمارة الحج للخلفاء الأمويين، وذلك لبعدهم عن مركز الخلافة لأيام عديدة، فكان عليهم وضع أمير للحج، يتصف بصفات يجب توافرها بأمير الحج، كأن يكونمطاعـًا، ذا رأي، وشجاعة، وهيبة، وهداية، و أن يكون عالماً بمناسك الحج وأحكامه، عارفـًا بمواقيته وأيامه. الماوردي : الأحكام السلطانية، ١٩٥/١-١٩٧.

(٥) هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي، وكان هشام بن إسماعيل من أهل العلم والرواية، وكان فقيهاً، فكما أنه تولى إمارة الحجاز أربع سنوات متتالية فقد صرف عام ٨٧هـ بعمر بن عبد العزيز (أمير المدينة آنذاك)، في خلافة الوليد بن عبد الملك. خليفة بن خياط : تاريخه، ٢٤١/١؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٦٣٤/٣، ٦٧٢؛ ابن كثير: البداية و النهاية، ٧١/٩.

(٦) ابن سعد: الطبقات، ٢٤٤/٥؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٢١٦/٥.

بعد فرار والي الحجاز عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك، ولكن الخليفة مروان بن محمد أرسل له جيشًا، تمكن من هزيمته، وإعادة الأوضاع الآمنة إلى ماكانت عليه [1].

ثامنًا: إن كان هذا الإقليم متاخمًا للعدو، واقترن بها، فهو جهاد من يليه من الأعداء، وقسم غنائمهم في المقاتلة، وأخذ خمسها لأهل الخمس [2]، اهتم الخلفاء الأمويون بحماية الدولة الإسلامية، فكانوا يتخيرون ولاة للثغور من أهل النجدة والبأس والشجاعة، فعلى سبيل المثال، كان حسان بن النعمان بطلاً شجاعًا ميمون النقيبة[3]، وكان الجراح بن عبد الله الحكمي فارسًا بطلاً شجاعًا [4]، وعمارة بن تميم اللخمي من أهل البأس والنجدة، وأيمن الناس الناس نقيبة[5].

وكانت مهمة ولاة الثغور نشر الإسلام، وجهاد الأعداء، وتسيير الجيوش، وتدبير أمورهم، ومن ثم تقسيم الغنائم على المقاتلين، وأخذ خمسها لأهل الخمس، وحينما زادت الفتوح في أنحاء البلاد أصبحت الغنائم وفيرة، فكان قادة الجيوش وولاة الثغور يقسمون الغنائم بالعدل والسوية، ومن ذلك فعل والي خراسان الحكم بن عمرو الغفاري رضي الله عنه[6] عندما بعثه زياد بن أبيه زياد بن أبيه على خراسان، فغنم غنائم كثيرة، فكتب إليه زياد: إن أمير المؤمنين، يعني معاوية رضي الله عنه، كتب أن تصطفى له الصفراء والبيضاء، فلا تقسم في الناس ذهبًا ولا فضة، فكتب إليه الحكم بن عمرو: بلغني ما ذكرت من كتاب أمير المؤمنين، وإني وجدت كتاب الله سبحانه وتعالى قبل

---

(١) الزبيري، أبو عبد الله مصعب بن عبد الله (ت ٢٣٦هـ): نسب قريش، تصحيح وتعليق ليفي بروفنسال، ط ٢، مصر، دار المعارف، ١٣٩٠هـ ، ص ١٦٦؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٣٩٤/٧.

(٢) الماوردي: الأحكام السلطانية، ٥٠/١.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٤٠/١٤.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٨٩/٥، ١٠٩.

(٥) ابن عساكر : تاريخ دمشق، ٥٧٧/١٢، ٥٧٨.

(٦) الحكم بن عمرو الغفاري، صحابي جليل، روى أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، صاحب فضل وصلاح، سكن البصرة، استعمله زياد بن أبية على إقليم خراسان، توفي بخراسان سنة ٥٠هـ، وقيل سنة ٥١هـ. خليفة بن خياط : تاريخه، ص ١٧٥، ٣٢١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤٧٤/٢.

كتاب أمير المؤمنين، وإنه والله، لو أن السماء والأرض كانتا رتقًا على عبد، ثم اتقى الله تعالى، جعل له مخرجًا، والسلام ، وقسم الفيء بين الناس [1].

ويمكن أن نستدل من هذه الرواية مهمة الوالي في حماية الثغور، وجهاد الأعداء، ومن ثم توزيع الغنائم بعد الانتصار، أما ما ورد في الرواية من طلب الخليفة معاوية ﷺ من الوالي أن يمنع توزيع الغنائم من الذهب والفضة بين الناس، والاحتفاظ بها، فهذا بعيد كل البعد عن صحابي جليل له مناقب عديدة، وكاتب الوحي، فهو أحرص على ذلك من الحكم بن عمروﷺ، بل نستنتج من هذه الرواية كفاءة معاوية ﷺ الإدارية، وحرصه على مصالح المسلمين حيث راعى الصحبة والكفاية، وذلك من خلال إسناد مهمة والي خراسان للحكم ابن عمرو الغفاري.

وإن صحت الرواية، فقد يقصد بذلك جعلها في بيت المال بسبب أنها أداة للتعامل المالي في ذلك الوقت،كأن تكون عملة لدى الدولة الأموية، ويمكن صرف بدلاً منها ما يوازيها من الدنانير والدراهم.

هذا بالنسبة لمهام الوالي، وواجباته، كما جاءت عن الماوردي في كتابه "الأحكام السلطانية"وقد يُكلَّف الوالي بأعمال إضافية من قبل الخليفة، نظًرا لمهارته الإدارية، أو ذكائه، وحنكته السياسية، أو غير ذلك.

وغالبًا ما كان الخلفاء[2] والولاة في العصر الأموي يجعلون من المسجد مقًرا للاجتماع، بحيث يلقون خطبهم التي كانت تلقى على المنابر لتوضيح سياسة الدولة، أو تحديد مواقفها من الأحزاب المعارضة، حيث كانت تستثمر في عدة جوانب، وخاصة المناسبات السياسية مثل

---

(١) ابن سعد : الطبقات ، ٢٨/٧-٢٩ .

(٢) راجع على سبيل المثال: خطب الخليفة سليمان بن عبد الملك، والخليفة بن عمر بن عبد العزيز في: الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ): البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٧، مصر، مكتيبة الخانجي، ١٤١٨هـ، المسعودي: مروج الذهب، ١٩٤/٣، ١٨٤.

تولية العهد[1]، واستلام مهام الخلافة[2]، وقدوم والٍ جديد[3]، أو حدوث ثورة ما ضد الدولة[4]. فطالما جمع الولاة الناس في المسجد، وألقوا الخطب السياسية، وبينوا نهجهم في التعامل مع أصناف المجتمع، ولكن تبقى ولاية العراق، أو " العراقين " لها النصيب الأكبر من صعود المنابر في المساجد بسبب عدم الأستقرار الأمني، فهذا زياد بن أبيه يعتلي المنبر عند توليه العراق ليبين لهم طريقته، ونهجه في الحكم، وتبقى الشهرة في خطبة والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي لأهل الكوفة، وخطبته في الناس عند قدومه البصرة، وقد تميز ولاة العراق بالشدة والبلاغة في الخطابة، مما كان له الأثر البالغ على المجتمع [5].

فالوالي ينوب عن الخليفة في سياسة الولاية، وتصريف شئونها، ولكن الخلفاء في العصر الأموي تابعوا تحديد صلاحيات الوالي في نيابته عنهم، فجعلوا ولاية الوالي في الأغلب خاصة تقتصر على تدبير الجيش، وسياسة الرعية، وتوفير الأمن وحماية الناس، وأما القضاء وجباية الخراج والصدقات فجعلوها إلى غيره [6].

وقد يعزل الوالي نفسه بدون إذن الخليفة، ولكنه نادرًا، ومن ذلك عندما أرسل الخليفة عمر ابن عبد العزيز كتابًا إلى ولاة الأقاليم يعظهم فكتب إلى بعضهم: " أذكرك طول سهر أهل النار في النار، مع خلود الأبد، وإياك أن ينصرف بك من عند الله، فيكون آخر العهد بك، وانقطاع الرجاء منك "، فخلع العامل نفسه، وطوى البلاد، وقدم على عمر، فقال له: " ما لك؟ فقال:

---

(١) راجع على سبيل المثال: خطبة الضحاك برقيس داعيًا إلى بيعة يزيد. الإمامة و السياسة (المنسوب لابن قتيبة)، تحقيق: خليل منصور، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية،١٤١٢هـ ، ١/١٦٠.

(٢) راجع خطبة يزيد بن الوليد عندما خلص له الأمر. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٧/٢٦٨-٢٦٩.

(٣) راجع خطبة عبيد الله بزياد لما قدم الكوفة واليًا ليزيد. الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ): الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، ط١، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد، ١٩٦٠م، ١/٢١٢.

(٤) انظر خطبة يزيد بن معاوية. ابن قتيبة : الإمامة والسياسة، ١/٢١٦.

(٥) جمعت خطب الأمويين السياسية في كتاب الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعهد الأموي لمحمد ماهر حمادة، وكذلك جمعت في جمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوت.

(٦) في الإدارة والحكم أيام بني أمية: محمد ضيف الله بطاينة، مجلة التاريخ العربي، العدد ٤، ١٤١٧هـ.

خلعت قلبي بكتابك يا أمير المؤمنين، والله لا أعود إلى ولاية أبدًا " [١].

أما علاقة الولاة بالخلفاء، فقد تميزت بالاحترام، وإعطاء الخليفة حقه، وقدره، والسمع والطاعة لأوامره مع الحيطة والحذر، وإن كانت هناك مسافة بين الطرفين تكفي للمناورة إذا لزم الأمر ذلك، وبالرغم من أن هؤلاء الولاة، سواء كانوا من أفراد البيت الأموي، أو من غيرهم قد أعطوا صلاحيات واسعة لإدارة شؤون ولاياتهم، إلا أنهم كانوا دائمًا معرضين للمساءلة والعزل، فمثلاً تشير الروايات أن معاوية بن أبي سفيانﷺ أمر بعزل عبد الله بن عامر بن كريز[٢] عن ولاية البصرة، عندما تهاون في ولايته، فعّمت فيها الفوضى وذلك سنة (٤٥هـ)، وزاد ابن عامر على ذلك بأن أعطى الأمان لاثنين من زعماء الخوارج، هما: قريب بن مرة الأزدي، وزحاف بن زحر الطائي، دون أن يراجع معاوية في ذلك، فما كان من معاوية ألا أن عزل ابن عامر دون أن يحاسبه أو يتعرض له [٣].

ويُلاحظ أن خلفاء بني أمية يعتمدون غالبًا في إسناد ولاية بعض الأقاليم لأبناء البيت الأموي، كعنبسة بن أبي سفيان [٤]، وعتبة بن أبي سفيان [٥]، والوليد بن عتبة بن أبي سفيان[١]

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٤٤١/٤٨؛ ابن كثير: البداية و النهاية، ٢٣٣/٩.

(٢) أبو عبد الرحمن القرشي صحابي جليل، استعمله الخليفة عثمان ﷺ على البصرة، وفتح إقليم خراسان، وفد على الخليفة معاوية ﷺ فزوجه بابنته هند، وكان فيه رفق وحلم، توفي سنة ٥٩هـ قال عنه معاوية بعد وفاته: بمن نفاخر، وبمن نباهي بعده. الزبيري: نسب قريش، ٨/١؛ الزبير بن بكار، أبو عبد الله الأسدي (ت٢٥٦هـ): جمهرة نسب قريش وأخبارها، تحقيق محمود شاكر، ط٢، بيروت، دار الفكر، ١٤١٩هـ، ٣٧٦/١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٨/٣.

(٣) ابن سعد: الطبقات، ٥/ ٤٤؛ البلاذري: فتوح البلدان، ٣٦٩/١؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ط ٢، مصر، دار المعارف، ١٣٩٠هـ، ص٧٥.

(٤) عنبسة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية الأموي القرشي أبو عامر، ويقال أبو عثمان، أخو أم حبيبة زوج النبيﷺ، يقال له رؤية، وقال أبو نعيم: اتفق الأئمة على أنه تابعي، استعمله معاوية على الصائفة سنة ٤٢هـ، وولاه الموسم بمكة. ابن عساكر : تاريخ دمشق، ١٥/٤٧؛ ابن حجر: تقريب التهذيب، تحقيق: عادل مرشد، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ، ٤٣٢/١.

(٥) عتبة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية الأموي القرشي، ولد على عهد رسول الله ﷺ يكنى أبا الوليد، ولاه عمر عمر ابن الخطاب ﷺ الطائف وصدقاتها ثم ولاه معاوية ﷺ مصر حين مات عمرو بن العاص ﷺ، فأقام عليها سنة. ابن

=

سفيان[1] وسعيد بن العاص بن أمية[2]، ومروان بن الحكم، وابنه عبدالملك وعمرو بن سعيد بن العاص[3]، ومع ذلك لم يتوان الخلفاء في عزلهم عن الإمارة، فهذا عبد الملك بن مروان يقوم بعزل عّمه يحيى بن الحكم بن أبي العاص بن أمية[4] سنة ٧٦هـ، بعد سنة واحدة من تعيينه على المدينة، لأنه ارتكب مخالفة إدارية، إذ إنه ترك ولايته، وجاء دمشق ليزور الخليفة دون إذنه، وعيَّن بدله أبان بن عثمان بن عفان ﷺ [5]، لذا كانت العلاقة بين الوالي والخليفة متذبذبة، فأحيانًا تمتاز بالمتانة والإخلاص بين الطرفين، وفي الحين الآخر يكون العزل عن الإمارة الحل

عبد البر، يوسف بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ): الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، مصر، ١٣٠٩هـ، ٣١٤/١؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، بيروت، دار الجيل، ١٤١٢هـ، ٦٠/٥.

(١) الوليد بن عتبة بن أبي سفيان بن حرب بنأمية القرشي الأموي، كان رجلاً رفيقًا كريمًا، ولاه معاوية ﷺ المدينة النبوية، وولي الموسم مرات، وقيل: إنهم أرادوه على الخلافة بعد معاوية بن يزيد، فأبى، قدم للصلاة على معاوية بن يزيد، فأخذه الطاعون في الصلاة، فلم يرفع إلا وهو ميت. ابن سعد: الطبقات، ٣٨/٥؛ ابن حبيب: المحبر، تحقيق : خورشيد أحمد ، ط١، بيروت، دار الآفاق، ١٣٩٥هـ ، ص ٢٠.

(٢) سعيد بن العاص بن أبي أحيحة سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي القرشي، كان أميرًا شريفًا جوادًا، ولي إمرة المدينة النبوية غير مرة لمعاوية ﷺ، توفي ٥٩هـ ودفن بالبقيع. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٠٥/٢١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤٤٨/٣.

(٣) عمرو بن سعيد بن العاص بن أبي أحيحة سعيد بن العاص بن أمية الأموي القرشي، الملقب بالأشدق لفصاحته، ولاه معاوية على مكة بعد وفاة والده سعيد بن العاص، اتفق بنو أميه في مؤتمر الجابية على توليته الخلافة بعد مروان بن الحكم، وخالد بن يزيد. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ١٥٢/٢؛ ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت٨٧٤هـ): النجوم الزاهرة في أخبار مصر و القاهرة، ط١، بيروت، دار إحياء التراث، ١٣٤٩هـ، ٦٢/١.

(٤) يحيى بن الحكم بن أبي العاص بن أمية الأموي القرشي، أخو مروان بن الحكم ولاه الخليفة عبد الملك بن مروان المدينة سنة ٧٥هـ ثم غزا الروم سنة ٧٩هـ. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٥٢٣/٣؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق، ١٢٢/٦٤.

(٥) أبان بن عثمان بن عفان ﷺ الأموي القرشي، يكنى بأبي سعيد، وهو أحد فقهاء المدينة العشرة، من أوائل التابعين الذين دونوا سيرة النبي ﷺ ومغازيه، ويعتبر من أعلم الناس بالقضاء، تولى إمارة المدينة سبع سنين، وتوفي سنة ١٠٥هـ. ابن سعد : الطبقات ، ١٥٣/٥؛ خليفة بن خياط : تاريخه، ٩٩/١؛ ابن حبان: مشاهير الأمصار، ص٧٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ٣٥١/٤-٣٥٣.

الوحيد لتجنب الفرقة والشقاق.

وقد نجح الولاة في إدارة الدولة الأموية؛ حيث كان معظمهم يمتاز بالقدرة الفائقة في فن الحكم وإدارة البلاد بالإضافة إلى مهارة سياسة الناس، ولا يقلل من ذلك أخطاؤهم واتهامات ناقديهم.

ولقد ضعف منصب الإمارة على البلدان بضعف الخلافة الأموية، وذلك عندما سمح الخلفاء الأمويون المتأخرون لولاة الأقاليم أن يقيموا في العاصمة دمشق بعيدًا عن ولاياتهم، وينيبون عنهم من يحكم باسمهم، وقد ترتب على ذلك اختيار عناصر ضعيفة أهملت أموال الرعية، وانصرفت الأموال والإثراء على حساب الرعية.

وقد كانت تتبع الولايات تقسيمات إدارية فرعية، قد تتغير من وقت لآخر، وكانت أقل أهمية من الولايات، وأغلب ولاتها لم يكونوا معروفين، ولم تكن تعطى ولاياتهم أهمية كبيرة، ومن أمثلة ذلك: ولاية البصرة التي تبعها خلال معظم التاريخ كل المشرق وبلاد فارس، بما في ذلك خراسان، وسجستان كما كانت تُتبَع بها أحيانًا أقاليم شرق الجزيرة العربية مثل البحرين، واليمامة، وعُمان، أو حتى تُجَمع مع الكوفة تحت وال واحد يسمى والي "العراقين"، وكانت المدينة المنورة هي الولاية الأساسية في الجزيرة العربية، وأما شرق الجزيرة واليمن، فكانت إما تسلم لولاة أقل كفاءة، أو تلحق بالولايات الأكبر كالبصرة، وأما مكة والطائف، فكانتا تجمعان معًا حينًا، ومستقلتان حينًا، وتتبعان المدينة حينًا.

يستنتج من ذلك بأنه حين انتقلت الخلافة من العصر الراشدي إلى العصر الأموي، أخذ الخليفة يشعر أنه في موقفٍ يصعب عليه الإمساك بكافة الأمور من العاصمة دمشق، وذلك لاتساع رقعة البلاد الإسلامية، الأمر الذي تطلب منه إيجاد نظام إداري جديد يقوم بتطبيق منهج الحكم اللامركزي سبيلاً لإعادة الاستقرار للدولة، والعمل على توسيع رقعتها، وقد قام

بوضع أساس هذا النظام الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه [1]، كما أنه حرص هو وبعضٌ من خلفاء بني أمية من بعده على أن يسندوا هذا المنصب لمن عُرف بالولاء السياسي للبيت الأموي، ولمن لديه الخبرة الكافية في مجال الإدارة كما سيمر بنا.

(١) مسعود أحمد مصطفى: أقاليم الدولة الإسلامية بين اللامركزية السياسية واللامركزية الإدارية، ط١، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ص٩-١١.

المبحث الثاني: الجزيرة العربية

لم تكن الجزيرة العربية بمعزل عن الأحداث التي واكبت قيام الدولة الأموية ، حيث حرص خلفاء بني أمية على أن تكون مواكب الحج دالة على سلطتهم في الحجاز وعلى شرعية خلافتهم ، كما يُلاحظ أن الجزيرة العربية اكتسبت أهمية كبيرة، وبقيت محافظة على ذلك منذ عصر النبوة لوجود الأماكن المقدسة، وقدوم الحجاج إليها لأداء فريضة الحج، يمرون في جميع اتجاهاتها، وطرقها البرية والبحرية .

وقسم العلماء شبه الجزيرة العربية إلى أقاليم عدة، وهي (**الحجاز . اليمن . البحرين . اليمامة . عمان**)، وكانت تابعة لمركز الخلافة في دمشق حيث يتم تعيين الوالي عليها من قبل الإدارية الأموية المركزية في دمشق، ويمكن تفصيل ذلك في الآتي:

١/ الحجاز

يشتمل الحجاز على مكة والمدينة واليمامة ومخاليفها، ونجد الحجاز المتصل بأرض البحرين، وبادية العراق وبادية الجزيرة وبادية الشام [١]، يوُعد إقليم الحجاز من أهم الأقاليم في الحكم الأموي، لذا نجد الخلفاء الأمويين يحرصون على تولية أبناء البيت الأموي لإقليم الحجاز، وخاصة في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه[٢] ، وكان الحجاز مقسومًا إلى أربع مناطق إدارية في العصر الأموي، مراكزها: المدينة، ومكة، والطائف، واليمامة [٣]، حيث كانت مكة والطائف تُجمع أحيانًا لوالي المدينة ففي سنة ٩٣هـ عُزل عمر بن عبد العزيز عن الحجاز، وولى الخليفة الوليد بن عبد الملك على مكة خالد بن عبد الله مكة، وعثمان بن حيان المدينة [٤]،

---

(١) الإصطخري: المسالك والممالك، ص١٤. ولا تتأتى الفرصة هنا للحديث عن تاريخ الحجاز وبيان مكانته، وبالإمكان مراجعة بعض المصادر والمراجع للاطلاع على هذا الجانب على سبيل المثال: الأزرقي: أخبار مكة ، ٣١/١ومابعدها؛ الفاكهي: أخبار مكة ، ٥/ ١١٩ ومابعدها؛ أحمد السباعي: تاريخ مكة، ١٨/١ ومابعدها.

(٢) فيما يبدو أن الخليفة معاوية رضي الله عنه يظهر ولاية بني أمية للناس، وتقدمهم على سائر بيوت قريش، وإمرتهم عليهم من ناحية، ومن ناحية أخرى يضبط بهم أمور الحجاز، ويبعدهم عن مركز الخلافة دمشق. البلاذري: أنساب الأشراف، ٣٣/١.

(٣) خليفة بن خياط : تاريخه، ٤١٦/١، ٤٦٤/٢، ٥٣٩؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ١٣٨/٢.

(٤) خليفة بن خياط : تاريخه، ٨٤/١؛ وكيع: أخبار القضاة، ٣٣/١؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٢٥٦/٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٢١/٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ١٩٦/٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٣٤٧/٢.

ولقد كانت مدن الحجاز الثلاث مجالاً لاختبار الولاة الذين سيتولون أصعب المهام[1]، ومن ذلك أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ إذا أراد أن يولي رجلاً من بني حرب بن أمية ولاه الطائف، فإن رأى منه خيرًا، وما يعجبه ولاه مكة، فإن أحسن الولاية، وقام بما ولي قيامًا حسنًا جمع له معهما المدينة [2].

وسوف نستعرض ولاة الحجاز في العصر الأموي، على حسب الترتيب الزمني، ففي **المدينة النبوية** [3] تولى مروان بن الحكم (٤١هـ - ٤٩هـ) [4]،ثم عُزل، وجاء من بعده سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص (٤٩هـ - ٥٤هـ)، ثم تولى مروان بن الحكم للمرة الثانية (٥٤هـ - ٥٧هـ)، وبعد عزله[5] تولى الوليد بن عتبة ابن أبي سفيان (٥٧هـ - ٦٠هـ)، وعزله الخليفة يزيد بن معاوية، وولى عمرو بن سعيد ابن العاص الأشدق[6] (٦٠هـ -٦١هـ)، ولكن ما لبث الخليفة يزيد أن أعاد الوليد بن عتبة للإمارة للمرة الثانية (٦١هـ - ٦٢هـ) [7]، وجاء

---

(١) مما يدل على أهمية مدن الحجاز عند خلفاء بني أمية، أنه لما حضر الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ الموت، أوصى لأبنه يزيد بقوله: " أنظر أهل الحجاز؛ فإنهم أصلك، فأكرم من قدم عليك منهم، وتعاهد من غاب ". الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٣٢٣/٥.

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٢٩٦/٥.

(٣) تعتبر ولاية مكة المكرمة، والمدينة النبوية من أولويات الخليفة، فكان لا يولي عليها إلا من اتصف بصفات الوالي العادل، نظرًا لاتجاه أنظار المسلمين إليها، وكثرة الوافدين عليها، ولمكانتها الدينية لدى المسلمين.

(٤) كان مروان في ولايته على المدينة يجمع أصحاب رسول الله ﷺ يستشيرهم، ويعمل بما يجمعون له عليه. ابن سعد: الطبقات، ٤٣/٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٢٥٨/٨.

(٥) مما ذكر في سبب عزله وتوليته مرة ثانية مع سعيد بن العاص أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ دفعهما إلى التشدد، حتى أنه امتحن كليهما بأخذ أموال الآخر. الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٢٩٣/٥-٢٩٥.

(٦)وسبب تسميته بالأشدق؛ لأنه كان خطيبًا مفلقًا، وقيل: إنه لما مات أبوه سعيد بن العاص، وفد على الخليفة معاوية ﷺ، فاستنطقه، فقال: إن أول كل مركب صعب، وإن مع أمس غدًا، فقال له معاوية: من أوصى بك أبوك؟ فقال: إنه أوصى إِلَيَّ ولم يُوصِ بي، فقال معاوية: إن ابن سمية هذا لأشدق، فُسمي عمرو الأشدق. وقيل: لأنه عظيم الشدقين. وقيل: لتشادقه في الكلام. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٤/٤٦؛ الكتبي: فوات الوفيات، ١٦١/٣.

(٧) وسبب عزله أن ابن الزبير كتب إلى الخليفة يزيد بن معاوية: إنك بعثت إلينا رجلاً أخرق، لا يتجه لأمر رشد، ولا يرعوي لعظة الحكيم، ولو بعثت إلينا رجلاً سهل الخلق، لين الكتف، رجوت أن يسهل من الأمور ما استوعر منها، وأن يجتمع ما تفرق، فانظر في ذلك، فإن فيه صلاح خواصنا، وعوامنا إن شاء الله، والسلام. الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٢٩٨/٣.

بعده عثمان بن محمد بن أبي سفيان (٦٢هـ - ٦٢هـ) [(١)]، ولكن أهل المدينة خلعوه، وبايعوا عبد الله بن حنظلة الغسيل[(٢)] (٦٢هـ - ٦٣هـ)، ودخل مسلم بن عقبة المدينة على رأس جيش قادم من الشام لاستعادتها (٦٣هـ - ٦٣هـ) [(٣)]، ثم استخلف مسلم لإمارة المدينة روح بن زنباع الجذامي[(٤)] (٦٣هـ - ٦٤هـ) [(٥)].

وفي الفترة مابين (٦٤هـ - ٧٢هـ) أصبحت الإمارة لابن الزبير، حيث قام بتعيين الولاة حتى عادت الحجاز إلى الخلافة الأموية.

ودخل طارق بن عمرو المدينة سلًما فتولى الإمارة (٧٢هـ - ٧٤هـ) [(٦)] حتى عزله الخليفة عبد الملك بن مروان، وعين بدلاً منه الحجاج بن يوسف (٧٤هـ -٧٥هـ)، ثم عزله وولاه العراق، وأعطى ولاية المدينة ليحيى بن الحكم بن العاص (٧٥هـ -٧٥هـ)، ولكنه لم يمكث

---

(١) وهو فتى غِرٌّ حدث لم يجرب الأمور ولم يحنكه السن، لا يكاد ينظر في شيء من سلطانه، ولا عمله، وقد أخرجه أهل المدينة مع بني أمية، فكانت ولايته ثمانية أشهر. ابن سعد: الطبقات، ٣٨/٥؛ وكيع: أخبار القضاة، ٣٠/١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ١٨٦/٢.

(٢) عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر الراهب، واسمه عبد عمرو بن صيفي بن زيد بن أمية بن ضبيعة الانصاري، يكنى بأبي عبد الرحمن، وقيل أبي بكر، وأبوه حنظلة غسيل الملائكة، له رواية. قتل في وقعة الحرة بعد قتال مع جيش الخليفة يزيد بن معاوية بقيادة مسلم بن عقبة المري. خليفة بن خياط : تاريخه، ٥٩/١؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٣٥٢/٣؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ١٦٩/٥؛.

(٣) مسلم بن عقبة المري، ولقبه أهل المدينة بمسرف، وذلك بما فعله يوم الحرة، وقد مات بالشلل بعد وقعة الحرة، وقيل: مات بداء البطن. الحموي: معجم البلدان، ٧٧/٢؛ ابن حجر: تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق: محمد علي النجار، ط٢، بيروت، دار المكتبة العلمية، ١٤١٧هـ، ٢٩٦/١.

(٤) روح بن زنباع بن سلامة الجذامي من أهل فلسطين، وكان عابدًا غازيًا من سادات أهل الشام، يكنى بأبي زرعة، فكان معظًما عند الخليفة عبد الملك، لا يكاد يفارقه، وهو عنده بمنزلة وزير، فيقال: إنه أشار على الخليفة عبد اللك بالحجاج بن يوسف، وكان على شرطته، توفي سنة٨٤هـ. ابن سعد : الطبقات، ٢٣٤/٥؛ البخاري: التاريخ الكبير، ٣٠٧/٣؛ الجاحظ: البيان والتبيين، ٣٥٨/١؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٣٠/٢؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٢٤٨/٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٥٢/٩.

(٥) وقيل: عمرو بن محرز الأشجعي، وقيل: عمرو بن مخرمة الأشجعي. الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٣٠٦/٣؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ١٩٣/٢.

(٦) وهو مولى لعثمان بن عفان ﷺ، عين من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان. وكيع: أخبار القضاة ، ٣٠/١؛ ابن حجر: تقريب التهذيب، ٤٤٨/١.

طويلاً حيث عُزل[1]، وتولى بعده أبان بن عثمان (٧٥هـ - ٨٢هـ)، واستمرت ولايته سبع سنوات، حتى عزله[2] الخليفة عبد الملك، وولى هشام بن إسماعيل المخزومي (٨٢هـ - ٨٦هـ)[3]، ثم عُزل بعد أن آلت الخلافة للوليد بن عبد الملك؛ حيث ولى على الإمارة عمر بن عبد العزيز (٨٦هـ - ٩٣هـ) [4]، ثم عزل عمر وتولى الإمارة عثمان بن حيان المري[5] المري[5] (٩٣هـ - ٩٦هـ)[6]، ولما تولي الخلافة سليمان بن عبد الملك عزله، وولى أبابكر بن بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري[7] (٩٦هـ .١٠١هـ) [1]، واستمر كذلك في خلافة

---

(١) وسبب عزله أنه خرج إلى الخليفة عبد الملك وافدًا عليه بغير إذن منه، فقال عبد الملك: ما أقدمك علي بغير بغير إذني؟ من استعملت على المدينة؟ قال: أبان بن عثمان بن عفان، قال: لا جرم لا ترجع إليها، فأقر عبد الملك أباناً على المدينة، وكتب إليه بعهده عليها. ابن سعد: الطبقات، ١٥٢/٥.

(٢) وقد شهدت المدينة فترة مزدهرة في عهد أبان بن عثمان، أما تاريخ عزله، فقيل: إنه عزل في سنة ٨٤هـ. ابن ابن سعد : الطبقات، ١٢٦/٥؛ وكيع: أخبار القضاة، ٣٢/١؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ١٨٧/٥.

(٣) وقيل: إنه عزل في شهر ربيع الأول من سنة ٨٧هـ، وذلك في بداية خلافة الوليد بن عبد الملك، حيث كانت كانت أمرته على المدينة أربع سنين. الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٢١٢/٥؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٨٣/٢؛

(٤) وفيما ذكر أن عمر بنعبد العزيز لما عُزل خرج من المدينة متجهًا للشام، فقال: " خرجت من المدينة وما من من رجل أعلم مني، فلما قدمت الشام نسيت". الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٢١/٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ١٩٥/٩.

(٥) عثمان بن حيان المري مولى أم الدرداء ﷺ، وقيل: مولى عتبة بن أبي سفيان. حدث عن أم الدرداء ﷺ، غزا غزا الروم، ثم تولى إمارة المدينة، فكان يروي الشعر في خطبته، توفي سنة ١٠٥هـ. خليفة بن خياط : تاريخه، ٢٥٨/١؛ وكيع: أخبار القضاة ، ٣٣/١؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٢٢/٤؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق، ٣٣٨/٣٨.

(٦) وذلك أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى الخليفة الوليد يخبره بعسف الحجاج أهل عمله بالعراق، واعتدائه عليهم، وظلمه لهم بغير حق، ولا جناية، وأن ذلك بلغ الحجاج، فاضطغنه على عمر، فكتب إلى الوليد أن من قبلي من مراق أهل العراق، وأهل الشقاق قد جلوا عن العراق، ولجأوا إلى المدينة ومكة، وإن ذلك وهن، فكتب الوليد إلى الحجاج أن أشر على برجلين، فكتب إليه يشير عليه بعثمان بن حيان وخالد بن عبد الله، فولى خالدًا مكة وعثمان المدينة وعزل عمر بن عبدالعزيز. خليفة بن خياط : تاريخه، ٨٤/١؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٢٥٦/٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ١٢١/٥؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ١٩٦/٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٣٤٧/٢.

(٧) أبو بكر بن محمد بن عمرو بنحزم الأنصاري، اسمه كنيته، وهو من سادات التابعين، يُعرف بقاضي المدينة، المدينة، كان أعلم أهلِ المدينة بالقضاء، وله خبرة بالسير، توفي سنة ١٢٠هـ عن نيف وثمانين سنة. ابن سعد : الطبقات، ٢٦٣/٥؛ البسوي: المعرفة والتاريخ، ١٥٤/١؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ، ٢٧/١؛

خلافة عمر بن عبدالعزيز، ثم عزل في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك، وتولى الإمارة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري[2] (١٠١هـ - ١٠٤هـ)؛ حيث أحسن إلى أهلها حتى عُزل[3].

ويلاحظأن إمارة المدينة ومكة بعد ذلك غالباً ما تجمع لأمير واحد، وذلك من خلال تعاقب الولاة حتى نهاية الحكم الأموي، لذا نجد الخليفة يزيد بن عبد الملك جمع إمارة المدينة ومكة لعبدالواحد بن عبد الله النضري (١٠٤هـ - ١٠٦هـ)، وبمجرد وصول الخليفة هشام بن عبدالملك للخلافة عزله، وجمعهما لإبراهيم بين هشام بن إسماعيل المخزومي[4] (١٠٦هـ - ١١٤هـ)؛ حيث استمرت ولايته فترة ليست بالقصيرة [5].

---

(١) ابن سعد : الطبقات، ٤٨٠/٨؛ البخاري: التاريخ الكبير، ١٠/٩؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٢٨٦/٥؛ ابن حجر: تقريب التهذيب، ٣٩٩/٢.

(٢) عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري، أحد أشراف العرب، ولي إمرة المدينة، فأحسن إلى أهلها، خطب فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، فألح عليها، فشكته إلى الخليفة يزيد، فغضب لها، وعزله، وغرمه أربعين ألف دينار، توفي حدود سنة ١١٠هـ. ابن سعد : الطبقات، ٤٧٤؛ خليفة بن خياط : تاريخه، ٢٥٩/١؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ١٠٤/٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٢٤٤/٩.

(٣) ابن سعد: الطبقات، ٤٨٤/٨؛ وكيع: أخبار القضاة، ٣٧/١؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك (ت ٧٦٤هـ): الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤط وتركي مصطفى، ط١، بيروت، دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ، ٧١/٦.

(٤) إبراهيم بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي، يقال: إنه تولى مساحة شاسعة، حيث اشتكاه بعضهم للخليفة فقال: " إنك أطعمت إبراهيم بن هشام ما بين منابت الزيتون من الشام إلى منابت القرظ من اليمن، فلم يغنه كثيراً ما بيده، عن قليل ما بأيدينا ". الزبير بن بكار: جمهرة نسب قريش، ٦٢/١؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ١١٣/٤؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٦٤/٧؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ٥١٢/١؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٣٣/٥؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ٢٨٧/٩، ٢٧١.

(٥) يتبين أن أسباب طول ولايته على الحجاز الخبرة السياسية التي يتمتع بها إبراهيم بن هشام من جهة، لذا نجد المؤرخ ابن كثير يشير إليه بلقب" أمير الحرمين " في عدة مواضع، أما من جهة أخرى، فهو خال للخليفة هشام. خليفة بن خياط : تاريخه، ٣٨٣/١؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٣٧٣/٥؛ ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ، ٣٥٩/٢-٣٦٠؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق، ٢٦٤/٧ ؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٣٨٦؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق ، ٥١٢/١؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ٢٨٧/٩، ٢٧١ ؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ١٣٩/٣.

ثم تولى الإمارة خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم[1] (١١٤هـ - ١١٧هـ)، ثم عزله الخليفة هشام، وأعاد الإمارة لبني مخزوم فما أن تربع الخليفة هشام بن عبد الملك على كرسي الخلافة، حتى استعان بأفراد قبيلة بني مخزوم في شتى المجالات السياسية، وكما ذكرنا سابقًا إن صلة الرحم سبب في توليتهم، وقد ضرب الشعراء أروع الأبيات في تولي أبناء القبيلة إمارة مكة و المدينة لسنوات عديدة، حيث قال أحد الشعراء لأحد أمراء بني مخزوم في مكة:

امعجوا يا بني المغيرة فيها فبنو حفص منكم أمراء[2]

حيث أُمِّر محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي (١١٧هـ - ١٢٥هـ)، فاستمر بالإمارة حتى وفاة الخليفة هشام، حيث مكث ثماني سنوات [3].

وبعد وفاة الخليفة هشام، وتولي الخلافة الوليد بن يزيد الذي جمع الإمارة ليوسف بن محمد بن يوسف الثقفي[4] (١٢٥هـ - ١٢٦هـ)؛ لكنه لم يمكث طويلاً حتى توفي الخليفة الوليد، وبوفاته تم عزله، وولي الإمارة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز (١٢٦هـ - ١٢٧هـ) في خلافة يزيد بن الوليد، وأقره الخليفة مروان بن محمد في خلافته، ثم استدعاه، وعزله[5]، وأسند

---

(١) خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص، ويقال: خالد بن عبدالملك بن مروان بن الحكم ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي، وقحط المطر في ولايته سبع سنين، وفيها جلا الناس عن بادية الحجاز والشام. ابن شبة، أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري (ت٢٦٢هـ): تاريخ المدينة، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٠هـ ، ١/١٣٠؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٤/١٥٠؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٦/١٧٠.

(٢) الفاكهي: أخبار مكة، ٥/١٥٨.

(٣) أشار بعض المؤرخين إلى أن محمد بن هشام تولى إمرة مكة والطائف سنة ١١٤هـ بعد أخيه إبراهيم، ثم ضمت إليه المدينة بعد أن عزل خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم، وبما أن محمد بن هشام كان من الرواة، وطلبة العلم، فقد تميزت ولايته باهتمامه بالعلم و العلماء، فازدهرت المدينة في ظل ولايته لها، وليس هذا فحسب؛ بل ساد الأمن والاستقرار في جميع أنحاء الحجاز. الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٤/١٤٠؛ ابن الجوزي: المنتظم، ٢/٣٩٦.

(٤) يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي ، ابن أخي الحجاج بن يوسف، وهو خال الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وقيل: إنه ولاه لصلة قرابته، وتولى حبس إبراهيم ومحمد ابني هشام بن إسماعيل المخزومي، وأرسلهما لوالي العراق بأمر من الخليفة. وكيع: أخبار القضاة، ١/٣٦٦؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ٨/٢٧٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ١٠/٤.

(٥) وقيل: إن أهل المدينة أخرجوه. ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٦/٣٤٩.

الإمارة إلى عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك (١٢٧هـ -١٢٩هـ) [(١)].

وسنحت الفرصة للخوارج سنة ١٣٠ هـ عندما اضطربت أمور الأمويين، وظهرت قوة العباسيين كدولة جديدة، وحصل هرج ومرج في شتى الأقطار الإسلامية، حيث ظهرت مجموعة من الخوارج بقيادة أبي حمزة الخارجي[(٢)] الذي استطاع أن يحتل المدينة النبوية بعد أن هرب أميرها، وحدثت معركة قديد[(٣)]، بعدها تمكن أبو حمزة ومن معه في إمارة المدينة لثلاثة أشهر، حيث أرسل الخليفة مروان بن محمد إليه جيشًا وهزمه، بقيادة عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي الذي تولى إمارة المدينة (١٣٠هـ – ١٣١هـ) [(٤)]، ولكنه خرج لقتال الخوارج، واستخلف عليها ابن أخيه الوليد بن عروة بن محمد بن عطية السعدي(١٣١هـ – ١٣٢هـ)[(٥)]، ١٣٢هـ)[(٥)]، وبعد مقتل عبد الملك بن محمد، أمّر الخليفة الأموي مروان بن محمد الوالي يوسف

---

(١) عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، يكنى بأبي عثمان، ويقال: أبو خالد الأموي، ولي الحجاز للخليفة مروان بن محمد، وعندما فشل في مقاومة أبي حمزة الخارجي، أُبعد عن ولاية الحجاز. الزبيري: نسب قريش، ص١٦٦؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ٢٤٤/١؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٣٩٤/٧؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٤٠٣/٢؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٦/١٠.

(٢) هو المختار بن عوف الأزدي، من أهل البصرة، ورد إلى مكة أكثر من مرة، يدعو الناس للانتفاض على بني أمية، ثم اتفق مع عبد الله بن يحيى الكندي " طالب الحق " على مبايعته بالخلافة، فاتجها إلى حضرموت، فاجتمعت إليهم الخوارج الأباضية، ثم خرج إلى صنعاء، وسيطر عليها، وعلى بقية بلاد اليمن، ثم سار إلى مكة والمدينة، وحدث لها ماسيرد من أخبار في المتن. ابن خياط: تاريخه ،ص ٣٨٤-٣٨٥؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٧/ ٣٧٣-٣٧٦، ٣٩٣-٣٩٤ ومابعدها.

(٣)قُدَيْد: قرية لخزاعة قرب مكة، سميت بذلك لتقدد السيول بها، وهي كثيرة المياه والبساتين. البكري: معجم ما استعجم، ١٠٥٤/٣.

(٤) عبد الملك بن محمد بن عطية بن عروة السعدي، من أهل دمشق، ولي الحجاز واليمن لمروان بن محمد، ولكنه قُتل بصنعاء. الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٣٩٨/٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٤٨١/٢؛ الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد بن علي (ت٨٣٢هـ): العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: فؤاد السيد، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦ هـ، ٥١١/٥.

(٥) الوليد بن عروة بن محمد بن عطية السعدي، من بني سعد بن بكر، وقيل: سعد هوازن، وهو ابن أخي عبدالملك بن محمد الذي قتل أبا حمزة الخارجي، وكان هو على الحجاز. ولما بلغ الوليد قتل عمه عبد الملك مضى إلى الذين قتلوه، فقتل منهم مقتلة عظيمة. ابن حبيب: المحبر، ٢٦٣/١؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٧٠/٦؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٤٨٤/٢.

يوسف بن عروة بن محمد بن عطية السعدي (١٣٢هـ - ١٣٢هـ)، حتى جاءت بيعة أبي العباس، وهو آخر ولاة بني أمية على المدينة النبوية [١].

ومن الملاحظ أن **مكة المكرمة، والطائف** كثيرًا ما تسند إدارتهما إلى والي المدينة النبوية، كونها المركز الإداري في الحجاز، وفي بعض الحالات نجد إسناد هذين المنصبين إلى واليين يكونان مرتبطين بالخليفة مباشرة [٢]، ومن خلال ذلك نستعرض الولاة في **مكة المكرمة**[٣]، دون ذكر من جُمعت له مكة والمدينة، وقد ذكرناه آنفًا، لذا نجد أن من تولى إمارة مكة في بداية العصر الأموي[٤] خالد بن العاص المخزومي[٥] (٤٢هـ- ٤٩هـ) [٦]، ففي تلك الفترة تتفق

---

(١) خليفة بن خياط : تاريخه، ٣٢٨/١.

(٢) ومن ذلك عند استشهاد عبد الله بن الزبير ﷺ ولَى الخليفة عبد الملك الحجاج بن يوسف مكة والمدينة والطائف، فكان إذا أتى مكة استخلف على المدينة عبد الله بن قيس بن مخرمة، فلما ولِّي الحجاج العراق، عين الخليفة عبدالملك واليًا على المدينة، وواليًا آخر على مكة. خليفة بن خياط : تاريخه، ٣٨٣/١،٣٨٤؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٣٧٣/٥؛ ابن الجوزي: المنتظم ، ٣٥٩/٢-٣٦٠؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/ ٣٨٦؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ١٣٩/٣؛ الفاسي: العقد الثمين ، ٥١١/٥.

(٣) عندما آلت الخلافة إلى أبناء البيت الأموي الذين اتخذوا من دمشق عاصمة لهم، غدت مكة تمثل دور المعارضة، لاسيما وأنها ضمت العديد من كبار أبناء لصحابة والتابعين من أهل الحل والعقد ممن كان لهم تأثير في السياسة العامة للحجاز، والذين ينظرون بشيء من المرارة والأسى، وعدم الرضا؛ لانتقال مركز الخلافة إلى خارجها، وانتهاج سياسة مغايرة لما كان مألوفاً في عصر الخلافة الراشدة، كل ذلك جعلهم يحسون بشيء من الألم والامتعاض، وأن هذه التطورات في السياسة قد تفقدهم مركزهم السياسي والقيادي في الوقت الذي أصبحت مكة المكرمة ولاية تابعة لدمشق، مما قد يعكس أثره الاقتصادي والسياسي على إقليمهم. فواز الدهاس: الدور القيادي لمكة المكرمة خلال العصر الأموي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج١٩، ع ٤١، ١٤٢٨هـ، ص٢٥٥.

(٤)من خلال تقصي المعلومات في المصادر، لم يُذكر والٍ على مكة في سنة ٤١هـ، وإنما أورد الطبري أنه حج بالناس عنبسة أبي سفيان، وقيل: عتبة بن أبي سفيان. الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ١٥٩/٣.

(٥) خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي، وهو ابن أخي الحارث وأبي جهل ابن هشام، قتل أبوه يوم بدر، قال إن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ استعمل خالد بن العاص هذا على مكة بعد نافع بن عبد الحارث الخزاعي، وكذلك استعمله عليها عثمان بن عفان ﷺ. ابن عبد البر: الاستيعاب ، ١٢٨/١؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي معوض و عادل عبد الموجود، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ، ٣٠٧/١.

(٦) وقيل: إن الخليفة معاوية ﷺ ولى عبد الرحمن بن خالد بن العاص بن هشام، ويقال: الحارث بن خالد بن العاص بن هشام. خليفة بن خياط : تاريخه، ٥٤/١.

المصادر على عدم تسمية الولاة على مكة بعد سنة ٤٢هـ، وتكتفي بعبارة "... وكانت الولاة والعمال على الأمصار في هذه السنة من تقدم ذكره قبل "[١]، بينما نجد بعض المصادر تذكر أنه في سنة ٤٤هـ تولى إمارة مكة عبد الله بن خالد بن أسيد الأموي [٢].

وبعد أن استمرت مكة تابعة لإمارة والي المدينة، نجد الخليفة يزيد بن معاوية في سنة ٦٣هـ يولي عليها يحيى بن حكيم بن صفوان الجمحي[٣]، ولكنه عزل في نفس السنة [٤]، وولى الحارث بن خالد بن العاص المخزومي[٥]، وهو الآخر عُزل في نفس السنة، وولي مكانه عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب [٦].

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ١٨٠/٣؛ ابن الجوزي: المنتظم، ١٩٣/٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢٧٨/٣.

(٢) عبد الله بن خالد بن أسيد ابن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس الأموي، وهو ابن أخي عتاب بن أسيد، استعمله زياد بن أبيه على فارس، واستخلفه زياد حين مات، وهو الذي صلى عليه. الأزرقي: أخبار مكة، ١٨١/١؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٢٤٠/٣؛ الفاسي: العقد الثمين، ١٣٣/٥.

(٣) يحيى بن حكيم بن صفوان بن أمية بن خلف الجمحي، وأمه ابنة أبي بن خلف، حدث عن عبد الله بن عمرو في قراءة القرآن، ذو قدر، ولاه عمرو بن سعيد مكة. ابن سعد: الطبقات، ٤٧٥/٥؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ١٨٥/٢؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٠٧/٢٨؛ المزي، يوسف بن الزكي (ت٧٤٢هـ): تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠هـ ، ٢٧٢/٣١.

(٤) كان عبد الله بن الزبير مقيمًا، فلم يتعرض له، مماجعل الحارث بن خالد بن العاص يشي به عند الخليفة يزيد الذي عزله، وعين مكانه الحارث. الفاسي: العقد الثمين ، ٨/٤ و٤٣٤/٧.

(٥) الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي، يكنى بأبي وابصة، وولي أبوه خالد مكة للخليفة عثمان ﷺ، فقتل عثمان ﷺ، ويعتبر أحد شعراء قريش المعدودين في الغزل، وهو أخ لعكرمة بن خالد المحدث، ولاه يزيد بن معاوية إمارة مكة، فظهرت دعوة عبد الله بن الزبير، فاستتر الحارث خوفًا. البلاذري: أنساب الأشراف، ٢٠٤/٢؛ ابن حبان: الثقات، تحقيق: شرف الدين أحمد، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٥هـ، ٣٣١/٨؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ٧٢/٤.

(٦) هو عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، أدرك النبي ﷺ، وأمه لبابة بنت أبي لبابة، أتى به أبو لبابة النبي ﷺ، فقال فقال له: ما هذا منك يا أبا لبابة؟ فقال: ابن بنتي يا رسول الله، فقال: ما رأيت مولودًا قط أصغر منه، فحنكه رسول الله ﷺ،ومسح رأسه، ودعا له بالبركة، فما رؤي عبد الرحمن في قوم قط إلا فرعهم طولاً، فكان أطول الرجال، وأتمهم، توفي في حدود سنة ٧٠هـ. ابن سعد : الطبقات، ٤٩/٥؛ خليفة بن خياط : تاريخه، ص٢٥١؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ١٩٣/٢؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق، ٤٤٨/١٩؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ٦، ٩٦؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ١٦٣/٦.

ويبدو أن كثرة التعيين والعزل في هذه الفترة من حكم الخليفة يزيد، هو نتيجة الاضطراب الحاصل في مكة بسبب موقف ابن الزبير.

ويأتي نافع بن علقمة الكناني[1] في ثنايا بعض المصادر في تولية إمارة مكة في خلافة عبدالملك بن مروان[2]، بالإضافة إلى ذكر عروة بن عياض بن عدي القرشي[3]، ومحمد بن طلحة بن عبد الله الأسدي القرشي[4]، كونهما توليا إمارة مكة نيابة عن عمر بن عبد العزيز عندما كان والياً للوليد بن عبد الملك [5].

ونرى بعض الولاة يتناوب على إمارة مكة لسنوات متفاوتة، كخالد بن عبد الله القسري في (٨٩هـ - ٩١هـ - ٩٢هـ - ٩٥هـ)، وذلك في خلافة الوليد بن عبد الملك [6]، أما طلحة بن داود[7]، فمكث ستة أشهر في إمارة مكة (٩٦هـ ٩٧هـ)، وذلك في خلافة سليمان بن عبد الملك [8]، ثم عين مكانه عبد العزيز بن عبد الله بن خالد الأموي (٩٧هـ -

---

(١) نافع بن علقمة بن صفوان بن محرث الكناني، وهو خال الخليفة مروان بن الحكم، ولاه الخليفة عبد الملك بن مروان مكة، ومات عبد الملك وهو على مكة، فأقره الوليد سنتين، ثم عزله سنة ١٢٠هـ. خليفة بن خياط: تاريخه، ٨٤/١؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٣٨/١٦؛ المزي: تهذيب الكمال، ١١٠/٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤٢٦/٥؛ ابن حجر: الإصابة ، ١٨٢/٣.

(٢) الفاسي: العقد الثمين، ٣٢٥/٧.

(٣) عروة بن عياض بن عدي بن المختار بن نوفل بن عبد مناف بن قصي القرشي النوفلي المكي، وهو أحد القراء، كان والياً لعمر بن عبد العزيز على مكة، روى عن جابر بن عبد الله ﷺ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، وأبي سعيد الخدري ﷺ، وعائشة ﷺ. الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٢١/٢؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ١٦٨/٧.

(٤) لم أجد له ترجمة.

(٥) من الملاحظ أن محمدًا، وعروة يعدون من الثقات في رواية الحديث، مما يعزز اعتماد عمر بن عبد العزيز عليهما عليهما في النيابة عنه في مكة. الفاسي: العقد الثمين ، ١٨٠/٦.

(٦) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٦٧/٨، ٨٢، ٩٥، ٩٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٥٥٤/٤، ٥٧٧؛ الفاسي: العقد الثمين ، ٣٣٢/٦.

(٧) طلحة بن داود الحضرمي، ولي القضاء زمن الخليفة سليمان بن عبد الملك، ثم ولاه الإمارة، وأمره بالاقتصاص من الوالي السابق خالد بن عبد الله القسري. البلاذري: أنساب الأشراف، ١٦٢/٣؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٤٣/٤.

(٨) عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص الأموي، يكنى بأبي الحجاج، له رواية في الكتب =

١٠٢هـ) [١]، وما تبقى من فترة زمنية كانت تابعة لإمارة المدينة، وهذا لا يعني تهميش دور مكة السياسي؛ بل يوضح لنا مدى مشاركتها السياسية في أغلب فترات الحكم الأموي، إلا أننا نلاحظ كثرة تعاقب الولاة عليها، وقصر مدة ولايتهم.

وأما **الطائف**، فهي مدرسة يدرس فيها أبناء البيت الأموي على إدارة الولايات، والسماح لهم بالتدرج في الإدارة ، فلم يذكر الطبري أسماء ولاة الطائف، لكن وردت عنده رواية تفيد تولي بعض بني أمية الطائف، وفيما يلي نص هذه الرواية: " وكان معاوية إذ أراد أن يولي رجلاً من بني حرب، ولاه الطائف؛ فإن رأى منه خيراً، وما يعجبه، ولاه مكة معها، فإن أحسن الولاية، وقام بما ولى قيامًا حسناً، جمع له معهما المدينة، فكان إذا ولي الطائف رجلاً قيل: هو أبي جاد – أي في باطل –، فإذا ولاه مكة، قيل: هو في القرآن، فإذا ولاه المدينة قيل: هو قد حذق"[٢]. أما بالنسبة لمن ولي الطائف فإن رواية الطبري تسكت عن تسميتهم، لكن ورد عند البلاذري ما يفيد تولية عنبسة بن أبي سفيان، وعتبة بن أبي سفيان على الطائف[٣].

حيث لم تشر المصادر إلى استثناء الإمارة فيها، إلا ما ذكره الطبري في أحداث سنة ١٠٣هـ، من تولي عبد الواحد بن عبد الله النضري ولاية الطائف، وكانت تلك السنة قد جُمعت إمارة المدينة ومكة لعبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري [٤].

فعلى أي حال، يعتبر كل والٍ جُمعت له إمارة المدينة ومكة؛ فإن الطائف تكون تبعًا لهما، وذلك لقربها من مكة، ولوجود أملاك كثيرة لأهل مكة والمدينة بها.

الستة، وهو ثقة، يعتبر من سادات مكة، فعندما قدم الخليفة سليمان بن عبد الملك مكة في خلافته، قال: من سيد أهلها؟ قالوا: بها رجلان يتنازعان الشرف: عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وعمرو بن عبد الله بن صفوان، حج بالناس سنة ٩٨هـ، مات بالرصافة. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ١١٢/٨؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٩٧/٣٦؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢٦/٥؛ الفاسي: العقد الثمين، ٦٨/٥.

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ١١٣/٨–١١٧؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٢٠/٥، ٢٦، ٣٦، ٤٣؛ الفاسي: العقد الثمين ، ٤٥٠/٥.

(٢)الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٢٩٦/٥.

(٣)البلاذري: أنساب الأشراف، ٣٩/٤ .

(٤) الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ١٠٢/٤.

٢/ اليمن

تشتمل اليمن على تهامة، ونجد اليمن، ومهرة، وحضرموت، وبلاد صنعاء، وعدن، وسائر مخاليف اليمن [١]، فكانت في العصر النبوي[٢] وبداية عصر الخلفاء الراشدين[٣] تارة تُجمع، وتارة تقسم لعدة ولاة، وقد جُمعت كلها لوالٍ واحد في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، واستمر الأمر على هذا الشكل إلى نهاية العصر الأموي، وأصبح والي اليمن يعين من قبل الخليفة الأموي في دمشق [٤].

وقد تعاقب على اليمن العديد من الولاة خلال العصر الأموي، فعندما تولى معاوية بن أبي سفيان ﷺ الخلافة بعث عثمان بن عفان الثقفي[٥]، ثم عزله بأخيه عتبة بن أبي سفيان، فمكث ثلاث سنوات [٦]، ثم استعمل النعمان بن بشير الأنصاري[١]، ومكث سنة، ثم عزله،

(١) الإصطخري: المسالك والممالك، ١/١٤؛ الصنعاني، أحمد بن عبد الله الرازي (ت ٤٦٠هـ): تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق: حسين العمري و عبد الجبار زكار، ط٣، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٩هـ، ص٤ ؛ صفي الدين، عبد المؤمن بن عبد الحق (ت٧٣٩هـ): مراصد الاطلاع، تحقيق: محمد علي البجاوي، ط١، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٩٩م، ١٤٨٣/٣.

(٢) جمع الرسول ﷺ لباذان حين أسلم، وأسلمت اليمن عمل اليمن كلها، وأمّره على جميع مخاليفها، فلما مات قسمها الرسول ﷺ إلى ستة أقسام، وهي: نجران – حضرموت – صنعاء –كندة والصدف – زبيد ورمع وعدن والسواحل – الجند. البلاذري: أنساب الأشراف، ٣٠/١؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٢٢٧/٣.

(٣) في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ جمعت كندة والصدف وحضرموت لوالٍ واحد. البلاذري: أنساب الأشراف، ٥٢٩/١.

(٤) خليفة بن خياط : تاريخه، ٣٨٤/١، ٤٢٨– ٥٣٤/٢، ٥٥٢.

(٥) وقيل: عثمان بن عثمان الثقفي، صاحب رسول الله ﷺ نزل حمص، ولي إمارة اليمن في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ. ابن سعد: الطبقات، ٤١٩/٧؛ ابن حجر: الإصابة ، ٤٦٢/٢؛ ابن أبي حاتم الرازي، عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ): الجرح والتعديل، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية ، ١٤٢٣هـ، ٦/ ١٥٩.

(٦) عتبة بن أبي سفيان أخو معاوية لأبويه، ولد في عهد الرسول ﷺ، وولاه الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ الطائف، الطائف، وولاه معاوية اليمن ومصر حتى مات بها سنة ٤٣هـ، وقيل ٤٤هـ. ابن الأثير: أسد الغابة ، ٢٤٠/١٢، ٢٣٩؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٥/٢؛ ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٨٦٦هـ): قرة العيون في تاريخ اليمن الميمون، =

وولى بشير بن سعد الأعرج؛لكنه لم يمكث طويلاً، حيث عين بدلاً منه الضحاك بن فيروز الديلمي[٢].

وفي خلافة يزيد بن معاوية، عزل الضحاك بن فيروز الديلمي[٣]، وعين مكانه بُحير بن رِيسان الحميري [٤]، واستمر حتى خرجت اليمن من حظيرة الدولة الأموية، وتتابع الولاة من قبل ابن الزبير ﷺ حتى عادت اليمن للخلافة الأموية [٥].

ولما آل الأمر إلى الخليفة عبد الملك بن مروان، جمع الحجاز واليمن للحجاج بن يوسف الثقفي، وقد أناب أخاه محمد بن يوسف الثقفي على صنعاء، وواثق بن سلمة الثقفي على الجند، والحكم بن أيوب الثقفي[٦] على حضرموت [٧]، ولما حضرت محمد بن يوسف الوفاة

صنعاء، مكتبة الإرشاد، ٢٠٠٦م، ص٧١.

(١) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري، من بني كعب بن الحارث بن الخزرج، ولد قبل وفاة النبي ﷺ بثمان سنوات، يكنى بأبي عبد الله، وهو أول مولود ولد للأنصار بعد الهجرة، ولي الكوفة لمعاوية، كما ولي قضاء دمشق، قتل بعد موقعة مرج راهط. ابن سعد: الطبقات، ٥٣/٦؛ ابن حبان: الثقات، ٤٠٩/٣؛ ابن عبد البر: الاستيعاب ، ٤٧٣/١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤١١/٣.

(٢) الضحاك بن فيروز الديلمي، من الأبناء، لأبيه صحبة، وله رواية عن أبيه، وهو تابعي من أهل اليمن، وقيل من أهل فلسطين، وكان يصاحب الخليفة عبد الملك بن مروان ويجالسه. ابن سعد : الطبقات ، ٥٣٦/٥؛ البخاري: التاريخ الكبير، ٢٠٣/٤؛ المزي: تهذيب الكمال، ٢٧٧/١٣؛ اليماني، تاج الدين عبد الباقي (ت٧٤٣هـ): بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تحقيق: مصطفى حجازي، ط٢، صنعاء، دار الكلمة، ١٩٨٥م، ص٢١؛ ابن الديبع: قرة العيون ، ص٧٢.

(٣) وقد ذكر ابن الأثير أن الصحابي معن بن فضالة بن عبيد الأنصاري ممن ولي اليمن في خلافة معاوية ﷺ. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ١٠١/٤؛ اليماني: بهجة الزمن، ص٢١؛ ابن الديبع: قرة العيون ، ص٧٢.

(٤) وقيل بُحَير بن ريسان الحميري، وقيل: يحيى بن داد الحميري، وكان عاتيًا متجبرًا، واستمر واليًا على اليمن حتى توفي يزيد. اليماني: بهجة الزمن، ص٢١.

(٥) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٢٥١/٣؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ١٦٢/٢.

(٦) الحكم بن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، صهر الحجاج بن يوسف، وابن عمه، حدَّث عن أبي هريرة ﷺ تولى إمارة البصرة من قبل الحجاج، شارك مع الحجاج في قتال الخوارج، قُتل بعد سنة ٩٠هـ. خليفة بن خياط : تاريخه، ٨٤/١؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ٣٣٢/٢؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ١٠٢/٥؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣/١٥-٧.

(٧) وقد ظهرت الإنابة في نظام الولاية، وهي: عدم التزام الوالي الذي يعين لإمارة بلد ما بالسفر إلى ولايته لمباشرة

=

أناب ابن عمه أيوب بن يحيى الثقفي[1] على اليمن،فلم يزل واليًا عليها حتى مدة أيام الوليد بن عبد الملك[2].

ولما تولى سليمان بن عبد الملك استخلف على اليمن عروة بن محمد السعدي، وأقره الخليفة عمر بن عبد العزيز كذلك؛ حيث مكث ست سنوات، حتى عزله الخليفة يزيد بن عبدالملك، وعين مسعود بن عوف الكلبي، واستمر كذلك حتى جاء الخليفة هشام، وأقره على إمارة اليمن سنة، ثم عزله بيوسف بن عمر الثقفي،فمكث مدة طويلة واليًا على اليمن، مايقارب ثلاث عشرة سنة (١٠٦هـ - ١٢٠هـ)؛ حيث ولي إمارة العراق، فاستخلف ابنه الصلت بن يوسف الثقفي[3]ومكث واليًا حتى توفي الخليفة هشام [4].

ولما تولى الخلافة الوليد بن يزيد استعمل على اليمن مروان بن محمد بن يوسف الثقفي[5]، وفي خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك استعمل على اليمن الضحاك بن زمل السَّكسكيِّ[6]،

مهامة الإدارية فيها، ويرسل بدلاً عنه من ينوبه لهذه المهام، فصارت التولية تشريفًا لاتكليفًا.

(١) أيوب بن يحيى الثقفي، يكنى بأبي نجيح، وكان عاملًا لمحمد بن يوسف - أخي الحجاج بن يوسف - وكان من أخبث عمالهم كبرًا وتجبرًا. ابن كثير: البداية والنهاية، ٢٦٦/٩.

(٢) وهو الذي بنى الجامع بصنعاء لما زاد فيه الخليفة الوليد بن عبد الملك. ابن الديبع: قرة العيون ، ص٧٣-٧٤.

(٣) الصلت بن يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، ابن ابن عم الحجاج بن يوسف، استخلفه أباه على اليمن بعد ما ولي إمرة العراق، قُتل أثناء مواجهته مع طالب الحق — عبد الله بن يحيى الكندي — وهرب عمه القاسم. خليفة بن خياط : تاريخه، ٢٨٣/١؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ٣٢٣٦؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٤٧٥/٢.

(٤) خليفة بن خياط : تاريخه، ٣٨٥/٢؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٩١/٤٠؛ اليماني: بهجة الزمن ،ص ٢٢.

(٥) مروان بن محمد بن يوسف الثقفي، وهو ابن أخ الحجاج بن يوسف الثقفي، تولى إمارة اليمن زمن الخليفة الوليد بن يزيد، ولكنه لم يمكث طويلاً، فلما تولى الخلافة يزيد بن الوليد الناقص تم عزله. النويري: نهاية الأرب ، ١٢٦/٦.

(٦) الضحاك بن زمل بن عبد الرحمن، ويقال: ابن زمل بن عبد الله، ويقال: ابن زمل بن عمرو السكسكي، من أهل بيت لهيا من قرى دمشق، والسكاسك: من بطون كندة، لهم مجالات شرقي اليمن متميزة، وهم معروفون بالسحر والكهانة. خليفة بن خياط : تاريخه، ٢٩١/١؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص٤٢٩؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق، ٢٦٣/٢٤؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ٢٧٦/٢.

فاستمر والياً حتى تولى الخليفة مروان بن محمد؛ حيث عزله، وولى القاسم بن عمر الثقفي[1]، وكان قد ثار بحضرموت الأعور الخارجي[2]، فاستولى على اليمن، ومكث سنة وأربعة أشهر، حتى استطاع الخليفة مروان بن محمد أن يقضي على الخوارج، ويولي على اليمن الوليد بن عروة بن محمد السعدي، وهو آخر ولاة بني أمية على اليمن[3].

فمن الملاحظ على ولاة اليمن في العصر الأموي كثرة تغيير الولاة، مع أن أغلبهم من أفراد البيت الثقفي، بالإضافة إلى أن ولاية اليمن لم يحكمها أحد من قريش، حتى لا يكون لديه قوة من المال والرجال، مما يجعله يطمع في الحكم[4].

---

(١) القاسم بن عمر بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، له شعر، تولى إمارة اليمن زمن الخليفة مروان بن محمد، وقد خرجت عليه الأباضية، فقاتلهم، ولكن هُزم فهرب. ابن سلام، محمد بن سلام الجمحي (ت٢٣١هـ): طبقات فحول الشعراء، شرح: محمود محمد شاكر، ط١، بيروت، دار الفكر العربي، ١٤١٩هـ، ٦٨/١؛ خليفة بن خياط : تاريخه، ٢٨٣/١؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ٣٢٣٦؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٤٧٥/٢.

(٢) اسمه عبد الله بن يحيى الحضرمي الملقب بطالب الحق، توجه إلى صنعاء، فانهزم الوالي الأموي القاسم بن عمر الثقفي وهرب، فقتل ابن أخيه الصلت بن يوسف الثقفي. ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٤٧٥/٢.

(٣) اليماني: بهجة الزمن ، ص٢٣؛ ابن الديبع: قرة العيون ، ٧٧.

(٤) ونستنتج ذلك من نصيحة عبد الله بن عباس للحسين بن علي بقوله: "... فإن أبيت إلا أن تخرج، فسر إلى اليمن، فإن بها حصوناً وشعاباً، وهي أرضٌ عريضة طويلة... ". الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٢٥٠/٣؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ١٦١/٢.

٣/ البحرين

تعد البحرين من أقاليم الجزيرة العربية، تطل على ساحل الخليج العربي من جهة الغرب، وسميت بالبحرين لوجود بحيرة بها على مدخل الأحساء [١]، أما إدارياً فكانت البحرين في العهد النبوي، وفي خلافة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب ﷺ تابعة للمدينة النبوية، وأحياناً كان الخلفاء يولون البحرين وعُمان والياً واحدا [٢]، وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ أُلحقت البحرين بولاية البصرة، وفي خلافة علي بن أبي طالب ﷺ جعل على البحرين عمر بن أبي سلمة، ثم عزله، وولى النعمان بن عجلان الأنصاري [٣].

أما في العصر الأموي، فظلت البحرين تابعة لولاية البصرة، حيث كان أميرها يشرف على كافة الأقاليم الواقعة على ساحل الخليج العربي، كالبحرين،وعُمان، وكان لأمير البصرة ولاة ينوبون عنه في إدارة الأقاليم التابعة له، ويرجعون إليه في الأمور المهمة، وقد تجمع كلها مع الكوفة تحت والٍ واحد، يسمى بوالي العراقين. [٤]

وقد شهد إقليم البحرين سلسلة من الاضطرابات السياسية، وأصبح منطلقًا للثورات ضد الخلافة الأموية، وأصبح محط أنظار القادة الذين تزعموا تلك الثورات، لذا نجد البحرين جُمعت

---

(١) الحموي: معجم البلدان، ٣٤٧/١؛ القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرحه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ، ٥٤/٥؛ الألوسي : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق: محمد بهجة الأثري، ط٣، بيروت، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٢م، ١٩٧/١. والبحرين اسم أطلقه العرب قديماً على المنطقة الممتدة على ساحل الخليج العربي فيما بين البصرة وعمان، وهذه لمنطقة تشمل حالياً الكويت، والبحرين، وقطر، والجزء الأكبر من دولة الإمارات. ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي الموصلي (ت٣٦٧هـ): صورة الأرض، ط١، بيروت، دار صادر، ١٩٢٨م، ص٣٨؛ الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ): الجبال والأمكنة والمياه، تحقيق : أحمد عبدالتواب، ط٣، القاهرة، دار الفضيلة، ١٤١٩هـ، ص١٧.

(٢) مثلما فعل عمر بن الخطاب ﷺ مع عثمان بن أبي العاص الثقفي؛ حيث ولاه البحرين، وعمان. البلاذري: فتوح البلدان، ص٩٢-٩٣؛ الحموي: معجم البلدان ، ٣٤٨/١.

(٣) النعمان بن عجلان بن النعمان بن عامر بن عجلان بن عمرو بن عامر بن زريق من الأنصار، له صحبة، وهو لسان الأنصار، وشاعرهم، شارك مع الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ في صفين. ابن سعد: الطبقات، ٧٢/٥؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ٢٩٨/١؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٢٣/٣؛ ابن حبان: الثقات، ٤١٠/٣؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٣٥/٢؛ ابن حجر: الإصابة ، ٤٤٦/٦.

(٤) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ٢٢٢/١-٢٤٣/٢؛ محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، ص٨٧-٩٢.

لعبيد الله بن زياد (٥٥هـ - ٦٤هـ)، والحجاج بن يوسف الثقفي (٧٤هـ - ٩٥هـ)، تحت إدارتهم لسنوات طويلة [١].

٤/ اليمامة

تقع اليمامة في وسط الجزيرة العربية، فحدودها الشرقية تصل إلى البحرين، والغربية تصل إلى مكة، أما الشمالية فتصل إلى البصرة، وتصل إلى اليمن من ناحية الجنوب، وبعضهم يجعل اليمامة بين الحجاز واليمن [٢]، علًما بأنه لم تكن لليمامة أهمية بالغة في عصر الخلافة الراشدة، ويتضح ذلك من إلغاء الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ اسم اليمامة من السجلات الرسمية للدولة، وضُمت إلى البحرين تحت اسم العروض [٣].

أما في العصر الأموي، فربما ضُمت إلى المدينة، وربما أُفردت[٤]، بل إننا نجد أن الخلافة الأموية تسير على نهج الخلفاء الراشدين، وذلك بشطب مسمى اليمامة، أو جعلها ولاية قائمة بذاتها، بمعاقبة سكانها، وجعلها تابعة للمدينة، أو البصرة، فقد ظلت اليمامة ملحقة بالمدينة طيلة ستة وعشرين عاًما، ثم ضمت لولاية البصرة اثني عشر عاًما، ثم انفصلت عن الخلافة الأموية إحدى عشر عاًما، وهي فترة الثورات المحلية، ثم ألحقت بدمشق مدة واحد وأربعين عاًما.

---

(١) للمزيد حول ذلك راجع : المسعودي: مروج الذهب، ١٧٥/٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ١٣١/٩ .

(٢) الهمداني، الحسن بن أحمد (ت٣٤٤هـ): صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد الأكوع، ط١، الرياض، دار اليمامة، ١٣٩٤هـ، ص٣١٢؛ الأصفهاني، الحسن بن عبد الله (ت٣٥١هـ): بلاد العرب، تحقيق: حمد الجاسر وصالح العلي، ط١، الرياض، دار اليمامة، ١٣٨٨هـ، ص٣٠٥؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص٢٩؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص٣١٦؛ البكري: معجم ماستعجم، ٥م١٠؛ الحموي: معجم البلدان، ١٤٦/٣-١١٢/٣؛ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٣.

(٣) يرى بعض المؤرخين أن العروض اصطلاح إداري أكثر منه جغرافي، وسميت بذلك لأن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ لم يخرج اليهود والنصارى من اليمامة والبحرين. البكري: معجم ما استعجم ، ١٢/١.

(٤) الحموي: معجم البلدان ، ١/ ٣٤٧.

٥/عُمان

تقع في جنوب شرق الجزيرة العربية، واشتهرت مدنها بالتجارة، والملاحة، ومن أهمها: مسقط، وهي مجمع السفن التجارية، ودبا، وبها سوق مشهورة، أما عاصمة بلاد عمان، فهي صحار؛ حيث وصفت بأنها " دهليز الصين، وخزانة الشرق والعراق، ومغوثة اليمن " (١).

انضمت عُمان للدولة الإسلامية في العصر النبوي، وأصبحت تابعة للمدينة النبوية (٢)، واستمر ارتباط عُمان بالمدينة حتى خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه (٣)، حيث تحولت إدارتها إلى البصرة (٤)، ولا تشير المصادر التاريخية إلى أوضاع بلاد عُمان السياسية في أواخر عهد الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وذلك بسبب الاضطرابات التي عمت البلاد في تلك الفترة(٥).

أما في العصر الأموي فغالبًا ما كانت عُمان مرتبطة سياسيًا بوالي العراق، حيث كان يتولى إدارتها، ويتعهد أحوالها، ويعين العمال عليها (٦)، وبالرغم من ذلك، فلم تكن عُمان خاضعة دائمًا لسلطة الدولة الأموية (٧).

---

(١) ابن حبيب: المحبر، ص٢٦٥؛ الإصطخري: المسالك والممالك، ص٢٥؛ المقدسي، محمد بن أحمد البشاري (ت٣٧٥هـ): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: محمد مخزوم، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ، ٣٩٤/٣؛ الحموي: معجم البلدان، ٣٩٣/٣؛ عبد الله الغنيم: جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري، ط١، الكويت، ذات السلال للطباعة والنشر، ١٩٧٧م، ص ١٣٦-١٣٧

(٢) أرسل النبي ﷺ الصحابي عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى ملكي عُمان جيفرا وعبدا ابني الجلندي، وبقي عمرو عاملاً للرسول ﷺ حتى وفاته. ابن هشام، جمال الدين عبد الملك بن هشام البصري (ت٢١٣هـ): السيرة النبوية، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد ، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١هـ ، ٢٥٤/٤-٢٥٥؛ خليفة بن خياط : تاريخه، ص٩٧؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص٨٧؛ ابن الأثير: أسد الغابة ، ٤١٠/٣.

(٣) إلا أنها جمعت مع البحرين في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لتكون تحت إدارة عثمان بن أبي العاص الثقفي، وكانت عُمان منطلقًا للفتوحات الإسلامية بسبب موقعها الجغرافي، وخبرة أهلها. ابن سعد: الطبقات، ٥٠٨/٥-٥٠٩؛ ابن الأثير : أسد الغابة ، ٤٧٥/٣-٤٧٦.

(٤) تحت إشراف والي البصرة في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه عبد الله بن عامر بن كريز. ابن سعد : الطبقات، ٤٤/٥-٤٩؛ ابن قتيبة: المعارف، ص ٣٢٠-٣٢٢؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ص٢٥٧-٢٦٠.

(٥) السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، القاهرة، د. ن، ١٩٦١م، ٦٧/١.

(٦) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٢٢٨/٥.

(٧) حيث نجد ابن الزبير رضي الله عنه وجه عماله إلى بلاد البحرين وعُمان بعد استقلاله ببلاد الحجاز. الدينوري: الأخبار =

وبما أن عُمان والبحرين جُمعتا لوالي العراق، فقد ذكرنا سابقًا الولاة الذين أشرفوا عليهما، إلا أن هناك عمالاً كانوا يعينون من قبل الوالي، ومن ضمن هؤلاء العمال، الخيار بن سبرة المجاشعي[1] (٨٣هـ - ٩٥هـ) من قبل الحجاج بن يوسف، وبعد تعيين يزيد بن أبي مسلم الثقفي[2]واليًا على العراق بعد وفاة الحجاج، أرسل سيف بن الهاني الهمداني (٩٥هـ - ٩٦هـ)[3].

وفي خلافة سليمان بن عبد الملك تولى إدارة عُمان صالح بن عبد الرحمن بن قيس الليثي (٩٦هـ - ٩٦هـ)، فلم يمكث طويلاً؛ حيث قام والي العراق يزيد بن المهلب بن أبي صفرة[4]

الطوال، ص٢١٢.وقيل إن عُمان في تلك الفترة تحت حكم عباد بن عبد الجلندي وابنيه سعيد وسليمان. ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق، تحقيق: عبد القادر بدران، ط٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٠م، ١٦٩/٦؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢٠٣/٤.

(١) الخيار بن سبرة بن ذؤيب بن عرفجة بن ناجية المجاشعي، أحد رجال بني تميم، وهو الذي منع بني المهلب بن أبي صفرة من دخول عمان حين هربوا من مسلمة بن عبد الملك، وكان الحجاج بعثه قبل ذلك إلى يزيد بن المهلب ليرجع إليه بخبره، فقال: " جئتك من عند قوم قد أسرجوا ولم يلجموا "، فقتله زياد بن المهلب وصلبه. ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب (ت٢٠٤هـ): جمهرة النسب، ط١، تحقيق: ناجي حسن، بيروت، دار عالم الكتب، ١٤٠٦هـ، ص٢٠٤؛ ابن حبيب: المحبر، ٤٨٢/١؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ٤٠٧/٣.يُذكر بأن هناك موضعًا في عمان يقال له: الخيار، لأن فيه قبر الخيار بن سبرة. المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت٢٨٥هـ): الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: عبدالحميد أحمد ويوسف الهنداوي، ط٣، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ، ١٦٦/٢.

(٢) أبو العلاء يزيد بن مسلم بن دينار الثقفي، مولى الحجاج، وكاتبه، ومشيره، استخلفه الحجاج عند موته على أموال الخراج، فضبط ذلك، وأقره الخليفة الوليد بن عبد الملك، حتى قال: " مثلي ومثل الحجاج وأبي العلاء، كمن ضاع منه درهم فوجد دينارًا". وكان يتشبه به في سيرته بالحجاج، ولي العراق وإفريقية. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٦١٧/٦؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ١٠١/٥؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٩٣/١٨؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٣٠٩/٦؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٢١٥/٤.

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٣٩٤/٦-٥٩٣-٥٩٥؛ أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ٣١٦/٢١.

(٤) يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، ولد سنة ٣هـ تقريبًا، واشتهر بالسخاء والشجاعة، شارك مع والده في حروبه ضد الخوارج، وتولى بعد وفاة والده ولاية خراسان سنة٨٢هـ، وفي سنة ٩٧هـ ولاه الخليفة سليمان بن عبد الملك العراق، ثم عزله عنه، وولاه خراسان، وفي سنة ١٠٠هـ سجنه الخليفة عمر بن عبد العزيز لاختلاسه بعض أموال الولاية، ثم هرب من السجن سنة ١٠١هـ، ثم قتل سنة ١٠٢هـ. الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٣٥٤/٦، ٥٢٣، ٥٢٦؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان، ٢٧٨/٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٥٠٣/٤.

بتعيين أخيه زياد عاملاً على بلاد عُمان [١].

وفي عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ولى عدي بن أرطاة الفزاري[٢] أمير البصرة سعيد بن مسعود المازني[٣] عاملاً على عُمان، ولكنه عُزل[٤]، وعين بدلاً منه عمرو بن عبد الله الأنصاري[٥] الذي استمر عاملاً على عُمان حتى وفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١هـ[٦].

وبعد وفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز، انقادت الأمور السياسية ليزيد بن المهلب في البصرة، وخلع الطاعة عن بني أمية، وأعاد أخيه زياد عاملاً على بلاد عُمان (١٠١هـ – ١٠٢هـ) [٧].

ثم عادت عُمان إلى سلطة الدولة الأموية بعد القضاء على حركة يزيد بن المهلب، وتولى إمارة البصرة وعُمان عبد الرحمن بن سليم الكلبي[٨]، الذي بدوره استخلف محمد بن جابر

---

(١) خليفة بن خياط : تاريخه، ص٣١٩؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٥٠٦/٦.

(٢) عدي بن أرطاة الفزاري الدمشقي، ولاه عمر بن عبد العزيز ولاية البصرة، وهو الذي سجن يزيد بن المهلب، وأرسله إلى عمر بن عبد العزيز، ثم هرب من السجن، وأعلن ثورته المشهورة فلما قضى عليها مسلمة بن عبد الملك، قام أحد أولاد يزيد فقتل عدياً وجماعة معه سنة ١٠٢هـ. خليفة بن خياط : تاريخه، ص٣٢٢-٣٢٥؛ البخاري: التاريخ الكبير، ٤٤/٧؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٥٥٤/٦-٥٥٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٥٣/٥.

(٣) سعيد بن مسعود المازني البصري، وقيل: سعد بن مسعود، ولي عمان من قبل عدي بن أرطاة، فلامه الخليفة عمر بن عبد العزيز بقوله: " إن استعمالك سعيد بن مسعود قدر من الله قدره عليك، وبلية ابتلاك بها، فإذا أتاك كتابي فابعث إليه من يعزله، وابعث به إلي مشدودًا موثّقا ". البلاذري: أنساب الأشراف، ٥٩/٣؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٤٠٤/٢٠.

(٤) وسبب عزله أن سياسته تتسم بالظلم والتعسف في جباية الأموال، وأخذ الضرائب، ومن ذلك وثبه على خليد بن سعوة، فضربه مئة سوط بسبب ناقة طلبها منه، فأبى ذلك. ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق، ١١٦/٦.

(٥) عمرو بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري، روى عن عمه أنس بن مالك ﷺ، وكانت داره بالمدينة بجوار دار عمه أنس بن مالك، وكان يتشبه بسيرة خليفته عمر بن عبد العزيز. خليفة بن خياط : تاريخه، ٢٥٠/١؛ البخاري: التاريخ الكبير ، ٣٤٨/٦؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٦٣/٨.

(٦) وقد اتسمت سياسته بالإصلاح والإحسان إلى الناس. خليفة بن خياط : تاريخه، ص٣٢٣؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٣٥٦/٤.

(٧) خليفة بن خياط : تاريخه، ص٣١٩؛ ابن حبيب: المحبر، ص٤٨٢.

(٨) عبد الرحمن بن سليم الكلبي، يكنى بأبي العلاء، ويلقب بأمير الساحل؛ لأنه كان أمير جماعة ساحل دمشق، =

الراسي[1] عاملاً على عُمان [2].

واستمرت بعد ذلك عُمان تحت سيطرة الأمويين تُجمع لوالي العراق،وقد يعين عليها عاملاً يستعين به على إدارة شؤونها الداخلية، حتى أفلت شمس الدولة الأموية بسقوطها.

ويستنتج من ذلك أن الجزيرة العربية كانت هي القاعدة الرئيسة لأخطر الثورات، وقد انطلقت أبرز القيادات المعارضة من الحجاز واليمامة والبحرين، وكذلك التجأت قيادات المعارضة إلى الجزيرة العربية عند الفشل، ومع ذلك يمكن الجزم بأن تراث الجزيرة العربية العلمي والفكري مهم، ومتنوع؛ حيث ساهم ولاتها بشكلٍ أو بآخر في صنع الثقافة الإسلامية، والتحاور مع الأطراف المعارضة من خلال الحجة والبيان.

ولم يكن ولاة الأقاليم الأخرى أقل كفاءة وخبرة من ولاة الجزيرة العربية، وخاصة ولاة الشام التي هي مركز الخلافة الأموية، كما سيمر بنا.

ولي سجستان للحجاج بن يوسف، وغزا الروم عدة مرات مع عثمان بن حيان المري، فلما قدم على الخليفة يزيد بن عبدالملك قال له: " أما إذ لم يولك مسلمة خراسان، فإني أوليك الصائفة، فهي أشرف من ولاية خراسان". خليفة بن خياط : تاريخه، ٢٤١/١؛ اليعقوبي: البلدان، ٢٢/١؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٧٨/٤؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٤٠٤/٣٤؛

(١) محمد بن جابر الراسبي، كان أميناً في ولايته، فقد وجد أناس كنزًا بسابور وهم يثيرون الأرض فكتب إلى الخليفة عمر ابن عبد العزيز فقال له: " أن خذوا منهم الخمس، ودعوا سائره لهم "، فدفع إليهم المال، وأخذ منهم الخمس، وله أخبار مع الشاعر كعب بن معدان الأشقري، واقتص ممن قتله. ابن أبي شيبة: المصنف في الأحاديث والآثار، رقم الحديث ٣٢٧٠٦، ٤٣٥/٦؛ أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ١٠٥/٤.

(٢) خليفة بن خياط : تاريخه، ص٣٢٨؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٦٠٥/٦-٦٠٤؛ أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ، ٢٩٨/١٤-٢٩٩؛ النويري: نهاية الأرب، ص٢٣٩.

المبحث الثالث: الشام ومصر

أولًا : الشام

أو الشامات، ويحدها بحر الروم من الغرب والبادية الممتدة من العقبة إلى الفرات شرقًا، وآخر حدودها ممايلي مصر رفح، ومما يلي الروم الثغور، كطرطوس، وأذنة والمصيصة(١).

احتفظ الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بالتقسيم البيزنطي للشام الذي كان في عهد هرقل؛ إذ قسم الدولة البيزنطية إلى أقاليم ثغرية، عرفت بالأجناد(٢)، وشملت بلاد الشام أربعة أجناد: "كور"، وهي(٣): جند دمشق، وجند حمص(٤) وقنسرين(٥)، وجند فلسطين(٦)، وجند الأردن(٧).

أما في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ فقد أجرى تعديلات إدارية لبلاد الشام؛ حيث ضم ولاية الجزيرة إلى والي الشام، وكان أمراء الأجناد يتولون الإدارة المدنية، بالإضافة إلى الإدارة العسكرية (٨).

---

(١)خليفة بن خياط : تاريخه، ص١٥٧؛ البغدادي، قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ): الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: مصطفى الحياري، ط١، بغداد، دار الرشيد، ١٩٨١م، ص٢٥٣.

(٢) الأجناد : تعني فرقة من الجيش تعسكر في إقليم معين. للمزيد حول ذلك: نجدة خماش، الإدارة في العصر الأموي، ص٤١٤؛ شارل أومان: الأمبراطورية البيزنطية، ترجمة: مصطفى بدر، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٩٥٣م، ص١٣١؛ ستيفن رنسيمان: الحضارة البيزنطية، ترجمة: عبد العزيز توفيق، ط٢، القاهرة، مكتبة الهيئة المصرية، ١٩٧٧م، ص٩٩.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص١٢٢-١٣٨.

(٤) حمص:بلدة قديمة، ومشهورة تقع بين دمشق وحلب في منتصف الطريق، بناها رجل يقال له حمص بن المهر بن جان ابن مكنف، وقيل حمص بن مكنف العمليقي. الحموي: معجم البلدان، ٣٠٢/٢.

(٥) قنسرين: مدينة فتحت على يد أبي عبيدة عامر بن الجراح في السنة السابعة عشرة للهجرة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ وكانت حمص وقنسرين تعتبر شيئًا واحدًا، وسميت بذلك لأن ميسرة بن مسروق العبسي عندما مر عليها سأل عن اسمها فسميت له بالرومية، فقال والله لكأنها قن نسر، فسميت قنسرين. الحموي: معجم البلدان ، ٤٠٣/٤.

(٦) فلسطين: آخر كور الشام من ناحية مصر، وأول أجناد الشام من ناحية الغرب، قصبتها بيت المقدس، ومن مدنها المشهورة: عسقلان، والرملة، ويافا، وأرسوف، وغيرها. الحموي: معجم البلدان ، ٢٧٤/٤.

(٧) الأردن: أحد أجناد الشام الخمسة، هي عبارة عن كورة واسعة تشمل عدة كور، منها طبرية، وبيسان، وصفورية، وعكا، وصور، وغيرها من مدن. الحموي: معجم البلدان ، ١٤٧/١- ١٤٨.

(٨) خليفة بن خياط : تاريخه، ص١٥٥؛ البلاذري: فتوح البلدان ، ص٢٨٣؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ١٥٠/٢؛

=

أما في العصر الأموي، فانقسمت إلى خمسة أجناد، وهي: جند دمشق، وجند حمص، وجند فلسطين، وجند الأردن، وجند قنسرين، وقد حصلت بعض التعديلات الإدارية في بلاد الشام للخلافة الأموية؛ حيث ضُمت الجزيرة الفراتية إلى جند قنسرين [1].

لذا فقد خضعت إدارة هذه الولاية للخلفاء الأمويين مباشرة؛ لوجود عاصمة الخلافة في دمشق، وقد كان الخليفة يقيم في دمشق، ويعين من قبله العمال على الأجناد.

ثانيًا : مصر

ربطت مصر بالشام منذ القدم لوجود مصالح سياسية وحربية وتجارية واحدة، وغالبًا ما خضعت مصر والشام في العصور المختلفة لحكم دولة واحدة ، وقسمت مصرإداريًا إلى قسمين، ولّي على كلٍ منهما والٍ مستقل عن الآخر، أحدهما على أسفل الأرض، والآخر على الصعيد، وذلك في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ[2].

بينما في العصر الأموي أصبح الخليفة يقوم بتعين والٍ واحد على مصر، حيث يتخذ هذا الوالي مدينة الفسطاط[3] مقًرا له، ويقوم بدوره - نتيجة اتساع صلاحياته عما كانت عليه في عصر الخلفاء الراشدين - بتعيين عاملٍ له على أسفل الأرض، وآخر على الصعيد، هذا إلى جانب أن بلاد مصر قد تبعها إداريًا العديد من البلدان، كمدينة برقة [4].

١٥٠/٢؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ١٥٠/٥.

(١) وظلت هكذا حتى خلافة عبد الملك بن مروان، إذ طلب منه أخوه محمد بن مروان أن يجندها، فجندها عبدالملك، وصار جندها يأخذون أرزاقهم من خراجها. خليفة بن خياط : تاريخه، ص ٢٩٨، ٣٠٣؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٨٢-١٨٩، ص١٣٨؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ١٥٠/٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ١٢٩/٤.

(٢) قال القضاعي: أرض مصر تنقسم إلى قسمين: الصعيد، وهو ما يلي مهب الجنوب، وينقسم إلى عشرين كورة، وأسفل الأرض، وهو ما يلي مهب الشمال، وينقسم إلى ثلاث وثلاثين كورة، وقيل: توفي عمر بن الخطاب ﷺ وعلى مصر أميران: عمرو بن العاص بأسفل الأرض، وعبد الله بن أبي سرح على الصعيد. ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ٢٩٨؛ الحموي: معجم البلدان، ١٣٩/٥.

(٣) الفسطاط: مدينة أنشأها عمرو بن العاص في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ في المكان الذي عسكر به، وأقام فسطاطه فيه أثناء مسيرته لفتح الإسكندرية. الحموي: معجم البلدان ، ٢٦٢/٤- ٢٦٣؛ المقريزي، تقي الدين أبو العباس (ت٨٤٥هـ): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط١، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، د. ت، ٢٩٩/١ - ٢٣٠ -٢٣١.

(٤) برقة: اسم صُقْع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الأسكندرية وإفريقية، واسم مدينتها انطابلس، يحيط بها =

ويعتبر الصحابي الجليل عمرو بن العاصﷺ من أشهر ولاة بني أمية على مصر (٣٨هـ – ٤٣هـ)، وهي الولاية الثانية له على مصر[1]، وبعد موت عمرو بن العاصﷺ تولى الإمارة عتبة بن أبي سفيان (٤٣هـ-٤٤هـ)[2]، ولكنه لم يلبث أن مات بعد عام واحد من ولايته، ثم تولى عقبة بن عامر الجهني[3] (٤٤هـ – ٤٧)، وقد دامت ولايته سنتين و ثلاثة أشهر، عزله الخليفة معاوية ﷺ، وولى مكانه مسلمة بن مخلد الأنصاري[4] (٤٧هـ- ٦٢هـ)[5]. وفي عهد الخليفة يزيد تولى إمارة مصر سعيد بن يزيد الأزدي[6] (٦٢هـ -٦٤هـ)، فدامت

البرابر من جميع الجوانب، افتتحت صلحًا على يد القائد عمرو بن العاص في سنة ٢١هـ. الحموي: معجم البلدان ، ٣٨٨/١- ٣٨٩؛ الإصطخري: المسالك والممالك، ص٣٣.

(١) الأولى كانت من قبل الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، و الثانية من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٢٤١/٤؛ الكندي: الولاة والقضاة، ص٣١.

(٢) ولاه أخوه معاوية على الصلاة في مصر. الكندي : الولاة والقضاة، ص٣٥.

(٣) عقبة بن عامر الجهني الإمام المقرئ أبو عبس، ويقال: أبو حماد، ويقال: أبو عمرو، ويقال: أبو عامر، صاحب رسول الله ﷺكان عالماً، مقرئاً، فصيحًا، فقيهًا، فرضياً، شاعرًا، كبير الشأن، وهو كان البريد إلى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بفتح دمشق، مات سنة ٥٨هـ. ابن سعد: الطبقات، ٣٤٣/٤، ٣٤٤؛ خليفة بن خياط : تاريخه، ص ١٩٧، ٢٢٥؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٤٨/١١؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ٥٣/٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤٦٧/٢؛ ابن حجر: الإصابة ، ٢١/٧.

(٤) مسلمة بن مخلد بن الصامت الأنصاري الخزرجي، يكنى أبا معن، وقيل: أبو سعيد، وقيل: أبو معاوية، له صحبة، ولا صحبة لأبيه، توفي النبي ﷺ ولمسلمة بن مخلد أربع عشرة سنة، بعثه الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ على صدقات بني فزارة، توفي سنة٦٢هـ بالإسكندرية. ابن سعد : الطبقات، ٥٠٤/٧؛ البخاري: التاريخ الكبير، ٣٨٧/٧؛ الكندي : الولاة والقضاة، ص٣٨؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق ٢٢٨/١٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ٤٢٦/٣؛ ابن حجر: الإصابة، ٤١٨/٣.

(٥) ويعتبر مسلمة بن مخلد أول من جمعت له مصر والمغرب من طرابلس إلى طنجة، دامت ولايته حوالي خمس عشرة سنة، مكث على ولاية مصر حتى وافته المنية في عهد الخليفة يزيد بن معاوية. ابن عبد الحكم: فتوح مصر ، ص١٩٧؛ الكندي : الولاة والقضاة، ص٣٨؛ ابن عذاري: البيان المغرب ، ١٦/١.

(٦) سعيد بن يزيد بن سلمة الأزدي، ويقال: الطاحي، يكنى بأبي سلمة، روى عن أنس بن مالك ﷺ، والحسن البصري، وغيرهما، روى عنه خالد بن قيس، وشعبة بن الحجاج وغيرهما. الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ٤٥٢/٢؛ بدر الدين العيني، أبو محمد محمود بن أحمد الحنفي (ت٨٥٥هـ): مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، تحقيق: محمد حسن الشافعي، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٧هـ، ٤٣٦/١.

ولايته حوالي سنتين، وقد خلعه عبد الرحمن بن جحدم الفهري (٦٤هـ – ٦٥هـ) [١].

وبعد استعادة مصر إلى الخلافة الأموية من قبل الخليفة مروان، ولى عليها ابنه عبدالعزيز بن مروان (٦٥هـ –٨٦هـ)، فدامت ولايته عشرين سنة، استطاع من خلالها أن ينهض باقتصادها، ويعم الأمن أرجاء ها، فجُمعت له بلاد المغرب؛ حيث كان يولي عليها [٢]، وبعد وفاته تولى عبدالله بن عبد الملك بن مروان (٨٦هـ – ٩٠هـ) الإمارة من قبل أبيه [٣]؛ فاستمر والياً ما يقارب ثلاث سنوات، حتى ساءت سيرته عند أهل مصر، فعزله الخليفة الوليد بن عبد الملك، وولى مكانه قرة بن شريك العبسي (٩٠هـ – ٩٦هـ) [٤]؛ واستمر والياً حتى وفاته، فعين الخليفة الخليفة الوليد عبد الملك بن رفاعة [٥] (٩٦هـ – ٩٩هـ)، فلما مات الخليفة الوليد أقره أخوه سليمان على ولاية مصر، ثم أقره الخليفة عمر بن عبد العزيز لفترة، ثم عزله [٦].

ولكن الخليفة عمر بن عبد العزيز يعتمد على بعض الأسس والخصال التي تتوافر بالوالي [٧]،

---

(١) هو عبدالرحمن بن عقبة بن إياس بن الحارث بن عبد أسد بن جحدم الفهري، والي مصر من قبل عبدالله بن الزبير ﷺ، دامت ولايته ما يقارب تسعة أشهر. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٤٥٠/٥؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٦٣/١.

(٢) اشتهر بفقهه، وجوده، وكرمه، ضرب الطاعون في عهده أهل مصر، وأصيب هو بالجذام، فاعتزل الناس في حلوان، وعمّرها، مكث في ولايته حتى مات. خليفة بن خياط : تاريخه، ٣٩٢/١؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٥٤٠/٥؛ الكندي: الولاة والقضاة، ص٥٥.

(٣) تولى إمارة مصر في شهر جمادى الآخرة قبل وفاة والده بأربعة أشهر، وقد أقره أخوه الوليد على مصر بعد مبايعته بالخلافة. الكندي : الولاة والقضاة، ص٦٠؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار ، ٣٧٩/١.

(٤) قرة بن شريك بن الحارث القيسي، ويقال: العنسي، أو العبسي، دامت ولايته حوالي ست سنوات، كان مثال مثال الظلم، والجور، والفسق، كرهه أهل مصر، وقال عنه عمر بن عبد العزيز: " الحجاج بالعراق، والوليد بالشام، وقرة بن شريك بمصر، وعثمان بن حيان بالمدينة، وخالد بمكة! ، اللهم قد امتلأت الدنيا ظلًما، وجورًا، فأرح الناس"، مات سنة ٩٦هـ. الكندي : الولاة والقضاة، ١٩/١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٣٤٩/٢؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ٢٤٠/٧؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ٨٦/١.

(٥) عبد الملك بن رفاعة بن خالد بن ثابت الفهمي، كان على شرطةمصر قبل توليه إمارتها، عُرف عنه عفة اليد، اليد، والعدل في الرعية، فمن كلامه: " إذا دخلت الهدية من الباب، خرجت الأمانة من الطاق! "، فكان ينهى الموظفين عن قبول الهدية، توفي سنة ١٠٩هـ. الكندي:الولاة والقضاة، ٢٠/١؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٦/٣٧.

(٦) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٢٢٥/٥–٢٢٩؛ الكندي : الولاة والقضاة، ١٨/١–٢٢؛ ابن منظور: مختصر مختصر تاريخ دمشق، ٧٤/٥؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٧٣٢/١.

بالوالي[1]، لذا فقد ولى أيوب بن شرحبيل[2] (٩٩هـ - ١٠١هـ)، وفي ولايته كثرت العطايا للناس، وحسنت سيرته في أهلها، وعندما توفي الخليفة عمر بن عبد العزيز، وتولى من بعده الخليفة يزيد بن عبد الملك، تركه على ولاية مصر حتى وفاته، فعين بشر بن صفوان الكلبي[3] (١٠١هـ -١٠٢هـ) ثم أرسله الخليفةيزيد واليـًا على إفريقية والمغرب، فولى أخاه حنظلة[4] (١٠٢هـ - ١٠٥هـ) على مصر بدلاً عنه [5].

ولما آلت الخلافة لهشام بن عبد الملك عزله وولى عليها أخاه محمد بن عبد الملك (١٠٥هـ - ١٠٥هـ)، ولكنه عندما جاء إلى مصر وجد فيها وباءً فطلب إعفاءه من الولاية، فأُعفي، وبذلك تكون مدة ولايته لمصر شهرًا واحدًا [6].

---

(١) حيث ورد عن الخليفة عمر بن عبد العزيز أنه لما أراد أن يولي على مصر، قال: دلوني على رجل من أهل مصر له شرف وصلاح أوليه صلاتها. الكندي: الولاة والقضاة، ص٦٧.

(٢) أيوب بن شرحبيل بن أكسوم بن أبرهة الأصبحي، وأمه أم أيوب بنت مالك بن نويرة، تولى إمارة مصر، ومكث على ذلك سنتين ونصفًا إلى أن توفي في رمضان سنة ١٠١هـ. الكندي : الولاة والقضاة ، ٢٠/١؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ٢٩٠/١؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ،٢٣٧/١.

(٣) بشر بن صفوان بن تويل بن بشير بن حنظلة الكلبي، أمير المغرب، وأحد الشجعان، ذوي الرأي والحزم، ولي مصر أولًا سنة ١٠١ هـ، من قبل يزيد بن عبد الملك، ثم جاءه كتاب يزيد بتأميره على إفريقية سنة ١٠٢ هـ، فخرج إليها، وأقام في القيروان، وغزا صقلية وغيرها، ومات بالقيروان سنة ١٠٩هـ. الكندي : الولاة والقضاة، ٢٠/١؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٤٢/٢؛ ابن عذاري: البيان المغرب ، ٤٩/١ النجوم الزاهرة ، ٢٤٤/١.

(٤) حنظلة بن صفوان بن تويل بن بشير بن حنظلة الكلبي، يكنى بأبي حفص، وهو من القادة الشجعان من أهل أهلدمشق، وكان دينـًا محمود السيرة، عـُزل عن ولاية مصر، فتوجه إلى إفريقية، وشارك في القضاء على ثورة البربر، توفي سنة ١٣٠هـ. البلاذري: فتوح البلدان، ٢٧٤/١؛ الكندي : الولاة والقضاة، ٢١/١؛ الحموي: معجم البلدان، ١٥٥/١؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ١٦٠/١.

(٥) خليفة بن خياط : تاريخه، ٢٦١/١؛ البلاذري: فتوح البلدان ، ٢٧٤/١؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ٢٣٦/١. ٢٣٦/١.

(٦) وفي هذه السنة عين عبيد الله بن الحبحاب عاملًا للخراج في مصر، وأصبح له سلطة واسعة، وصلت إلى عزل عزل الوالي نفسه، ومن ذلك عندما كتب إلى الخليفة هشام بن عبد الملك يشتكي الوالي الحر بن يوسف، فعزله الخليفة، وعين بدلاً منه حفص بن الوليد، ولكن عبيد الله بن الحبحاب رفضه، وكتب إلى الخليفة بقوله: " إنك لم تعزل الحر إذ وليت حفصًا "، فجعل الخليفة الاختيار له، فاختار عبد الملك بن رفاعة. الكندي : الولاة والقضاة، ص٧٤-٧٥؛ ابن عذاري: البيان المغرب ، ص٥٠، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٢٦٦/١.

وفي سنة ١٠٥هـ تولى الحُرّ بن يوسف[1] الإمارة، ودامت ولايته ثلاث سنوات، ثم طلب إعفاءه في سنة ١٠٨هـ، فعين الخليفة هشام حفص بن الوليد[2] (١٠٨هـ - ١٠٩هـ)، ولكنه لم يدم إلا ٤٠ يومًا؛ حيث عزله الخليفة، وولى عبد الملك بن رفاعة الذي تولاها من قبل سنة ٩٦هـ، فمكث خمس عشرة ليلة ثم توفي، وتولى أخوه الوليد بن رفاعة[3] ولاية مصر سنة (١٠٩هـ - ١١٧هـ)، واستمواليًا حتى وفاته، حيث دامت ولايته ثماني سنوات [4].

ثم تولى بعد ذلك عبد الرحمن بن خالد الفهمي[5] (١١٧هـ - ١١٨هـ)، ومكث سبعة أشهر، ثم عزله الخليفة هشام بن عبد الملك ، وقيل فيسبب عزله أنه كان متراخيًا، فأغرى الروم بالنزول على شواطئ مصر، وأسروا عددًكبيرًا من أهلها [6]، وأعاد حنظلة بن صفوان (١١٩هـ (١١٩هـ - ١٢٤هـ) للمرة الثانية لولاية مصر؛ حيث دامت ولايته خمس سنوات، ثم أرسله إلى

---

(١) الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم بن أبي العاص الأموي، ثار القبط في إمرته، فأصلح أمرهم، وانكشف النيل في أيامه عن أرض جديدة، بنيت فيها قيسارية هشام، تولى إمارة الموصل بعد طلب إعفاء عن ولاية مصر. الكندي : الولاة والقضاة، ٢١/١؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٥٦/١٢؛ ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جردة (ت٦٦٠هـ): بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دمشق، دار البعث، ١٤٠٩هـ ٣٥٢/٢.

(٢) حفص بن الوليد بن يوسف الحضرمي، يكنى بأبي بكر، روى عن الزُّ هريّ، وهو مقلّ، وروى له النَّسائيّ كان ممَّن خلع الخليفة مروان محمد، فلم يتَّم له، وكان أميرًا مطاعًا، واستولى حوثرة بن سهيل الباهلي على ديار مصر، فقتل حفصًا، وذلك سنة ١٢٨هـ. الكندي: الولاة والقضاة، ٢٤/١؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق، ٤٦٦/٢؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٤٠٦/٢.

(٣) الوليد بن رفاعة بن خالد بن ثابت الفهمي، وفي ولاية الوليد نُقلت قيس إلى مصر، في سنة تسع ومئة، ولم يكن بها منهم أحد قبل ذلك، كما أنه أذن في ابتناء كنيسة بالحمراء، عرفت بعد ذلك - بأبي مينا - فثار وهيب اليحصبي وقُتل، فخرج القراء بالفسطاط غضبًا لمقتله، فأصلح ابن رفاعة الأمر بالقبض على قتلة وهيب، وسكنت الفتنة، وكان محمود السيرة، توفي سنة ١١٧هـ. الكندي : الولاة والقضاة، ٢٢/١-٢٣؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٩٧/٢؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ٢٩٨/٣.

(٤) الكندي : الولاة والقضاة، ص٧٥؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ٧٤/٥؛ النجوم الزاهرة ، ١٠٤/١.

(٥) عبد الرحمن بن خالد بن مسافر بن خالد بن ثابت الفهمي، يكنى بأبي الوليد، من أثبات أهل مصر، وقدماء مشايخها، فهو شيخ الليث بن سعد، روى له البخاري والترمذي والنسائي، له نسخة عن الزهري نحو مائتي حديث، توفي سنة ١٢٧هـ. ابن حبان: الثقات، ٨٣/٧؛ الكندي: الولاة والقضاة، ٢٣/١؛ المزي: تهذيب الكمال، ٧٦/١٧؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٤٣٣/٢؛ ابن حجر: الإصابة ، ٢٢٨/٢.

(٦) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ١٠٨/١.

إفريقية واليًا عليها، وعين مكانه حفص بن الوليد (١٢٤هـ - ١٢٧هـ) للمرة الثانية الذي دامت ولايته ثلاث سنوات، ثم استعفى الخليفة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، فأعفاه، وولى مكانه حسّان بن عتاهية[١]، فلم تدم ولايته سوى ستة عشر يومًا [٢]، فتولى حفص بن الوليد للمرة الثالثة، ولكن هذه المرة بأمر من الجند (١٢٧هـ - ١٢٨هـ)، فأرسل الخليفة مروان بن محمد الحوثرة بن سهيل الباهلي[٣] ليستعيد مصر، فجاء الحوثرة إلى مصر، وقاتل حفصًا و قتله، و تولى ولاية مصر (١٢٨هـ - ١٣١هـ) واستقرت له الأمور في مصر مدة ثلاث سنوات حتى أمره الخليفة مروان بن محمد أن يذهب لقتال العباسيين الذين كانوا على أبواب الخلافة الأموية، فترك مصر [٤].

و تولى من بعده المغيرة بن عبيد الله[٥] (١٣١هـ - ١٣٢هـ)، فدامت ولايته عشرة أشهر، أحبته الرعية، و لكنه ما لبث أن مات، وتولى مكانه عبد الملك بن مروان بن موسي بن نصير (١٣٢هـ - ١٣٢هـ)، ويعتبر آخر ولاة بني أمية في مصر [٦].

---

(١) حسان بن عتاهية بن عبد الرحمن بن حسان بن عتاهية بن محرز التجيبي، كان فقيهًا، قد جالس عطاء وغيره، تولى إمارة مصر وهو بالشام، فاستخلف خير بن نعيم الحضرمي حتى قدمها، ولكن مالبث وأن قتله صالح بن علي بن عبدالله بن عباس سنة ١٣٣هـ. الكندي : الولاة والقضاة، ١/٢٥؛ ابن ماكولا: الإكمال، ١/٧٦؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٢/٤٣٦؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٢/٤٩١؛ المقريزي: المواعظ والأعتبار، ١/٣٨١.

(٢) لأنه خفض رواتب الجند ثأروا عليه. الكندي: الولاة والقضاة، ١/٣٥ .

(٣) الحوثرة بن سهيل بن العجلان بن سهيل بن كعب بن عامر الباهلي، تولى إمارة مصر، وقضى فيها على رؤوس الفتنة، وبالغ في إكرام الموالين للخليفة مروان بن محمد. الكندي : الولاة والقضاة، ١/٢٦؛ النجوم الزاهرة ، ١/٣٠٥.

(٤) وقيل: إنه أرسل إلى كبار أهل مصر، وضرب أعناقهم جزاءً على ثورتهم. الكندي : الولاة والقضاة، ١/٢٦.

(٥) المغيرة بن عبيد الله بن المغيرة بن عبد الله بن مسعدة الفزاري كان دينًا فاضلاً محببًا للرعية، حتى قيل عنه: " إنه إنه من أجل أمراء بني أمية "، لما دخل مصر أقام بها مدة يسيرة، وخرج إلى الإسكندرية، ثم عاد بعد مدة، ولم تطل مدته حتى توفي سنة ١٣٢هـ، واستخلف ابنه الوليد بن المغيرة، ولكن الخليفة مروان لم يقره. الكندي: الولاة والقضاة، ١/٢٧؛ المقريزي: المواعظ والإعتبار، ١/١١٩؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ١/١٢٣.

(٦) عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير، مولى لخم، كان حسن السيرة، وهو أول من أمر باتخاذ المنابر في الجوامع ليخطب من فوقها الخطباء، ثار عليه أهل مصر، فقاتلهم، وقتل منهم الكثيرين حتى أخضعهم، قدم إليه الخليفة مروان بن محمد فارًا من العباسيين، ولما قدم صالح بن علي بن عبد الله بن عباس فعفا عنه وأخذه مكرمًا. الكندي : الولاة والقضاة، ١/٣٠؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٧/ ١٦٧-١٧٠؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ١/٩٧٥.

المبحث الرابع: العراق والمشرق

أولًا : العراق

اتفق الجغرافيون أن العراق يمتد من عذيب القادسية إلى حلوان عرضًا، إلا أنهم اختلفوا في الطول، فبعضهم يذكر أنه يمتد من الموصل إلى عبادان، والبعض الآخر يذكر بأنه يمتد من تكريت إلى عبادان، أما حدوده في العصر الأموي فيبدو واضحًا لا خلاف عليه، وهو من تخوم الموصل، مارًا بساحل البحر من بلاد عبادان من شرق دجلة طولاً وعرضًا من منقطع الجبل من أرض حلوان إلى منتهى طرف القادسية، مما يلي العذيب من أرض العرب [1].

أما إداريًا، فانقسمت العراق إلى ولايتين، كل واحدة منها مستقلة عن الأخرى منذ تخطيط البصرة[2]، والكوفة[3] في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، وقد استمر الوضع على ذلك حتى العصر الأموي الذي جمعت فيه العِرَاقان (البصرة – الكوفة) لوالٍ واحد زمن الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ، وقد اعتبر خلفاء الدولة الأموية بلاد العراق مركزًا للقسم الشرقي؛ لذلك أشرف ولاتهم إداريًا على الكثير من البلدان الشرقيةسواءً القريبة أو البعيدة عنها، والتي ظلت تابعة لوالي العراق طيلة خلافة الأمويين[4].

---

(١) ابن رسته، أحمد بن عمر (ت٢٩٠هـ): االأعلاق النفيسة، ط١، ليدن، مطبعة بريل، ١٨٩١م، ص١٠٤؛ الإصطخري: المسالك والممالك، ص٧٨؛ الحموي: معجم البلدان، ٢٠٦/٣.

(٢) اختطت البصرة عندما نزل الصحابي عتبة بن غزوان ﷺ الخريبة (البصرة) كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ يعلمه نزولهم فيها، ولحاجة المسلمين إلى منازل يشتون بها، ويسكنونها إذا انصرفوا من غزوهم، فوافق الخليفة على أن تكون قريبة من الماء والرعي، فتولى عتبة بن غزوان اختطاطها، فبنى المسجد، والمنازل، ودار الإمارة بها، وكان ذلك في السنة الرابعة عشرة من الهجرة. خليفة بن خياط : تاريخه، ص١٢٨؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ٢٩٨/١؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٤٣٨/٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٣٧٢/٢.

(٣) اختط الصحابي سعد بن أبي وقاص ﷺ بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب ﷺليتخذها دارًا للهجرة، وقيروانًا للمسلمين، فأقطع للناس المنازل، وأنزل القبائل بها، وبنى مسجدها، ودار الإمارة، وكان ذلك في السنة السابعة عشرة من الهجرة. خليفة بن خياط : تاريخه، ص١٢٨-١٢٩؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٧٤-٢٧٥؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٤٣٨/٢؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ٥٥٠/٢.

(٤) عمل العراق من هيت إلى الصين والسند والهند والري وخراسان وطبرستان إلى الديلم والجبال وأصبهان، وكان يولى عليها والي العراق في العصر الأموي. ابن سعد: الطبقات، ٩٩/٩؛ خليفة بن خياط : تاريخه، ٢١٢/١؛ ابن قتيبة: المعارف، ٣٤٦/١؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ٢٠٧/٥؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٢٠٧/٣؛ ابن أعثم الكوفي:
=

أما المناطق التابعة إداريًا للعراق، فهي: البحرين، وعمان[1]، والجبال، أوقوهستان[2]، والأهواز، أوخوزستان[3]،وفارس[4]، وخراسان[5]، وبالإضافة إلى سجستان[6]، كرمان[1]،

الفتوح، ٣٠٨/٤؛ الحموي: معجم البلدان، ٤/ ٩٤-٩٥؛ ابن العميد، جرجيس بن أبي المكارم (ت٦٧٢هـ): تاريخ المسلمين، ط ليدن، ١٩٢٥م، ص ٢٦٧.

(١) استوفينا الحديث عن هذين البلدين عند الحديث عن الجزيرة العربية – المبحث الثاني – ص٤٦-٤٨، ص٥٥-٨.

(٢) قوهستان: هي المنطقة التي تمتد من سهول مابين النهرين غربًا إلى صحراء فارس الكبيرة شرقًا، ومن حدود قم وقزوين والري شمالاً إلى خوزستان، أو الأهواز جنوبًا، وكانت تعرف عند العرب بإقليم الجبال، ومن أهم مدنها همذان، والدينور، والصيمرة. اليعقوبي: البلدان، ص٢٦٩؛ الأصطخري: المسالك والممالك، ص١٩٥.

(٣) خوزستان: هي المنطقة المسماة بدجيل الأهواز، وتحدها شرقًا فارس، وغربًا رستاق واسط، وشمالاً منطقة الجبل، وجنوبًا عبادان، وهي اليوم مقاطعة في فارس تسمى عربستان، ومن أهم مدنها تستر، وسابور، والسوس، ورامهرمز. البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٧٠-٢٧٢؛ ابن خرداذابة ، أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله (ت٢٨٠هـ): المسالك والممالك، ط١، بيروت ، دار صادر ، ١٨٨٩م ، ص٤٢؛ ابن رسته: الأعلاق النفيسة، ص١٠٦؛ الإصطخري: المسالك والممالك ، ص٨٩.

(٤) فارس: تنقسم فارس إلى خمس مقاطعات كبرى، تدعى كل واحدة منها الكورة – المجد والعظمة – وهي أردشيرخرة، وسابور، وأرجان، ودار أبجرد، وإصطخر، واستمر هذا التقسيم حتى عهد المغول، أما حدودها فيحدها كرمان شرقًا، وخوزستان غربًا، أما من الشمال فيحدها المفازة التي بين خراسان وفارس، وبعض حدود أصبهان، ويحدها جنوبًا بحر فارس. البلاذري: فتوح البلدان ، ص٣٨١؛ ابن خرداذابة: المسالك والممالك، ص٤٧؛ الإصطخري: المسالك والممالك ، ص١٢٤-١٢٥؛ الحموي: معجم البلدان، ٣٨٠/٣.

(٥) خراسان: تعني الأرض الشرقية، وقد قسمها العرب إلى أرباع تبعًا لمدنها المشهورة: نيسابور، ومرو، وهراة، وبلخ، وقد اتخذت مرو، وبلخًا عاصمتين لخراسان، فكانت دار الإمارة بخراسان بمرو وبلخ حتى أيام الدولة الطاهرية، وفتحت خراسان في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ، أما في العصر الأموي، فيعتبر ولاة خراسان هم من يتولون الفتوحات في بلاد ماوراء النهر وطخارستان. البلاذري: فتوح البلدان ، ص٣٩٤؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ١٧٣/٥؛ البلخي، أبو زيد أحمد بن سهل (ت٣٢٢هـ): البدء والتاريخ، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م، ٤/٦؛ الحموي: معجم البلدان، ٣٣٢/٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ١١٤/٤-١٢٥.

(٦) سجستان: هي المنطقة التي يحيط بها شرقًا المفازة التي بين مكران، وأرض السند وشيء من عمل الملتان، وغربًا خراسان، وأرض الهند شمالاً، أما من الجنوب فيحدها المفازة التي بين سجستان، وفارس، وكرمان، وتعتبر سجستان ثغرًا تنطلق منه جيوش المسلمين نحو الهند، وبلاد الترك، ومن أهم مدنها بست، وزرنج، وكان ولاتها يعينون أحيانًا من قبل الخليفة، وأحيانًا من قبل ولاة العراق. البلخي: البدء والتاريخ، ٣٤/٦؛ ابن خرداذابة: المسالك والممالك، ص٥٦؛ الإصطخري: المسالك والممالك ، ص٢٣٨؛ الحموي: معجم البلدان ، ١٩١/٣؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٧٢/٤.

مكران[2]، أرض الديلم[3].

ويُلاحظ أن العراق أصبح في العصر الأموي يسيطر ولاته على كل المناطق الشرقية والشمالية الشرقية باستثناء أرمينية، وأذربيجان، فاتخذ ولاة بني أمية مراكز جديدة لهم بما يتفق مع مصالح الخلافة آنذاك.

وقبل الحديث عن الولاة في كل من البصرة والكوفة سأستعرض من جُمعت له البصرة والكوفة، ثم نفرد كل ولاية على حدة، حيث يعتبر الوالي زياد ابن أبيه (٥٠هـ - ٥٣هـ) أول من جُمع له هاذان المصران [4]، وتبعه في ذلك ابنه عبيد الله (٦١هـ - ٦٤هـ)، ثم بشر بن مروان (٧٢هـ - ٧٣هـ)، ثم الحجاج بن يوسف الثقفي (٧٤هـ - ٩٥هـ)، ثم يزيد بن أبي كبشة[5]، وذلك عام ٩٦هـ، ولكنه لم يستمر في الولاية، حيث تولى بعده يزيد بن أبي مسلم (٩٦هـ - ٩٧هـ)، ثم يزيد بن المهلب سنة ٩٧هـ[6]، ثم مسلمة بن عبد الملك (١٠٠هـ -

---

(١) كرمان: هي ولاية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى، ومدن واسعة بين فارس، ومكران، وسجستان، وخراسان، فشرقيهامكران، والمفازة مابين مكران والبحر، وغربيها أرض فارس، وشماليها مفازة خراسان، وجنوبيها بحر فارس، إدارياً تجمع مع فارس أحياناً لعامل واحد. البلاذري: فتوح البلدان، ص٣٨٤؛ الإصطخري: المسالك والممالك، ص١٥٨؛ الحموي: معجم البلدان، ١٩١/٣، ٤٥٥/٤.

(٢) مكران: وهي من أرض السند، وكان الخليفة عثمان ﷺ عزف عن غزوها بعد ما وصفها له حكيم بن جبلة العبدي الذي أرسله ليتعرف على أوضاع البلاد " بأن ماءها وشل، وتمرها دقل، ولصها بطل، إن قل الجيش فيها ضاعوا، وإن كثروا جاعوا. البلاذري: فتوح البلدان ، ص٤٢١؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ١٨١/٤؛ الأصطخري: المسالك والممالك ، ص١٧٠؛ الحموي: معجم البلدان ، ١٨٠/٥.

(٣) أرض الديلم: قزوين، وجرجان، وطبرستان كلها تعتبر من أرض الديلم. الإصطخري: المسالك والممالك ، ص٢٠٤-٢٠٦.

(٤) ابن قتيبة: المعارف، ص٣٤٩؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ٢/ ٢٢٩؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٣/ ١٩٨-٢٠٧.

(٥) يزيد بن أبي كبشة واسم أبي كبشة حيويل بن يسار بن حيي السكسكي البتلهي، نسبة إلى بيت لهيا، وهو من كبار الأمراء، صاحب شرطة الخليفة عبد الملك بن مروان، ولي الغزاة كما ولي الخراج في زمن الخليفة سليمان بن عبد الملك. خليفة بن خياط : تاريخه، ٢٣٢/١؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٨٦/١٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤٤٤/٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ١٣٦/٩.

(٦) أبو خالد يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي تولى إمرة العراقين بعد وفاة والده، قُتل على يد الهذيل بن زفر ابن الحارث الكلبي في سنة ١٠٢هـ. ابن قتيبة: المعارف، ص٥٧١؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٢٧٨/٦.

١٠٣هـ)، ثم عمر بن هبيرة الفزاري (١٠٣هـ - ١٠٥هـ)، ثم خالد بن عبد الله القسري (١٠٥هـ - ١٢٠هـ)، ثم يوسف بن عمر الثقفي (١٢٠هـ - ١٢٦هـ)، ثم منصور بن جمهور سنة ١٢٦هـ[١]، ثم عبد الله بن عمر بن عبد العزيز سنة ١٢٦هـ [٢]، ثم يزيد بن عمر بن هبيرة في سنة ١٣٠هـ [٣]، كما ظهر من بين هؤلاء ولاة ذُوو شخصيات إدارية قوية، حكمت فترات تصل إلى عشرين سنة، أو ما قارب ذلك، وكان لهم دوْرٌ إداريٌ واقتصادي كبير [٤].

أما ولاة **البصرة**، فنجد أن الوالي بسر بن أرطاة[٥] ٤١هـ أول من تولى ولاية البصرة في العصر الأموي، ولكن لم يمكث سوى ستة أشهر [٦]، ثم طلب عبد الله بن عامر من الخليفة معاوية ﷺ أن يوليه البصرة ففعل (٤٢هـ - ٤٤هـ)، وبعد ذلك تولى سمرة بن جندب الفزاري[٧] الفزاري[٧] عام ٥٤هـ [١]، فعزله الخليفة معاوية ﷺ، وولى عبد الله بن عمرو بن غيلان[٢]

---

(١) منصور بن جمهور والي العراق من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك، ويقال: إنه افتعل عهدًا على لسان الخليفة يزيد بإمرة العراق، فحكم بها أربعين يومًا. خليفة بن خياط : تاريخه، ٢٩٤/١؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٢٥٦/٤؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ١١١/٧؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ١٣٦/٣.

(٢) عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي، أمير العراق بعد منصور بن جمهور، قُتل في عام ١٣٠هـ. ابن قتيبة: المعارف، ص٥٧١؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان، ٤٦٠/٣-٤٦١، ١١١/٧.

(٣) أبو خالد يزيد بن أبي المثنى جمع له ولاية العراقين في خلافة مروان بن محمد، قتُل على يد خازم بن خزيمة في عام ١٣٢هـ. ابن قتيبة: المعارف، ص٥٧١؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان، ٣١٣/٦-٣١٩.

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف، ٣٧٤/١٣.

(٥) بسر بن أرطاة، واسم أبي أرطاة عمير بن عويمر بن عمران القرشي العامري، يكنى بأبي عبد الرحمن، صحابي نزل دمشق، ولي اليمن والحجاز للخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ كان فارسًا شجاعًا، شهد فتح مصر، توفي حدود سنة ٧٠هـ. ابن سعد: الطبقات، ٤٠٩/٧؛ الزبيري: نسب قريش، ص٤٣٩؛ البخاري: التاريخ الكبير، ١٢٣/٢؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ١٦٧/٥؛ المسعودي: مروج الذهب، ٢١١/٣؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٤٨/٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤١٠/٣-٤١١؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ١٢٩/١٠.

(٦) أرسله الخليفة معاوية ﷺ لاستعادتها من حمران بن أبان. الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ١٦٧/٥؛ المسعودي: المسعودي: مروج الذهب، ٢١١/٣؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق، ١٤٨/٣.

(٧) سمرة بن جندب بن هلال بن حديج بن مرة الفزاري، يكنى بأبي سعيد، من علماء الصحابة ﷺ، نزل البصرة، البصرة، كان زياد بن أبيه يستخلفه على البصرة إذا سار إلى الكوفة، ويستخلفه على الكوفة إذا سار إلى البصرة، وكان شديدا على الخوارج حيث قتل منهم جماعة، توفي سنة ٥٨هـ وقيل: ٥٩هـ. ابن سعد : الطبقات، ٣٤/٦؛ ابن حبيب: المحبر، ص٢٩٥؛ البخاري: التاريخ الكبير ، ١٧٦/٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ١٨٥/٣-١٨٦؛ الصفدي: الوافي

=

(٤٥هـ – ٥٥هـ)، واستمرت بعد ذلك فترة طويلة تجمع مع الكوفة لوالٍ واحد [(٣)].

وفي عام ٧١هـ ولى الخليفة عبد الملك أبان بن عثمان على البصرة لفترة قصيرة بعد أن أخذها من ابن الزبير ﷺ، ثم ولى خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد (٧١هـ – ٧٢هـ)، وفي عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز تولى عدي بن أرطاة الفزاري (٩٩هـ – ١٠١هـ) [(٤)].

أما في **الكوفة** ففي بداية العصر الأموي ولى الخليفة معاوية ﷺ المغيرة بن شعبة (٤١هـ – ٤٩هـ)، وبعد ذلك ولى عبد الله بن خالد بن أسيد (٥٤هـ – ٥٥هـ) على الكوفة بعد ولاية زياد بن أبيه، ثم تولى الضحاك بن قيس (٥٦هـ – ٥٨هـ)، وقد عزله الخليفة معاوية، وولاه دمشق[(٥)].

وفي عام ٥٩هـ ولى الخليفة معاوية ﷺ عبد الرحمن بن أم الحكم[(٦)]، ثم عزله وولاه مصر، ثم عزله وولاه الجزيرة، وتولى بعده النعمان بن بشير الأنصاري عام ٦٠هـ، ومكث الوالي عبدالحميد

بالوفيات، ١٥/٤٥٤؛ ابن حجر: الإصابة ، ٢/٧٨.

(١) ولاه زياد بن أبيه على البصرة لفترة في أيام ولايته على المشرق، وظل كذلك حتى وفاة زياد بن أبيه، ثم وليها بعده ستة أشهر. البلاذري: فتوح البلدان، ١/١١٩؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ٣/٢١٠.

(٢) عبد الله بن عمرو بن غيلان بن سلمة الثقفي، من كبار رجال الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ، حدث عن ابن مسعود ﷺ، وكعب الأحبار ﷺ، كما روى له مسلم والأربعة، نزل دمشق، فولاه معاوية البصرة، توفي حدود سنة ٩٠هـ. خليفة بن خياط : تاريخه، ١/١٦٩؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٢/٢٠٢؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٨/٧٣.

(٣) خليفة بن خياط : تاريخه، ص٢١٢؛ ابن قتيبة: المعارف، ص٣١٨؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٦/١٤٩؛ البلخي: البدء والتاريخ، ٦/٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/٣٠٤.

(٤) عاد يزيد بن المهلب بن أبي صفرة (١٠١هـ – ١٠٢هـ) في عهد يزيد بن عبد الملك إلى البصرة، وسجن واليها عدي بن أرطاة الفزاري، وخاض حرباً مع الخليفة يزيد، ولكنه هزم، وقُتل. ابن سعد: الطبقات، ٥/٣٨٣؛ وكيع: أخبار القضاة، ١/٨٢؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر، ١/٢٢.

(٥) ابن سعد : الطبقات، ٢/٢٥٦؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٤/٢٢٢؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٤/٢٨٩.

(٦) عبد الرحمن بن أم الحكم، وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفي، وينسب إلى أمه أم الحكم بنت أبي سفيان، يكنى بأبي سليمان، يقال: إنه ولد في عهد النبي ﷺ، وصف بالحماقة، أو بأحمق ثقيف، وشارك في غزو الروم غير مرة. ابن حبيب: المحبر،؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق، ٣٥/٤٩؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ١/٥٢١.

ابن عبد الرحمن بن زيد الخطاب[1] عامين على ولاية الكوفة (٩٧هـ – ٩٩هـ)، حيث اشتهر بالعدل والثقة [2].

ومن الملاحظ أن تلك السياسة اللامركزية التي اتبعها الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﵁ في مِصْرَيْ العراق (البصرة – الكوفة) إلى العديد من النتائج الإيجابية، من أهمها التخفيف من حِدَّة الإقليمية التي تأصلت في نفوس أهالي المِصْر الواحد، والتي تجاوزت العصبيَّة القبليَّة في بعض الأحيان، إلى جانب أن توحيد المصرين تحت إِمرة أمير واحد يجعلهما خاضعين لسياسة واحدة، وإدارة رجل واحد، فلا تضطرب الأمور باختلاف النزعات، كما لو كان كلُّ مِصْرٍ مستقلاً عن الآخر [3]، مما جعل الكثير من خلفاء بني أميه يسيرون على هذا النهج الذي سلكه الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﵁.

وقد كان هؤلاء الولاة في بادئ الأمر يقيمون في أحد المصرين ويعينون نائباً عنهم في المصر الأخر، يُخَوِّلُونه أغلب الصلاحيات الإدارية، كما فعل زياد بن أبيه، فقد كان يقيم في البصرة ستة أشهر، وفي الكوفة مثلها، فإذا خرج إلى البصرة، استخلف عمرو بن حريث على الكوفة [4]، وإذا قدم إلى الكوفة استخلف سمرة بن جندب الفزاري على البصرة [5]، إلى أن

---

(١) عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب القرشي العدوي المدني الأعرج، من سادات أهل المدينة وعلمائها، وهو ثقة في الحديث، توفي بحران حدود سنة ١٢٠هـ. ابن سعد: الطبقات، ٣٤١/٥؛ البلاذري: فتوح البلدان، ٣٤٤/٢؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٣١٠/٥؛ المزي: تهذيب الكمال، ٤٤٩/١٦؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ٤٨/٦؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ١٨٥/٩.

(٢) ابن سعد : الطبقات، ٣٤١/٥؛ البلاذري: فتوح البلدان ، ٣٤٤/٢؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٣١٠/٥؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ١٨٥/٩.

(٣) الراوي: العراق في العصر الأموي من الناحية السياسية والإدارية والاجتماعية، ط١، بغداد، مكتبة النهضة، ١٩٦٥م، ص٤٩.

(٤) البلاذري: أنساب الأشراف، ٢١٩/٥؛ الدينوري: الأخبار الطوال، ص٢٢٣؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٢١٩/٣؛ ابن أعثم الكوفي: الفتوح، ٣٠٨/٤؛ أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن شاهنشاه بن أيوب (ت٧٣٢هـ): تاريخ أبي الفداء المسمى المختصر في تاريخ البشر، تحقيق: محمود دياب، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ، ٢٥٨/١.

(٥) ابن سعد : الطبقات، ٤٨/٩؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ٢١٩/٥؛ الدينوري: الأخبار الطوال، ص٢٢٥؛ ص٢٢٥؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٢٠٧/٣؛ ابن أعثم الكوفي: الفتوح، ٣٠٨/٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، =

بنيت مدينة واسط[1] في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي، واتخذها مقًرا له، في حين البعض الآخر وجد أن التنظيم الإداري في عهده يتطلب منه أن يتخذ مدينة الحيرة [2] مقًرا له، كمسلمة بن عبد الملك[3].

ثانياً: المشرق

مّر بنا تبعية المشرق للعراق إدارياً، حيث نجد أن ولاة بني أمية يختارون العمال على البلدان التي تتبع إداراتهم، فقد استعمل زياد بن أبيه الحكم بن عمرو الغفاري على خراسان [4]، ثم استعمل الحجاج عليها، بعده قتيبة بن مسلم الباهلي وبدوره قتيبة استعمل عبد ربه بن عبد الله الليثي[5]؛ ثم النعمان بن عوف اليشكري على سجستان، واستعمل يزيد بن المهلب العمال على البلاد التي تبعت إدارته [6].

ونستنتج من ذلك أن خراسان وسجستان غالباً ماكانتا جزءاً من ولاية البصرة، فيما كانت في بعض الأحيان ولايات مستقلة، وفي هذه الحالات سنوضح الولاة الذين كانوا قائمين عليهما، ففي **خراسان** استعمل عبد الله بن عامر والي البصرة سنة ٤٢هـ قيس بن الهيثم

.١٨٦/٣

(١) واسط: يقصد بها واسط الحجاج بن يوسف الثقفي التي شرع في عمارتها في السنة الرابعة والثمانين للهجرة، وفرغ من بنائها بعد عامين في السنة السادسة والثمانين للهجرة، وقد كان للعرب عدة أواسط، منها واسط نجد، وواسط الحجاز، وواسط الجزيرة، وواسط اليمامة، وواسط العراق وغيرها. الحموي: معجم البلدان، ٣٤٧/٥-٣٤٨.

(٢) الحيرة:مدينه تبعد ثلاثة أميال عن الكوفة، وتقع على موضع يقال له النجف، وكانت مسكناً لملوك العرب في الجاهلية. الحموي: معجم البلدان، ٣٢٨/٢.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ٣٧٣/١٣.

(٤) ابن سعد: الطبقات، ٢٩/٧؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٢٥٢/٧؛ البلخي: البدء والتاريخ، ٣٢٩/١؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ٦٧/٣.

(٥) عبد ربه بن عبد الله بن عمير بن عمرو بن مالك الكناني الليثي، أخو عبد الله بن عامر بن كريز لأمه، قتله النعمان بن عوف اليشكري بعدما دخل خراسان. البلاذري: فتوح البلدان، ٤٩٣/٢؛ اليعقوبي: البلدان، ٢٢/١؛ الحموي: معجم البلدان، ٢٥١/٤.

(٦) خليفة بن خياط : تاريخه، ص٣١٠، ٣٢٢؛ البلاذري: فتوح البلدان ، ٤٠٠/٢؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٥٨٩/٧؛ أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ١٥٠/٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢٩٥/٣.

السلمي[١] لفترة قصيرة، حيث حل مكانه عبد الله بن خازم السلمي[٢] (٤٣هـ - ٤٤هـ)، ولكن والي البصرة زياد بن أبيه أرسل طفيل بن عمرو اليشكري ٤٤هـ، لكنه لم يمكث طويلاً، حيث أرسل زياد بن أبيه الحكم بن عمرو الغفاري (٤٤هـ - ٥٠هـ)فظل والياً على خراسان حتى وفاته [٣].

وقد أناب زياد بن أبيه الربيع بن زياد الحارثي[٤] (٥٠هـ - ٥٢هـ)، فتوفي وقد استخلف ابنه عبدالله بن الربيع (٥٢هـ - ٥٣هـ)، وقد أقره زياد بن أبيه على ولاية خراسان، غير أنه سرعان ما توفي بعد شهر من ولايته، وخلفه لفترة قصيرة خليد بن عبد الله الحنفي، حتى أرسل عبيدالله بن زياد أسلم بن زرعة (٥٥هـ - ٥٦هـ)، ولكن الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ عين سعيد بن عثمان بن عفان ﷺوالياً على خراسان (٥٦هـ - ٥٧هـ)، وغزا خلال ولايته سمرقند[٥] وماجاورها [٦].

---

(١) قيس بن الهيثم بن قيس بن الصلت بن حبيب السلمي، من الخطباء الشجعان، ويعتبر من أعيان البصرة، كان من أنصار بني أمية فيها، ثم قام بدعوة عبد الله بن الزبير ﷺوصحب أخاه مصعباً في ثورته، إلى أن قتل، فتوجه إلى الخليفة عبد الملك بن مروان، فعفا عنه، وأكرمه، توفي بالبصرة حدود سنة ٨٥هـ. خليفة بن خياط : تاريخه، ٣٦/١؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ٢٥٠/٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٥٣/٤-٥٩؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٦٢٩/١.

(٢) عبد الله بن خازم بن أسماء بن الصلت السلمي البصري، يكنى بأبي صالح، وهو أحد الفرسان الشجعان، يتعمم بعمامة خز سوداء، يلبسها في الجمع والأعياد والحرب، ويقول: " كسانيها رسول الله ﷺ "، توفي سنة ٧٣هـ. خليفة بن خياط : تاريخه، ١٢٣/١؛ اليعقوبي: البلدان، ٢٦/١؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ١٢٨/٢.

(٣) ابن سعد: الطبقات، ٢٩/٧؛ خليفة بن خياط : تاريخه، ١٣٤/١؛ اليعقوبي: البلدان، ٢٧/١؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٢٥٢/٧؛ البلخي: البدء والتاريخ، ٣٢٩/١؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٤٨٩/١١، ١١/٢٨؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٤٩٧/١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٤٤/٤؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ٦٧/٣.

(٤) الربيع بن زياد بن أنس الحارثي، من بني الديان، أمير فاتح، أدرك عصر النبوة، وولي البحرين، وقدم المدينة في أيام الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، وولاه عبد الله بن عامر سجستان سنة ٢٩هـ ففتحت على يديه، وكان شجاعاً تقياً، قال الخليفة عمر ﷺ لأصحابه يوماً:دلوني على رجل إذا كان في القوم أميراً فكأنه ليس بأمير، وإذا لم يكن بأمير فكأنه أمير ، فقالوا: ما نعرفه إلا الربيع بن زياد، فقال: صدقتم". توفي في إمارته سنة ٥٢هـ. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ٣٩١/٢؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ١٩٥/٣؛ ابن حجر: الإصابة ، ٥٠٤/١.

(٥) من مدن ماوراء النهر المشهورة ، تقع على جنوب نهر الصغد ، بناها الأسكندر ، وقيل: ذو القرنين ، وقيل : : غير ذلك . الحموي: معجم البلدان ، ٢٤٦/٣-٢٤٨ ؛ الحميري : الروض المعطار ، ص٣٢٢ .

(٦) ابن حبيب: المحبر، ٢٦٢/١؛ البلاذري: فتوح البلدان، ٥٠٧/٣؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٢٢٨/٤؛

=

ثم عين الخليفة معاوية ﷺ عبد الرحمن بن زياد[1] (٥٨هـ – ٦٠هـ)بحيث ظل واليًا حتى عزله الخليفة يزيد بن معاوية، وولى مسلم بن زياد (٦٠هـ – ٦٤هـ) الذي مكث طوال عهد الخليفة يزيد واليًا على خراسان، وبعد وفاة الخليفة يزيد بايع أهل خراسان سلم بن زياد[2]، لكن الفتنة اندلعت فتركهم، وولى مكانه المهلب بن أبي صفرة [3].

ولما آلت الخلافة لعبد الملك ولى بكير بن وشاح[4] (٧٢هـ – ٧٦هـ)، ثم أرسل الخليفة عبد الملك أمية بن عبيدالله، ولكن بكير ثأر عليه وقتله، فأرسل ابنه عبد الملك بن أمية (٧٦هـ – ٧٨هـ)؛ حيث تمكن من قتل بكير بن وشاح،وظل واليًا حتى كتب والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي إلى الخليفة عبد الملك يخبره بأن أمر خراسان قد اضطرب، فرد إليه الأمر، فولى المهلب بن أبي صفرة (٧٨هـ – ٨٢هـ)،ومكث واليًا حتى توفي، وعهد لابنه يزيد بن المهلب (٨٢هـ – ٨٥هـ)،ثم عزله الحجاج، وولى أخوه الفضل (٨٥هـ – ٨٦هـ)، ثم عزله[5].

البلخي: البدء والتاريخ، ٣٢٩/١؛ ابن حبان: الثقات، ٢٨٩/٤؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ١٤٣/٢.

(١) عبد الرحمن بن زياد بن أبيه أخو عبيد الله بن زياد بن أبيه، قدم عبد الرحمن بن زياد وافدًا على الخليفة معاوية ﷺ فقال: يا أمير المؤمنين أما لنا حق؟ قال: بلى! فماذا قال توليني؟ قال: بالكوفة النعمان بن بشير من أصحاب رسول الله ﷺ، وبالبصرة، وخراسان عبيد الله أخوك، وبسجستان عباد أخوك، ولا أرى ما يشبهك إلا أن أشركك في عمل عبيدالله، فإن عمله واسع يحتمل الشركة "، فولاه خراسان. البلاذري: فتوح البلدان، ٥١٠/٣؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٢٣٣/٤.

(٢) سلم بن زياد بن أبيه، وفي زمن ولايته حصلت فتنة عبد الله بن خازم، كما غزا سمرقند، وخوارزم، فصالحوه على مال كثير، فبعثها إلى الخليفة يزيد بن معاوية. خليفة بن خياط : تاريخه، ٥٩/١؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٣٣٠/٣؛ ابن المطهر: البدء والتاريخ، ٣٣٢/١.

(٣) خليفة بن خياط : تاريخه، ٦٤/١؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ٢١٠/١؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٣٦١/٤؛ البلخي: البدء والتاريخ، ٣٣٢/١؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٤٣/٢٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ١٨٤/٢؛ ابن كثير: البدية والنهاية، ٢٦١/٨.

(٤) بكير بن وشاح التميمي، أحد بني عوف بن سعد من شعراء خراسان، كتب إليه الخليفة عبد الملك: " إن قتلت ابن خازم، أو أخرجته من خراسان، فأنت الأمير". ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ٦٧٠/١؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ٤١٩/٣.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان، ٥١٢/٣؛ اليعقوبي: البلدان، ٢٨/١؛ وكيع: أخبار القضاة، ٤/١؛ الطبري: تاريخ =

ثم ولي خراسان أشهر القادة العسكريين في العصر الأموي، وخاصة في بلاد المشرق قتيبة بن مسلم الباهلي (٨٦هـ - ٩٦هـ)فبقي واليـًا حتى عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك، فتولى وكيع بن أبي أسود[1] مدة تسعة شهور، ثم عاد يزيد بن أبي المهلب للولاية للمرة الثانية (٩٧هـ - ٩٩هـ)، وفي عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، ولى الجراح بن عبد الله الحكمي[2] (٩٩هـ - ١٠٠هـ)، ومكث مدة سنة وخمسة أشهر، ثم عزله، وأمر بتعيين عبد الرحمن بن نعيم الغامدي[3] (١٠٠هـ - ١٠١هـ) مكانهوظل واليـًا حتى توفي الخليفة عمر بن عبد العزيز [4].

ولما تولى يزيد بن المهلب بن أبي صفرة البصرة في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك أرسل أخاه مدرك[5] (١٠١هـ - ١٠٣هـ)نائبـًا عنه في خراسان، ولما تولى أمر البصرة عمر بن هبيرة ولى سعيد بن عمرو الحرشي (١٠٣هـ - ١٠٤هـ)، غير أنه سرعان ماعزله [6]، وولى مكانه مسلم بن سعيد الكلابي[7]، وفي تلك الفترة تولى البصرة خالد بن عبد الله القسري؛ حيث عزل

الأمم والملوك، ٢٣/٥؛ البلخي: البدء والتاريخ، ٣٣٦/١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢٠٤/٢؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ١٣٢/٢؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٣٨٢/٨؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ٤٠/٣.

(١) وهو وكيع بن حسان بن أبي سود بن قيس بن كلب بن عوف الغراني التميمي، سيد بني تميم، ورأسهم في خراسان، قيل: إنه قتل قتيبة بن مسلم الباهلي. ابن الأثير: أسد الغابة، ١٩٣/١؛ ابن حجر: الإصابة ، ١٩٤/٧.

(٢) الجراح بن عبد الله بن جعادرة بن أفلح بن الحارث الحكمي، يكنى بأبي عقبة، من أهل اليمن، سكن الشام، لقب بفارس أهل الشام، ولي البصرة وخراسان. خليفة بن خياط : تاريخه، ١٠٠/١؛ البلاذري: فتوح البلدان ، ٥٢٤/٣؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ١٦٧/١.

(٣) عبد الرحمن بن نعيم الغامدي، وقيل: العامري، وقيل: القشيري، منع مدرك بن المهلب من دخول خراسان. خليفة بن خياط : تاريخه، ٩٠/١؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٧٧/٤؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ٢١٣/٩.

(٤) ابن سعد: الطبقات، ٣٤١/٥؛ خليفة بن خياط : تاريخه، ٢٦٤/١؛ البلاذري: فتوح البلدان ، ٥٢٤/٣؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ٢٣٤/١؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٤٢٥/٦، ٤٣١-٤٣١؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٤٥٧/١١؛ ابن الأثير : أسد الغابة، ١٢٥/٤.

(٥) مدرك بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، وهو أحد القادة الشجعان، قال عنه كعب بن معدان: " لا يستحيي الشجاع أن يفر من مدرك "، وله أخبار في حروب أبيه مع الأزارقة، توفي سنة ١٠٣هـ. البلاذري: فتوح البلدان ، ٤٩٣/٢؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٧٩/٤.

(٦) وسبب عزله لأسباب منها عدم تلقيب والي البصرة عمر بن هبيرة بالأمير عند مراسلته، وقلة احترام أوامره. الطبري: تاريخ الإمم والملوك، ٣٦٩/٥.

(٧) مسلم بن سعيد بن أسلم بن زرعة الكلابي، ولي إمارة خراسان، فغزا الترك في ولايته، كما غزا فرغانة – مدينة

=

مسلم الكلابي، وولى أخاه أسدًا (١٠٤هـ - ١٠٩هـ) على خراسان [١].

ولابد من الإشارة إلى أن الخليفة هشام بن عبد الملك بعد أن تولى الحكم، فصل ولاية خراسان عن العراق، وأرسل أشرس بن عبد الله السلمي[٢] (١٠٩هـ - ١١١هـ) لولاية خراسان، ثم عزله وولى الجنيد بن عبد الرحمن المري[٣] (١١١هـ - ١١٦هـ)وظل واليًا حتى توفي، وجاء بعده عاصم بن عبد الله (١١٦هـ - ١١٧هـ)، وقد أعاد الخليفة هشام بن عبدالملك ضم خراسان للعراق إدارياً، لذا نجد أن والي العراق خالد القسري يولي أخاه أسدًا للمرة الثانية (١١٧هـ - ١٢٠هـ) [٤].

ولما تولى أمر العراق يوسف بن عمر الثقفي، عين على خراسان جديع بن علي الكرماني[٥]، وفي أواخر أيام الخليفة هشام عزله، وولى مكانه نصر بن سيار[١] (١٢٠هـ -

---

وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان -، فلما قدم أسد بن عبد الله القسري أكرمه، وحمله إلى أخيه خالد بن عبد الله القسري في البصرة. خليفة بن خياط : تاريخه، ٢٦٠/١؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ١٢٠/٤؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٢٩١/٢.

(١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ٢٣٦/١؛ البلخي: البدء والتاريخ، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٣٩٢/٢؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ١٠٧/٣.

(٢) أشرس بن عبد الله السلمي، أمير من الفضلاء، كانوا يسمونه بالكامل لفضله، ولاه الخليفة هشام بن عبدالملك إمارة خراسان سنة ١٠٩ هـ، فقدمها وسر به الناس، واستمر إلى سنة ١١٢ هـ، غزا الترك، وبعث إلى ملوك طخارستان فقدموا إليه، ولم يغزهم. خليفة بن خياط : تاريخه، ٢٦٧/١؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ١٣٧/٤؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٨٥٥/١؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ١١٠/٣.

(٣) الجنيد بن عبد الرحمن بن عمرو بن الحارث بن خارجة بن سنان المري، كان من الأجواد، ولكنه لم يحمد في الحروب، ولاه الخليفة هشام خراسان بسبب أنه أهدى لام حكيم بنت يحيى بن الحكم امرأة هشام قلادة فيها جوهر، فأعجبت هشامًا، فأهدى لهشام قلادة أخرى، فاستعمله على خراسان، توفي سنة ١١٥هـ وقيل: ١١٦هـ. الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٤٠٨/٥؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٢٢/١١؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ٥٦/٤؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٦١/٢.

(٤) خليفة بن خياط : تاريخه، ٢٨٤/١؛ البلاذري: فتوح البلدان، ٥٢٦/٣؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٤٢٧/٥، ٤٠٨/٥؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق، ٢٥٥/٢٥؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٨٥٧/١؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٣٣١/٩.

(٥) جديع بن علي الأزدي الكرماني، ولد بكرمان، وإليها نسبته، شيخ خراسان وفارسها في عصره، وأحد الدهاة الرؤساء، أقام في خراسان إلى أن وليها نصر بن سيار، فخاف شر الكرماني فسجنه، فغضبت الأزد، فأقسم لهم نصر أنه

=

١٣١هـ) الذي أقره الخلفاء من بعد هشام بحيث ظل واليًا حتى نهاية الدولة الأموية [٢].

أما في **سجستان** فيعتبر الصحابي عبد الرحمن بن سمرة أول من تولى إدارة سجستان في العصر الأموي (٤٢هـ - ٤٤هـ) واستمرت بعدها تابعة لخراسان حتى ولى الخليفة معاوية ﷺ عبيد الله ابن أبي بكرة[٣] (٥٠هـ - ٥٢هـ) ثم عزله وولى عبَّاد بن زياد بن أبي سفيان[٤] (٥٣هـ - ٦٠هـ) حيث مكث في ولايته سبع سنوات، فيعتبر من الولاة القلائل الذين استقلوا بحكم سجستان دون غيرها فترة طويلة [٥].

أما ما تبقى من الولاة فلم يكن لهم إدارة سجستان لوحدها بل كانوا على إمارة خراسان وبذلك تكون سجستان تابعة لها، ولم يكن هناك ولاة عُينوا مباشرة من الخليفة لإمارة سجستان

لا ينالِه منه سوء، وفر جديع من السجن، فاجتمع معه ثلاثة آلاف، فصالحه نصر، فأقام زمنًا يؤلف الجموع سرًا، ثم خرج من جرجان، وتغلب على مرو، فصفت له، وظهر أبو مسلم الخراساني، فاتفق معه على قتال نصر، فكتب نصر إلى جديع يدعوه إلى الصلح، فرضي به، وخرج ليكتبا بينهما كتابًا، ومعه مئة فارس، فوجه إليه نصر ثلاث مئة فارس قتلوه في الرحبة، وذلك سنة ١٢٩هـ. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٩١/٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ١٣٦/٥.

(١) نصر بن سيار بن رافع بن حري بن ربيعة الكناني، وأمه زينب بنت حسان من بني تغلب، يكنى بأبي الليث المروزي، وهو أحد الأمراء البارزين ومن الدهاة الشجعان، فكان شيخ مضر بخراسان، ولي بلخ، ثم ولي إمرة خراسان سنة ١٢٠ هـ بعد وفاة أسد بن عبد الله القسري، وغزا ما وراء النهر، ففتح حصونًا، وغنم مغانم كثيرة، وأقام بمرو، ولما قويت الدعوة العباسية في أيامه كتب إلى بني مروان بالشام يحذرهم، وينذرهم، فلم يأبهوا للخطر، فصبر يدبر الأمور إلى أن أعيته الحيلة، وتغلب أبو مسلم على خراسان، توفي مريضًا سنة ١٣١هـ. خليفة بن خياط : تاريخه، ص٣٨٣؛ ابن حبيب: المحبر، ص٢٥٥؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ١٤٨/٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤٦٣/٥.

(٢) ابن حبيب: المحبر، ٢٥٥/١؛ اليعقوبي: البلدان، ٢٩/١؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ١٧٠/٤؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣١٥/٨.

(٣) عبيد الله بن أبي بكرة الثقفي، ولد سنة ١٤هـ فهو تابعي تولي إمارة البصرة مدة يسيرة، كما تولى قضاء البصرة سنة ٧٣هـ، كما أعادة الحجاج بن يوسف لولاية سجستان سنة ٧٨هـ، واستمر إلى أن مات بها واليًا سنة ٧٩هـ. خليفة ابن خياط : تاريخه، ص٢١٠، ٢١٩؛ ابن سعد: الطبقات، ١٩٠/٧؛ وكيع: أخبار القضاة، ٣٠٢/١؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٣٢٠/٦؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق، ٣٧٤/١٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ١٣٨/٤.

(٤) عباد بن زياد بن أبيه، أخو عبيد الله بن زياد، يكنى بأبي حرب، كانت إقامته في البصرة، لما ولي سجستان غزا بلاد الهند، وشهد وقعة مرج راهط مع مروان بن الحكم، توفي حدود سنة ١٠٠هـ. الصفدي: الوافي بالوفيات، ٦١٢/١٦؛ المزي: تهذيب الكمال، ٤٠٢/٩؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٦٤/٣.

(٥) ابن سعد: الطبقات، ٣٦٧/٧؛ خليفة بن خياط : تاريخه، ١٦٥/١، ١٥٨؛ البلاذري: فتوح البلدان، ٤٨٩/٢؛ اليعقوبي: البلدان، ٢٠/١-٢٣؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٤٧٨/٣.

سوى ما ذكرناه آنفًا.

المبحث الخامس: إفريقية والمغرب الإسلامي

أولًا : إفريقية

إن مصطلحي إفريقية والمغرب اعتمدهما بعض المؤرخين بشيء من التضارب، وكأنهما رمز لشيء واحد للدلالة الجغرافية والسياسية، فالبكري[1] مثلاً حدد إفريقية، وكأنه يتحدث عن المغرب العربي إذ يقول: "وحد إفريقية طولها من برقة شرقًا إلى طنجة الخضراء غربًا... وعرضها من البحر إلى الرمال التي هي أول بلاد السودان ".

ولكن هذا الخلط لم يستمر إلى الأبد؛ بل أخذ يتضح شيئًا فشيئًا، وبدأ مصطلحا إفريقية والمغرب كل منهما يأخذ معناه، ودلالته الخاصة الجغرافية والسياسية، فالحموي[2] مثلاً، يحدد إفريقية بقوله: " وحد إفريقية من طرابلس الغرب من جهة، ومن جهة برقة والإسكندرية إلى بجاية "، ويؤيد ابن أبي دينار[3]، ذلك بقوله: " وعند أهل العلم إن أطلق اسم إفريقية، فإنما يعنون بلد القيروان " والقيروان هنا تعني مدينة القيروان، وما تبعها من الأقاليم، ويؤكد ذلك ابن أبي دينار مرة أخرى بقوله: " إفريقية أوسط بلاد المغرب "، وبذلك يتضح لدينا معنى، ودلالة المصطلحين، فإفريقية يقصد بها قاعدة المغرب العربي، وأوسطه[4].

وتم فتح إفريقية في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ، وأتمه الأمويون حيث اكتمل الفتح في عام ٩٣هـ على يد القائد موسى بن نصير، وتعتبر إفريقية ولاية تابعة لمصر إداريًا، حتى أصبحت ولاية مستقلة في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك [5].

لذا نجد أن في بعض الفترات تظل ولاية إفريقية بدون والٍ، ويكتفى بولاة مصر، ومن أبرز

---

(١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر ، ص١٨٣؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٦٧.

(٢) الحموي: معجم البلدان، ٨٧/١.

(٣) ابن أبي دينار، محمد بن أبي القاسم القيرواني (ت١١٠٩هـ): المؤنس في تاريخ إفريقية وتونس، تحقيق: محمد شمام، ط١، تونس، ١٩٦٧م، ص١٣.

(٤) ابن أبي دينار: المؤنس، ص١٦.

(٥) قد اعتبر بعض المؤرخين بلاد المغرب وإفريقية ولاية واحدة قاعدتها القيروان، تبعتها إداريًا بلاد الأندلس، وبلاد وبلاد طنجة، وبلاد السوس في بعض الفترات. ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ٣١٢/١، ٣٤٨؛ الحموي: معجم البلدان، ٤٢٠/٤؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ص٣٥؛ خماش: الإدارة في العصر الأموي، ص٨٨.

ولاة إفريقية في العصر الأموي معاوية بن حديج[(١)] (٤٦هـ - ٥٠هـ)، ثم تلاه عقبة بن نافع الفهري (٥٠هـ - ٥٥هـ) [(٢)]، وتولى أبو المهاجر بن دينار المخزومي[(٣)] (٥٥هـ - ٦٢هـ) من قبل والي مصر مسلمة بن مخلد الأنصاري [(٤)]، ثم تولى عقبة بن نافع للمرة الثانية (٦٢هـ - ٦٤هـ) من قبل الخليفة يزيد بن معاوية [(٥)].

وفي الفترة (٦٤هـ - ٧٥هـ) خرجت بعض مناطق إفريقية عن سيطرة الوالي الأموي، حيث تراجع والِ القيروان زهير بن قيس البلوي[(٦)] إلى برقة، ودخلت جيوش كسيلة[(٧)] البربري القيروان

---

(١) معاوية بن حديج بن جفنة بن قنبرة بن حارثة بن عبد شمس الكندي السكوني، يكنى بأبي عبد الرحمن، وقيل: أبو نعيم، له رواية وصحبة عن النبي ﷺكان ابن حديج ملكًا مطاعًا من أشراف كندة، غزا مع عبد الله بن أبي السرح الحبشة كما غزا إفريقية، توفي سنة ٥٢هـ. ابن سعد: الطبقات، ٥٠٣/٧؛ البخاري: التاريخ الكبير، ٥٢٨/٧؛ البسوي: المعرفة والتاريخ، ٥٢٨/٢؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٢٧/١٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٣٩/٣-٤٠؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٢٠٣/١٠.

(٢) تولى إفريقية سنة ٤٢هـ من قبل والي مصر عمرو بن العاص ﷺ، وفي سنة ٤٣هـ فتح غدامس، وفي سنة ٤٣هـ افتتح كوًرا من كور السودان، وفي سنة ٥٠هـ ولاه الخليفة معاوية ﷺ إفريقية استقلالًا، وبنى القيروان. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٣٠٨/٣؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ١٠/٣.

(٣) وهو أحد موالي بني مخزوم، وقيل: أبو المهاجر دينار بن عبد الله النهوذي الزابي، ويعتبر أول أمير للمسلمين وطئت خيله المغرب الأوسط، إليه تنسب (عيون أبي المهاجر) القريبة من تلمسان، أسلم على يديه كسيلة زعيم البربر. ابن سعد : الطبقات، ٣٢٠/١؛ ابن حجر: تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، ٣٤٣/١.

(٤) وسبب عزل عقبة بن نافع، وتولية أبي المهاجر يتضح من خلال الحديث الذي دار بين والي مصر، وأحد أصحابه، عندما سأله في عدم استبقاء عقبة، فقال: " إن أبا المهاجر صبر علينا في غير ولاية، ولا كبير نيل، فنحن نحب أن نكافئه ". ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص٢٦٦؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ٢١/١؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٢٣٥/٣.

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٣٠٨/٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ٥٣٢/٣.

(٦) زهير بن قيس البلوي نسبة إلى بلي، وهي قبيلة من قضاعة، يقال: إن له صحبة، وهو من القادة الشجعان الفاتحين حيث شهد فتح مصر، فولاه أميرها عبد العزيز بن مروان على برقة سنة ٦٩ هـ، فكانت له مع البربر والروم وقائع، وأقام في القيروان مدة، فوجه الروم من القسطنطينية مراكب إلى برقة، فعاد إليها وقاتلهم، فكثرت عليه جموعهم، فثبت إلى أن قتل على أبوابها، وقيل: إنه رأى بإفريقية ملكًا عظيًما، فأبى أن يقيم، وقال: " إنما قدمت للجهاد، فأخاف أن أميل إلى الدنيا فأهلك"، وكان عابدًا زاهدًا. ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٤٣/٤؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ٣١/١؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ١٥٩/١-١٩٦.

(٧) كسيلة بن كمرم البربري، كان قد أسلم لما ولي أبو المهاجر إفريقية، وحسن إسلامه، وهو من أكابر البربر، =

القيروان واستعاد الروم بعض الحصون والقلاع التي فتحها المسلمون[1]، بالإضافة إلى سيطرة الكاهنة على أجزاء كبيرة من إفريقية [2].

لم يكد الخليفة عبد الملك بن مروان ينهي الفتن والاضطرابات حتى وجه أنظاره صوب إفريقية، حيث رشح حسان بن النعمان[3] (٧٥هـ - ٧٨هـ) [4] لاستعادة أراضي إفريقية، فاستعان بمسلمي البربر، فتبعه عدد منهم، مما سارع بضم بلاد إفريقية المترامية [5].

وقد وضع الوالي حسان بن النعمان أساس النظام الإداري لولاية إفريقية، وكانت حدودها

وأبعدهم صوتًا، وصحب أبا المهاجر، فلما ولي عقبة عرّفه أبو المهاجر محل كسيلة، وأمره بحفظه، ولكنه أساء عاملته، فقاتل المسلمين مع البربر حتى قتله زهير بن قيس. ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ١٨٨/٢.

(١) وعزز الروم قواتهم في إفريقية، وحصنوا قاعدتهم بها حتى اعتبر الوالي الروماني في قرطاجنة أعظم ملوك إفريقية، وخاصة بعد دخول كسيلة القيروان، واستشهاد القائد عقبة بن نافع، علًما أنه في تلك الفترة كانت أوضاع المسلمين في إفريقية مضطربة بسبب الخلافة التي يتنازع عليها الأمويون والزبيريون. ابن عذاري: البيان المغرب، ٣٢/١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٣٠٩/٣-٣١٠.

(٢) وأسمها دهيا بنت ماتية بن تيفان، وهي من أعظم ملوك البربر، ولها سلطان قوي في نفوسهم، ومقر إقامتها بجبل أوراس، استطاعت هزيمة حسان بن النعمان، ولكنه استطاع القضاء عليها بعدد المدد من والي مصر، وذلك سنة ٧٥هـ. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٩٩/٤؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٢٤٤/٣؛ السلادي، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (ت ١٣١٥هـ): الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر ومحمد الناصري، ط١، الدار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٥٤م، ٩٢/١.

(٣) حسان بن النعمان بن عدي الأزدي الغساني، من أولاد ملوك غسان، من ملوك العرب، ولي المغرب، فهذبه وعفكان بطلاً شجاعًا مجاهدًا لبيبًا، ميمون النقيبة، كبير القدر، وكان يُدعى الشيخ الأمين، وجهه معاوية في سنة ٥٧هـ، فصالح البربر، ورتب عليهم الخراج، وانعمرت البلاد في ولايته، وله غزوات مشهودة بعد قتل الكاهنة، توفي سنة ٨٠هـ وقيل: حدود سنة ٩٠هـ. خليفة بن خياط : تاريخه، ٧٣/١؛ البلاذري: فتوح البلدان، ٢٧٠/١؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٢٧٨/٢؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق، ١٩٩/٤؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ١٦٠/١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٤٠/٤.

(٤) اختلف المؤرخون في تاريخ تولية حسان بن النعمان، وخروجه إلى إفريقية، فقال ابن عبد الحكم في فتوح مصر وأخبارها ص٢٦٩، أنه خرج سنة ٧٣هـ، أما ابن عذاري، فيقول في البيان المغرب ٣٤/١، إنه خرج في سنة ٧٨هـ، أما ابن أبي دينار في المؤنس ص٣٣، فيذكر أنه قدمها ٧٦هـ أو ٧٧هـ أو ٧٨هـ.

(٥) لما رشحه الخليفة عبد الملك بن مروان لاستعادة إفريقية جهزه بجيش قوامه أربعين ألف مقاتل، وكتب إليه: " إني أطلقت يدك في أموال مصر، فأعط من معك، ومن ورد عليك، وأعط الناس، وأخرج إلى بلاد إفريقية على بركة الله وعونه ". ابن عذاري: البيان المغرب، ٣٤/١.

الجغرافية والسياسية مطابقة لولاية إفريقية البيزنطية [1]، فنظم أمور ولايته الداخلية، ونشر الإسلام في أنحائها [2].

ثم قدم موسى بن نصير (٧٨هـ - ٩٦هـ) [3]واليًا على إفريقيه من قبل عبدالعزيز بن مروان، وذلك بعد أن مهد له الوالي السابق حسان بن النعمان الطريق لإتمام فتح بقية البلاد، فلم يكن أمامه سوى بعض الحصون الداخلية، وبعض القبائل الصغيرة، وبعض المدن في غرب إفريقية [4].

وتعتبر ولاية موسى بن نصير بداية لفتح بلاد المغرب بتقسيماته[5]، وشرع في أداء دوره

---

(١) إن إفريقية البزنطية تشمل ولاية طرابلس مضافًا إليها إفريقية نفسها -جمهورية تونس حاليًا-، وتشمل مساحات كبيرة من الشمال الإفريقي، بالإضافة إلى النصف الشرقي من جبال أوراس.

(٢)كما عمل على تقوية الجيش، وأنشأ مصنعًا للسفن، وأنشأ دار خاصة لسك العملة في إفريقية. الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، ص٦١؛ ابن أبي دينار: المؤنس ، ص٣٤.

(٣) وقد اختلف المؤرخون القدماء في تاريخ ولايته، فكتب اليعقوبي في تاريخه ٢٨٥/٢، أنه تولى سنة ٧٧هـ، وأيده المقري في كتاب نفح الطيب ٢٢٣/٨، وكتب بعضهم أنه تولى سنة ٧٨هـ، ومن أشهرهم ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبدالله القضاعي (ت ٦٥٨هـ): الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، ط٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٥م، ٣٣٢/٢، ابن خلدون في تاريخه ٨٨/١، ابن عماد الحنبلي في شذرات الذهب ٩٣/١، الكندي في الولاة والقضاة ص٥٢، ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ١٩٨/١، ابن الأثير في أحد قوليه ١١٣/٤، وقيل إنه تولى سنة ٧٩هـ، وعلى رأس القائلين بذلك ابن كثير في البداية والنهاية ١٧١/٩، والبلاذري في كتابه فتوح البلدان ص٢٣٢، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة ٥٠/٢، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٤٩٩/٤، والحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الأزدي (ت٤٨٨هـ): جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، ط١، القاهرة، الدار المصرية، ١٩٦٦م، ص٣٣٨.

(٤) خليفة بن خياط : تاريخه، ٢٧٧/١؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ٤١/١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ١١٢/٤.

(٥) درج مؤرخو وجغرافيو العرب على تقسيم المغرب العربي إلى أقاليم ثلاثة: أولاً: المغرب الأدنى، وسميت كذلك لدنوها من دار الخلافة بدمشق، فهي اقرب أقاليم المغرب العربي إلى مركز الخلافة، ويمتد هذا الإقليم من خليج سرت الكبير شرقًا الى المحيط الاطلسي غربًا، فهي تمتد بحسب المدن من اطرابلس حتى بجاية، أو تاهرت، وقاعدة المغرب الأدنى قرطاجنة ثم القيروان ثانيًا: المغرب الأوسط، وسمي كذلك لأنه يتوسط المغرب الأدنى والمغرب الأقصى، ويمتد هذا الإقليم من تاهرت شرقًا إلى وادي ملوية وجبال تازا غربًا، وقاعدته تلمسان والمغرب الأوسط هو ما يعادل بلاد الجزائر حاليًا. ثالثًا: المغرب الأقصى، وسمي كذلك لكونه أبعد أقسام المغرب العربي عن دار الخلافة بدمشق، ويمتد هذا الإقليم من وادي ملوية شرقًا حتى مدينة أسفي على المحيط الأطلسي غربًا، وجبال درن جنوبًا، وقاعدته مدينة فاس. ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص١٧٢؛ البلاذري: فتوح البلدان ، ص١٨٣؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص٤١؛ السلادي: الاستقصاء، =

الرئيس، وهو الدعوة للإسلام، ونشر تعاليمه، فأسلم أهل المغرب على يديه، وبث فيهم الدين والقرآن، فكان يأمر العرب أن يعلموا البربر القرآن، ويفقهوهم في الدين، وبهذا يعتبر موسى آخر القادة الذين فتحوا إفريقية [1].

رغم الانتصارات العظيمة التي حققها موسى بن نصير، ورغم إدارته الحكيمة لولاية إفريقية، وتحقيقه نجاحًا لا مثيل له، إلا أننا نرى الخليفة الوليد بن عبد الملك يعزله عن منصبه، وذلك بعد أن استخلف ابنه عبد العزيز على الأندلس[2]، واستخلف ابنه عبد الملك على سبته وطنجة وما إليهما [3]، أما ولاية إفريقية فاستخلف عليها ابنه الأكبر عبد الله (٩٦هـ – ٩٦هـ)[4]، فقام بها، وأدار شئونها، حتى قدم محمد بن يزيد القرشي (٩٧هـ – ٩٩هـ) واليًا من قبل الخليفة سليمان بن عبد الملك لإفريقية والمغرب [5].

ولما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز ولى إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر المخزومي[6] (٩٩هـ – ١٠١هـ)، وقد اختاره لولاية إفريقية لعلمه، وزهده وجهاده، حيث سار في ولايته وفق سياسة الخليفة عمر، فحقق بذلك مكانة إدارية لم يستطع من أتى بعده بلوغها، فقام بأمور

٧١/١؛ حسن علي حسن: تاريخ المغرب العربي عهد الولاة، القاهرة، مكتبة الشباب، ١٩٧٧م، ص٩.

(١) ابن عذاري: البيان المغرب، ٤٣/١؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ١٧٢/٩.

(٢) واختار له إشبيلية عاصمة للأندلس. ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر الأندلسي (ت٣٦٧هـ): تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الإبياري، ط١، دار الكتاب المصري واللبناني، ١٤٠٢هـ، ص٣٦؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ١٦/٢.

(٣) المقري: نفح الطيب، ٢٣٤/١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ١١٢/٤؛ ابن عذاري: البيان المغرب ، ٤٤/١.

(٤) وكان قد وليها عندما اتجه أبوه لفتح الأندلس، ابن عذاري: البيان المغرب، ٤٤/١.

(٥) حيث أوكل الخليفة سليمان مهمة البحث عن وال جديد لإفريقية إلى مستشاره رجاء بن حيوه الكندي، ثم طلب الخليفة سليمان مقابلته، فأوصاه بقوله: " يا محمد بن يزيد اتق الله وحده، لا شريك له، وقم فيما وليتك الحق والعدل، وقد وليتك إفريقية والمغرب ". المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد (ت٤٥٣هـ): رياض النفوس، تحقيق: بشير الكوشي، ط١، بيروت، دار المغرب الإسلامي، ١٩٨٣م، ١٢٧/١.

(٦) إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، واسمه أقرم القرشي المخزومي، أبو عبد الحميد مولى بني مخزوم، تابعي ثقة، كان زاهدًا، ورعًا، عالماً، وكان يؤدب ولد الخليفة عبد الملك بن مروان، واستعمله عمر بن عبد العزيز على إفريقية، توفي سنة ١٢٣هـ. المالكي: رياض النفوس، ١١٥/١؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٤٤٠/٨؛ المزي: تهذيب الكمال، ١٤٣/٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١١٣/٥.

ولايته بالعدل والحق، لذا فقد أجمع المؤرخون بأنه لم يبق ولاية إفريقية يومئذ من البربر أحد إلا أسلم(١).

كما عين واليًا من قبله مباشرة على الأندلس، رغم أن العادة جرت على تعيين واليها من قبل والي إفريقية، وكان هدف الخليفة عمر بن عبد العزيز من عزل الأندلس عن ولاية إفريقية رغبته في الاعتناء بأهلها، والاهتمام بشأنهم (٢).

ولما استلم الخلافة يزيد بن عبد الملك بعد وفاة الخليفة عمر بن عبد العزيز عزل إسماعيل المخزومي، وولى يزيد بن أبي مسلم الثقفي (١٠١هـ - ١٠٢هـ) الذي نهج سياسة مغايرة لمن سبقوه من الولاة في العدل والإنصاف، لذا فقد أدرك سكان إفريقية قسوة هذا الوالي وشدته، فكلموه، وحاولوا فلم يسمع، فأجمع أمرهم على قتله (٣).

فخضعت الخلافة الأموية لمطالب سكان إفريقية، وقبلت تصرفهم رغم قسوته، وذلك بإعلان الخليفة نفسه موافقته على ما صنعوا، وعدم رضاه عن تصرف يزيد بن أبي مسلم (٤)، بل زاد في ذلك أن قبل ولاية محمد بن يزيد مولى الأنصار الذي رشحوه لولايتهم، ثم عزله، وولى بشر بن صفوان الكلبي (١٠٢هـ - ١١١هـ)وكان حينها واليًا على مصر، وقد ولى على الأندلس الحّر بن عبد الرحمن الثقفي(٥)، وبعد وفاة الخليفة يزيد أقره الخليفة هشام بن عبد الملك

---

(١) خليفة بن خياط : تاريخه، ٣٣٠/١؛ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، ص٩٧؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ٤٨/١؛ النويري: نهاية الأرب، ٥٦/٢٤؛ المالكي: رياض النفوس، ١١٦/١؛ المزي: تهذيب الكمال، ١٤٣/٣.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب ، ٣٤/٢.

(٣) لقد كانت نهايته على يد أحد حرسه، ويدعى حريز، حيث أهوى على رأسه أثناء تناوله طعامه، وحمل رأسه، وألقاها في رحبة المسجد ليلاً، ويقال: إنه مكث شهرًا واحدًا في ولايته. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٦١٧/٦؛ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ، ص١٠٠؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٣١١/٦؛ ابن عذاري: البيان المغرب ، ٤٨/١؛ النويري : نهاية الأرب، ٣٩٣/٢١.

(٤) مما يدل على ذلك أنه أرسل إليهم كتابًا يقول فيه: " إني لم أرض ما صنع يزيد بن أبي مسلم... ". الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٦١٧/٦؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ١٨٢/٤؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان، ٣١١/٦؛ ابن أبي دينار: المؤنس، ص٣٩.

(٥) الحر بن عبد الرحمن بن أم الحكم بن عبد الله بن عثمان الثقفي، وقيل: القيسّي من أهل دمشق، أمير الأندلس وليها بعد مقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير، وإليه ينسب - بلاط الحر - في شرقي قرطبة، وكانت الأندلس في أيامه إمارة تابعة لوالي إفريقية، ووالي إفريقية تابع لوالي مصر. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٣٥٧/٢؛ ابن عساكر:

=

هشام بن عبد الملك على إفريقية، حتى أصيب بمرض، فاستخلف نغاش بن قرط الكلبي [1].

ولكن الخليفة هشام بن عبد الملك عزله، وولى عبيدة بن عبد الرحمن السلمي[2] (١١١هـ – ١١٥هـ) على إفريقية، وقد وجه باستمرار الفتوحات بالأندلس؛ حيث ولى عليها عثمان بن أبي نسعة[3]، ثم عزله وولى حذيفة بن الأحوص القيسي[4]، ثم ولى عليها الهيثم بن عبيد الكناني[5]، ثم محمد بن عبد الله الأشجعي [6].

ففي عام ١١٥هـ خرج والي إفريقية عبيدة السلمي إلى دمشق، قاصدًا الخليفة هشام بن عبد الملك بعد أن أمّر على إفريقية عقبة بن قطامة التجيبي، كما أمّر على الأندلس ابن قطن[7]، وطلب من الخليفة إعفاءه، فأعفاه [1].

تاريخ دمشق، ٣٥٥/١٢؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ١٤٩/١.

(١) يقال في إحدى غزواته لجزيرة صقلية. ابن عبد الحكم: فتوح مصر ، ص٣١٩؛ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، ص١٠٢.

(٢) عبيدة بن عبد الرحمن بن حكيم بن أمية الأوقص الذكواني السلمي، وقد نسبه ابن الحكم إلى أصله الذي مال إليه؛ حيث كان قيسيًا متعصبًا، أما باقي المؤرخين فنسبوه إلى جده، وهو ابن أخي أبي الأعور السلمي صاحب خيل معاوية بصفين، أمير إفريقية من أهل دمشق، ولي أذربيجان في خلافة عمر بن عبد العزيز. خليفة بن خياط : تاريخه، ٢٧١/١؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق، ١٦٥/٣٨؛ ابن عذاري: البيان المغرب ، ٢٠/١.

(٣) هو عثمان بن أبي نسعة الخثعمي، بعثه الخليفة مروان بن محمد، والكوثر بن الأسود القنوي في جيش إلى الأسود بن نافع بن أبي عبيدة بالإسكندرية، ودعا إلى بني العباس، فهزما الأسود بن نافع، وهرب منهما، وكانت ولايته خمسة أشهر، وقيل: ستة أشهر، ثم عزل وانصرف إلى القيروان، فمات بها. ابن ماكولا: الإكمال، ٣٤/٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ١٤/٣.

(٤) حذيفة بن الأحوص الأشجعي، وقيل: القيسي، كانت ولايته ستة أشهر. ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٣٩٨/٢؛ ابن عذاري: البيان المغرب ، ١٥٠/١.

(٥) الهيثم بن عبيد الكناني، وقيل: الهيثم بن عبد الرحمن الكلابي، كانت ولايته عشرة أشهر؛ وقيل غير ذلك؛ وهو الذي غزا منوسة، وقيل: سنة وشهرين، ثم توفي. ابن عذاري: البيان المغرب ، ١٥٠/١؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ١٤٩/٤.

(٦) محمد بن عبد الله الأشجعي، قدمه أهل الأندلس على أنفسهم، ولكنه لم يمكث طويلاً حيث تولى مدة شهرين. ابن عذاري: البيان المغرب ، ٥٠/١؛ السلادي: الأستقصاء، ص١٠٤.

(٧) عبد الملك بن قطن بن عصمة بن أنيس بن عبد الله بن جحوان بن فهر الفهري، أمير الأندلس، شهد وقعة الحرة بقرب المدينة في أيام يزيد بن معاوية، ونجا من مسلم بن عقبة، فقصد إفريقية، ثم استقر بقرطبة، وغزا أرض

=

كتب الخليفة هشام إلى عاملة على مصر عبيد الله بن الحبحاب[٢] (١١٥هـ - ١٢٣هـ) يأمره بالتوجه إلى ولاية إفريقية، فاستخلف ابنه القاسم على مصر، واستعمل ابنه إسماعيل على بلاد السوس، واستعمل على الأندلس عبد الرحمن الغافقي، فعبد الملك بن قطن الفهري، ثم ولى بعده عقبة بن الحجاج [٣].

ومن الملاحظ أن والي إفريقية والمغرب اتبع سياسة داخلية صارمة؛ حيث كان لها نتائج وخيمة أدت فيما بعد إلى تقبل الكثير من البربر لمذهب الخوارج[٤]، وبذل الخوارج جهدًا لإنجاح دعوتهم التي كان ظاهرها الانتصار على الظلموإقامة العدل والمساواة بين المسلمين أيًا كان جنسهم أو أصلهم[٥].

وأصبح وضع الوالي عبيد الله بن الحبحاب حرجًا؛ حيث عزله الناس [٦]في شهر جماي الأولى من سنة ١٢٣هـ، أما عماله، فلم يكونوا أحسن حظًا منه، حيث اجتمع أهل الأندلس

البشكنس، قتل بالأندلس سنة ١٢٥هـ. ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٤٠٧/٢؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٢٨٨/١؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٤٣٤/٢.

(١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر ، ص٢٩٢؛ ابن أبي دينار: المؤنس، ص٤٠.

(٢) عبيد الله بن الحبحاب مولى بني سلول، وهو كاتب الخليفة هشام بن عبد الملك، ولي مصر وخراجها، فكان رئيسًا نبيلاً وأميرًا جليلاً، بارعًا في الفصاحة والخطابة، وحافظًا لأيام العرب وأشعارها ووقائعها. الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، ص١٠٧؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ٥١/١؛ النويري: نهاية الأرب ، ٥٨/٢٤.

(٣) عقبة بن الحجاج السلولي ، من أشراف بني سلول ، أقام خمس سنين محمود السيرة، مجاهدًا مظفرًا، ثم قام عليه عبد الملك بن قطن سنة ٢١، فخلعه وقتله، ويقال: أخرجه من الأندلس وولي مكانه. ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص٢٩٣؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢١٩/٤؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ٢٤١/٤.

(٤) كانت بقيادة ميسرة المدغري، وجعلوا طنجة مقرًا لهم لبعدها عن قاعدة الولاية، ولظلم واليها، كما اختاروا الوقت المناسب؛ حيث أعلنوا الثورة في النصف من رمضان سنة ١٢٢هـ. خليفة بن خياط : تاريخه، ٣٦٨/٢.

(٥) الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ، ص١٠٩؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٢٢٢/٥؛ ابن عذاري: البيان المغرب ، ٥٢/١؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ١١٠/٦.

(٦) الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ، ص١١١؛ ابن عذاري: البيان المغرب ، ٥٤/١؛ النويري : نهاية الأرب، ٦٠/٢٤. أما ابن عبد الحكم فيقول: " وقفل عبد الله بن الحبحاب إلى هشام بن عبد الملك ". في حين يذكر ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ ٢٢٣/٤: " أن هشامًا كتب إلى ابن الحبحاب يأمره بالحضور". وقد تبعه في ذلك ابن خلدون في تاريخه ٢٤٣/٤.

على عاملهم عقبة بن الحجاج، فعزلوه، وولوا مكانه واليهم السابق عبد الملك بن قطن [(١)].

بعد أن استدعى الخليفة هشام والي إفريقية المعزول عبد الله بن الحبحاب، وجه كلثوم بن عياض القشيري[(٢)] (١٢٣هـ -١٢٤هـ) مع جيش لاستعادة ما سقط من بعض المناطق بيد الخوارج، لكنه لم ينجح في ذلك، حيث قتل في أحد المعارك، وخرجت غالبية مناطق إفريقية وبلاد المغرب عن سيطرة الخلافة الأموية [(٣)].

لم يتوان الخليفة هشام بن عبد الملك في نجدة ولاية إفريقية المنكوبة، فكتب إلى والي مصر حنظلة بن صفوان الكلبي (١٢٤هـ - ١٢٦هـ) بتعيينه الوً ا على إفريقية، وأمره بالمسير إليها ليضبطها، ثم يمده بالرجال والمال، فاستطاع أن يعيد أغلب المناطق التي خرجت عن سيطرة الخلافة، فاستعمل على الأندلس أبا الخطار الحسام بن ضرار الكلبي[(٤)]، وقضى على سيطرة الخوارج في إفريقية [(٥)].

بعد وفاة الخليفة هشام، وضعف الخلفاء من بعده أظهر أطماع بعض القادة في اقتطاع

---

(١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر ، ص٢٩٤؛ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقة والمغرب، ص١١١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢٢٣/٤؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ٥٤/١؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ٢٤٢/٤.

(٢) كلثوم بن عياض القشيري، أحد القادة الشجعان، ولاه هشام بن عبد الملك مصر بعد أن عزل عبيدالله بن الحبحاب، وسيره إلى إفريقية بجيش عظيم سنة ١٢٣ هـ، فُقتل في معركة مع البربر، في وادي سبو – من أعمال طنجة – واستباح عسكره أبا يوسف الأزدي رأس الصفرية. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص٢٧٣؛ ابن عذاري: البيان المغرب ، ٥٤/١؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٢٨/٥؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ١٨٩/٤؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٢٨٩/١، ٢٩٢؛ السلادي: الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى، ٤٩/١.

(٣) خرج غالبية بلاد المغرب الأوسط والأقصى، حيث لم يبق للخلافة سلطان إلا على نهر شلف الذي ينبع من جبال أوراس. خليفة بن خياط : تاريخه، ٣٧٠/٢؛ ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص٢٩٦؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٢٢٣/٤؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ٢٤٢/٤.

(٤) الحسام بن ضرار بن سلامان بن جشم بن جعول بن ربيعة الكلبي، من أشراف قبيلته، وهو شاعر فارس، وقد وقد حضر القتال في أيام فتوح المسلمين إفريقية، وكان فارس الناس بها. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص٤٥٧؛ ابن ماكولا: الإكمال، ٢٥٧/١؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٤٥٥/١٢.

(٥) الكندي: الولاة والقضاة، ص١٠٣-١٠٤؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٢٢٣/٤؛ ابن عذاري: البيان المغرب ، ٦٠/١؛ النويري: نهاية الأرب ، ٦٢/٢٤.

أجزاء من الدولة الأموية، والسيطرة عليها، وتوريثها لأبنائهم، ومن ذلك ما فعله عبد الرحمن بن حبيب الفهري (١٢٦هـ - ١٣٦هـ)؛ حيث دعا الناس لنفسه، فأجابوه، مما دعا والي الخليفة الأموي حنظلة الكلبي أن يخرج من إفريقية مرغمًا [(١)].

ورغم كل ذلك أقدم عبد الرحمن بن حبيب، على الاتصال بالخلافة الأموية لإثبات مشروعية حكمة لولاية إفريقية، ولم يتردد الخليفة مروان بن محمد في قبول اعتذار عبدالرحمن بن حبيب فأسند إليه ولاية الأندلس، إضافة إلى ولاية إفريقية والمغرب كله [(٢)].

ويتبين من العرض السابق الآتي :

١إن ولاية إفريقية والمغرب الإسلامي تعد من الأقاليم التي صنعت تاريخًا مشرقًا في العصر الأموي، حيث أصبحت طريقًا للجيوش الإسلامية لنشر الإسلام في أنحاء إفريقية والمغرب والأندلس .

٢. عناية ولاتها بالعدل بين الرعية، إذا ما علمنا وجود العصبية القبلية بين القيسية واليمنية من جهة وبين العرب والبربر من جهة أخرى.

---

(١) ابن عبد الحكم:فتوح مصر، ص٣٠٠؛ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، ص١٢٣؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢٧٨/٤؛ النويري: نهاية الأرب ، ٦٢/٢٤.

(٢) الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب ، ص١٢٩.

الفصل الثاني:

العوامل المؤثرة في مواقف الولاة من الاتجاهات الثقافية والسياسية

المبحث الأول- التكوين الأسري والثقافي

المبحث الثاني- سياسة الدولة الأموية

المبحث الثالث- موقف العلماء والقضاة

المبحث الرابع- نشاط الحركات العلمية والفكرية

المبحث الأول: التكوين الأسري والثقافي

يستفاد مما أوردته المصادر أن هناك عناية من قبل خلفاء بني أمية عند تعيين الولاة؛ حيث يقدم لمنصب الوالي من عُرف بالولاء السياسي، وحسن التدبير، ولديه الخبرة الكافية في مجال الإدارة، وقد حظي أبناء بعض الأُسر بمنصب الوالي لما يتمتع به من كفاءة وشجاعة، لذا نجد بعض الأُسر ترتبط بعضها مع بعض بصلة القرابة، وأواصر التبعية، وروابط المصاهرات والتزاوج، إلا أن ذلك لم يمنع من حدة المنافسة بين هذه الأسر، رغم متانة الروابط التي جمعت بينهما[1].

ويستنتج من المصادر أن تولية منصب الوالي في العصر الأموي يختلف من إقليم إلى آخر، وذلك بحسب اختلاف مكان إقامتهم، وتنقلهم بين الأقاليم حسب الظروف السياسية[2] من ناحية، وبين اختلاف بيئتهم التي يعيشون فيها من ناحية أخرى، فعلى سبيل المثال ولاة الحجاز يختلفون عن ولاة الشام، أو العراق، أو غيرها من البلدان.

لذا سأقوم بتقسيم الولاة إلى ثلاث فئات: **١/ أبناء البيت الأموي، ٢/ أبناء القبائل العربية، ٣/ أبناء الموالي**، ويمكن تفصيل ذلك في الآتي :

ويستفاد من المصادر أن المجتمع في العصر الأموي اختلف عما كان عليه في العصر النبوي والراشدي[3] من بساطة، وزهد في المأكل، والملبس، والمسكن، وذلك بسبب كثرة الأموال،

---

(١) يراجع ، ابن سعد: الطبقات، ٣٥/٥، ٣٦؛ خليفة بن خياط : تاريخه، ص١٩٥؛ ابن عبد الحكم: فتوح مصر ، ص٢٧٦، ٢٧٨؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ٣٩٠/١؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ١٩٤/٢؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٩٨/٥، ١٠٥؛ الكندي: الولاة والقضاة، ص٣٨، ٣٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢٢٨/٣، ٢٤٦.

(٢) فمثلاً نجد أن ولاة الحجاز في بداية العصر الأموي عانوا في أخذ البيعة من بعض أبناء كبار الصحابة ليزيد، وتعرض ولاة يزيد في المدينة ومكة والعراق لثورات ثلاث، قامت في هذه البلدان في فترات متباينة، وكذلك في منتصف العصر الأموي، نرى ولاة المشرق يعانون من قيام الفتن والاضطرابات في تلك المناطق، وفي أواخر العصر الأموي كذلك لم تكد تخلو منطقة، أو إقليم من الخروج على الولاة، وخاصة في إقليم إفريقية، وبلاد المشرق، فكل تلك الأحداث المتتالية، أثرت على تكوين الولاة الأسري والثقافي.

(٣) من دراسة الأسرة تبين حدوث متغيرات كثيرة، أهمها ما أحدثه الإسلام من التحولات الاجتماعية والاقتصادية، والمؤثرات التي أصابت المجتمع من جرَّاء التفاعل مع بقية أقاليم العالم الإسلامي في ذلك الوقت، كما تبين كذلك استمرار بعض العادات والتقاليد مما لا يتعارض مع تعاليم الإسلام، وقد عكس ارتفاع المهور توفر السيولة المادية في أيدي الناس، كما عكس كثرة أمهات الأولاد شيوع ظاهرة إنجاب الأبناء من الإماء، مما ترتب عليه رفع منزلتهن الاجتماعية، بحيث أصبحن بحكم الزوجات، وما نتج عن ذلك من كثرة الأولاد في المجتمع الذي تنتمي له أمهاتهم إلى أعراق وثقافات

=

والغنائم والأعطيات بالإضافة إلى اندماجهم مع البلاد المفتوحة في شتى الأقاليم التي ضمت شعوبًا مختلفة الأجناس واللغات والثقافات والعادات والتقاليد.

١/ أبناء البيت الأموي

والمقصود بهم كل من ينتسب إلى بني أمية من الولاة، دون الولاة الذين أصبحوا فيما بعد خلفاء، كعمر بن عبدالعزيز، والوليد بن عبد الملك، وسليمان بن عبدالملك، وغيرهم من الخلفاء.

مما لاشك فيه أن بني أمية من أشهر القبائل العربية في السيادة والإدارة، لذا حرص خلفاء بني أمية على تدريب أبنائهم والزج بهم في إدارة الأقاليم كلٌ بحسب كفاءته وخبرته [١]، وفي ذلك ضمان الاستقرار والهدوء حيث استطاعوا بسط الأمن والنظام في ربوعها الممتدة الأطراف.

ويظهر من خلال تتبع أخبار الولاة من بني أمية أن الولاة الذين اتصفوا بالحزم والشدة من أبناء البيت الأموي كانوا يتولون إقليمي الجزيرة الفراتية والعراق[٢]، وأما الأقل حزمًا فقد كانوا يعينون على ولاية الحجاز ومصر. [٣]

مختلفة، مما قوى عملية الانصهار الاجتماعي.

(١) ومن ذلك أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ إذا أراد أن يولي رجلاً من بني حرب ولاه الطائف، فإن رأى منه خيراً، وما يعجبه ولاه مكة، فإن أحسن الولاية، وقام بما ولي قيامًا حسنًا، جمع له معهما المدينة. يراجع ، الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٢٩٦/٥.

(٢) فعلى سبيل المثال: تولى ولاية العراق كل من زياد بن أبي سفيان (٤٥ – ٥٣هـ)، وابنه عبيدالله (٥٥ – ٦٤هـ)، وبشر بن مروان (٧٤ – ٧٥هـ)، ومسلمة بن عبد الملك (١٠١–١٠٣هـ)، وفي عام ١٠٧هـ أصبح مسلمة واليًا على أرمينية وأذربيجان، وتولى إقليم الجزيرة كل من محمد بن مروان بن الحكم (٧٤–٩٦هـ)، وابنه مروان (١١٤–١٢٧هـ). ابن الكلبي: جمهرة النسب، ص٣٩؛ خليفة بن خياط : تاريخه، ص٢١٢، ٢٩٣، ٢٩٨؛ ابن قتيبة: المعارف، ص٣١٨؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ١٤٩/٦، ١٢٣، ٨١/٧؛ البلخي: البدء والتاريخ، ٢/٦؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ٥٢٤/٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٣٠٤/٢، ٤٤٨/٣؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٣٠٧/٦؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ١٢/٣؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ٤٨٤/٣.

(٣) وقد تعاقب منهم على ولاية الحجاز كل من مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، وابنه عمرو، وعثمان بن محمد بن أبي سفيان، والوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وعمر بن عبد العزيز، وابنه عبدالعزيز، وعبدالواحد بن سليمان بن عبد الملك، ومحمد بن عبد الملك بن مروان، وأما إقليم مصر، فقد تولاه من بني أمية كل من عتبة بن أبي

=

عبد الله بن عامر بن كريز ﷺت ٥٩هـ

عبدالله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبدشمس بن عبدمناف بن قصي بن كلاب، يكنى بأبي عبدالرحمن، تولى إمارة البصرة، وفارس في عهد الخليفة عثمان ﷺ [(١)]، ثم تولى كذلك إمارة البصرة في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ لثلاث سنوات، فكانت امتدادًا لولايته الأولى [(٢)].

ولد عبد الله بن عامر في ظل أسرة قرشية [(٣)] فأبوه عامر لم يكن واليًا، ولا خليفة، بل كان مضعَّفا، لذا لم يتأثر به ابنه سوى ما قام به عند ولادته[(٤)]، وشجاعته في القتال، لذا نجد

سفيان (٤٣-٤٤هـ/٦٦٣-٦٦٤م)، وعبد العزيز بن مروان (٦٥-٨٥هـ/٦٨٤-٧٠٤م)، وعبدالله بن عبدالملك بن مروان (٨٦-٩٠هـ/٧٠٥-٧٠٨م). ابن الكلبي: جمهرة النسب، ص٤٥؛ خليفة بن خياط : تاريخه، ص٢١٢، ٢٩٣، ٢٩٨؛ ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص١٩٧؛ ابن قتيبة: المعارف، ص٣١٨؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٣٢٤/٦، ٣٢٩، ٨٩/٧؛ البلخي: البدء والتاريخ، ٤٤/٦؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ٥٨٤/٢؛ الكندي: الولاة والقضاة، ص٣١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٣٤٤/٢، ٤٩٨/٣؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٣٠٣٢/٦؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ٥٧/٣؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ٥٨٠/٣.

(١) تولى إمارة البصرة، وفارس، وعمره خمس وعشرين سنة، وذلك عام ٢٩هـ واستمر واليًا حتى عام ٣٥هـ، وهو الذي افتتح بلاد خراسان كلها، وأطراف فارس، وكرمان، وحلوان، وغيرها، وهو الذي شق نهر البصرة، وبنى السوق والدور في عهد الخليفة عثمان ﷺ. خليفة بن خياط : تاريخه، ٤٠/١؛ ابن حبان: الثقات، ٢٤٩/٢؛ ابن الأثير: أسد الغابة ، ٦٢٩/١، ابن كثير: البداية والنهاية، ٥٠٥/١.

(٢) وتذكر المصادر التاريخية سبب توليه البصرة في عهد الخليفة معاوية ﷺ أنه قال لمعاوية: إن لي مالًا بالبصرة عند قوم، فإن لم تولني البصرة ذهبت. خليفة بن خياط : تاريخه، ٤٠/١؛ ابن سعد: الطبقات، ٤٨/٥؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٤٩/٥؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٥٣٨/١؛ ابن حجر: الإصابة ، ١٦/٥. ولكن الذي يظهر من خلال تقصي الروايات أن عبد الله بن عامر مكث مدة ليست بالقصيرة في ولاية البصرة، فعرف أهلها وأحبوه، وله أعمال بها جليلة، فأراد الخليفة معاوية ﷺ أن يُكمل الوالي ماقام بها من أعمال، وعلم أنه قائد سيكمل فتوحاته التي بدأ بها في عهد الخليفة عثمان ﷺ.

(٣) عبشمي الآباء نسبة إلى عبد شمس، هاشمي الخؤولة، فإن أروى بنت كريز أمها البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم عمة النبي ﷺ أ سخيًا كريمًا شجاعًا ميمون النقيبة، كثير المناقب. الزبيري: نسب قريش، ص١٤٩؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر، ١١/١.

(٤) لما ولد أُتي به إلى رسول ﷺ فقال لبني عبد شمس: " هذا أشبه بنا منه بكم "، ثم تفل في فيه، فازدرده، فقال ﷺ: "أرجو أن يكون مسقيًا "، فكان لا يعالج أرضًا إلا ظهر منها الماء. ابن سعد: الطبقات، ٤٨/٥؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ١٥١/٣؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ١٩١/٣؛ ابن حجر: الإصابة، ١٦٠/٣.

عبد الله دائمًا نفسه تواقة للجهاد، حتى وهو يعتلي منصب الولاية، فنراه يستأذن الخليفة عثمان ﷺوينطلق تجاه المشرق فاتحًا، ففي إمارته قُتل يزدجرد آخر ملوك فارس، ولما عاد للولاية في عهد الخليفة معاوية ﷺ وجه الجيوش إلى خراسان، فيتضح لنا من خلال ولايته انشغاله بالجهاد في بلاد المشرق، فله صولات وجولات في ساحات الوغى، وله مواقف عديدة أثناء القتال، واقتحام حصون العدو، وخاصة مع الفرس [(١)].

فلم تكن أسرته تتصف بما تميز به عبد الله بن عامر حتى يتأثر بما كانوا عليه، ولكن فيما يبدو أن الحديث الذي ورد عن النبي ﷺ لما حنكه قال عنه: "أرجو أن يكون مسقيًا "[(٢)]، فكان كما قال الرسول ﷺ؛ حيث رزقه الله المال والولد، فضُرب به المثل بالسخاء والكرم والجود، حتى أن الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ قال عنه:"هو سيد فتيان قريش غير مدافع"[(٣)]، وقال عنه الخليفة معاوية ﷺ: " يرحم الله أبا عبد الرحمن، بمن نفاخر وبمن نباهي" [(٤)]، حتى أصبح عند الناس محبوبًا لكثرة ما يعطي من الصلات، ولعل تأثره ليس بأسرته القريبة، وذلك يتبين من كلام الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري ﷺ حين قال: " قد أتاكم فتى من قريش، كريم الأمهات والعمات والخالات، يقول بالمال فيكم هكذا وهكذا "[(٥)]، فبين ثراءه وكرمه وجوده، وتأثره بصلة قرابته من أفضل بطون قريش، فكان محبوبًا من الناس، ويكفي من ذلك قول شيخ الإسلام ابن تيمية عنه: " إن له من الحسنات والمحبة في قلوب الناس ما لا ينكر "، فكان أحد الأجواد الممدوحين، فله أخبار كثيرة في الكرم والجود [(٦)].

---

(١) الزبيري: نسب قريش، ص١٤٩؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ٥٢/٢؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٢٩٣/٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٢٠/٣.

(٢) ابن سعد : الطبقات ، ٤٨/٥؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ١٥١/٣؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ١٩١/٣؛ ابن حجر: الإصابة، ١٦٠/٣

(٣) ابن سعد : الطبقات، ٤٧/٥.

(٤) ابن سعد : الطبقات، ٤٩/٥؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٢٦/٢٩.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم، ١٨٦/٢.

(٦) ابن سعد : الطبقات، ٤٧/٥-٤٩؛ ابن حبيب: المحبر، ١٥٠/١؛ ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (ت٧٢٨هـ): منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط١، بيروت، مؤسسة قرطبة، ١٤٠٦هـ، ١٨٩/٣-١٩٠.

أما من الناحية الثقافية والعلمية، فلم يكن ذا علم وفقه، ويتضح ذلك من بعض المواقف التي لم يحسن التصرف فيها [1]، ولعل عزله عن منصبه كما يراه بعض المؤرخين بسبب ضعفه[2]، فإن صحت الرواية، فقد يكون متأثرا بوالده، فعلى أية حال،لم يكن واليا ناجحا، ولكن كان قائدا فاتحا.

أما أغلب المصادر التاريخية[3]، فتشير إلى أعماله الإنسانية العظيمة، فهو أول من اتخذ الحياض بعرفة لحجاج بيت الله الحرام، وأجرى إليها الماء المعين، وقد اشترى سوق البصرة من ماله، ووهبه لأهله، فلا خراج فيه، وشق نهر البصرة، وسُمي بنهر أم عامر، وقيل ابن عمير، وفي مكة شعب المطابخ ينسب إليه، وله آبار كثيرة، وغيرها.

أبان بن عثمان بن عفان ﷺ ت١٠٥هـ

أبان بن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبدشمس بن عبدمناف بن قصي بن كلاب، يكنى بأبي عبد الله، أو بأبي سعيد، كان من فقهاء التابعين، وعلمائهم، أول من كتب في السيرة النبوية، تولى إمارة المدينة النبوية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان سنة ٧٦هـ، وأُعفي في عهد يزيد بن عبد الملك ٨٣ هـ [4].

---

(١) لما فتح الله عليه بلاد خراسان سجد لله شاكرا، وأحرم بالحج من خراسان، فكتب إليه الخليفة عثمان ﷺ يلومه على تغريره بالنسك. ابن سعد: الطبقات، ٤٦/٥؛ ابن حجر: الإصابة، ١٧/٥.

(٢) شُكي إلى معاوية حتى أكثر عليه في أمره، فكتب إليه يسأله أن يزوره، فقدم عليه، وكان يزوره ويأتيه، ويتغدى عنده، ثم دخل عليه يودعه راجعا إلى عمله فودعه، وقبل وداعه، قال: إني سائلك ثلاثا، فقال: هي لك، وأنا ابن أم حكيم. قال: ترد علي عملي، ولا تغضب علي، قال: قد فعلت، قال: وهب لي مالك بعرفة، قال: قد فعلت، قال: وتهب لي دورك بمكة، قال: قد فعلت، قال: وصلتك رحم، ثم قال عبد الله بن عامر: وإني سألتك يا أمير المؤمنين ثلاثا، فقل قد فعلت، قال: قد فعلت، وأنا ابن هند، قال: ترد إلي مالي بعرفة، قال: قد يرد إليك مالك بعرفة، قال: وتهب لي دورك بمكة، قال: وتنكحني هند بنت معاوية، قال: وقد فعلت، قال:ولا تحاسبني عاملا، ولا تتبع أثري، قال: قد فعلت. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٥٦/٢٩.إن صحت هذه الرواية، فلا أعتبره ضعفا فيه، بل ذكاء، إذ استطاع بذكائه أن يستبدل الولاية بمصاهرة الخليفة.

(٣) ابن سعد : الطبقات ، ٣٤/٥؛ الزبيري: نسب قريش، ص١٤٩؛ ابن حبيب: المحبر، ١٥٠/١؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ١٩١/٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٩/٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٨٨/٨.

(٤) عاش بقية حياته في المدينة بعيدا عن الإدارة والسياسة متفرغا للعلم إلى أن توفي سنة ١٠٥هـ. ابن سعد: الطبقات، ١٥٣/٥؛ خليفة بن خياط: تاريخه، ٩٩/١؛ ابن حبان: مشاهير الأمصار، ص٧٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، =

فأبوه صاحب رسول الله ﷺ عُرف بسيرته الحسنة الحميدة، ونشأ على الأخلاق الفاضلة الكريمة، وكان حييًا، شديد الحياء، عفيف النفس، واللسان، ولحسن خلقه ومعاملته؛ أحبته قريش، حتى ضربت العرب المثل بحبها له [١].

فلأبيه مكانة بين المسلمين، كونه قدم الغالي والرخيص في سبيل نشر الإسلام، ونصرة المسلمين؛ فقد بذل في عهد الرسول ﷺ الكثير من ماله، وفي عهد الخليفة أبو بكر رضي الله عنه، وفي عهد الخليفة عمر رضي الله عنه، وأثناء خلافته، وهذا يدل على أن أسرته ثرية قبل الإسلام وبعده، ولكن ذلك لم يؤثر على تربيته ونشأته.

فنشأ آبان في كنف والدة في أسرة تميزت بالإدارة والسياسة، فتأثر بسياسة والده، وأخلاقه في ولايته على المدينة بحيث كان محبوبًا من أهل المدينة[٢]، وشهدت ولايته نشاطًا علمياً وثقافياً، ونعمت المدينة فترة ولايته بحياة الهدوء والاستقرار، في ظل النزاعات والاضطرابات التي انتشرت في شتى بقاع الدولة الأموية.

هذا من الناحية السياسية أما من الناحية العلمية، فقد اكتسب الكثير من أبيه رضي الله عنه حتى أصبح أعلم الناس بالقضاء، لذا كان مجلسه مرتعًا للعلماء، وطلبة العلم من محدثين وفقهاء، حيث يعتبر من فقهاء المدينة العشرة [٣]، فقد سمع من أبيه رضي الله عنه، وزيد بن ثابت رضي الله عنه، وحدث

٣٥٣-٣٥١/٤

(١) وفي ذلك يقول الشعبي: "كان عثمان في قريش محببًا يوصون إليه، ويعظمونه، وإن كانت المرأة من العرب تُرقِّص صبيها، وهي تقول: أحبك والرحمن حب قريش لعثمان. رواه ابن الأعرابي في معجمه، ابن سعد : الطبقات، ٥٣/٣؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٤٥؛ ابن حجر: الإصابة، ٤٦٢/٢.

(٢) ومن ذلك موقفه من القائد الأموي مسلم بن عقبة الذي أرسله الخليفة يزيد بن معاوية لمواجهة عصيانهم على بني أمية؛ حيث طلب منه أن يدله على عورات المدينة والثغور التي يمكن أن يقتحم منها، فرفض ذلك. الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ٣٥١/٤-٣٥٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٢٣٣/٩.

(٣) قال: يحيى بن سعيد القطان: فقهاء المدينة عشرة، فذكر أبان بن عثمان أحدهم، وخارجة بن زيد، وسالم بن عبد الله، وسعيد بن المسيب، وسليمان بن يسار، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وعروة، والقاسم، وقبيصة بن ذؤيب، وأبو سلمة بن عبد الرحمن. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٣٥١/٤-٣٥٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٢٣٣/٩؛ المزي: تهذيب الكمال، ١٧/٢؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ٣٠٧/٥.

عنه عمرو بن دينار، والزهري، وأبو الزناد وغيرهم [1].

فاقتفى أثر والده في شئون حياته، أما ما تبقى من أسرته فأُمه أم عمرو بنت جندب الدَّوسي[2]،خوإته الأشقاء الأربعة لم يتأثر بهم كثير ً ا، إلا ما كان من أخيه الأكبر – عمرو – الذي اتصف بالعلم، روى أحاديث قليلة، ولكنه لم يحظ بدور سياسي كأخيه [3]، وفيما يبدو أن أبان سار على نهج أخيه الأكبر، وتفوق عليه في طلب العلم وتحصيله، مما أثر عليه فيما بعد أثناء ولايته وبعد إعفائه [4].

فعلى أية حال لابد أن نشير إلى أن الولاة من أبناء البيت الأموي يختلفون عن أبناء الخلفاء، وذلك بالنسبة لسياسة التربية التي سلكها الخلفاء لأبنائهم، واهتمامهم الزائد ليظهروا أمام الناس بأهليتهم لخلافة رسول ﷺ، ومن ذلك إرسال أبنائهم إلى البادية ليتعلموا العربية والأشعار والأدب والأخلاق، وكل ما يتصل بحياة البادية من فروسية وشجاعة وكرم [5].

---

(١) ابن سعد: الطبقات، ١٥١/٥-١٥٣؛ البخاري: التاريخ الكبير، ٤٥٠/١-٤٥١؛ ابن حبان: مشاهير الأمصار، ص٤٩؛ ابن حجر: تقريب التهذيب، ٥٦/١٢.

(٢) لم أجد لها أسم في مصادر التراجم والطبقات غير ما ذكر ابن حبان في كتابه الثقات أن اسمها أسماء. ١٦٨/٥ فهي تُعرف بكنيتها، وأبوها هو الصحابي الجليل جندب بن عمرو بن حممة الدوسي ﷺ، قتل في معركة أجنادين، فعندما ذهب إلى الشام في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ للجهاد في سبيل الله خلّف ابنته عند الخليفة عمر ﷺ وقال: له زّوجها من ترى ولو بشراك نعل، فزوجها الفاروق من عثمان، فولدت له عمًرا، وخالًدا، وأباًنا، وعمر ومريم. الزبيري: نسب قريش، ٣٦/١؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ١٥٨/١.

(٣) لم يحظ عمرو بن عثمان بدور سياسي في الخلافة الأموية، مع أنه متزوج من رملة بنت الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ، والسبب في ذلك أنه لم يخرج مع بني أمية عندما أخرجوهم أهل المدينة بعد رفضهم مبايعة الخليفة يزيد، ونرى لك جلي ً ا في قول القائد الأموي:" يا أهل الشام، تعرفون هذا؟ قالوا: لا. قال: هذا الخبيث بن الطيب. هذا عمرو بن عثمان بن عفان أمير المؤمنين، هي يا عمرو إذا ظهر أهل المدينة قلت: أنا رجل منكم، وإن ظهر أهل الشام قلت: أنا ابن أمير المؤمنين عثمان بن عفان. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٣٧٩/٤.

(٤) إذا نظرنا سنة إعفاءه ٨٤هـ وحتى وفاته سنة ١٠٥ هـ قضاها معتكًفا للعلم والفتياء والتدوين، وذلك مايقارب واحد وعشرين عاًما، علًما بأنه مرض آخر عمره، وأصابه الصمم والفالج.

(٥) ويتضح ذلك من خلال ما ذكره الخليفة عبد الملك عن ابنه الوليد: " أضر بالوليد، حبنا له، فلم نؤدبه في البادية". لأن الوليد لم يكن يحسن النحو. ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد (ت٣٢٨هـ): العقد الفريد، تحقيق : محمد عبدالقادر شاهين ، ط١، بيروت، المكتبة العصرية ، ١٤٢٤هـ ، ٢٤٥/٢.

٢/ أبناء القبائل العربية

اعتمد الخلفاء الأمويون في مختلف عهودهم على العرب في إدارة شؤون الولايات في الدولة، وكان للأسرة العربية دور كبير في التأثير على أبنائها من خلال ولايتهم، ونظًرا لكثرة القبائل والبطون العربية[١] التي كان لها دور في تثبيت الحكم، ونشر الأمن، فكان فيهم القوي المتشدد المتشدد المؤثر، وكان فيهم اللّين المتهاون، ومن الأمثلة على ذلك:

الصحابي الجليل عمرو بن العاص بن وائل القرشي السهمي ﷺ، يكنى أبا عبد الله، وأبا محمد، من فرسان قريش،وأبطالهم المعدودين، وكان أيضًا شاعًرا حسن الشعر، ويُعدُ من دهاة العرب وأمرائهم [٢]، استعمله الرسول ﷺ في بعض غزواته،وولاه عُمان، واستعمله الخليفة أبو أبو بكر ﷺ، والخليفة عمر ﷺ، والخليفة عثمان ﷺ، في عدة ولايات، وعلى رأس الجيوش، وفي العصر الأموي لم يتوان الخليفة معاوية ﷺ في توليته إمارة مصر للمرة الثانية بعد توليها في عهد الخليفة عثمان ﷺ، وذلك لحنكته، وخبرته الطويلة في مجال الإدارة [٣].

نشأ عمرو بن العاص ﷺ في بيت صالح[٤]، لم يتأثر به كما تأثر من أقرانه في الجاهلية، فهو صاحب رأي وفكر في قومه، وقبل إسلامه[٥]، وأخوه هشام بنالعاص أصغر منه سنًا، ولذلك لم يكن له تأثير عليه.

فنستطيع القول إن ولايته لمصر في عهد الخليفة معاوية ﷺ كانت المحطة الأخيرة له، فرمى

---

(١) للمزيد حول ذلك الاطلاع على: علي المزيني، القبائل العربية وأثرها في سلطان بني أمية، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤١١هـ.

(٢) فقد ذكر ابن حجر في الإصابة من طريق الليث قال: " نظر عمر إلى عمرو يمشي، فقال: ماينبغي لأبي عبدالله أن يمشي على الأرض إلا أميرًا ". ٤/ ٦٥٠.

(٣) ابن سعد: الطبقات ٤/ ٢٥٤-٢٥٦؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ٣/ ١١٨٤-١١٩١؛ ابن الأثير: الكامل في في التاريخ، ٣/ ٢٧٤-٢٧٦؛ ابن كثير: البداية ولنهاية، ٨/ ٢٥-٢٨؛ الفاسي: العقد الثمين، ٦/ ٣٩٨-٤٠٦؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٨/ ٥٦-٥٧.

(٤) قال طلحة بن عبيد الله: لا أحدث عن رسول الله ﷺشيئًا، إلا أني سمعته يقول: " إن عمرو بن العاص من من صالح قريش، ونعم أهل البيت عبد الله، وأبو عبد الله، وأم عبد الله ". الحراني، أبو عروة الحسين بن محمد الجزري (ت٣١٨هـ): المنتقى من كتاب الطبقات، تحقيق: إبراهيم صالح، ط١، سوريا، دار البشائر، ١٩٩٤م، ١/ ٣٧.

(٥) وما يدل على ذلك إرساله إلى الحبشة لمحاورة النجاشي، وطلبه في إرجاع المهاجرين إلى مكة.

بثقله من خلال تجربته الواسعة في إدارته السابقة التي كانت لها الأثر الكبير على ولايته، حيث واصل فتوحات الشمال الإفريقي، ونظم أمر العطاء، والإعمار، والبناء، والزراعة، والري، فشمل تأثيره على ولايته جميع النواحي الحضارية، بما في ذلك الثقافية والسياسية.

ومن الولاة خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري البجلي، ويكنى أبو القاسم وقيل: أبو الهيثم، جده يزيد صحابي جليل، أما أمه فهي رومية نصرانية[1]، وقد تباينت المصادر التاريخية[2] في نشأته، وسيرته، فمنهم من ذمه وشتمه، ومنهم من مدحه وبجله.

فكان لخالد بن عبد الله دور مؤثر في ولايتيه على مكة والعراق، ولسنوات طويلة، ولعل لأ صول الأم أثرٌ في ولايته، فمن ذلك ما ورد من بنائه كنيسة لأمه تتعبد فيها، لذا قال الفرزدق فيه:

' قبَّح الرحمن ظهر مطيّ ة	أتتنا تَهادَى مِنْ دمشْق بخالِ دِ
وكيف يؤمُّ النَّاسَ من كانت أمُّه	تُدِين بأنَّ اللّه لْيس بواحِدِ
بنى بيعةً فيها الصليب لأمِّه	ويَهْدِم مِنْ بُغْضٍ منَار المساجد [3]

ويروى[4] أنه كلف جماعة من المسلمين أن يبنوا كنيسة لأمه، فأبوا عليه، وامتنعوا من ذلك وقالوا: كيف يليق بمسلم أن يبني كنيسة؟ فقال: قبح الله دين النصارى، إن كان شرًا من دينكم، ولذا قال الفرزدق هذه الأبيات، مما يدل على عدم بناء الكنيسة لرفض المسلمين ذلك، ويتضح لنا عدم مصداقية الرواية أن العلماء والخلفاء لم يتطرقوا لهذه الحادثة، فلم ينكروا عليه أو يعاتبوه، ولم يُعرف مكانها، وبماذا سميت؟ لو صح بناؤها ، كما أن هذه الرواية من

---

(١) ابتنى فيها أبوه عبد الله، فولدت له خالدًا وأسدًا، ولم تسلم أمه، فذمهم الناس، ونعتوهم، وصاروا يعيرون بها. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ١٢٤/٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤٢٧/٥.

(٢) البخاري: التاريخ الكبير، ١٥٨/٣؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٢٥٤/٧-٢٦٧؛ أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ٢٢/٥-٢٩؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٢٢/٥-١٢٩؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٢٢٦/٢-٢٣٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ٤٢٥/٥-٤٣٣؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ١٠٥/٣.

(٣) البطليوسي، أبو محمد عبد الله بن السيد (ت٥٢١هـ): الحلل في شرح أبيات الجمل، تحقيق: يحيى مراد، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م، ٧٩/١؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٢٢٨/٢؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ٣٧٤/٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ٤٢٨/٥.

(٤) البطليوسي: الحلل، ٧٩/١.

الصعب أن يسلم بها الباحث، وقد جانبها الصواب في نظري، ذلك لأن الخليفة هشام بن عبدالملك لم يكن يرضى بوال على واحدة من أكبر الولايات بهذا المستوى من الدين والأخلاق، علًما بأن الوالي خالد بن عبدالله ع ُرف بالصلاح وعمل الخير [(١)].

وقد أثرت بلاغته وفصاحته وخطابته على كثير من الأحداث في ولايته، ومن ذلك قوله في إحدى خطبة بمكة: " أيها الناس، أيها أعظم خليفة الرجل على أهله أم رسوله إليهم؟ "[(٢)]، ويستشف من ذلك أنه يقصد الخليفة هشام بن عبد الملك حيث جمع له العراقين [(٣)].

وهناك بعض المواقف التي كان لها الأثر الكبير في ولايتيه، كموقفه من القُراء، وخاصة مع التابعي سعيد بن جبير؛ حيث أرسله إلى الحجاج بن يوسف بالعراق فقتله، وأنه ساق ماء عذبه إلى مكه وذم ماء زمزم، وغير ذلك[(٤)].

وفي المقابل نجد له مواقف أخرى تبين مدى تأثره بأسرته، أو بمن حوله من الصالحين، فقد حرم الغناء، واتخذ موقفًا حازًما من المعتزلة، والسحرة، ومدعي النبوة وغيرهم، حتى أثنى عليه العلماء من التابعين بما قام به في خدمة الإسلام [(٥)].

---

(١) كما ورد في بعض المصادر الأدبية شكوى أهل البصرة لأميرهم خالد بن عبدالله القسري أن بعض مؤذني المساجد يصعدون المآذن ليطلعوا على عورات الناس ، فقام بهدم المنائر ، وبنى الكنيسة المزعومة ، فأنشد الفرزدق هذه الأبيات . المبرد : الكامل في اللغة ، ٤٥٣/١ .

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢٥٠/٤.

(٣) ابن قتيبة: المعارف، ص٣١٨؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٥٨٩/٧؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٣٧٠/٤.

(٤) ابن سعد: الطبقات، ٢٦٤/٦؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٢٦٢/٥؛ ابن حبان: الثقات، ٢٧٥/٤؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٢٥٤/٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤٢٧/٥.

(٥) وفي ذلك خطبته الشهيرة حين قال للناس: " يا أيها الناس ضَحُّوا تقبل الله ضحاياكم، فإني ُمضَحٍّ بالجعد بن درهم، لأنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيمخليلاً ، ولم يكلم موسى تكليًما، تعالى الله عما يقول الجعد علًوا كبير ً ا، ثم نزل فذبحه " فذكر ابن القيم إجماع العلماء على فعله، فقال في نونيته:

ولأجل ذا ضحى بجعدٍ خالدُ ال ... قسري يوم ذبائح القربان

لقد شكر الضحية كل صاحب سنة ... لله درك من أخي قربان

الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ٤٣٠/٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٢٢٠/٩؛ ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ): الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، ط١، الرياض، دار

=

وقامت العصبية بدور بارز في ولايتيه؛ حيث استنهض أقاربه، فاستعملهم على البلدان التابعة له، إذ استعمل أخاه أسدًا على خراسان، وولى إسماعيل بن أوسط البجلي على الكوفة، ثم عبد الله بن عمرو البجلي، ثم عاصم بن عمرو البجلي، ثم ضبيس بن عبد الله البجلي، وعلى شرطته السمط بن مسلم البجلي [1].

ولكن عندما خرج المغيرة بن سعيد البجلي في عام ١١٩هـ ممارسًا السحر، ومدعيًا إحياء الموتى، لم يتوان الوالي خالد القسري في مواجهته وقتله [2]، حيث لم تؤثر العصبية في التخلي عن واجبات الوالي ومهمته في القضاء على الفتن والاضطرابات.

ومن الولاة كذلك قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي، يكنى بأبي صالح، وهو من التابعين، تولى إمارة الري في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، ثم تولى إمارة خراسان (٨٦هـ - ٩٦هـ) وقد أبلى فيهما بلاءً حسنًا [3].

ولد القائد الأمير قتيبة بالعراق سنة٤٦هـ، وفي بعض الأقوال٤٨هـ، فنشأ في فترة اضطراب سياسي، ولكنه نشأ في بيت إمرة وقيادة، فأبوه مسلم بن عمرو لديه خبرة في السياسة والقتال، فهو كبير القدر عند يزيد بن معاوية، ورافق مصعب بن الزبير الذي عينه أخوه عبد الله بن الزبير واليًا على العراق، فشارك معه في قتاله ضد الخليفة عبد الملك بن مروان، وقتل في تلك المواجهات [4].

تعلم القرآن والفقه، ثم تعلم الفروسية وفنون الحرب، وكان ذا شرف في قومه، وتقدُم في بلده، وكان أديبًا عالمًا، فأهل البصرة يفخرون به وبولده، وتأثر بأبيه كثيرًا، فأصبح قائدًا محنكًا، وفارسًا شجاعًا، لم تهمه الولاية بقدر ما يهمه الجهاد في سبيل الله، ونشر الإسلام، فمكث مايقارب الثلاثة عشر عامًا في بلاد خراسان واليًا، ومجاهدًا، فتح الله عليه من المدن والقرى

العاصمة، ١٤١٨هـ، ١٠٧١/٣.

(١) خليفة بن خياط : تاريخه، ص٣٥٨.

(٢) ابن حبيب: المحبر، ٤٨٣/١؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٢٦٠/٥؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٩١/٢.

(٣) خليفة بن خياط : تاريخه، ص٣٥٩؛ البلاذري: فتوح البلدان، ٤٩٢/٢؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ٢٢٥/١؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر، ١٧/١.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٨٧/٤؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ٢٢٦/٧.

والحصون والقلاع الشيء الكثير، حتى وصل إلى بلاد الصين [1].

فكانت أسرته غالبها ما بين مجاهد وقائد ووال؛ حيث استعان بهم، فوجه أخاه عمر إلى الطالقان[2]، وأخاه عبد الله إلى خوارزم، وبعث على الترمذ[3] أخاه صالحاً، واستعمل أخاه حمّاداعلى مروروذ، ووجه رجلاً من أهله على الفارياب[4].

فنجد أن أسرته تأثرت بولايته، فأصبح إخوته ينافسونه على قيادته للجيوش، مما جعله ينشد قائلاً:

أَبَى لي آباءٌ كِرامٌ وأَوَّلُ أَقامُوا على ماءِ النَّدى فتَخوضُوا[5]

فلم يكن تأثير الأسرة أو القبيلة العربية كتأثير الأسرة الحاكمة، وذلك بسبب العلاقة الوثيقة التي تربط الوالي بأسرته وعشيرته؛ دون النظر لما يمليه عليه الحاكم في بعض الأحداث، أو التغاضي عن تطبيق القرارات السياسية، أو العسكرية بحذافيرها، إذا كان ذلك يضر بأسرته وقبيلته، فنجد أن بعض الولاة يستعمل أقرباءه في بعض أعماله، ويقربهم ليكونوا له حماية فيما بعدلو أراد الحاكم معاقبته، بالإضافة إلى إنعاش أسرته وقبيلته اقتصادياً.

٣/ أبناء الموالي

تمتع الموالي كغيرهم من أفراد المجتمع بحقوقهم المشروعة بقدر ما كانت تسمح به الأوضاع السائدة، وكانت العلاقة فيما بينهم وبين خلفاء بني أمية علاقة طيبة، فقد كان من هؤلاء الموالي قضاة، وقادة عسكريون، وكُتَّاب في الدواوين، وحُجَّاب على أبواب الخلفاء والولاة، وأفراد الحرس الخاص للخلفاء والولاة، وللمنشآت الحكومية في بعض حواضر الأقاليم.

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٢٢/٤؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٣٥٣/٢؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ١٢٦/٩.

(٢) طالقان: بلدتان إحداهما بخراسان بين مرو الروذ وبلخ، والأخرى بين قزوين وأبهر. الحموي: معجم البلدان، ٦/٤-٧.

(٣) ترمذ: مدينة مشهورة من أمهات المدن تقع إلى الشرق من نهر جيحون. الحموي: معجم البلدان، ٢٦/٢.

(٤) خليفة بن خياط : تاريخه، ص٢٩٥؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٣٥٥/٧؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٢٥٩/٤.

(٥) المرزباني، أبو عبد الله محمد بن عمران (ت٣٨٤هـ): معجم الشعراء، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ، ٦٧/١.

وفوق ذلك كلّه، فقد وصل بعض الموالي إلى أعلى منصب، يمكن أن يصله أحد من أفراد المجتمع، ونعني به منصب الوالي. ولم تختلف أسرة الموالي وثقافتها عن غيرها من الأسر آنذاك، ومن أشهر الموالي الذين تولوا منصب الولاة في العصر الأموي:

موسى بن نصير بن عبد الرحمن بن لخم مولى بني أمية، أصله من عين التمر، كان وصيف عبد العزيز بن مروان فأعتقه [١]، يكنى بأبي عبد الرحمن، ويعتبر من التابعين المصنفين الذين رووا الحديث، حيث روى عن تميم الداري وغيره، ذُكر في كتب الأئمة، كان فصيح اللسان له بلاغة في النثر والنظم، وكان حازمًا وشجاعًا ومقدامًا، له صولات وجولات مع البربر والروم [٢].

وتعتبر أسرته مشتهرة بالشجاعة والبسالة في القتال، فأبوه نصير شارك مع جده في معركة اليرموك، واستشهد فيها، ويقال إن أباه كان من ضمن حرس الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﵁، أما موسى، فخدم بني مروان حتى علا شأنه، فاستعمله الخليفة عبد الملك على خراج البصرة، وأرسله وزيرًا مع أخيه بشر إلى العراق، ثم ولاه إفريقية، فجاءت على يديه فتوح المغرب والأندلس[٣].

نشأ في دمشق بالقرب من الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﵁، فولاه غزو البحر، فغزا قبرص، وبنى بها حصونًا، وقدمه الخليفة معاوية ﵁ لجسامته، وقال: " ما كان للسلطان أن يستعين إلا بالجسيم لهيبته ". فكان هذا في شبابه، مما كان له الأثر بعد توليه الولاية في عهد الخليفة عبد الملك، وابنه الوليد، حيث لم يستقر في ولاية إفريقية، كما مر بنا سابقًا، فتفرغ للجهاد في سبيل الله، والاستمرار في فتح البلاد والمدن والقلاع والحصون [٤].

---

(١) الكندي: الولاة والقضاة، ١/١٤؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ١/٣٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤/٤٩٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٩/١٩٤.

(٢) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٧/٢٠٤؛ ابن عذاري: البيان المغرب ، ١/٣٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ٤/٤٩٧.

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر ، ص٢٠٣؛ الحميدي : جذوة المقتبس ، ١/٣٣؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق ، ١٧/٤٠٧؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٥/٣١٨؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٤/٥٨؛ ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن العماد (ت١٠٨٩هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق : عبدالقادر ومحمد الأرناؤوط ،ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ، ١١/١٢٤.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤/٤٩٩؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ١/٢٣٥؛ المقري: نفح الطيب، =

وفي شئون ولايته استعان بأبنائه ومواليه، فوجه ابنه مروان إلى طنجة [١]، ثم مولاه طارق[٢]، وولى ابنه عبد العزيز على الأندلس[٣]، وولى ابنه عبد الله على إفريقية، فكان متفرغًا للعلم ورواية الحديث [٤].

ومن أشهر الولاة الموالي كذلك إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، واسمه أقرم[٥]، يكنى بأبي عبد الحميد، مولى بني مخزوم [٦]، تابعي ثقة من رواة الحديث، روى له البخاري ومسلم وأبو داود، والنسائي، وابن ماجة، وحدَّث عن أنس بن مالك، وفضالة بن عبيد الله، وعبد الله ابن عمرو بن العاص، والسائب بن يزيد، وقبيصة بن ذؤيب، وغيرهم[٧].

فقد وصف بأنه من ثقات الشاميين وعلمائهم الكبار، وكان زاهدًا[٨] حتى شُبه بالخليفة عمر بن عبد العزيز[٩]، فتأثر بمشايخه من الصحابة كأنس بن مالك[١٠]، وعبد الله بن عمرو،

١/٢٢٩-٢٣٨.

(١) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص٣٤٤.

(٢) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص٣٤٥؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٣٦٩/٧.

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص٣٤٥.

(٤) خليفة بن خياط : تاريخه، ٢٣٨/١؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٢٥٦/٥؛ ابن ماكولا: الإكمال، ٧٦/١؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٤٠٨/١٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٣٥٧/٢.

(٥) ولد سنة ٦١هـ وتوفي في خلافة مروان بن محمد سنة ١٣١هـ، وقيل: سنة ١٣٢هـ قبل دخول عبد الله بن علي دمشق بثلاثة أشهر. ابن العديم: بغية الطلب، ١٧٠٥/٤.

(٦) مولى لعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي. ابن سعد: الطبقات، ٣٤١/٥؛ خليفة بن خياط : تاريخه، ٢٧٨/١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ٢١٣/٥.

(٧) ابن سعد : الطبقات ، ٣٤١/٥؛ خليفة بن خياط : تاريخه ، ٢٧٨/١؛ البخاري: التاريخ الكبير، ٣٦٦/١؛ ابن حبان: الثقات، ٤٠/٦؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٢٣٢/٢.

(٨) مما قيل في زهده: كان يقول: " لو أن هذا الجدار يفجر عن قدير- الطبيخ - ما أذعت به"، ومما روي في زهده كذلكأن إسماعيل قدم إلى رجل زبيبً ا، فجعل يأكل ويطرح حبه، فقال له: " إن كنت شبعت فاتركه. ابن العديم: بغية الطلب ، ١٧٠٠/٤.

(٩) ففي ذلك قال التنوخي: " ما رأيت في هذه الأمة زاهدًا غير اثنين: عمر بن عبد العزيز، وإسماعيل بن عبيد الله المخزومي". ابن العديم: بغية الطلب ، ١٧٠٠/٤.

(١٠) وقد أرسل الخليفة عبد الملك بن مروان إسماعيل بن عبيد الله إلى الحجاج الثقفي لما شكاه أنس بن مالك ﷺ، وتوعده بعدم التعرض للصحابي الجليل أنس بن مالك ﷺ. ابن كثير: البداية والنهاية، ١٣٣/٩-١٣٤.

حتى وصل به الحال من زهده إذا قفل من الصائفة افترش ذراعه، وكان هو وأم ولده ودوابه في بيت واحد، دوابه في ناحية، وهو وأم ولده في ناحية [1]، فنشأته هذه أثرت عليه فيما بعد في ولايته.

فكان عالماً مُحدثًا، روى عنه عبدالرحمن بن عمرو الأوزاعي، و عبدالرحمن بن يزيد بن جابر، وابنه عبدالعزيز بن إسماعيل بن عبيدالله، وسعيد بن عبدالعزيز،وربيعة بن يزيد الدمشقي، والهيثم بن عمران العبسي، وغيرهم [2].

وكان مُربياً ومؤدباً ومعلّما[3] لأبناء الخليفة عبد الملك بن مروان[4]، سعيدًا، ويزيد، وَمَسْلَمة، والوليد، فكان يقول:" كنت أعلم بني عبد الملك من عاتكة، يزيد، ومروان، ومعاوية، ومروان أصغرهم " [5].

ولما تولى الخلافة عمر بن عبدالعزيزسارع بإرساله إلى إفريقية والياً وداعياً ومُعلّما، فتأثر الناس به، فثبت الإسلام في نفوس البربر، ودخل فيه من لم يكن أسلم، حيث يرى بعض المؤرخين[6] أن بربر إفريقيه أسلموا جميعهم في أيام إسماعيل بن أبي المهاجر، وقد علق على ذلك ذلك بعض المستشرقين، فقال جورج مارسيه: " في أقل من قرن واحد اعتنق العدد الأعظم من أبناء أولئك المسيحيين الإسلام، في حماس يجعلهم راغبين في اغتنام الشهادة "[7].

---

(١) ابن العديم: بغية الطلب، ١٧٠٠/٤؛ المزي: تهذيب الكمال، ١٤٧/٣؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر، ٢٢٦/٥؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٣١٧/١.

(٢) البخاري: التاريخ الكبير، ٢١/٦؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٤٣٣/٨؛ المزي: تهذيب الكمال، ١٤٣/٣؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٢٠١/١.

(٣) روى الدوري في تاريخه عن ابن معين ٤٧١/٤ أنه كان معلّما، ولَقّبه الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢١٣/٥ بمُفقّه أولاد عبد الملك الخليفة، وفي تاريخ الإسلام ٣٧٤/٨ بمؤدب آل عبد الملك بن مروان.

(٤) لقد كان الخليفة عبد الملك أكثر خلفاء بني أمية حرصًا، واهتمامًا باختيار المؤدبين لأبنائه، وقد انعكس ذلك الأثر على التاريخ الأموي بشكل عام، فقد أصبح أربعة من أولاده خلفاء، وهم: الوليد وسليمان ويزيد وهشام، ولاغرابة إذ أجمعت كتب التاريخ على وصف الخليفة عبد الملك بالفقيه والعالم.

(٥) ابن أبي زرعة: تاريخ أبي زرعة، ٣٤٧/١؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق ، ٤٣٤/٨؛ المزي: تهذيب الكمال، ١٤٦/٣؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٢٧٧/١.

(٦) ابن عذاري: البيان المغرب، ٤٨/١؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ١٨٨/٤.

(٧) يقصد بهم نصارى البربر الذين يؤلفون العدد الأكبر لسكان المغرب،كما يذكر أن بعضًا منهم كانوا وثنيين،

=

فكان من أسرة اشتهرت بالعلم ورواية الحديث، فأخوه إسحاق بن عبيد الله من رواة الحديث، وهو شيخ الوليد بن مسلم، وأبناؤه عبد العزيز، وعبد الغفار، ويحيى، وعبد الرحمن، من طلبة العلم ورواة الحديث، مما أثر على الوالي إسماعيل في ولايته في جميع النواحي [١].

ويستفاد من المصادر إلى ماوصلت إليه إفريقية في عهد ولاية إسماعيل بن عبيد الله من نشر الإسلام، ورغد العيش، إلا أن وصف بخير أمير، وخير وال ، فلم يحظ والي إفريقية بهذه المكانة إلا بعد قيامه بأعمال جليلة، جعلته في مصاف خليفته آنذاك[٢].

لذا نراه يقرب العلماء، ويعطيهم كفايتهم، حتى لايشغلهم شيء عن تلاوة القرآن، والسنة وتعاليمها، فلا شك أن القدوة الحسنة ذات تأثير كبير في مجال الدعوة، إذ إنها من الأسباب الكبرى المؤدية للنجاح، فنرى الخليفة عمر بن عبد العزيز يرسله ليس واليًا فحسب، بل على رأس بعثة علمية[٣] ، لأنه كان مهتمًا باللغة العربية، حتى غدا من علمائها المعدودين[٤]، مما جعل البربر يقبلون على تعلم اللغة العربية، وإتقانها.

فعلى أية حال، لم يكن التكوين الأسري والثقافي لدى الولاة العامل المؤثر الوحيد في مواقفهم من الاتجاهات الثقافية والسياسية، بل تعتبر سياسة خلفاء الدولة الأموية أحد العوامل المؤثرة في مواقف الولاة، وهذا ما سنتطرق إلية في المبحث الثاني.

ويعتقد استنادًا إلى ابن خلدون أن هولاء الوثنيين هم صنهاجة السوس. عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ٢٩١/١.

(١) البخاري: التاريخ الكبير، ٣٦٧/٥ – ١٢١/٦ – ٢٦٠/٨؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ١٥٦/١.

(٢) المالكي: رياض النفوس، ١٦٦/١؛ ابن عذاري: البيان المغرب ، ٤٤/١؛ النويري: نهاية الأرب، ٥٦/٢٤.

(٣) تتكون هذه البعثة من عشرة من كبار التابعين، وهم: أبو عبد الرحمن الحبلي، وأبو مسعود التجيبي، وإسماعيل بن عبيد الأنصاري، وأبو الجهم التنوخي، وموهب بن حي المعافري، وحبان بن أبي جبلة القرشي، وأبو ثمامة بكر بن سودة الجذامي، وأبو سعيد بن جعثل بن هاعان، وطلق بن جابان الفارسي، وأبو عبدالحميد إسماعيل بن عبيدالله الذي تولى الإمارة، بالإضافة إلى عمله معلمًا، وداعيًا، ورئيسًا لهذه البعثة التي كان هدفها الدعوة للدين الإسلامي، وتطبيقه في المغرب. المالكي: رياض النفوس، ١٠٠/١–١٠٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٢٠٣/٩.

(٤) أورد ابن عساكر في كتابه تاريخ دمشق أن الخليفة عبد الملك كان يقول: " ما رأيت مثلنا ومثل هذه الأعاجم، كان الملك فيهم دهرًا طويلاً ، فوالله مااستعانوا منا إلا برجل واحد – يعني النعمان بن المنذر – ثم عدوا عليه فقتلوه، وإن الملك فينا هذه المدة، وقد استعنا منهم برجال حتى في لساننا، هذا إسماعيل بن عبيد الله، يعلم ولد أمير المؤمنين العربية ". ١١٢/٢.

المبحث الثاني: سياسة الدولة الأموية

لم يكن يغب عن ذهن الخلفاء أن الولاة على البلدان هم خلفاؤهم فيها، وأنهم مأخوذون بجريرتهم، ولذلك حرصوا أن يكون هؤلاء الولاة رضا، يوفون بما أقاموا أنفسهم له، فاختيار الولاة من الخلفاء يأتي منسجمًا مع الأسس المتبعة في اختيار الولاة، كالصحبة، والكفاية، والولاء وغيرها، وفي الفترة الأخيرة انعكست الأزمة السياسية التي مّر بها سلطان بني أمية على سياسة الخلفاء في اختيار الولاة[1].

لذا فمن الطبيعي أن يتأثر الولاة بسياسة خلفائهم، وذلك في تطبيق قراراتهم، وبنفس الحال نجد أن الخلفاء أنفسهم يختلفون في سياستهم تجاه الولاة من ناحية، والرعية من ناحية أخرى، بل يتضح من سياسة الخلفاء النقم على الولاة السابقين، وقد يصل إلى تعذيبهم،وقتلهم أحيانًا لمخالفتهم، أو الوقوف ضدهم في قضية معينة، وفي المقابل يكافئون من وقف بصفهم، سواء في القضايا السياسية، أو الثقافية أو غيرها.

وبذلك نرى أن سياسة الدولة تختلف من حين إلى آخر، ففي بداية العصر الأموي قامت سياسة الخليفة معاوية ﷺ مع المجتمع على أساس التعامل مع الأمر الواقع، وفي إطار تلك السياسة، فقد استن الخليفة معاوية ﷺ طريقة في التعامل بين السلطة والمجتمع، وهي ما أطلق عليها " شعرة معاوية "، وتتلخص في إيجاد نوع من التوازن في العلاقة بين الدولة والمجتمع، بحيث لاتصل الأمور بينهما مهما تأزمت إلى مرحلة اللاعودة، ويمكن من خلال تلك السياسة السماح بوجود مساحة معقولة من الخلافات، شريطة ألا تتسع إلى درجة خطيرة، وألا تتحول إلى صدام مسلح، وفي ذلك يقول: " لو كان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت، إن جبذوها أرسلتها، وإن خلوها أرسلتها " [2]، ولذا نجد أن أغلب ولاة الأقاليم في عهده تأثروا بهذه السياسة الحكيمة، فابتعدوا عن مواجهة المجتمع بالسلاح والقوة، وحاولوا بقدر المستطاع تجنيب الأمة التناحر والتنافر، فبمجرد شكوى الرعية للخليفة من والٍ معين، يقوم الخليفة بالتحقق،

---

(١) للمزيد حول الأسس المتبعة في اختيار الولاة راجع : أحمد بوقجاني : موقف الفرق الإسلامية من سياسة بني أمية ، رسالة ماجستير ، المعهد الوطني لأصول الدين ، الجزائر ، ص٧٨ ؛ محمد ضيف الله البطاينة: سياسة بني أمية في اختيار الولاة، مجلة العرب، جـ ٧-٨، ١٤٠٥هـ، ص ٥٧.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ١٠٦/٢.

ومحاسبة الوالي، حتى لو أدى ذلك إلى عزله.

وبالرغم من أن بعض الولاة كانوا من أفراد البيت الأموي، أو من غيرهم، فقد أعطوا صلاحيات واسعة لإدارة شؤون ولاياتهم، فكان لهم مواقف من الاتجاهات الثقافية والسياسية، إلا أنهم كانوا دائما معرضين للمساءلة والعزل، فمثلاً تشير الروايات أن الخليفة يزيد بن معاوية قام بعزل الوليد بن عتبة بن أبي سفيان والي المدينة؛ لأنه فشل في أخذ البيعة له من الحسين بن علي رضي الله عنه، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنه، وعبد الله بن عمر رضي الله عنه، فهذا دليل على أن الولاة متى ما أهملوا توجيهات الخليفة، فلربما يكون مصيرهم العزل [(١)].

وفي موقف آخر، نجد أن الخليفة الوليد بن عبد الملك يعزل ابن عمه عمر بن عبد العزيز واليه على المدينة، لمجرد أن الحجاج كتب إليه أن الهاربين من سلطته في العراق يجدون مأوى لهم في هاتين المدينتين، وستكون له آثار سلبية على الأمويين، فكان للحجاج ما أراد، بالرغم من الإصلاحات التي قام بها الوالي عمر بن عبد العزيز [(٢)].

وإذا كان هذا التشدد قد حدث مع أبناء البيت الأموي، فإن ما حدث للولاة من الفئات الأخرى كان أقسى، وأمر، فهذا الحجاج بن يوسف الثقفي أخلص ولاة بني أمية، وأقدرهم، وأقربهم إلى الخليفة عبد الملك وابنه الوليد من بعده، نجده قد تعرَّض للّوم من الخليفة، ومن ثم للإبعاد عن ولاية الحجاز استجابة لطلب أهلها [(٣)].

فكان هم هؤلاء الولاة أن يحفظوا ما استرعوا من الأمانة، ويقوموا بما أسند إليهم قيامًا مرضيًا، لأهل الولاية والدولة، وهم، وإن توحدت همومهم، فإن وسائلهم في أداء أعمالهم كانت تختلف أحيانًا، واختلاف وسائلهم كان يعود في الأغلب إلى عوامل من أهمها سياسة الدولة.

وقد تكون ولاية العراق مثالاً مناسبًا لبيان ذلك، فالوالي المغيرة بن شعبة رضي الله عنه سلك سياسة حكيمة في التعامل مع أهل الكوفة، واتخذ معهم موقفًا حازمًا، فعلى أثر الصلح بين الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وتنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية، دخل

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٢٥٠/٤.

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٢٥٦/٥؛ ابن الجوزي: المنتظم، ٣١٧/٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٣٤٧/٢؛ النويري: نهاية الأرب ، ٦٤/٦.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٤٣/٧؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٤٢/٢.

أهل الكوفة في الجماعة، وبايعوا معاوية، حتى إذا بلغه أن الخوارج استعدوا للخروج، أرسل شرطته للقبض عليهم، وزجَّ بهم في السجن، ثم قام في أهل الكوفة، فحبب إليهم الطاعة والأمن، وبغّض إليهم الخلاف والشقاق[1].

وكذلك الوالي زياد بن أبيه، سار على نهج المغيرة بن شعبة، فقد أعلن لما جاء البصرة واليًا، أنه لن يكشف لأحد قناعًا، ولا يهتك له سترًا، مهما اعتمل البغض في صدره لزياد، حتى يبدي صفحته، ويخرج على الدولة [2].

ونجاح هذه السياسة التي انتهجها ولاة العراق في تأكيد هيبة الدولة، لا يعود فحسب إلى الشدّة في هذه السياسة، فالشدّة وحدها ليست كفيلة بتنفيذ أوامر الخليفة، حيث اعتمد الولاة على قدرتهم الإدارية، والسياسة الحكيمة.

فلم يكن ولاة العراق وحدهم من تأثر بسياسة الدولة الأموية المتمثلة بالخليفة، بل غالبية الولاة في شتى الأقاليم، تأثروا بسياسة خلفائهم، وخاصة في عصر الخليفة عمر بن عبد العزيز، حيث اتضح تغير كبير في سياسة الدولة، ومع ذلك نجد الولاة يتأثرون في مواقفهم السياسية والفكرية في قضايا المجتمع.

فعلى سبيل المثال لا الحصر، والي إفريقية إسماعيل بن عبيدالله الذي تأثر في سياسة الدولة على مواقفه السياسية والفكرية، حيث لم يغفل عن تطبيق سياسة الخليفة عمر بن عبد العزيز، وذلك في عدم إسناد أي عمل يخص المسلمين إلى غيرهم [3].

وكانت سياسة الدولة في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز قائمة على العدل، وتطبيق الشريعة الإسلامية، دون تفريق بين كبير وصغير، لذا نرى من تأثر بعض الولاة بهذه السياسة، وحرصهم على مراجعة الخليفة على أدق الأمور، فكان رد الخليفة واضحًا من خلال قوله لأحد ولاته: " إذا أمرتك أن تعطي فلانًا شاة سألتني: أضائن أم ماعز؟ فإن بينت لك قلت: أذكر أم أنثى؟ فإن أخبرتك قلت: أسوداء أم بيضاء؟ فإذا أمرتك بشيء فلا تراجعني" [4].

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٥/١٨٤-١٨٥.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ١/٢٠١؛ المبرد: الكامل في اللغة، ٣/٢٦٠-٢٦١.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ٩/١٣٢.

(٤) الزمخشري، أبو القاسم محمد بن عمر (ت٥٣٨هـ): الكشاف، تحقيق: عبد الرحمن مهدي، ط١، بيروت، دار =

ولو نظرنا إلى غالبية الولاة في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، نراهم يشابهونه إلى حد كبير في تصريف أعمالهم، وذلك بسبب اختياره منصب الوالي لمن عُرف بالزهد والصلاح، فكانت سياستهم مستمدة من الخليفة نفسه الذي رسم لهم الطريقة الواضحة في إدارة ولاياتهم، ووضع قواعد إدارية يلتزم بها الولاة (1).

وفي فترات معينة من الخلافة الأموية، أدت سياسة الدولة إلى تسلط بعض الولاة على الرعية في عدة مواقف، فمن ذلك موقف والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي مع التابعي الجليل سعيد بن جبير وقتله، حتى قال سعيد: " اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي " (2).

ومن تلك المواقف، ما يقوم به بعض الولاة من البطش والتنكيل بالولاة السابقين، وذلك إرضاء لسياسة الخليفة، حيث قام والي المدينة عبد الواحد بن عبد الله النضري بتغريم، وسجن، وتعذيب الوالي السابق عبد الرحمن بن الضحاك الفهري (3)، كما قام والي العراق يوسف بن عمر الثقفي بسجن، وتعذيب الوالي السابق خالد بن عبد الله القسري (4)، وغيرها من المواقف التي تأثر بها الولاة من سياسة الدولة.

وكان لسياسة الدولة مواقف مختلفة مع الخراج، مما أثر ذلك في مواقف بعض الولاة، فنرى والي خراسان أشرس بن عبد الله السلمي، قرر إلغاء الجزية عمن أسلم، بحجة أن أهل السُّغد لم يسلموا رغبة وإنما أسلموا تهرباً من الجزية، فكان لذلك الموقف أثر على الولاية؛ حيث كفرت السُّغد، وبخارى، وغيرها من القرى (5).

المعرفة، 199م، 1/100.

(1) منع الخليفة عمر بن عبد العزيز الولاة من التجارة، وذلك لعدم استغلال مناصبهم لمصلحتهم الخاصة، حيث أرسل كتاباً للولاة جاء فيه: " ونرى أن لايتجر إمام، ولا يحل لعامل تجارة في سلطانه الذي هو عليه، فإن الأمير متى يتجر يستأثر، ويصب أمورًا فيها عنت، وإن حرص على أن لايفعل ". ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبد العزيز، ص99.

(2) ابن خلكان: وفيات الأعيان، 2/372؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، 4/332؛ ابن كثير: البداية والنهاية، 9/116.

(3) وذلك تمشياً مع سياسة الخليفة يزيد بن عبد الملك؛ حيث قال: "... وأغرمه أربعين ألف دينار، وعذبه حتى أسمع صوته، وأنا على فراشي". الطبري: تاريخ الأمم والملوك، 4/104؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، 2/389.

(4) الطبري : تاريخ الأمم والملوك، 4/187؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، 2/423.

(5) الطبري : تاريخ الأمم والملوك، 7/557؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، 4/384.

أما بعض الولاة، فلا يتأثر بسياسة الدولة فحسب، بل يتعدى ذلك إلى ابتغاء أي فعل لكسب رضا الخليفة، والمبالغة في عزمه على فرض الطاعة، ومعاقبة المخالفين، ويتضح ذلك في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك؛ حيث قام والي مكة خالد بن عبدالله القسري خاطباً بقوله: " أيها الناس، عليكم بالطاعة، ولزوم الجماعة، وإياكم والشبهات؛ فإني والله ما أوتي بأحدٍ يطعن على إمامه، إلاّ صلبته في الحرم " [1].

وفي عهد الخليفة هشام بن عبد الملك يستمر الوالي خالد بن عبد الله القسري في سياسته، وذلك بتأثره بسياسة الدولة، حيث ظهر ذلك في بعض خطبه التي ألقاها في مكة قائلاً: " أيها الناس، أيهما أعظم خليفة الرجل على أهله، أم رسوله إليهم "[2].

فكان الولاة أداة في تطبيق سياسة الدولة، فالخليفة عبد الملك بن مروان يعد أهل الكوفة خيراً بعد انتصاره على مصعب بن الزبير بقوله: " إني قد استعملت عليكم بشر بن مروان، وأمرته بالأحسان إلى أهل الطاعة، والشدة على أهل المعصية "[3]، فبين الخليفة سياسة الوالي التي سينتهجها مع الرعية دون الرجوع إليه.

ولما تم ترشيح محمد بن يزيد القرشي لولاية إفريقية والمغرب، طلب منه الخليفة سليمان بن عبدالملك الحضور ليرسم له الخطة التي ينهجها في سياسته، فقال له: " يا محمد بن يزيد اتق الله وحده لا شريك له، وقم فيما وليناك بالحق والعدل..." [4].

وقد نلاحظ تأثر الولاة في زمن معين من سياسة الدولة، ففي عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك سارع الولاة في المشرق، كقتيبة بن مسلم، ومحمد بن القاسم، وفي المغرب كموسى

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١١٨/٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢٥٠/٤.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ١٦٤/٦.

(٤) الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، ص٩٣؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ٤٧/١؛ النويري: نهاية الأرب، ٥٤/٢٤.

ابن نصير، وطارق بن زياد، وغيرهم بالتأثر بسياسة الدولة الخارجية، ففتحوا الحصون والقلاع، حتى بلغت الفتوحات الإسلامية أقصى اتساع لها [١].

وتُعد مواسم الحج[٢] من المواقف السياسية والفكرية التي تأثر بها ولاة الحجاز، أو أمير الحج بسياسة الدولة الأموية، من خلال تفقدهم أحوال الرعية، والسؤال عن العمال، ويظهر ذلك عند الحجاج بن يوسف لما سئل رجلاً من أهل اليمن في موسم الحج عن أخيه محمد، وسيرته بين الناس، فقال:" تركته عظيمًا، جسيمًا لبّاسا، ركّابا، خرّاجا، ولاّجا "، قال: ليس عن هذا سألتك؛ قال:" تركته ظلومًا، غشومًا، مطيعًا للمخلوق عاصيًا للخالق " [٣].

ولقد سلك خلفاء بني أمية في تعاملهم مع أهل الحجاز مسلكًا خاصًا، فلطالما نهجوا سياسة المهادنة والملاطفة مع أهل الحجاز عامة، وأهل مكة خاصة، فسلك ولاتهم نفس المنهج في استخدام أسلوب اللين، والترضية، والملاطفة، ومداراتهم، وتفريق العطايا عليهم، والتجاوز والصفح عن ما يلاقيه من قوة وحدّة أثناء مخاطبتهم إياه، فضرب والي المدينة عمر بن عبدالعزيز أروع الأمثلة في حسن المعاملة، حتى أصبحت الولاية مضربًا للمثل في الطمأنينة والأمن والأمان [٤].

وسلك بعض خلفاء بني أمية الشدة والقسوة والجباية، لا الهداية، ويتضح ذلك من تأثر بعض ولاته بسياسته، فهذا يزيد بن أبي مسلم والي إفريقية، ما أن دخل إفريقية حتى أعلن تطبيق سيرة خليفته في البلاد، حيث جعل البلاد بأكملها في حكم البلاد المفتوحة عنوة،

---

(١) وذكر الذهبي ذلك في سيرة الخليفة الوليد بن عبد الملك: "... وفتحت فيها الفتوحات العظيمة، كأيام عمر بن الخطاب ﷺ. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٦٧/٤.

(٢) لم يكن موسم الحج مقتصرًا على أداء شعائر الحج فحسب، بل كان ملتقى للعلماء، وطلبة العلم، واتخذه الخلفاء منبراً يعلن فيه كل ما يراد أن تسمعه الأمة، كأخذ البيعة لولاية العهد، ومن ذلك فعل الخليفة سليمان بن عبد الملك؛ حيث كان ينوي بأخذ البيعة لابنه أيوب. اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ٢٩٨/٢.

(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٣٣٨/٣؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ٣٦٦/٢٣-٣٦٧.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٩٠/٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٥٧٧/٤.

وجعل أهلها في حكم أهل الذمة الذين تفرض عليهم الجزية، مما زاد الأمر سوءاً أدى ذلك إلى مقتله (١).

وضمت ولاية خراسان والمشرق العديد من المواقف السياسية التي تأثر بها الولاة من سياسة الدولة، فعلى سبيل المثال اتسمت ولاية نصر بن سيار في خراسان حرصه على إدامة الوجود العربي في الأقليم، وتصديه للحركات المضادة، كحركة الحارث بن سريج، ويحيى بن يزيد، وجديع بن علي الكرماني (٢).

ومما لاشك فيه أن الدولة الأموية في سياستها اعتمدت على العنصر العربي، بل إنها قربت إليها بعض القبائل دون غيرها، مما أدى ذلك إلى استفحال أمر العصبية القبلية، حين أذكى نيرانها بعض الخلفاء، فقد كان تعيين الوالي القيسي المضري بعني تقريب القيسية، واضطهاد الكلبية اليمنية، فسرعان ما تأثر بها ولاة الأقاليم في بلدانهم، وقد أدى ذلك مثلاً إلى إنهاء ولاية عبيد الله بن الحبحاب عندما تحالف عبد الأعلى بن جريج مولى موسى بن نصير مع ميسرة في الثورة التي اشتعلت سنة ١٢٢هـ (٣).

أما في المواقف الثقافية، فقد تأثر الولاة بسياسة الدولة في شتى المجالات الثقافية، فتارة يشتهر بعض الولاة في إلقاء الخطب السياسية للدفاع عن حق بني أمية بالخلافة، كقول والي المدينة عمرو بن سعيد: "... ثم شرخ أمر بين أمريفَقتلنا وقُتِ لنا، فوالله ما نزعنا، ولا نزع عنا، حتى شرِبَ الدمُ دمًا، وأكل اللحم لحمًا، وقرع العظم عظمًا... عركًا عركًا، وعسفًا عسفًا، وذخرًا ونهسًا، حتى طابوا عن حقنا نفسًا ... " (٤).

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٦/٦١٧؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٦/٣١١؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ٤٨/١؛ النويري: نهاية الأرب، ٣٩٣/٢١.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٧/١٥٥-١٥٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٥/٢٢٦-٢٢٧.

(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ٢٨٧/١.

(٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٤/١٣٣-١٣٤.

وتارة أخرى في الدعوة إلى الطاعة، والتحذير من الفتن، ومن ذلك قول والي مصر عتبة بن أبي سفيان: "... واعلموا أن سلطاننا على أبدانكم دون قلوبكم، فأصلحوا لنا ما ظهرنكلكم إلى الله فيما بطن، وأظهروا خير ً ا، وإن أسررتم شًرا ..." (١).

وأخرى في التهديد، والإغراء، فقد تباين ولاة بني أمية في استخدام أساليب الجذب والإقناع، واستمالة النفوس، وتهدئة الأوضاع، وإخماد الفتن، فعلى سبيل المثال والي العراق زياد بن أبيه، الذي كان مجاهًرا بالتهديد، ومتجاوًزا لحدود الإنصاف، فيقمع معارضيه كلما زادت عرى ولايته وثوقًا في العراق، مع حرصه الشديد على كم أفواه طالما رمته في نسبه، وكرهت ولايته، يقول في إحدى خطبه: "... فلا يكونن لسان أحدكم شفرة تجري على أوداجه، وليعلم إذا خلا بنفسه أني قد حملت سيفي بيدي، فإن أشهره لم أغمده... " (٢).

وتارة للتفاخر بتطبيق سياسة الدولة، فمن ذلك قول والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي في خطبته: "... إن أمير المؤمنين نثر كنانته، فوجدني أمرها طعًما، وأحدها سنانًا، وأقواها قدًحا..." (٣).

وأخرى في الدعوة للتمسك بأهداب الدين متأثرين بسياسة الدولة(٤)، فهذا زياد بن أبيه يؤنب المتهاونين في أمور دينهم، وذلك حين يخاطب أهل البصرة بقوله: " كأنكم لم تقرءوا كتاب الله، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته، والعذاب الأليم لأهل

---

(١) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ٢٣٩/٢.

(٢) ابن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد عبد الحميد (ت٦٥٦هـ): شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٦م، ٨١٧/٤.

(٣) المسعودي: مروج الذهب، ١٣٣/٣.

(٤) انتهز بعض الخلفاء المناسبات التي تتيح لهم اللقاء بالناس؛ ليبثوا مواعظهم بوصفه المسؤولين عن الرعية، وسلوكها، لتستكمل صورة السلطتين الدينية والدنيويةلتي يمتاز بها خليفة المسلمين، ليكون رمًزا للدين والقيادة معًا، وللخلفاء العديد من الخطب الدينية والسياسية، للاستزادة حول ذلك راجع: الجاحظ: البيان والتبيين، ١٤٢/٣؛ المسعودي: مروج الذهب، ١٨٤/٣، ١٩٤/٣.

معصيته في الزمن السرمدي الذي لا يزول... ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه، من ترككم الضعيف يقهر، ويؤخذ ماله "[(١)].

وتعدت لتك الخُطب السياسية التي انتهجها بعض الولاة إلى مواقف من ثقافة معينة، كما مر بنا سابقًا موقف الوالي الحجاج بن يوسف الثقفي من الصحابي الجليل أنس بن مالك ﷺ، ودور سياسة الدولة في احتواء الموقف.

وكان للشعر والشعراء دور مهم في التأثير على الساحة السياسية، والثقافية بشكل عام، مما جعل بعض الولاة يتخذ الشعر سلاحًا تارة، وأداة للحوار تارة أخرى، سواء كان شاعرًا، أو قرب الشعراء، وفتح لهم مجلسه، واستغلهم بتسيير أمور ولايته، والدفاع عنها، وأغدق عليهم الأعطيات، فهم وسيلة إعلامية اتخذها الولاة للترويج لهم بين أوساط المجتمع، وإظهارهم بالمظهر الحسن أمام الرعية، متأثرين بذلك بسياسة الدولة في تلك الفترة [(٢)].

فكانت سياسة الدولة تقتضي جلب الشعراء في عدة مناسبات سياسية، كمبايعة الخليفة، أو ولاية العهد، أو بعد الانتصار في معركة وغيرها، فنهج الولاة سياستهم، فعندما تولى عبد الرحمن ابن أم الحكم ولاية الكوفة للخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ، دخل عليه الشاعر عبد الله بن الزبير الأسدي، وأنشده شعرًا بهذه المناسبة [(٣)].

وكذلك حينما تولى قتيبة بن مسلم الباهلي خراسان للخليفة عبد الملك بن مروان، حضر مجلس قتيبة الشاعر كعب بن معدان الأشقري — أحد شعراء خراسان، وأصله من عمان —

---

(١) الجاحظ: البيان والتبيين ، ٦٢/٢.

(٢) باستثناء خلافة عمر بن عبد العزيز الذي أبعدهم عن مجلسه، وقرب العلماء والفقهاء وغيرهم. ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٩١/٢؛ أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ٤٧/٨؛ ابن الجوزي: المنتظم، ٣٤١/٢؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٤٣٠/١؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٢٩٢/٩.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ٣٩٠/١٤.

ومدحه بأبيات من الشعر بهذه المناسبة [1].

وكان تحقيق النصر من قبل الولاة في الفتوحات، أو التغلب على الخارجين على طاعة الدولة، من المناسبات السياسية التي كان يحضرها الشعراء، فيلقون القصائد تلو الأخرى بهذه المناسبة، فلما تغلب المهلب بن أبي صفرة على قطري بن الفجاءة – أحد زعماء الخوارج – جلس لاستقبال الناس بهذه المناسبة، فحضر مجلسه جمع من الشعراء الذين مدحوه، وفيهم الشاعر المغيرة بن حبناء بن عمرو، الذي ألقى قصائد جياد بهذه المناسبة، أعجب بها المهلب فقال: " هذا والله الشعر، لا ما نتعلل به "، ثم أحسن صلته [2].

وبما أن بعض الخلفاء الأمويين اتخذوا شعراء خاصين بهم دون غيرهم، وذلك بما يسمى شاعر الخليفة، فقد تأثر بهم الولاة، فنجد والي المدينة عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك للخليفة مروان بن محمد، اتخذ من الشاعر إبراهيم بن علي المعروف بابن هرمة – أحد شعراء المدينة – شاعرًا خاصًا له، واشترط عليه أن لا يمتدح أحدًا غيره [3].

وتبين مما سبق الآتي :

١. أن سياسة الدولة الأموية كانت متفاوتة من حين إلى آخر على حسب آراء الخليفة، وتوجهاته.
٢. تأثر الولاة والعمال بسياسة الدولة، وذلك رغبة في كسب رضاء الخليفة، والبقاء في منصبه لمدة أطول .
٣. استثناء بعض الولاة الذين لم يتأثروا بسياسة الخليفة ، وكان لهم مواقف مختلفة، أغضبت الخليفة، أو تغاضى عنها، ولكنهم كانوا قلة بالنسبة لغالب الولاة الذين يعينهم الخليفة ليطيعوا أوامره بدون تردد أو عصيان.

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٤/٤٢٤، ٦/٤٧١؛ أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ، ١٤/٢٩٩؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٥٠/٢١٢؛ الحموي: معجم البلدان، ٣/٤٦٦.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ، ١٣/٥٤-٥٥.

(٣) ابن واصل، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سالم الحموي (ت٦٩٧هـ): تجريد الأغاني، تحقيق: طه حسين وإبراهيم الأيباري، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٠م، ٢/٧٤٥.

المبحث الثالث: موقف العلماء والقضاة

زخر العصر الأموي بكثير من العلماء والقضاة على امتداده الزماني والمكاني، يأتي في طليعتهم جيل الصحابة ﭫ الذين عاصروا هذه الدولة، وتركوا آثارًا واضحة على الحياة السياسية والاجتماعية فيها، وجيل التابعين الذين أخذوا عنهم، وورثوا منهم، فلا ريب إذا كان أبرز خلفاء بني أمية من العلماء[1]، حيث كانت مجالسهم تضم الكثير من العلماء والقضاة[2] الذين يفدون إليهم،بناءً على طلب منهم، أو للوعظ والنصح والتوجيه، أو لغيرها من المناسبات، ولم تخل مجالس الولاة كذلك من العلماء والقضاة الذين كان لهم دور مؤثر في صياغة القرار السياسي، والتأثير في إدارة الولاية، ولم تقتصر مشاركتهم في المواقف السياسية فحسب، بل شاركوا كذلك في مواقف الولاة من الاتجاهات الثقافية .

وقبل الحديث عن تأثير العلماء في مواقف الولاة من الاتجاهات الثقافية والسياسية، لابد أن نُشير إلى أن بعض الولاة في العصر الأموي كانوا من العلماء والقضاة، فعلى سبيل المثال تولي الإمام الفقيه والصحابي الجليل أبو هريرة ﭬ إمارة المدينة نيابة عن مروان بن الحكم في عهد الخليفة معاوية ﭬوغالبًا ما يسند إلى الوالي – إذا كان من أهل العلم – منصب القضاء[3].

ومن ذلك أيضًا تولي العالم والصحابي الجليل سمرة بن جندب ﭬ ولاية البصرة والكوفة نيابة عن زياد بن أبيه، فكان زياد يستخلفه على البصرة إذا سار إلى الكوفة، ويستخلفه على الكوفة إذا سار إلى البصرة، وكان شديدًا على الخوارج [4] ، وورد أيضًا أن زيادًا كان يستخلف

---

(١) للمزيد من المعلومات حول دور العلماء في الحياة السياسية في الدولة الأموية، راجع: عبد الله بن عبد الرحمن الخرعان: أثر العلماء في الحياة السياسية في الدولة الأموية، ط١، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٤هـ.

(٢) للمزيد من المعلومات حول دور القضاة في العصر الأموي، راجع: محمد بن عبد الله الغنام: تاريخ القضاء في عهد الدولة الأموية، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٧هـ.

(٣) وكان أبو هريرة مرِحًا فلم يدع المرح خلال نيابته في الإمارة، فقد ورد عنه أنه كان يركب حمارًا وفي رأسه حبل من ليف، فيلقى الرجل فيقول: الطريق قد جاء الأمير. الفاكهي: أخبار مكة، ١١/٣-١٢؛ وكيع: أخبار القضاة، ٢٥٧/١؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ٢٠٣/٢٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ١١٣/٨.

(٤) ابن سعد: الطبقات، ٣٤/٦؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٣٣٨/٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٨٦/٣؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ٢٩/٨.

عمرو بن حريث المخزومي على الكوفة إذا خرج إلى البصرة [١].

ومن الولاة العلماء في العصر الأموي الإمام مسروق بن الأجدع، تولى بعض قرى واسط[٢]، لزياد بن أبيه ومكث بها والياً حتى وفاته[٣]، وتولي الإمام موسى بن طلحة بن عبيدالله الكوفة لعمر بن هبيرة [٤].

ومن أولئك العلماء الصحابي الجليل الحكم بن عمرو الغفاري ﷺ الذي تولى ولاية خراسان لزياد بن أبيه [٥]، كما ورد أن الربيع بن زياد الحارثي تولى خراسان لزياد بن أبيه وفتح عامّتها[٦].

أما القضاة، فلم يكونوا قابعين في مجالسهم ينتظرون الخصوم، بل كان لهم مشاركات إدارية غير القضاء، كتولي الإمارة، ومن ذلك تولي القاضي عبادة بن نُسي الأردن[٧]، وتولي القاضي سالم بن وابصة العبدي الرقة[٨]، كما تولى بعضهم أمور الأسواق وشئونها، والمساهمة في جمع الزكاة، بالإضافة إلى القيام بأمور الشرطة بجانب القضاء في بعض الفترات، كما فعل قاضي البصرة بلال بن أبي بردة [٩].

---

(١) ابن سعد: الطبقات، ٢٣/٦؛ خليفة بن خياط: تاريخه، ٢٩٤/١؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ٣٦٣/٣.

(٢) كقرية صَرِيفين، وورد أنه يتولى سلسلة جبلية عبارة عن طريق تجاري ومنها قرية صَرِيفين. الواسطي، أسلم بن سهل الواسطي (ت٢٩٢هـ): تاريخ واسط، تحقيق: كوركيس عواد، ط١، بيروت، دار عالم الكتب، ١٤٠٦هـ، ص٣٦؛ الحموي: معجم البلدان، ٤٠٤/٣.

(٣) مكث والياً ما يقارب العشر سنوات. الواسطي: تاريخ واسط، ص٣٧.

(٤) ابن سعد : الطبقات ، ٢١١/٦؛ خليفة بن خياط: تاريخه، ص٣٢٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٥٢٦/٤.

(٥) وكانت فترة ولايته ما يقارب الخمس سنوات. خليفة بن خياط : تاريخه، ص٣٠٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ٤٧٥/٢؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٣٨/٨.

(٦) ابن سعد : الطبقات، ١٥٩/٦.

(٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ٣٢٣/٥.

(٨) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ٢٧/١٧؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ١٨٦/٧.

(٩) بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، جمع والي العراق خالد القسري لبلال بن أبي بردة الصلاة والقضاء والشرطة مدة طويلة امتدت من سنة ١١٠هـ وحتى ١٢٠هـ وكان له نشاط ملموس في تلك الفترة، حتى عزله بعد ذلك والي العراق الجديد يوسف بن عمر الثقفي وسجنه حتى مات بعد ذلك. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٦٦/٧؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ١١/٣؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ٢٧٠/٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٦/٥.

كما كان لبعض القضاة نشاط في المجال العسكري، كتولي القاضي مالك بن شراحيل[1] حملة مكونة من ثلاثة الآف رجل للقضاء على ابن الزبير في مصر، كما شارك قاضي دمشق زرعة بن ثوب في بعض الصوائف في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك [2].

ولقد أسهم العلماء والقضاة في توليهم ولاية عدد من البلدان، وبعض الأعمال الإدارية إلى التلاحم بين الراعي والرعية، حيث كانوا محل تقدير الناس واحترامهم، نتيجة لصلاح سيرتهم وحسن تعاملهم مع الرعية، وقد كان لهذا التعامل الحسن أثره وانعكاسه في تقوية الروابط بين الدولة ورعيتها.

وترتب على مشاركة العلماء والقضاة لبعض المناصب الإدارية، أو بعض أعمال ولاة الأقاليم، تأثيرً ا على مواقف الولاة من الاتجاهات الثقافية أو السياسية، وسنلقي الضوء على نماذج من تلك المواقف.

فمن أهم تلك المواقف ما قام به العلماء في توجيهاتهم، ونصحهم للولاة، وذلك في تحسين العلاقة بين أهالي الحجاز وولاة بني أمية [3]، وتضييق الفجوة التي تركتها الحروب بين الشام والحجاز في أعقاب معارضة ابن الزبير، وحصاره في مكه، وخروج أهل المدينة، وقتالهم في موقعة الحرة، فكان ولاة بني أمية يجدون في أنفسهم على أهل الحجاز جراء ذلك، إلا أنه كان لإلحاح العلماء في نصحهم للولاة بأن يقدروا مكانة الحرمين، ويعطفوا على أهله، إذ فيهم أبناء

---

(١) مالك بن شراحيل الخولاني، ولاه قضاء مصر عبد العزيز بن مروان في محرم سنة٨٣هـ، وظل على القضاء إلى شهر صفر سنة ٨٤هـ. الكندي: الولاة والقضاة، ٣٢٠-٣٢٢.

(٢) الكندي : الولاة والقضاة، ص٣٢٠-٣٢٢.

(٣) لاشك أن بعض الخلفاء الأمويين تشددوا في معاملة أهالي أقليم الحجاز، وذلك بسبب مواقفهم من الحكم الأموي، ولذلك نرى الخليفة عبد الملك بن مروان يقول: " إني لأهّم بالشيء أفعله بأهل المدينة لسوء أثرهم عندنا، فأذكر أبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي فأستحي منه، فأدع ذلك الأمر " أما الولاة فلهم خطب عديدة تبين عدم رضاهم عن أهل الحجاز، كما قال والي المدينة عثمان بن حيان المري: " إنا وجدناكم أهل غش لأمير المؤمنين في قديم الدهر وحديثه. . . فدعوا عيب الولاة، فإن الأمر إنماينقض شيئً ا شيئا حتى تكون الفتنة. . . ". فيتضح من ذلك الصورة العامة التي كان يراها بعض الخلفاء أو الولاة في تلك الفترة، ولا يعني ذلك ظلم عموم أهل الحجاز من الخلفاء أو الولاة، ولكن تلك المقولات كانت في مناسبات محدده. ابن سعد: الطبقات، ٢٠٩/٥؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٢٥٨/٥؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٦/٦٦؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٢٨٤/٢.

المهاجرين والأنصار، فمن أقوالهم قول العالم عطاء بن أبي رباح: "... اتق الله في حرم الله، وحرم رسوله، فتعاهده بالعمارة، واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار ... "[1].

وفي رواية أخرى أنه قال: "... أهل الحرمين أهل الله، وجيران رسول الله ﷺ، تَقسم فيهم أعطياتهم، وأرزاقهم،... " [2]، مما يدل على تقديم النصح للولاة، وحثهم على السعي في مصالح الرعية، ولفت نظرهم إلى ما يجب اتخاذه من تدابير لتحقيق ذلك.

ولعل السبب المباشر في عزل والي الحجاز الحجاج بن يوسف الثقفي، ما قام به العلماء من مطالبة الخليفة بعزله، ومن أشدهم حرصًا على ذلك العالم الجليل إبراهيم بن طلحة الذي لم يجامل الحجاج الذي كان يحسن تعامله، ويكرمه، حيث قدم مصلحة المسلمين عامة على مصلحته الخاصة، فقال للخليفة عبد الملك بن مروان: " إنك عمدت إلى الحجاج مع تغطرسه، و تعترسه[3]، وتعجرفه لبعده من الحق، وركونه إلى الباطل، فوليته الحرمين، وما فيهما من فيهما، وبهما من بهما من المهاجرين والأنصار، والموالي المنتسبة إلى الأخيار، أصحاب رسول الله ﷺ ، وأبناء الصحابة، يسومهم الخسف، ويقودهم بالعنف، ويحكم فيهم بغير السنة، ويطؤهم بطغام من أهل الشام، ورعاعٍ لا رَوِيَّة لهم في إقامة حق، ولا إزاحة باطل؛ ثم ظننت ... "[4]، فعزل الخليفة الحجاج الثقفي عن الحجاز، تلبية لإلحاح العلماء في نصائحهم المتتالية في عزله.

أما البعض الآخر من العلماء، فوقف منكرًا على والي المدينة عمرو بن سعيد بن العاص عندما قطع بعثًا لغزو ابن الزبير في مكة، ومنهم أبو شريح الخزاعي الذي قال له: " يا هذا، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إن مكة حرام، حرمها الله، ولم يحرمها الناس، وإن الله إنما أحل لي القتال ساعة من النهار، ولعله أن يكون من بعدي رجال يستحلون القتال بها، فمن فعل ذلك منهم، فقولوا: إن الله أحلها لرسوله، ولم يحلها لك، وليبلغ الشاهد الغائب "[5]، ولولا أن

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٥/٨٤.

(٢) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق ، ١٧/٦٦.

(٣) العَتْرَسَةُ بالشِّدَّة، وبالجَفاء والعُنْف، والغِلْظَة. الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ): القاموس المحيط، ط١، بيروت، دار الرسالة، ١٤٠٦هـ، ٢/٩٥.

(٤) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق ، ٤/١٢١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ٤/٥٦٣.

(٥) البخاري: صحيح البخاري، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ط١، الرياض، دار المعارف، ١٣٩٨هـ، كتاب العلم ، باب =

رسول الله ﷺ قال: ليبلغ الشاهد الغائب ما حدثتك بهذا الحديث [1].

ومن تلك الآثار المترتبة على مواقف العلماء والقضاة: تذكير الولاة بتقوى الله، وحثهم على الاهتمام بآخرتهم، وتحذيرهم من الغفلة، مما يترتب على ذلك من استشعار الولاة بمراقبة الله لهم، وتنمية الإحساس لديهم بمحاسبة أنفسهم فيما يقومون به من أعمال تحسبًا للآخرة، فيدفعهم ذلك إلى العدل بين الرعية، والبعد عن مواطن الظلم، وبذل ما في طاقتهم من وسع لتولية الأصلح لرعاياهم، أداء للأمانة، وخوفًا من التعرض لعقاب الله، ومن ذلك نصيحة العالم أبو عبد الله علي بن رباح اللخمي لوالي الأندلس موسى بن نصير، لما رجع من فتح الأندلس، ووصل القيروان، وبعد تهنئة الناس له، فقال الوالي: مالك يا علي لا تتكلم؟ فقال: أصلح الله الأمير، قد قال القوم، فقال: وقل أنت أيضًا، فقال: أنا أقول – وأنا انصح القائلين لك – إنه ما من دار امتلأت حَبرة إلا امتلأت عَبرة، وما انتهى شيء إلا رجع، فارجع قبل أن يرجع بك، فانكسر الوالي موسى بن نصير، وخشع، وفرق جواري عدة... " [2]، فنفعه الله بموعظة أبي عبد الله بن رباح، فصغرت الدنيا وما فيها، ونبذها، وانخلع مما كان فيه من الإمارة [3].

وكان للعالم الجليل الحسن البصري[4] جهود كبيرة في نصح الولاة، ومن ذلك نصحه للنضر بن عمرو الحميري بقوله: "اتق الله في نفسك، وإياك والأمانيّ التي ترخصت فيها فتهلك، أحدًا لم يعط خيرًا من خير الدنيا، ولا من خير الآخرة بأمنيّته، وإنما هي داران، من عمل في هذه أدرك تلك، ونال ما قُدِّر له منها، ومن أهمل نفسه خسرهما جميعًا... " [5].

ليبلغ العلم الشاهد الغائب ، رقم الحديث (١٠٤) ، ٣٢/١ .

(١) الطحاوي، أبو جعفر حمد بن محمد (ت٣٢١هـ): شرح معاني الآثار، تحقيق: محمد زهري النجار وزملائه، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٩هـ، ٣٢٧/٣.

(٢) المالكي: رياض النفوس، ١١٩/١.

(٣) القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، ص٨٨؛ المالكي: رياض النفوس، ١١٩/١-١٢٠.

(٤) الحسن بن الحسن البصري، يكنى بأبي سعيد، ولد بالمدينة سنة ٢١هـ تقريبًا، وكان أبوه من سبي فارس، وأمه مولاة لأم سلمة ؓ وكان الحسن جميلاً، عالماً، وفقيًها، ولاه عدي بن أرطاة قضاء البصرة، وقيل: إنه تولى القضاء مرتين، وتوفي الحسن البصري في البصرة سنة ١١٠هـ. ابن سعد: الطبقات، ١٥٦/٧؛ وكيع: أخبار القضاة، ٣/٢؛ ابن حبان: مشاهير الأمصار، ص٨٨.

(٥) ابن الجوزي: آداب الحسن البصري، تحقيق: سليمان الحرش، ط١، الرياض، دار المعراج، ١٤١٤هـ، ص١٠٨.

ودخل الحسن عليه في يوم آخر، فقال له: أيها الأمير – أيدك الله – إن أخاك من نصحك في دينك، وبصرك عيوبك، وهداك إلى مراشِدِك، وإن عدوك من غّرك ومنّاك، أيها الأمير، اتق الله! فإنك أصبحت مخالفًا للقوم في الهدي والسيرة، والعلانية والسريرة،... فاحذر أيها الأمير أن تسعى لطلب الفاني، وتترك الباقي، فتكون من النادمين " [1].

وجّل نصائح العلماء ومواعظهم، الموجهة للولاة تفيض بمثل ذلك التذكير، والتوجيه نحو الاهتمام بالآخرة، والعمل لها .

ولعل من أهم المواقف السياسية التي نرى فيه تأثيرً ا من العلماء والقضاة، استشارة الولاة لهم في كل ما يقره الخليفة من أوامر سياسية، وفي ذلك استدعى والي العراق عمر بن هبيق، كلاً من الحسن البصري، والشعبي، وابن سيرين، واستشارهم في تنفيذ الكتب والأوامر التي تأتيه من الخليفة، وزعم أن بعضها فيه مخالفة للإسلام، وهو يخشى على نفسه من الخليفة إذا لم يُسارع في التنفيذ، حيث قال لهم:" إن يزيد بن عبد الملك خليفة الله استخلفه على عباده، وأخذ ميثاقهم بطاعته، وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة، وقد ولاني ماترون، يكتب إلي الأمر من أمره فأنفذه، وأقلده ماتقلده من ذلك، فما ترون؟ فالتمس له الشعبي، وابن سيرين الأعذار، وتهرَّبا عن الجواب الصريح، أما الحسن البصري، فصدق في الجواب ونصحه، ومما قال له: " يا ابن هبيرة خف الله في يزيد، ولاتخف يزيد في الله، إن الله يمنعك من يزيد بن عبدالملك، ولا يمنعك يزيد من الله، وأوشك أن يبعث إليك ملكًا، فيزيلك عن سريرك، ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك، ثم لاينجيك إلا عملك، يا ابن هبيرة، إني أحذرك أن تعصي الله، فإنما جعل الله هذا السلطان ناصًرا لدين الله وعباده، فلا تتركن دين الله وعباده بسلطان الله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق " [2]، فشكرهم جميًعا، وزاد في جائزة الحسن، فجعلها ضعف جائزة كل منهما[3].

---

(١) ابن الجوزي: آداب الحسن البصري ، ص١٠٩.

(٢) وكان ذلك عام ١٠٣هـ. ابن قتيبة: عيون الأخبار، ٣٤٣/٢؛ المسعودي: مروج الذهب: ٢١٢/٣؛ الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت (ت٤٦٣هـ): تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م، ٧١/٢.

(٣) وفي رواية أخرى أن ابن هبيرة ضرب على كتف الحسن البصري، وقال: هذا الشيخ صدقني ورب الكعبة، وأمر =

أما زياد بن أبيه والي العراق، فكان يستنصح الصحابة ﷺ، ويستشيرهم في أغلب أمور ولايته، بالإضافة إلى علماء البصرة، حيث يوصيهم أن يعرضوا عليه مشكلات الناس، وهل أدل على ذلك من قوله لهم: "ليس كل يصل إلي، و لا كل من وصل إلي أمكنه الكلام، فاستشفعوا لمن وراءكم، فإني من ورائكم أمنع إن أردت أن أمنع " [١].

ولم يكتفِ بمن حوله من العلماء والقضاة، بل كان يراسل من يبدي له الرأي السديد، حيث يقول: " ما قرأت مثل كتب الربيع بن زياد الحارثي، ما كتب إلي إلا في اجترار منفعة، أو دفع مضرة،... ولا شاورت الناس في أمر إلا سبقهم إلى الرأي فيه [٢].

وكان والي الكوفة بشر بن مروان يستشير الشعبي في القضايا المبهمة، ومما يدل على ذلك قول الشعبي: " كانت إلي مظالم بشر بن مروان "، فكان يأتي مجلسه في أي وقت شاء ليبادله الرأي فيما طرأ من الأحداث، ولم يمنع والي خراسان قتيبة بن مسلم الباهلي بأن يقرب الشعبي، ويجعله مستشارًا له وكاتبًا لجيشه [٣].

واستشار كذلك والي البصرة عدي بن أرطاة القاضي إياس بن معاوية بن قرة حول تولية القراء لبعض الأعمال والمناصب، فأشار عليه بتركهم، وتولية غيرهم من أهل الشرف في قومهم، وأراد بذلك صرف الوالي عن القراء والعلماء حتى لا يشغلهم عن حِلَق العلم، وعن تلاميذهم[٤].

أما والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي، فقد اتخذ العالم الشعبي مستشارًا له، وقربه بعد أن أرسل في طلبه من خراسان، وقال له: "يا شعبي تعهدني، وكن مني قريبًا، ولذلك كان

للحسن بأربعة الآف درهم، وأمر للشعبي بألفين. فقال الشعبي: رققنا فرقق لنا. فأما الحسن فأرسل إلى المساكين، فلما اجتمعوا فرقها، وأما الشعبي، فإنه قبلها، وشكر عليها. ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٥٨/١.

(١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ٢٣٥/٢.

(٢) الجاحظ: البيان والتبيين، ٢٠٠/٢.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ١٧٢/٥؛ الدينوري: الأخبار الطوال، ١٧/١؛ ابن عبد ربه : العقد الفريد، ٢٠/١.

(٤) الدينوري: الأخبار الطوال، ١٧/١؛ ابن عبد ربه : العقد الفريد، ٢٠/١؛ ابن بدران، عبد القادر بن أحمد الدمشقي (ت١٣٤٦هـ): تهذيب تاريخ ابن عساكر، ط٢، بيروت، دار المسيرة، ١٣٩٩هـ، ١٥٣/٧.

يستشيره بكثرة، وخاصة في الأمور الخلافية التي لم يتفق العلماء على حكمها [1].

وهناك بعض السمات التي تميز بها بعض ولاة بني أمية في المدينة النبوية، كمروان بن الحكم في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ، وعمر بن عبد العزيز في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك، و عبد الواحد بن عبد الله النضري في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك، حيث كانوا لا يبرمون أمرًا إلا بعد أن يستشيروا فيه من بقي من صحابة رسول الله ﷺ ، والنابغين من فقهاء التابعين[2].

فمروان بن الحكم لما تولى إمارة المدينة كان يجمع أصحاب رسول الله ﷺ يستشيرهم، ويعمل بما يُجمعون عليه، لمَّا كان نائبًا إذا وقعت معضلة جمع من عنده من الصحابة، فاستشارهم فيها، وهذا يبين حرصه، وتأثره بالعلماء من صحابة رسول الله ﷺ ، واستشارتهم في شئون ولايته[3].

أمَّا عمر بن عبد العزيز لما دخل دار الإمارة بالمدينة دخل عيه الناس فسلموا، فلما صلى الظهر، دعا عشرة من فقهاء المدينة[4]، فدخلوا عليه فجلسوا، فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: " إني إنما دعوتكم لأمر تؤجرون عليه، وتكونون فيه أعوانًا على الحق، ما أريد أن أقطع أمرًا إلا برأيكم، أو برأي من حضر منكم، فإن رأيتم أحدًا يتعدى،... فخرجوا يجزونه خيرًا وافترقوا " وفي رواية أخرى أنه قال لهم: " اعلموا أني لست أقطع إلا برأيكم ومشورتكم، فأشيروا علي، قالوا: نفعل أيها الأمير، جزيت على ما تنوي خير ما جزى مؤثر لمرضاة ربه، ثم خرجوا " وورد زيادة في إحدى الروايات: " وكان لا يخرج عن قول سعيد بن المسيب " [5].

---

(١) ابن بدران: تهذيب تاريخ ابن عساكر، ٧/١٥٤.

(٢) ابن سعد: الطبقات، ٥/٤٣؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٦/٤٢٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٤/٥٢٦؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٩/٧١.

(٣) ابن سعد : الطبقات، ٥/٤٣؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ٩/٧١.

(٤) وهم: عروة بن الزبير، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وأبو بكر بن عبد الرحمن، وأبو بكر بن سليمان بن أبي حثمة، وسليمان بن يسار، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عامر بن ربيعة، وخارجة بن زيد. ابن سعد : الطبقات، ٥/٢٠٨؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٦/٤٢٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤/٤١٦؛ ابن الجوزي: المنتظم، ٢/٣٠٦؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ٣/٦٠.

(٥) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو القرشي المخزومي، أبو محمد سيد التابعين، وإمامهم، ولد =

ولم يكن والي المدينة عبد الواحد بن عبد الله النضري أقل منهم تأثرا بالعلماء، فكان يذهب مذاهب أهل الخير، ولا يقطع أمرا إلا استشار فيه القاسم وسالماً [1]، وما كان لبني مروان والٍ أحمد منه عند أهل المدينة، فكان يقرب أهل الخير، ويعرف قدرهم، فبعد أن عزله الخليفة هشام عن الولاية توجع القاسم بن محمد، وجزع عليه، وقال:" رجل عرفناه وعرفنا مذاهبه، وأمنّاه، يأتينا غِرٌّ لا ندري ما هو " [2].

وقد كان للعلماء والقضاة دور كبير في البيعة للخليفة، أو لولاية العهد، وبما أن الوالي هو من يأخذ البيعة من العلماء وغيرهم، فقد تسبب ذلك في عزله من منصبه لعدم قدرته على أخذ البيعة من العلماء، حيث عُزل الوليد بن عتبة بن أبي سفيان والي المدينة؛ لأنه فشل في أخذ البيعة للخليفة يزيد بن معاوية من الصحابة العلماء الحسين بن علي ﷺ، وعبد الله بن الزبير ﷺ، وعبد الله بن عمر ﷺ [3].

وفي موقف آخر، فقد قام قاضي مصر سليم بن عتر التجيبي بدور كبير في أخذ البيعة للخليفة يزيد بن معاوية من عبدالله بن عمرو بن العاص في ظل ولاية مسلمة بن مخلد الأنصاري، وكان مع الوفد الذي ذهب لإقناع عبد الله بن عمرو بن العاص بضرورة البيعة ليزيد بن معاوية، كما كان من ضمن الوفد عابس بن سعيد المرادي، وقد تولى هو الآخر القضاء مباشرة بعد سليم بن عتر [4]، لعل تأثير القاضي في هذا الموقف كبير، وذلك من خلال قطع الطريق على المعارضين الالتفاف على عبد الله بن عمرو بن العاص، ودرء الفتنة في تلك الفترة، بالإضافة إلى إزاحة العبء عن الوالي في القيام بمثل تلك الأعمال التي تحتاج إلى سعة

بعد سنتين وقيل: أربع من خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، وكان ممن يؤولون الرؤيا، ومات سعيد بالمدينة سنة الفقهاء ٩٤هـ، وهو العام الذي توفي فيه أكثر من عالم وفقيه. ابن سعد: الطبقات، ٢٠٩/٥؛ الدينوري: الأخبار الطوال، ص٣٢٦؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٤٢٨/٦؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٧٢/٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ١٩٤/٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٢١٧/٤؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ٦٠/٣.

(١) هما العالمان الجليلان القاسم بن محمد بن أبي بكر و سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ.

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ١٤/٧؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ١٩٤/٩؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ٢٥٥/١٥؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٤٣٧/٦.

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٢٥٠/٤.

(٤) الكندي: الولاة والقضاة، ص٣١٠-٣١١.

علم، واستحضار الحجة والدليل.

والجدير بالذكر أن بعض المواقف قد يُسيرها الوالي لما يراه في مصلحته بالتأثر بالعلماء والقضاة كأن يكونوا حجة له أمام الناس في فعله، ولعل من أشهر تلك المواقف ما فعله والي العراق زياد بن أبيه في اتهام العالم الجليل حجر بن عدي بخلع الطاعة، ومفارقة الجماعة، وذلك بشهادة بعض العلماء والقضاة كأبي بردة بن أبي موسى الأشعري قاضي الكوفة، الذي شهد على حجر بن عدي بنكث البيعة، فاعتمد الوالي زياد شهادته[1]، وطلب من بقية الشهود تقليدها، وقال: على مثل هذه الشهادة فاشهدوا. [2].

وفي موقف آخر نجد الوالي عبيد الله بن زياد يعمد إلى العالم، والقاضي شريح بن الحارث الكندي[3] في تهدئة الناس خارج قصره، بعدما حبس هاني بن عروة المرادي في جانب القصر لإيوائه مسلم بن عقيل بن أبي طالب، وضربه، وشجَّه بقضيب معه، فاجتمع آل هاني، ومن معهم حول القصر لإظهار عدم رضاعم لما أصاب هانئًا، ولكن لما خرج إليهم القاضي شريح، وأخبرهم أن الأمر مجرد ضرب يسير قُصد به التأديب، فمن باب ثقة المجتمعين به،

---

(١) ونصها: " بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما شهد به أبو بردة بن أبي موسى الأشعري، لله رب العالمين، شهد أن حجر بن عدي خلع الطاعة وفارق الجماعة، ولعن الخليفة، ودعا إلى الحرب والفتنة، وجمع إليه الجموع يدعوهم إلى نكث البيعة، وخلع أمير المؤمنين معاوية، وكفَر بالله كفرة صلعاء " والمطلع على هذه الصيغة يجزم بأن بعض العبارات لم تكن فيها أصلاً، وإنما أدخلت عليها، وزيدت فيها، إذ لا يتصور مسلم في أي عصر أن يشهد مسلم على مسلم من عامة المسلمين بأنه خرج من الإسلام، وكفر كفرة صلعاء، فكيف يجوز أن يشهد بهذا رجال من أهل الفضل والشرف على حجر، وقد شهد له بالصلاح والاستقامة والورع، ويتأكد الجزم بتلك الزيادات إذا علم بأن الطبري أورد صيغة تلك الشهادة عن أبي مخنف، وهو راوٍ معهود عنه الكذب، وفساد الاعتقاد. ابن سعد: الطبقات ، ٢١٧/٦-٢٢٠؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٢٦٩/٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٤٧٢/٣؛ ابن حجر: الإصابة ، ٣١٤/١.

(٢) ابن سعد : الطبقات، ٢١٩/٦؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٢٥٣/٥؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٢٧٥/٢؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٤٩/٨.

(٣) قاضي الكوفة شريح بن الحارث الكندي ، من التابعين استقضاه الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ على الكوفة سنة ١٨هـ ، واستمر على القضاء حوالي ستين سنة حتى استعفى من الحجاج سنة ٧٩هـ ، وكان قد اعتزل القضاء في عهد ابن الزبير، ثم عاد إليه بعد ذلك ، وتوفي سنة ٨٠هـ ، وقيل ٧٩هـ ، وقيل غير ذلك . ابن سعد : الطبقات ، ١٣١/٦ ؛ خليفة خليفة بن خياط: تاريخه،١٤٥/١ ؛ وكيع : أخبار القضاة ، ١٨٩/٢ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٤٦٠/٢ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ١٠٠/٤ .

أخذوا قوله بالقبول، ورجعوا [1]، ولسنا بصدد مناقشة صدق هذه الرواية من عدمها، كما أننا لسنا بصدد التماس المبررات لعمل القاضي شريح، ولكن يتضح أن العلماء والقضاة كان لهم دور بارز في التأثير على قررات الولاة وأعمالهم، فلولا فعل القاضي شريح، وتهدئته للأمور، وتسكين العامة، وتفريقهم عنه لكان هناك قتال بين آل هانئ، ومن معهم، وبين الوالي قد يدوم لسنوات.

ولسوء تعامل الولاة مع العلماء أثر كبير على الأحداث السياسية والثقافية، ومن ذلك انحياز بعض العلماء إلى أهل المدينة في وقعة الحرة، كعبد الله بن حنظلة ﷺ، وعبدالله بن مطيع ﷺ، ومعقل بن سنان ﷺ، وانحياز بعضهم الآخر إلى ابن الزبير ﷺ، كالمسور بن مخرمة ﷺ، ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف ﷺ، والمنذر بن الزبير بن العوام ﷺ [2].

بل كان لسوء سيرة الولاة كوالي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي أثر كبير في انضمام عدد من العلماء، والقضاة إلى حركة ابن الأشعث التي كادت أن تطيح بالخلافة الأموية، وكان أغلب الثائرين عليه من الفقهاء، والقراء كسعيد بن جبير، والشعبي، والقاضي عبد الرحمن بن أبي ليلى، وغيرهم [3].

ومع هذا كله كان الوالي الحجاج بن يوسف متأثرا بالعلماء والقضاة، ومما يدل على ذلك أنه استدعى الحسن البصري وهو على فراش الموت، واعتذر إليه، فوبّخه الحسن وقال له: " طالما حذرتك قبل هذه الساعة بترك الظلم، والآن قد بلغ الكتاب أجله "، وحضر جنازته، وصلى عليه [4].

وتشير بعض المصادر إلى قوة تأثير العلماء على الولاة في مواقفهم السياسية والثقافية من

---

(١) الدينوري: الأخبار الطوال، ص٢٣٨؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٥/٣٤٧-٣٥٥.

(٢) ابن سعد: الطبقات ، ٤/٢٣٥؛ خليفة بن خياط : تاريخه ، ١/١٨١؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٥/١٢٢.

(٣) ابن سعد : الطبقات، ٤/ ٢٣٨، ٦/٢٦٣؛ خليفة بن خياط : تاريخه، ١/١٨٥؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٦/٣٥٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٢/٥٧٧، ٣/٣٩١.

(٤) أبو العرب التميمي، محمد بن أحمد (ت ٣٣٣هـ): المحن، تحقيق: يحيى وهيب الجبوري، ط٣، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٧هـ، ص٢١٨.

خلال إخماد الفتنة بالتي هي أحسن، وأبلغ ما تناقلته تلك المصادر[1] تدخل كل من جابر بن عبد الله، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ لإخماد فتنة كادت أن تحصل في المدينة بين مروان بن الحكم والحسين بن علي ﷺ، حيث أوصى الحسن بن علي ﷺ أخاه الحسين أن يدفن مع رسول الله ﷺ إلا أن يكون في ذلك قتال، أو شر فليدفن بالبقيع، فلما توفي الحسن، وأراد الحسين ومن معه دفن أخيه مع رسول الله ﷺ منعه مروان بن الحكم، وكادت تحدث فتنة، فقد لبس الحسين ومن معه السلاح، وتدرع مروان بالحديد والسلاح، ولكن تدخل عدد من العلماء، فأطفؤوا الفتنة، كأبي هريرة ﷺ، وجابر بن عبد الله، فقد جاء إلى الحسين وقال له:" يا أبا عبد الله، اتق الله، ولا تثر فتنة؛ فإن أخاك كان لا يحب ماترى، فادفنه بالبقيع مع أمه" ففعل، وكذلك قال له عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ مثل هذا القول.

ولم يقتصر تأثير العلماء والقضاة على الاتجاهات السياسية فحسب، بل تعدى ذلك للاتجاهات الثقافية المختلفة حيث سجل العالم محمد بن جبير في موقف عظيم استطاع من خلاله جمع الكلمة، ففي سنة ثمان وستين وافى موسم الحج أربعة ألوية مختلفة متنازعة، فلواء محمد بن الحنفية وأتباعه، ولواء ابن الزبير وأتباعه، ولواء نجدة الحروري ومعه الخوارج، ولواء بني أميه، كل قوم معهم سلاحهم، ويروي محمد بن جبير موقفه قائلاً: " خفتُ الفتنة، فمشيت إليهم جميعًا، فجئت محمد بن علي في الشعب، فقلت: يا أبا القاسم، اتق الله، فإنا في مشعر حرام، وبلد حرام، والناس وفد الله إلى هذا البيت، فلا تفسد عليهم حجهم، فقال: والله ما أريد ذلك، وما أحول بين أحد وبين هذا البيت، ولا يؤتى أحد من الحاج من قبلي، ولكني رجل أدفع عن نفسي من ابن الزبير، وما يروم مني، وما أطلب هذا الأمر إلا ألاّ يختلف عليّ فيه اثنان! ولكن ائت ابن الزبير فكلمه، وعليك بنجدة، قال: محمد بن جبير: فجئت ابن الزبير فكلمته بنحو ما كلمت به ابن الحنفية، فقال: أنا رجل قد اجتمع علي الناس، وبايعوني، وهؤلاء أهل خلاف، فقلتأزى خيرً ا لك الكف، قال: أفعل، ثم جئت نجدة الحروري، فكلمته كما كلمت الرجلين، فقال: أمّا أن أبتدئ أحدًا بقتال فلا، ولكن من بدأ بقتال قاتلته،

---

(١) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٨٧/١٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٢٧٩/٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٤٤/٨.

فقلت: فإني رأيت الرجلين لا يريدان قتالك، ثم جئت شيعة بني أميه، فكلمتهم بنحو ما كلمت به القوم، فقالوا: نحن على ألاّ نقاتل أحدًا إلا أن يقاتلنا... " [(١)]، وبذلك نرى أنه استطاع بعلمه وحكمته تحقيق الأمن والاطمئنان لحجاج بيت الله الحرام، وذلك بسعيه الجليل لأخذ العهد من جميع الأطراف المجتمعة في ذلك الموسم بعدم الاعتداء.

ولم يقتصر تأثر الولاة بالعلماء والقضاة في مواقفهم من الاتجاهات الثقافية والسياسية فحسب، حيث أشار الطبري إلى شدة تأثر الولاة بالعلماء والقضاة، واستشارتهم حتى في شئونهم الشخصية، كما فعل الوالي زياد بن أبيه أثناء مرضه حينما استشار القاضي شريحًا حول قطع إصبعه التي أصابها المرض، أو تركها..فأشار عليه شريح بعدم القطع، فلام الناس شريحًا لأنه صدق في نُصحه، وقبل زياد نصيحة القاضي شريح، وترك قطع إصبعه. [(٢)]

وقد يكون تأثير العلماء والقضاة على الولاة في أقاليمهم بالغ التأثير في مكانتهم لدى العامة والخاصة، وذلك من خلال تدخل الولاة بأعمالهم واختصاصاتهم، كما فعل الوالي عبيد الله بن زياد لما أراد إخراج سجين حكم عليه القاضي شريح بالسجن، فما كان من الوالي إلا أن توسل للقاضي شريح فرفض طلبه، وقال: أيها الأمير، السجن سجنك، والعامل عاملك، وتأمر فتطاع، فبقي السجين على حاله [(٣)].

أما إذا تطاول الوالي، وتدخل بنفسه في حكم القاضي، ولم يستطع القاضي منعه، فإنه يخاطب الخليفة بذلك، مما يجعل الخليفة يتدخل لمصلحة القاضي، كما فعل الخليفة عمر بن عبد العزيز عندما تدخل والي البصرة في اختصاصات القاضي إياس، فقال له الخليفة: ما أنت والقضاء فرِّق ما بينهما فرَّق الله بين أعضائك [(٤)].

والبعض الآخر من القضاة يعتزل القضاء بمجرد تدخل الوالي في عمله، مما يجعل الوالي يشعر في القصور في معالجة أمور ولايته، فهذا قاضي مصر خير بن نعيم الحضرمي سجن أحد

---

(١) ابن سعد: الطبقات، ١٠٤/٥؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ١٣٨/٦-١٣٩؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ١٠٣/٢٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٢٠/٤.

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٢٨٩/٥.

(٣) وكيع: أخبار القضاة، ٣٠٨/٢.

(٤) وكيع: أخبار القضاة، ٣١٦/١.

الجنود بسبب قذفه عرض رجل، فأمر الوالي بإخراج الجندي، فاعتزل القاضي خير بن نعيم القضاء، ولمّا حاول الوالي إعادة القاضي رفض أن يتولى قضاء يتدخل الولاة في أموره، لذا كان للقاضي دور مؤثر في مكانة الوالي في ولايته [١].

ومن السمات البارزة في العصر الأموي ظهور الثورات وتعددها، وتباين أفكار أصحابها ومقاصدهم وأهدافهم، فكان للعلماء والقضاة مواقف في التعامل مع هذه الثورات وأصحابها، مما أثر على الولاة في اتخاذ القرارات السياسية من تلك الأحداث لما يقوم به العلماء من تسكين الناس، وحثهم على الاجتماع، ونهيهم عن الفرقة والخلاف، وعدم اللجوء إلى السيف في تغيير المنكرات، فلما أخذ مروان بن المهلب يدعو الناس، ويحثهم للخروج مع أخيه يزيد كان العالم الحسن البصري يثبط الناس، ويقول: " أيها الناس، الزموا منازلكم، وكفوا أيديكم، واتقوا الله ربكم، لا يقتل بعضكم بعضًا، على دنيا زائلة، وطمع فيها يسير ليست لأهلها بباقية، وليس الله عنهم فيما كسبوا براض، واعلموا بأنه لم تكن فتنة قط، إلا وأكثر أهلها الخطباء والشعراء والسفهاء، وأهل التيه والخيلاء، وليس يسلم منها إلا الجهول الحقير، والمعروف التقي، فمن كان منكم تقيًا فليلزم منزله، وليحبس نفسه عما يتنافس فيه الناس من هذه الدنيا الدنية " [٢].

وفي موقف آخر، قام الصحابي الجليل جرير بن عبد الله البجلي ﵁ بعد موت والي الكوفة المغيرة بن شعبة ﵁ في المسجد، فحمد الله، وأثنى عليه، وقال: عليكم باتقاء الله وحده، لا شريك له، والوقار، والسكينة حتى يأتيكم أمير، فإنما يأتيكم الآن، ثم قال: استعفوا لأميركم؛ فإنه كان يحب العفو، ثم قال:" أما بعد، فإني أتيت النبي ﷺ قلت أبايعك على الإسلام، فشرط عليّ النصح لكل مسلم، فبايعته على هذا، ورب هذا المسجد إني لكم ناصح، ثم استغفر ونزل "[٣]، فلا شك أن مثل هذه المواقف من العلماء، سيكون لها الأثر في قطع الطريق على دعاة الفرقة ومثيري الفتنة.

وقد يكون للعلماء والقضاة رأي آخر في مواجهة تلك الحركات والثورات، فعلى سبيل

---

(١) الكندي: الولاة والقضاة، ص٣٥٦.

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٣٤٠/٥ .

(٣) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإيمان ، باب الدين النصيحة ، رقم الحديث (٥٨) ، ٢١/١ .

المثال لما استغلظ أمر الأزارقة، استشار والي الكوفة بشر بن مروان بعض العلماء، كأسماء بن خارجة، وعكرمة بن ربعي، وموسى بن نصير في أمر المهلب، فأما عكرمة وأسماء فوافقا هواه فيه، وأما موسى فقال له: إن أمير المؤمنين لا يحتملك على المعصية، وليس مثل المهلب في فضله وشرفه، وقدره في قومه، ومعرفته أقصيت، أو جفوت، فإن كان بلغك أمر يقال: إنه أتاه فاكشفه عنه، حتى تعلم عذره فيه، أو ذنبه، فلم يزل موسى يردد أمر المهلب على الوالي بشر، ويعطفه عليه، بعد أن كان همَّ بقتله إن ظفر به، حتى أرسل إليه بشر، فجاءه المهلب، فتنصل إليه المهلب حتى قبل منه بشر، وولاه ما كان يلي، فهكذا استطاع موسى بن نصير بفراسته، وعلمه أن يؤثر على الوالي بشر بن مروان في العفو عن المهلب لما يرى فيه من كفاءة إدارية استطاع من خلالها أن يكون له أثر بالغ في المشرق الإسلامي، وخاصة في ولاية خراسان[1].

والجدير بالذكر أن هناك قسماً من العلماء والقضاة كان يعتزل الولاة، ولا يقبل أعطياتهم، ويبتعد عن مجالسهم، وينكر عليهم علناً، وإظهار ذلك أمام الناس، ولكنهم في الوقت نفسه كانوا يبتعدون عن مواطن الفتن، ويحثون الناس على الصبر، واللجوء إلى الله بالدعاء، بل إنهم كانوا يحثون الناس على السمع والطاعة للوالي، وعدم الخروج عليه.

يستنتج مما سبق الآتي :

١. مدى المكانة المشرفة التي نالها علماء الإسلام في ظل الخلافة الأموية .
٢. استطاع نخبة من العلماء والقضاة التأثير على الولاة في العصر الأموي في مواقفهم، سواءً ثقافية أو سياسية.
٣. الأثر البالغ في امتداد نشاط الحركات العلمية والفكرية في المجتمع، فهي الأخرى لاشك أنها كانت عاملاً مؤثرا في مواقف الولاة من الاتجاهات الثقافية والسياسية، كما سيمر بنا.

---

(١) ابن سعد : الطبقات، ١٢٩/٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٣٦٢/٣-٣٦٣.

المبحث الرابع: نشاط الحركات العلمية والفكرية

حرص الخلفاء الأمويون على نشر العلم بين الناس، والإنفاق على العلماء، وطلبة العلم، وتشجيعهم، وتحفيزهم، بالأقوال والأفعال، ومن ذلك قول الخليفة عمر بن عبد العزيز:" مُروا أهل العلم أن ينشروا العلم في مساجدهم ومجالسهم"[1]، ونرى الخليفة الوليد بن عبد الملك يُقسِّم قِصاعَ الفضةِ على قراء بيت المقدس[2].

فلا شك أن الحركة العلمية والفكرية في العصر الأموي شهدت نشاطًا ملموسًا في شتى الميادين، حيث اهتم خلفاء بني أمية في تطور الحركة العلمية وازدهارها ، وقد كان أكثرهم ذا علم وفقه، فكانوا ينفقون على طلاب العلم حتى يتفرغوا لطلب العلم، ولا يشغلهم شيء عنه، ومن ذلك سعي بعض الخلفاء في جمع الحديث وتدوينه [3]، وساهم البعض الآخر في تعريب الدواوين [4]، واهتم قسم منهم بترجمة كثير من العلوم الأخرى إلى العربية، فكان بداية لحركة الترجمة [5]، كما شملت عناية الخلفاء الفائقة جوانب علمية أخرى.

وقد نهج عدد من الخلفاء سبلاً معنوية شتى في سبيل دعم العلم وأهله، فكان التميز بالعلم

---

(١) ابن الجوزي : سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص٦٧ .

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٣٤٨/٤.

(٣) يعتبر الخليفة عمر بن عبد العزيز أول من أمر بتدوين الحديث الشريف، فقد كتب إلى جميع الآفاق بقوله: " انظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه "، وفي ذلك كتابه إلى والي المدينة أبو بكر بن حزم بقوله: " انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سنة ماضية، أو حديث عمرة، فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وأهله ". ابن كثير: البداية والنهاية، ٣٠٧/٩؛ الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن (ت٢٥٥هـ): سنن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي وأحمد السبع العلمي، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ، ١٢٦/١؛ السيوطي: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، ط١، الرياض ، مكتبة الرياض الحديثة ، ص٤٠؛ ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مراجعة: قصي محب الدين الخطيب، ط١، القاهرة، دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ، ١٦٣/١.

(٤) قام بذلك الخليفة عبد الملك بن مروان بالإضافة إلى تعريب النقود وسكها. البلاذري: فتوح البلدان، ص٢٠١.

(٥) والتي بدأها خالد بن يزيد بن معاوية عندما ترجم كتب الطب والكيمياء إلى العربية. الجاحظ: البيان والتبيين، ٢٦٧/١.

– مثلاً – من أسس ومقومات تعيين الولاة على الأقاليم، كما فعل الخليفة عمر بن عبد العزيز[1].

ولقد شارك في تحريك النشاط العلمي والفكري علماء كثر، اختلفت مشاربهم، واهتماماتهم العلمية، فكان منهم المفسرون، والقراء، والمحدثون، والفقهاء، والمؤرخون، والمهتمون باللغة والأدب، وغيرهم ممن أثروا الحركات العلمية والفكرية بمختلف ميادينها، وساهموا في تطور دراسة كثير من العلوم بعد أن جدوا في طلبها، والاشتغال بتدوينها، والتصنيف فيها، كما اهتم بعض الولاة في العصر الأموي بالحركة العلمية والفكرية، حيث ساعدوا على نمو الحركة العلمية والفكرية في المجتمع وتدوينها، ومن ذلك ما قام به والي المدينة مروان بن الحكم حين أراد أن يحفظ معارف مشاهير الصحابة، ويصونها من الضياع، فيروى أنه استقدم الصحابي زيد بن ثابت ﷺ، وطرح عليه أسئلة، والكتَّاب جالسون خلف ستر يدونون الإجابات [2].

وكتب والي مصر عبد العزيز بن مروان عندما إلى التابعي كُثَيِّر بن مُرَّة الحضرمي أن يكتب له ما سمعه من أحاديث الصحابة سوى أبي هريرة؛ لأن حديثه كان مجموعًا عنده [3]، فكان لهذه الجهود أثر كبير في حفظ السنة، ومنع التلاعب فيها.

فامتد نشاط الحركة العلمية والفكرية بتأثيرها على مواقف الولاة من الاتجاهات الثقافية والسياسية في شتى أنحاء الدولة الإسلامية، فعلى سبيل المثال تأثير البعثة العلمية[4] التي أرسلها الخليفة عمر بن عبد العزيز مع والي إفريقية إسماعيل بن عبيد الله، حيث شاركت في الدعوة للدين الإسلامي، وتطبيقة في مجتمع المغرب، وساعدوا في نشر العلم، وإبلاغه للناس كافة[5]،

---

(١) ابن حبان: الثقات، ٣٦٧/٧.

(٢) ابن سعد: الطبقات، ٣٦١/٢.

(٣) ابن سعد : الطبقات، ٤٤٨/٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٥٧/٩.

(٤) سبق ذكر العلماء العشرة الذين شاركوا في البعثة العلمية لإفريقية في الفصل الثاني المبحث الأول ص٩٥.

(٥) حيث ورد أن خلق كثير من البربر دخلوا في الإسلام بسبب تلك البعثة العلمية. المالكي: رياض النفوس، =

فعم كل منهم إلى إقامة مدرسة في مسجد بناه، أو في أحد المساجد القائمة، حيث تم اجتماع عدد من طلبة العلم الذين تفرغوا لتلقي العلم، وكفاهم الوالي مئونتهم حيث صرف لهم ما يكفيهم من بيت المال [1].

نتيجة لذلك، فقد تخرج على يد هؤلاء العلماء عدد كبير من الدعاة والعلماء الذين انتشروا فيما بعد في كافة أنحاء الولاية، وصاروا شيوخًا لتلامذة جدد، بالإضافة إلى تعليمهم الرعية، حيث إن كلًا منهم قد عين إمامًا لجامع كبير، وأوكل لبعضهم - فيما بعد — مهام إدارية كالقضاء أو الإمارة [2]، فكان تأثيرهم انطلاقًا من أمانتهم، واستنادًا إلى مناصبهم.

فمن المعلوم أن مساحة ولاية إفريقية كبيرة، وعدد سكانها كثير، ولم تمكث الجيوش الإسلامية في إفريقية طويلاً، فما كادت تتم فتحها سنة ٩٠هـ تقريبًا حتى اتجهت في سنة ٩٢هـ للأندلس، وفتحتها، واستقرت بها مع كثير ممن أسلم من البربر لذا لم يكن هناك عدد كافٍ من الدعاة، كما أن تأثير المجاهدين المسلمين محدود لقلة الأيام التي أقاموها في الولاية بعد الفتح، فساعدت البعثة العلمية على حث الناس للخروج للجهاد في سبيل الله [3]، وطالبتهم بعدم إثارة الفتن والقلاقل، فكان لتلك الحركة العلمية المتمثلة بنخبة العلماء أثر بالغ على الوالي في العديد من مواقفه الثقافية والسياسية، إذا ما علمنا أن الوالي كان على رأس تلك البعثة

١/١١٦؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٨/٤٤٠.

(١) ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبد العزيز، ص١١٥؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ٩/٣٠٧.

(٢) فأبو الجهم عبد الرحمن بن رافع التنوخي تولي قضاء القيروان في ولاية موسى بن نصير، وأما أبو سعيد جعثل بن هاعان فقد تولي قضاء الجند في إفريقية للخليفة هشام بن عبد الملك. المالكي: رياض النفوس، ١/١١٤، ١/١٥٢-١٥٥؛ الدباغ ، عبد الرحمن بن محمد الأنصاري (ت ٦٩٦هـ) :معالم الأيمان في معرفة أهل القيروان ، تحقيق: أبو الفضل قاسم ، مصر ١٣٨٨هـ .ص٢٠٣.

(٣) فكان عدد من العلماء في طليعة الجيش الإسلامي لفتح الأندلس ومنهم: عبد الله بن يزيد المعافري، وحنش الصنعاني، والمغيرة بن أبي بردة ومحمد بن أوس الأنصاري، وبكر بن سوادة، وغيرهم. حيث أسهمت مشاركتهم في تثبيت الفتح الإسلامي، وإقرار الأمن في إفريقية. أبو العرب التميمي : طبقات علماء إفريقية والمغرب، ط١، بيروت، دار الكتاب، ١٤١٨هـ، ص٨٦.

العلمية[1].

ولم يقتصر تأثير البعثة العلمية على والي إفريقية آنذاك إسماعيل بن عبيد الله فحسب؛ بل امتد إلى ما بعده من الولاة، فقد لجأ إليهم الوالي حنظلة بن صفوان لإنهاء ثورة البربر والخوارج، فجمع كبار علماء إفريقية، وأعلن نزوله على حكمهم، فهم أعرف الناس بكتاب الله، فأوضح هؤلاء العلماء للوالي حنظلة وللخوارج الطريق الذي يجب أن يسيروا عليه، فقبل الوالي بذلك، وأرسل ما كتبه علماء إفريقية إلى زعماء الخوارج في طنجة، ففي هذا دلالة واضحة على تأثيرهم في مواقف الولاة السياسية [2].

فبعد نشاط الحركة العلمية والفكرية بنشر الإسلام، وتطبيقه في مجتمع المغرب، وخاصة البربر، عم العدل في ولاية إسماعيل بن عبيدالله، ولكن ما لبث وأن عُزل، وتولى إمارة إفريقية يزيد بن أبي مسلم الذي سار على سياسة الحجاج بن يوسف، وكان البربر يحرسونه، فقام على المنبر خطيباً فقال: " إني رأيت أن أرسم اسم حرسي في أيديهم كما تصنع ملوك الروم بحرسها، فأرسم في يمين الرجل اسمه، وفي يساره حرسي، ليعرفوا بذلك من بين سائر الناس". فلما سمع حرسه بذلك قرروا قتله، وقالوا: جعلنا بمنزلة النصارى، فلما خرج من داره إلى المسجد قتلوه [3]، فبغض النظر عن صحة فعلهم، أو خطأه تجاه الوالي، إلا أن هناك دلالة واضحة على

---

(١) أبو العرب التميمي: طبقات علماء إفريقية والمغرب ، ص٨٧؛ المالكي: رياض النفوس، ١/١١٦؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ١/٤٨.

(٢) أورد المالكي نص الرسالة كما يلي: " من حنظلة بن صفوان إلى جميع أهل طنجة. أما بعد فإن أهل العلم بالله بكتابه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، يعلمون أنه يرجع جميع ما أنزل الله عز وجل إلى عشر آيات، آمرة، وزاجرة، ومبشرة، ومنذرة، ومخبرة، ومحكمة، ومشتبهة، وحلال، وحرام، وأمثال. فآمرة بالمعروف، وزاجرة عن المنكر، ومبشرة بالجنة، ومنذرة بالنار، ومخبرة بخبر الأولين والآخرين، ومحكمة يعمل بها، ومتشابهة يؤمن بها، وحلال أمر أن يؤتى، وحرام أمر أن يجتنب، أمثال واعظة، فمن يطع الآمرة وتزجرة الزاجرة، فقد استبشر بالمبشرة، وأنذرته المنذرة، ومن يحال الحلال، ويحرم الحرام ويرد العلم فيما اختلف فيه الناس إلى الله، مع طاعة واضحة ونية صالحة، فقد فاز وأفلح، وأنجح، وحيا حياة الدنيا والآخرة. والسلام عليكم ورحم الله ". رياض النفوس، ١/١٠٣.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب، ١/٤٧.

تفقههم بالدين، وتأثرهم بالحركة العلمية التي بدأت في عهد الوالي السابق إسماعيل بن عبيدالله، لذا لم يستطع الولاة فيما بعد فرض الظلم على الناس بعد أن مارسوا حكم الإسلام، وتذوقوا حلاوة عدله، فاقتضى ذلك استمرار مسيرة العدل من قبل الولاة اللاحقين[١].

فاستطاع الوالي تسخير الرعية من خلال مشاركتهم الفعالة في الحياة العلمية والفكرية، وبعكس ذلك فعل والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي عندما أتى بالزط[٢] مع أهلهم وأولادهم، فأسكنهم كسكر[٣]، فثاروا واستولوا على البطيحة[٤] وتناسلوا بها، ثم انضم إليهم جماعة من قطّاع الطريق، فشجعوهم على قطع الطرق، ومبارزة الوالي بالعصيان [٥]، ولو جعل من بين الأهالي من يعلمهم أمور دينهم من العلماء لسهل عليه السيطرة عليهم فيما بعد، نظًرا لما سيتكون لديهم من ثقافة وفكر.

وفي موقف آخر من الحجاج، فقد نفى جابر بن زيد الأزدي[٦]، ومن بعده عمران بن حطان من البصرة إلى عمان، وقد ساهم ذلك في نشر الفكر والمذهب الأباضي، وذلك بعد

---

(١) للمزيد حول نشاط الحركات العلمية في العصر الأموي يمكن الرجوع إلى: عبد الله بن عبد الرحمن الخرعان: أثر العلماء في الحياة السياسية في الدولة الأموية .

(٢) الزُّطُّ جيل أَسْودُ من السِّنْدِ إِليهم تُنسب الثياب الزُّطِّيَّةُ، وقيل: الزُّطُّ إِعْرابُ (جَت) بالهندية ، وهم جيل من أَهل الهند . ابن منظور: لسان العرب، تحقيق: عامر أحمد وعبد المنعم خليل، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م، مادة زطط، ٣٠٨/٧.

(٣) كسكر: كورة واسعة حدها من الجانب الشرقي في آخر سقى النهروان إلى أن يصب دجلة في البحر، وكانت قصبة كسكر قبل أن يمصر الحجاج بن يوسف واسطا. الحموي: معجم البلدان، ٤٦١/٤.

(٤) البطيحة: وتجمع البطائح، والبطيحة والبطحاء واحد، وتبطح السيل إذا اتسع في الأرض، وبذلك سميت بطاح واسط؛ لأن المياه تبطحت فيها أي سالت واتسعت في الأرض، وهي أرض واسعة بين واسط والبصرة. الحموي: معجم البلدان، ٤٥/١.

(٥) البلاذري: فتوح البلدان، ص٣٦٨-٣٦٩.

(٦) جابر بن زيد الأزدي العماني، وهو بالنسبة للأباضية مؤسسًا، ولكنه كان يتبرأ منهم، فبدأت في البصرة، ثم انتشرت فيما بعد في عمان. ابن سعد: الطبقات، ١٨١/٧؛ البخاري: التاريخ الكبير، ٢٠٤/٢؛ ابن حبان: الثقات، ١٠١/٤.

ما فشلت الحركة الفكرية في حضرموت واليمن [1]، اتجهت أنظار الأباضية في البصرة والجزيرة العربية إلى عمان؛ لتكون المركز الذي ينطلق منه صوت الدعوة العلني.

وللحجاج مواقف عديدة تجاه نشاط الحركات العلمية والفكرية، ولعل موقفه من حركة ابن الأشعث [2] التي ضمت العديد من العلماء، والفقهاء، والقراء كان له تأثير ثقافي وسياسي برز على الساحة الأموية، وكاد يطيح بها، ويكفي أنه قتل العالم الجهبذ الفقيه سعيد بن جبير الذي انضم إلى ابن الأشعث من أجل محاربة الظلم، والصدع في قول الحق[3].

ومن جانب آخر تعتبر المساجد[4]منبراً للعديد من الحركات العلمية والفكرية في العصر الأموي، حيث ارتبط نشوء الحركة العلمية في الإسلام ارتباطًا وثيقًا منذ الوهلة الأولى لظهوره، واستمرت المساجد على هذا النهج، فاهتم الخلفاء قبل الولاة بها، وتشييدها، وبتوفير سبل الراحة للعلماء، وطلبة العلم، مما جعلها تؤدي رسالتها العلمية السامية رغم ما انتابها، مع تفاوت الوقت من مضايقات، ومنافسات متنوعة، فقد احتوت إسهامات علمية متنوعة، خصوصًا في مواسم الحج من كل عام [5].

فكانت المساجد منطلقًا للنشاط العلمي والفكري في أنحاء الدولة الإسلامية، حيث

---

(١) وذلك بعد إخماد ثورة طالب الحق عبد الله بن يحيى الكندي. خليفة بن خياط: تاريخه، ص ٣٨٤-٣٨٥؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٧/ ٣٧٣-٣٧٦، ٣٩٣-٣٩٤ ومابعدها

(٢) للمزيد حول موقف العلماء والفقهاء من حركة ابن الأشعث يمكن الرجوع إلى: عبد الله بن عبد الرحمن الخرعان: أثر العلماء في الحياة السياسية في الدولة الأموية، ص٤٤٢-ص٤٥٦.

(٣) ابن سعد : الطبقات، ٤/ ٢٣٨، ٢٦٣/٦؛ خليفة بن خياط : تاريخه، ١٨٥/١؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٣٥٧/٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٥٧٧/٢، ٣٩١/٣.

(٤) للمزيد حول آثار المساجد في الإسلام يمكن الرجوع إلى: عبد العزيز اللميلم، رسالة المسجد في الإسلام، ط١، ط١، ١٤٠٧هـ.

(٥) البغوي، عبد الله بن محمد (ت٣١٧هـ): مسند ابن الجعد، تحقيق: عامر أحمد حيدر، ط١، بيروت، مؤسسة نادر، ١٤١٠هـ، ص٦٤؛ البلخي، عبد الله بن أحمد بن محمود (ت٣١٩هـ): قبول الأخبار ومعرفة الرجال، مركز إحياء التراث، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، رقم ٨٩٨؛ ابن أبي يعلى، محمد بن الحسين بن خلف (ت٥٢٦هـ): طبقات الحنابلة، ط١، بيروت، دار المعرفة، د. ت، ٣٩٠/١.

أتيحت الفرصة لكل من أراد الالتحاق بتلك المجالس، كما كان لدعم الولاة أثر كبير في نشاط الحركات العلمية، ومن ذلك أن بعض الولاة خصص مئة دينار لكل من انقطع في بيت من بيوت الله لنشر العلم، وتدريس القرآن وتلاوته [١].

فأولى خلفاء بني أمية[٢] وولاتهم عناية فائقة ببناء المساجد والاهتمام بها، فكان الولاة يحرصون على بناء المساجد عند إنشاء المدن، ومن أشهر المساجد التي شيدها الولاة، وأشرفوا على رعايتها ماقام به والي إفريقية عقبة بن نافع ﷺ من بناء مسجد القيروان، كما بنى محمد بن القاسم مسجد شيراز، وبنى الحجاج بن يوسف جامعًا في واسط، وبنى أيوب بن محمد الثقفي والي اليمن جامع صنعاء، وغيرهم [٣].

وذكر ابن الفقية أن الوالي زياد بن أبيه بنى سبعة مساجد، فلم ينسب إليه شيء منها، وأن كل مسجد بالبصرة كانت رحبته مستديرة؛ فإنه من بناء زياد [٤]كما أن عددًا كبيرًا من المساجد التي بنيت في المشرق الإسلامي يعود إلى العصر الأموي في مرو، وهراه، ونيسابور، وكرمان وغيرها[٥].

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ٢٠٧/٩.

(٢) وتعتبر المساجد الثلاثة: المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى، حظيت باهتمام الخلفاء عن غيرها، بالإضافة إلى بناء الجامع الأموي، وقبة الصخرة وغيرها، ويروى أن الخليفة الوليد بن عبد الملك أنفق الأموال الطائلة في بناء الجامع الأموي، فغضب الناس، وقالوا: انفق أمير المؤمنين بيوت المال في غير حقها، فلما سمع الخليفة كلامهم نادى بالصلاة جامعة فلما اجتمع الناس صعد الخليفة المنبر، وقال: " إنه بلغني عنكم أنكم قلتم: أنفق الوليد بيوت المال في غير حقها، ووالله ما أنفقت في عمارة هذا المسجد درهمًا واحدًا من بيوت المال، وإنما هذا كله من مالي "، ففرح الناس، وكبروا، وحمدوا الله ﷻ، ودعوا للخليفة، وانصرفوا شاكرين داعين. ابن كثير : البداية والنهاية، ١٢٨/٩.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ٣٥٥/٢؛ الأصطخري: المسالك والممالك، ص١٢٥؛ الصنعاني: تاريخ مدينة صنعاء، ص٩٢.

(٤) الهمذاني، أبو بكر محمد بن أحمد الهمذاني (ت٣٦٥هـ): البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، ط١، بيروت، دار عالم الكتب، ١٤٠٦هـ، ص١٩١.

(٥) فاكتظت هذه المساجد بالحلق والدروس من الفقهاء. البلاذري: فتوح البلدان ، ص٣٨٤؛ الأصطخري: المسالك والممالك، ص٢٥٩، ص٢٦٥.

ولقد ساهم الصحابة ﷺ في انتشار الحلق العلمية، والدروس في المساجد[1] مما أدى إلى وجود حركة علمية نشطة ظهرت نتائجها في جيل التابعين[2]، ومما ساهم في انتشارها، كذلك اهتمام الخلفاء[3] والولاة، مما جعلها في بعض الفترات عاملاً مؤثّرا في مواقف الولاة من الاتجاهات الثقافية والسياسية، فعلى سبيل المثال ما كان من والي المدينة هشام بن إسماعيل المخزومي في تعامله مع العالم سعيد بن المسيب الذي كان له حلقة في المسجد، ودروس يلقيها على طلابه، فأراد الوالي معاقبته بالضرب بسبب موقفه من البيعة للوليد، وسليمان بني عبد الملك بولاية العهد من بعد والدهما، وذلك لتأثيره على تلاميذه [4].

وتُعد الكتاتيب[5] من أبرز مؤسسات التعليم، وأهمها عند المسلمين[1]، فانتشرت في شتى

---

(١) ومما يدل على شهرة حلقات المساجد ما ورد أن أبا الدرداء دخل المسجد، ومعه من الأتباع مثل مايكون مع السلطان، وهم يسألونه عن العلم، فكان له حلقة كبيرة في المسجد، فعن مسلم قال: " قال لي أبو الدرداء اعدد من يقرئ عندنا، فأ عددت ألفًا وستمائة ونيفًا، فكانوا يقرأون، ويتسابقون عشرة عشرة، لكل عشرة منهم مقرئ، وكان أبو الدرداء قائمًا يستفتونه في حروف القرآن؛ فإذا أحكم الرجل من العشرة القراءة تحول إلى أبي الدرداء ". ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق، ٧٠/١؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، ٣٥٩/٥٥. وللمزيد حول هذا الموضوع راجع: صالحة السفياني: التعليم في المساجد في القرن الأول الهجري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٤هـ.

(٢) فعن أبي مسلم الخولاني قال: دخلت مسجد حمص، فإذا فيه نحو ثلاثين كهلاً من أصحاب رسول الله ﷺ، وإذا فيهم شاب أكحل العينين، براق الثنايا، ساكت لا يتكلم، فإذا امترى في شيء أقبلوا عليه، فسألوه، فقلت لجليس لي: من هذا؟ قال: معاذ بن جبل ﷺ. ابن سعد: الطبقات، ٣٨٨/٧.

(٣) ومما يدل على اهتمام الخلفاء بحلق الذكر، والدروس العلمية في المساجد أنه لما قدم الخليفة عبد الملك بن مروان المدينة، فامتنعت من القائلة، واستيقظ، قال لحاجبه: انظر هل في المسجد أحد من حداثنا من أهل المدينة، وفي موقف آخر يتكرر الموقف من الخليفة الوليد بن عبد الملك، فعندما استُخلف قدم المدينة، فدخل المسجد، فرأى شيخًا قد اجتمع الناس عليه، قال: من هذا؟... . ومن الجدير بالذكر أن يزيد بن عبد الملك كان أول أمير أموي يحضر حلقات التدريس في الجامع الأموي. ابن سعد : الطبقات، ١٣٠/٥؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٦١/٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٢٢٧/٤.

(٤) خليفة بن خياط : تاريخه، ص٢٨٩.

(٥) كتّاب والكُتَّاب: موضع تعليم الكُتَّاب، والجمع الكتاتيب والمكاتب، أمّا المُكْتِب فهو الذي يُعلم الكتابة. الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ): الصحاح في اللغة، تحقيق : أميل بديع يعقوب و محمد نبيل طريفي ، ط٣ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٩هـ، ٢٠٩/١؛ ابن منظور: لسان العرب، مادة كتب، ٣٨١٧/٦.

الأقاليم الإسلامية، وكان لها نشاط بارز في الحركة العلمية والفكرية، فقد اهتم بعض الخلفاء بمعلمي الكُتاب[2] ، أما الولاة فكان بعضهم معلّما في تلك الكتاتيب، حتى وصل إلى منصب الوالي، كالحجاج بن يوسف الثقفي[3]، فكان من الطبيعي أن يكون متأثرا في مواقفه الثقافية والسياسية، فنراه يهتم بأمور العلم والثقافة، فأولى القرآن الكريم اهتماًمابيرك ً ا، وشجع أهله، وبذل لهم الأموال، وقرب العلماء، وأدناهم، وجعلهم في حاشيته، وقد أحدثت العناية بالقرآن الكريم[4]، والحديث النبوي الشريف، وغيرها من العلوم نشاطًا في الحركة العلمية والفكرية.

ومما يؤكد تأثير معلمي الكتاتيب في مواقف الولاة، ما قام والي الكوفة الضحاك بن قيس في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺباتخاذ أبي الجنوب السلولي[5] مؤذناً له، ويستشيره في بعض آرائه، كما قام والي البصرة عدي بن أرطاة بتولية القضاء لإياس بن معاوية، وكان من

---

(١) للمزيد حول الكتاتيب، وأهميتها يمكن الرجوع إلى: عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش: الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما، ط١، مكة، مكتبة ومطبعة دار النهضة الحديثة، ١٤٠٦هـ.

(٢) ومن ذلك اهتمام الخليفة عبد الملك بن مروان بقبيصة بن ذؤيب الخزاعي، وكان معلّما للكتاب، استعمله الخليفة عبد الملك على الخاتم والبريد. ابن سعد: الطبقات، ١٧٦/٥؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ٦٣/٢١؛ الصالحي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الصالحي (ت٧٤٤هـ): طبقات علماء الحديث، تحقيق: أكرم البوشي، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ، ١٢٠/١.

(٣) مثل أبيه كان معلّما للكُتاب، وكانوا يأجرون الحجاج خبًزا على تعليمه لهم. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٣٠/٢.

(٤) فمن أجل الأعمال التي قام بها الحجاج اهتمامه بنقط حروف المصحف، وإعجامه بوضع علامات الإعراب على كلماته، وذلك بعد أن انتشر التصحيف؛ حيث أوكل نصر بن عاصم بهذه المهمة العظيمة، وقام بتجزئة القرآن، ووضع إشارات تدل على نصف القرآن وثلثه وربعه وخمسه، ورغّب في أن يعتمد الناس على قراءة واحدة، وأخذ الناس بقراءة عثمان بن عفان ﷺ، وترك غبرها من القراءات، وكتب مصاحف عديدة موحدة، وبعث بها إلى الأمصار. السجستاني: المصاحف، ص١١١؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٠٨/٤.

(٥) حبشي بن جنادة السلولي له صحبة، ورواية عن النبي ﷺ، وهو معلم كُتاب، ورد أنه جاء فسلم على الضحاك بن قيس، ثم قال: والله إني أحبك أيها الأمير لله تعالى، فقال له الضحاك بن قيس: أنا والله أبغضك لله، قال: ولم؟ قال: إنك ترتشي في التعليم، وتبغي في التأذين. الذهبي: تاريخ الإسلام، ٨٠/٢؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٨٧/٧٠.

معلمي الكُتاب [1]، بالإضافة إلى أن مسلمة بن عبد الملك والي الجزيرة ولى عمرو بن ميمون ابن مهران[2] الخراج، وبعثه للثغور لتعليم القرآن الكريم [3]، كما ولاه والي الجزيرة محمد بن مروان بيت المال بحران [4].

ولما تولى زياد بن أبيه، اهتم بمعلمي الكتاب، وتأثر بهم، فمن ذلك أنه قرب جبير بن حية بن مسعود الثقفي، وكان من معلمي الكتاب وكان كاتبًا في الديوان، وتدرج في المناصب حتى ولاه أصبهان [5].

وكانت الكتاتيب منتشرة في أحياء مكة والمدينة، وأزقتها، ولعل من أشهرها كُتَّاب أبي عثمان المقام عند باب دار خالد بن عبد الله القسري، ولعل من أهم مواقفه الثقافية التي كان لها التأثير إلى يومنا هذا، وذلك عندما أمر بإدارة الصفوف في الصلاة حول الكعبة، فقد ورد أن الناس يقومون قيام شهر رمضان في أعلى المسجد الحرام، تركز حربة خلف المقام بربوة، فيصلي الإمام خلف الحربة، والناس وراءه، فمن أراد صلى مع الإمام، ومن أراد طاف بالبيت، وركع خلف المقام، فلما ولي خالد بن عبد الله القسري مكة لعبد الملك بن مروان، وحضر شهر رمضان، أمر خالد القراء أن يتقدموا فيصلوا خلف المقام، وأدار الصفوف حول الكعبة، وذلك أن الناس ضاق عليهم أعلى المسجد، فأدارهم حول الكعبة، فقيل له: تقطع الطواف لغير المكتوبة، قال: فأنا آمرهم يطوفون بين كل ترويحتين سبعًا، فأمرهم، ففصلوا بين كل ترويحتين بطواف سبع، فقيل له: فإنه يكون في مؤخر الكعبة وجوانبها من لا يعلم بانقضاء طواف

---

(١) ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق، ٦/١١٦.

(٢) عمرو بن ميمون بن مهران يكنى بأبي عبد الله الجزري، من أئمة الفقهاء التابعين، روى عن جماعة من الصحابة ﷺ، كان يوصف بالقرآن والنحو، تولى البريد للخليفة عمر بن عبد العزيز ﷺ، توفي سنة ١٤٥هـ. ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبد العزيز، ص٧٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٥/٧١-٧٢؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٨/٩٥.

(٣) ابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق ، ٤٦/٤٢٤.

(٤) ابن سعد: الطبقات، ٧/٤٧٨.

(٥) المزي: تهذيب الكمال، ٤/٥٠٢.

الطائف من مصل وغيره، فيتهيأ للصلاة، فأمر عبيد الكعبة أن يكبروا حول الكعبة، يقولون: الحمد لله، والله أكبر، فإذا بلغوا الركن الأسود في الطواف السادس، سكتوا بين التكبيرتين سكتة حتى يتهيأ الناس ممن في الحجر، ومن جوانب المسجد من مصل وغيره، فيعرفون ذلك بانقطاع التكبير، ويصلي، ويخفف المصلي صلاته، ثم يعودون إلى التكبير حتى يفرغوا من السبع، ويقوم مسمع فينادي: الصلاة رحمكم الله، قال: وكان عطاء بن أبي رباح، وعمرو بن دينار، ونظراؤهم من العلماء يرون ذلك، ولا ينكرونه [١].

وفي مواسم الحج كان لهم تأثير على مواقف الولاة الثقافية، ومن ذلك أن والي مكة أمر منادياَ ينادي في أحد المواسم بقوله:" لا يفتي الناس إلا عطاء بن أبي رباح، فإن لم يكن عطاء، فعبد الله بن أبي نجيح "، وكان عطاء من معلمي الكتاب [٢]

وقد دأب عطاء بن أبي رباح على استقبال الطلاب والعلماء في منزله [٣]، لاسيما في آخر عمره عندما ضعف عن الخروج، مما ألجأ الطلاب إلى ارتياد منزله للاستفادة من علمه، وكان الولاة يرسلون في استشارته، وأخذ الفتيا منه [٤]، فكانت منازل العلماء من عوامل نشاط الحركات العلمية والفكرية، ولم تكن بمنأى عن التأثير على الولاة في مواقفهم المختلفة.

هذا بالنسبة للكتاتيب العامة، أمابالنسبة لمكاتب التعليم الخاصة التي سارت جنباً إلى جنب مع الكتاتيب العامة، فكانت مؤثرة على بعض مواقف الولاة، بعد أن حظي أبناء بعض

---

(١) الأزرقي: أخبار مكة، ٢/ ٣٠١، ٢/٢٤٩؛ الفاكهي: أخبار مكة، ٣/٤٥٠، ٢١١.

(٢) ابن معين، يحيى بن معين بن عون البغدادي (ت٢٣٣هـ): تاريخ يحيى بن معين، تحقيق: ، تحقيق : أحمد محمد نور سيف ، مكة المكرمة ، مركز البحث العلمي ، ١٣٩٩هـ، ١/٥٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٥/٨٢.

(٣) الفاكهي: أخبار مكة ، ٢/٣٨٧؛ الشرجي، أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف (ت٨٩٣هـ): طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، ط١، صنعاء، الدار اليمنية، ١٤٠٦هـ، ص٣٦٠.

(٤) وكان له مجلس علمي ثابت في مكة، ويخلفه أحياناً قيس بن سعد الحبشي. ابن حبان: الثقات، ٧/٣٢٨؛ ابن عدي، عبد الله بن عدي الجرجاني (ت٣٦٥هـ): الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: سهيل زكار ويحيى مختار، ط٣، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٩هـ، ٢/٢٥٧.

الولاة بمؤدبين خاصين عُنوا بتربيتهم وتثقيفهم[1].

كما شاركت قصور الخلفاء[2]، أوالولاة، أو غيرهم في نشاط الحركة العلمية والفكرية، وذلك بما احتوته من لقاءات علمية متنوعة، فكانت قصور الولاة موئلاً لبعض العلماء من أصحاب الحظوة، كما تمتلئ المجالس بوفود بعض الأدباء أو الشعراء[3]، مما يترتب على ذلك إثراء فكري متنوع لكثير من النشاطات العلمية والفكرية، فبلا أدنى شك أن تلك المجالس تؤثر في بعض مواقف الولاة الثقافية أو السياسية.

فتشير بعض المصادر[4] إلى أن الولاة، كالحارث بن خالد المخزومي والي مكة، وبشر بن مروان والي الكوفة، وسعيد بن العاص والي المدينة، والمهاجر بن عبد الله الكلابي والي اليمامة، وعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك والي المدينة، والحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق، وغيرهم كانوا يقيمون مجالسًا للشعراء في قصورهم، مما أدى إلى نشاط في الحركة العلمية والفكرية، وكان لتلك القصائد والأبيات الشعرية تأثير في مواقف الولاة من الاتجاهات الثقافية أو السياسية.

ولم يكن نشاط الحركات العلمية والفكرية مقتصرًا فحسب على العلماء والفقهاء والشعراء،

---

(١) القفطي، أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف (ت٦٤٦هـ): إنباه الرواة على أنباه النحاه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤٠٦هـ، ٣/١٢١.

(٢) ومن ذلك حضور الصحابي الجليل أنس بن مالك ﷺ خادم رسول ﷺ مجلس الخليفة الوليد بن عبد الملك في الجابية، ومعه أربعون رجلاً من طلبة العلم والعلماء، واستمعوا إلى أنس، وهويحدث الخليفة بأحاديث سمعها من النبي ﷺ. وتضم هذه المجالس مناظرات علمية بحضرة الخليفة، وقد يشترك الخليفة في بعض المسائل العلمية. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٠/١٦.

(٣) وقد سبق أن ذكرنا تأثير بعض الشعراء على الولاة في الفصل الثاني المبحث الثاني.

(٤) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء، ٢/٤٧٤-٤٧٦؛ ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تحقيق: مفيد قميحة و محمد أمين، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ، ص٢٤٦-٢٤٧؛ أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ٢٢/٢١٠-٢١١؛ ابن واصل: تجريد الأغاني، ٣/٢٣٤٣؛ العباسي، عبد الرحيم بن أحمد (ت ٩٦٣هـ): معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، بيروت، دار عالم الكتاب، ١٣٦٧هـ.

بل كان للقراء تأثير في مواقف بعض الولاة من الاتجاهات الثقافية والسياسية، لا سيما وأن الكتابة كانت بدون تنقيط، وبدون تشكيل، واختلفت اللهجات العربية، فكان كل ذلك مما سمح بتعدد القراءات، وبالتالي أكسب القراء نفوذًا محليًا قويًا، حيث بادر كل قطر لتأييد قارئه، وفي هذا تأييد للكيان المحلي للأمصار، وانعكس ذلك فيما بعد على جماعة القراء الذين حددوا مواقفهم وتواضعهم من الوضع القائم، فكان لهم تأثير واضح في صفوف عامة الناس[1].

وقد ألمحت بعض المصادر - بصورة مقتضبة — إلى أماكن أخرى شاركت في نشاط الحركة العلمية والفكرية، كالأسواق التجارية التي اهتم بها الولاة، وكان لها أثر في بعض مواقفهم من تلك الاتجاهات الثقافية والسياسية، فمن ذلك سوق المربد بالبصرة الذي يلتقي فيه الشعراء والأدباء فأصبح منبرًا للثقافة، وفيه اجتمع الناس مع الوالي لمناقشة الأمور بعد ما ساءت العلاقة بين تميم والأزد وبكر بعد وفاة يزيد بن معاوية، واجتمعت فيه بنو تميم لمقاومة يزيد بن المهلب الذي تمرد على الخلافة الأموية [2].

بيد أن هناك جوانب أخرى في التأثير على مواقف الولاة الثقافية والسياسية، وكانت عاملاً من عوامل نشاط الحركة العلمية والفكرية، كالرحلات العلمية، والتأليف، والمكتبات وغيرها، ففي خراسان كان الضحاك بن مزاحم الهلالي صاحب التفسير الفقيه له مكتب عظيم فيه ثلاثة الآف صبي، وكان يركب حمارًا يدور عليهم إذا أعيا [3].

على أية حال، فإن التكوين الأسري للولاة، وسياسة الدولة، بالإضافة إلى موقف العلماء والقضاة، ونشاط الحركات العلمية والفكرية آنذاك، كان لها تأثير مباشر في مواقف الولاة من الاتجاهات الثقافية والسياسية، كما أدت تلك العوامل إلى انتشار العلوم في جميع الأقطار الإسلامية في شتى مجالاته، كما سيمر بنا.

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٣٤٤/٤؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٤٦٩/٤؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢١٣/١.

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٥١٦/٥-٥١٧.

(٣) ابن حبان : مشاهير الأمصار، ٣٠٨/١؛ المزي: تهذيب الكمال، ٢٩٥/١٣؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر، ٢٢/١.

الفصل الثالث:

مواقف الولاة من الاتجاهات العلمية و الثقافية

الاتجاهات العلمية في المجتمع الإسلامي:

أولاً - العلوم الشرعية.

ثانيًا - علوم الأدب واللغة.

ثالثًا - العلوم الطبيعية.

رابعًا - علوم وأدب الأمم السابقة (الإسرائيليات – علوم الفرس).

الاتجاهات العلمية في المجتمع الإسلامي:

مّر بنا أن العالم الإسلامي في العصر الأموي شهد انطلاقة واسعة في ميادين الحضارة والبناء الفكري، كما شهد العصر الأموي توسعًا كبيرًا للدولة الإسلامية، مما نتج عن ذلك دخول شعوب جديدة ذات حضارة قديمة كان لها إسهام في تطور العلوم في العصر الأموي.

ولم تكن الفتوحات الإسلامية ذات طابع عسكري فحسب،بل كانت فتحًا حضاريًا للبلاد المفتوحة، مما سهل توطيد الصلات العلمية بين الأقاليم الإسلامية المتفرقة، إذ لم يتوان العلماء المسلمون من تبليغ رسالتهم الثقافية في شتى البقاع الإسلامية.

ومما لاشك فيه أن للاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي أثرًا واضحًا في انصراف الرعية نحو ميادين النشاط الحضاري بمختلف وجوهه، بالإضافة إلى اهتمام خلفاء بني أمية بالعلم وأهله، وتشجيعهم، ودعمهم المادي[1] والمعنوي المتواصل لمناحي الحياة العلمية المختلفة، وحرصهم على اختيار الولاة ممن اتصفوا بالكفاءة الإدارية والعلمية.

لذا نجد الولاة لم يكونوا رجال إدارة فحسب، وإنما يتميزون بجانب من العلم والمعرفة، وهذا بلا شك يجعلهم حلقة وصل علمية في المجتمع، حتى أن الولاة الذين اتصفوا بالشدة والبطش كان لهم مجالسهم العلمية والثقافية والأدبية، واتضح دورهم العلمي من خلال ولايتهم، بل إن بعض الولاة الذين ينقصهم جانب من العلم، لا يتوانى، ولا يترفع أن يجلس للعلم بين يدي العلماء لتلقي ما ينقصه [2].

وتشير المصادر [3] إلى أن غالبية ولاة بني أمية تعددت مشاربهم العلمية، فعلى سبيل المثال يتصف بعض الولاة بالعلوم الشرعية، والبعض الآخر يتميز بالعلوم الأدبية واللغة، ومنهم من يسعى في علوم الطبيعة وغيرها، وبذلك نرى أن الاتجاهات العلمية في المجتمع الإسلامي تنوعت وبلغت ذروتها، فمن الطبيعي أن يكون للولاة مواقف مؤثرة من تلك الاتجاهات، مما جعلنا

---

(١) فعلى سبيل المثال حظي العالم عطاء بن أبي رباح على منح الحكام، ويعتمد في جزء كبير من عيشه عليها، ومن ذلك أن الوالي الحجاج بن يوسف الثقفي أعطاه مائة ألف درهم. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٦٤٧/١١.

(٢) كما مر بنا العديد من الأمثلة في المبحث الرابع من الفصل الثاني حول نشاط الحركات العلمية والفكرية.

(٣) ابن حبان: الثقات، ٣٦٧/٧؛ الأصبهاني، أبونعيم أحمد بن عبد الله (ت٤٣٠هـ): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ ، ٣٩/٧؛ ابن الجوزي: المنتظم، ٩٣/١٤.

نقسمها إلى أربعة أقسام، نبين من خلالها تلك المواقف، فكانت على النحو التالي:

أولاً / العلوم الشرعية:

شهد العصر الأموي حياة جيلين فريدين هما : جيل الصحابة ﷺ المتلقي من النبي ﷺ وجيل التابعين ﷺ، والذي دخل ضمن الخيرية التي أطلقها الرسول ﷺ بقوله: " خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم... "[1]، بالإضافة إلى أنه ضم في طياته طلائع جيل تابع التابعين الذين أشرفوا على مرحلة مفصلية من مراحل الحركة العلمية.

فبرزت عناية المسلمين في العصر الأموي بالعلوم الشرعية، كالقرآن وتفسيره، والحديث النبوي وروايته، واستنباط الأحكام الفقهية، والفتاوى الشرعية فيما يجد من مشكلات وما يعرض من أحداث في شتى الأقاليم المتفرقة.

وبما أن غالبية ولاة بني أمية كانوا من كبار الصحابة والتابعين يمكننا أن نجزم بأن لهم دورًا بارزًا في إنشاء المراكز التعليمية تموينًا أو إشرافًا، ولعل تشجيعهم للعلماء سواءً بالإغداق عليهم بالأموال، أو بتوليتهم مناصب إدارية[2] يُعد عاملاً مساعدًا لانتشار العلوم، وازدهارها، وخاصة العلوم الشرعية.

وهناك العديد من مواقف ولاة بني أمية من العلوم الشرعية في شتى الأقاليم الإسلامية، ولكن سنلقي نظرة على أبرز تلك المواقف، ومدى تأثيرها على المجتمع الإسلامي، وننبه في هذا الصدد أنه بالرغم من مشاركة الولاة في خدمة العلوم الشرعية بصفة رسمية، فليس هناك أدنى شك بمشاركتهم الخاصة، ويظهر ذلك في علم القرآن الكريم حيث ورد أن الوالي هشام بن إسماعيل المخزومي، استحدث دراسة القرآن في دمشق لأول مرة، وذلك عندما قدم

---

(١) البخاري: صحيح البخاري ، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، رقم الحديث (٢٦٥٢)، ٤٢٢/٩.

(٢) فعلى سبيل المثال في علم القراءات ظهر العديد من القُراء كعبد الله بن عامر اليحصبي ت ١١٨هـ، وكان قاضيًا للجند، ورئيسًا للمسجد لا يرى فيه بدعة إلا غيرها. ابن سعد: الطبقات، ٤٤٩/٧؛ البخاري: التاريخ الكبير، ١٥٦/٥؛ الذهبي: معرفة القراء الكبار على الطبقات و الأعصار، تحقيق: بشار عواد وآخرين، ط١، بيروت، دار الرسالة، ١٤٠٤هـ، ٨٢/١؛ ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد بن يوسف ت٨٣٣هـ: غاية النهاية في طبقات القراء، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٧هـ، ٤٢٣/١.

على الخليفة عبد الملك بن مروان، فحجبه الخليفة عبد الملك بعد الصبح في مسجد دمشق، والخليفة عبد الملك في الخضراء[١]، فأخبر أن عبد الملك يقرأ بقراءة هشام، فقرأ بقراءته مولى له، فاستحسن ذلك من يليه من أهل المسجد، فقرؤوا بقراءته [٢].

ولذا عدّه ابن كثير[٣] من سادات السلف من التابعين، ووصفه بعضهم[٤] بالعلم والرئاسة، فكان له فضل كبير في تعليم القرآن وتدريسه، بل لم يقتصر على جهوده حيث أسند المهمة لمولاه رافع، وإسماعيل بن عبيدالله بن أبي المهاجر[٥] في تدريس القرآن الكريم، فاستمرت الدراسة في دمشق بعدما ولي هشام أمر المدينة [٦].

وقد وصفت بعض الأقاليم الإسلامية في العصر الأموي بانتشار العلم الشرعي والفكري، كولاية خالد بن عبد الله القسري لمكة، وولاية أبي بكر بن محمد بن حزم، وأبان بن عثمان بن عفان للمدينة، وولاية عروة بن محمد السعدي في اليمن، وولاية إسماعيل ابن عبيد الله في إفريقية، وغيرها من الولايات في شتى الأقاليم الإسلامية [٧].

أما مواقف الولاة من العلوم الشرعية على حسب أصنافها، فقد تعددت مواقفهم لكل صنف من العلوم، حيث كان من الولاة القارئ، والمفسر، والمحدث، والفقيه، مما ترتب على ذلك آثار بالغة، بالإضافة إلى من لا يتصف بالعلم، ولكنه يشجع العلماء، ويقف في صفهم،

---

(١) الخضراء: هي دار الإمارة بدمشق، بناها الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ بالطوب، فلما فرغ منها، قدم عليه رسول ملك الروم، فنظر إليها فقال له معاوية: كيف ترى هذا البنيان؟ قال: "أما أعلاه فللعصافير، وأما أسفله للفأر" فنقضها معاوية، وبناها من الحجارة. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٥٩/٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٦/٤.

(٢) ابن حذلم، أبو الحسن أحمد بن سليمان بن أيوب (ت ٣٤٧هـ): جزء من حديث الأوزاعي، تحقيق: مسعد السعدني، وشريف العدوي، ط١، دار ماجد عسيري، جدة، ١٤٢١هـ، ٢٢/١؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق، ٢٨٣/٢.

(٣) البداية و النهاية، ١٦٠/٩، ١٨١.

(٤) ابن عساكر : تاريخ دمشق، ٢٨٣/٢.

(٥) وذلك قبل توليه منصب الإمارة في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز.

(٦) ابن عساكر : تاريخ دمشق، ٢٤/١٨.

(٧) فعلى سبيل المثال أشاد الفاكهي بمكانة قريش في مكة زمن ولاية خالد القسري على مكة بقوله: " وكانت قريش أهل كثرة وثروة، وأهل مقال في كل مقام، هم أهل النادي والبلد، وعليهم يدور الأمر، وفي الناس يومئذ بقية ومسكة " الفاكهي: أخبار مكة، ١٣٨/٥؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٣٤٧/٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ٤٤/٧؛ ابن حجر: تقريب التهذيب، ص٣٨٩.

وينظر في حاجاتهم.

ولو نظرنا إلى أهم العلوم الشرعية – **القرآن الكريم** – لوجدنا أن الولاة أولوا القرآن الكريم اهتمامًا كبيرًا، وشجعوا أهله، فبعد أن كُتب المصحف[1] في عهد الخليفة عثمان ﷺ، دون نَقْط ولا شَكل،وكانت بعض الكلمات تَسمح بقراءات متعددة، وربما لم يجد العرب صعوبة في القراءة، ولكن المشكلة ظهرت عندما بدأ التباين في قراءات أبناء الشعوب المفتوحة، كالفرس، والبربر وغيرهم، فتنبه خلفاء بني أمية، وولاتهم إلى هذا الأمر[2].

وقد مّرت خدمة القرآن الكريم في العصر الأموي بعدة مراحل كالآتي : **المرحلة الأولى**: كانت في زمن ولاية زياد بن أبيه، وذلك عندما بعث إلى أبي الأسود الدؤلي [3]، وقال له: يا أبا الأسود، إن هذه الحمراء قد كثرت، وأفسدت من ألسن العرب، فلو وضعتشيئًا يصلح به الناس كلامهم، ويعرب به كتاب الله تعالى! فأبى أبو الأسود، وكَرِه إجابة الوالي زياد إلى ما سأل، فلجأ الوالي زياد إلى حيلة حيث وجه رجلاً، وقال له: اقعد على طريق أبي الأسود، فإذا مر بك، فاقرأشيئًا من القرآن، وتعّمد اللحن فيه، فقعد الرجل على طريق أبي الأسود، فلما مر به رفع صوته فقرأ قوله تعالى: " أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِه" {بكسر لام رسوله}، فاستعظم أبو الأسود ذلك، وقال: عز وجه الله أن يبرأ من رسوله! ورجع من حاله إلى الوالي زياد، وقال: يا هذا، قد أجبتك إلى ما سألت، ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن، فابعث إلي بثلاثين رجلاً، فأحضرهم الوالي زياد، فاختار منهم أبو الأسود عشرة، ثم لم يزل يختارهم حتى اختار منهم رجلاً من عبدالقيس، فقال: خذ المصحفوصبغًا يخالف لون المداد، فإذا فتحتُ

---

(١) لعل أبرز كتَّاب المصحف في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ، سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية والي المدينة في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ، قال عنه سعيد بن عبد العزيز:إنّ عربيّة القرآن أُقيمت عَلَى لسان سعيد بنالعاص؛ لأنّه كَانَ أشبههم لهجةً برسول الله ﷺ ". ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١١١٩/٢١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤٤٧/٣.

(٢) القاضي: تاريخ المصحف الشريف، القاهرة، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، ١٩٦٥م، ص٧.

(٣) ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي الكناني، من سادات التابعين، وأعيانهم، وفقهائهم، وشعرائهم، ومحدثيهم، ومن الدهاة حاضري الجواب، وهو كذلك نحوي عالم، وضع علم النحو في اللغة العربية، توفي سنة ٦٩هـ. ابن سعد: الطبقات، ٩٩/٧؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ٤٨٦/٣؛ المرزباني: معجم الشعراء، ٢١/١؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ٨٣/١.

شفتي فأنقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتهما فاجعل النقطة في أسفله، فإن أتبعتُشيئً ا من هذه الحركاتغُنة فأنقط نقطتين[(١)].

فأخذ أبو الأسود يقرأ المصحف بالتأني، والكاتب يضع النقط، واستمر على ذلك حتى أعرب القرآن كاملاً ، وكان كلما أتم الكاتب صحيفة، أعاد أبو الأسود نظره فيها [(٢)].

ولا جدال في أنَّ ما قام به أبو الأسود في هذا الشَّأنِ ُعدُّ عملاً منطقيًّاً، تتطلبه الحوادث، وتقتضيه الحاجات في ظروف ومناسبات خاصة، ولا يقدم عليه أحد من دون موافقة ولاة الأمر في عصره، ورعايتهم؛ لأنَّ الأعمال الفردية في أمر عظيم يتصل برسم المصحف لا يقدم عليها فرْدٌ بغير إجماع من علماء المسلمين، وتعضيد من ولّي الأمر، كما فعل الوالي زياد بن أبيه.

وفي رواية أخرى، أن عبيدالله برزياد لما كان واليً ا للبصرة، كلّف كاتبه يزيد الفارسي بإعجام المصحف بالنقاط، والشكل، كما ورد أنه زاد في المصحف ألفي حرف[(٣)]، فلما تولى الحجاج بن يوسف بلغه ذلك، فقال: من ولي ذلك لعبيد الله؟ قالوا: ولي ذاك له يزيد الفارسي، فأرسل إليه، فلما دخل عليه قال: ما بال ابن زياد زاد في المصحف ألفي حرف؟ قال: أصلح الله الأمير، إنه ولد بكلاء البصرة، فتوالت تلك عني، قال: صدقت، فخلى سبيله [(٤)].

وقد اعتمد يزيد الفارسي إلى التملّص من هذا الموقف بالإشارة أنه فاتَه ُ ما عُرف عن عبيد الله بن زياد من ضعف في اللغة، ولحنه فيها، وذلك لعدة أسباب، أقواها نشأتُ في مرفأ البصرة؛ حيث اختلاط الألسن، وكون أُمه مرجانه فارسية الأصل، ولعله يريد بذلك النجاة بنفسه من بطش الحجاج، حيث كان يقول لما استدعاه الحجاج: فانطلقت إليه، وأنا لا أشك

---

(١) السجستاني: المصاحف، ص٥٢؛ الداني، عثمان بن سعيد (ت٤٤٤هـ): المحكم في نقط المصاحف، تحقيق: عزة حسن، ط٢، دمشق، دار الفكر، ١٤٠٧هـ، ٣/١؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ١٥٦٤/١.

(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ١٥٦/٣؛ القاضي: تاريخ المصحف الشريف، ص٧٤.

(٣) وكان الذي زاد عبيد الله في المصحف كان مكانه في المصحف: قالوا (قاف لام، و) كانوا (كاف نون واو)، فجعلها عبيد الله: قالوا (قاف ألف لام واو ألف، وجعل) كانوا (كاف ألف نون واو ألف). السجستاني: المصاحف، ٤٧٩/١.

(٤) السجستاني: المصاحف، ٤٧٩/١.

أن سيقتلني [1].

والذي يظهر أن أول من التفت إلى نقط المصحف هو زياد بن أبيه، وذلك بسبب تواتر الروايات التاريخية، كما ذكرنا سابقًا، أما ما ورد أن الوالي عبيد الله بن زياد أمر بزيادة في المصحف، فهذا غير صحيح، ولعل المقصود بتلك الزيادة شكل الكلمة، وإذا ماعلمنا أن الحجاج بن يوسف قد اتهم بعد ذلك عبد الله بن الزبير ﷺ بعدما قتله، وتمت السيطرة على مكة، خطب الناس وكان مما قال:" إن ابن الزبير حّرف كتاب الله "، فقام ابن عمر وقال:" كَذَبتَ، كَذَبتَ، كَذَبتَ، ما يستطيع ذلك، ولا أنت معه " [2].

وكانت **المرحلة الثانية** : في زمن ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق، وذلك حينما أتم ما بدأه الوالي السابق زياد بن أبيه، ووضع حلاً لمشكلة تفشي العجمة، وكثرة التصحيف حيث أمر كلاً من يحيى بن يعمر[3]، ونصر بن عاصم الليثي[4] بوضع النقط، أفرادًا وأزواجًا، والمخالفة بين أماكنها، مما سهل التفريق بين الحروف، كما وضعوا علامات الأخماس والأعشار في القرآن الكريم، فتم بذلك تقسيمه إلى أجزاء [5].

وأشارت بعض المصادر[6] إلى وجود علماء آخرين شاركوا في هذا العمل، كالحسن البصري

(١) السجستاني: المصاحف، ٤٧٩/١؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٢٨٣/٨-٢٨٤.

(٢) ابن سعد: الطبقات، ١٨٤/٤؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ٢٠٤/٦.

(٣) يحيى بن يعمر العدواني البصري، يلقب بأبي سليمان، من فضلاء الناس وعلمائهم، نفاه الحجاج إلى خراسان فولاه قتيبة بن مسلم قضاء مرو، وقربه يزيد بن المهلب، توفي سنة ١٢٩هـ. ابن سعد : الطبقات، ٣٦٨/٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤٤١/٤.

(٤) نصر بن عاصم بن عمرو بن خالد الليثي الكناني، يعتبر أبرز علماء النحو من التابعين، أخذ العلم عن أستاذه أبي الأسود، وهو عالم بالقراءات، ومحدث، توفي سنة ٨٩هـ. خليفة بن خياط : تاريخه، ٢٩/١؛ ابن حجر: تقريب التهذيب، ٥٦٠/١.

(٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٣٢/٢؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ٩٠/٤.

(٦) السجستاني: المصاحف، ص١١٩؛ الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب ت٤٠٣هـ: نكت الانتصار لنقل القرآن، تحقيق: محمد زغلول، الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٧١م، ص٣٩٦؛ الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن بهادر ت٧٩٤هـ: البرهان في علوم القرآن، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م، ٢٤٩/١.

البصري الذي يعتبر بمثابة شيخهم[١]، وأبو العالية الرياحي، وعاصم الجحدري، ومالك بن دينار، وراشد الحمَّاني، حيث قال لهم الحجاج: " اكتبوا المصاحف، واعرضوا وصيّروا ما اختلفتم فيه إلى قول هذا الشيخ، يعني الحسن البصري" [٢].

لذا فقد اعتمد الحجاج في اختياره على القدرات، والكفاءات العلمية[٣] التي تمتع بها أصحابها من الحَفَظَة، والقَرَأَة والكَتَبَة، فكانت مهنيَّة مختصة، إذ لم يقتصر اختياره على العرب دون الموالي، بل طغى عدد الموالي على العرب، لأن الأساس عنده توخي أصحاب الكفاءات الثقات الأثبات.

كما ابتعد الحجاج عن مسألة الانتماءات السياسية، والتوجهات الفكرية لدى العلماء، فلم يمنع على سبيل المثال انتساب نصر بن عاصم الليثي إلى الخوارج[٤] من أن يختاره الحجاج من العلماء؛ لكونه من مشاهير القراء والنحاة، وكذلك الحال مع مالك بن دينار، فقد كان من القراء الذين خرجوا مع ابن الأشعث، لكن معرفته برسم المصحف وهجائه، وشهرته بكتابة المصاحف هي التي رجّحت كِفّة اختياره كاتبًا للمصحف، وضابطًا لرسمه [٥].

وقد ورد أن الحجاج بن يوسف انتقد قراءة عبد الله بن مسعود ﵁، ومنعها، وقال: " لأجد أحدًا يقرأ على قراءة ابن أُمِّ عبد – يعني عبد الله بن مسعود – إلا ضربتُ عنقه،

---

(١) مما يدل على ذلك قول الراوي لمالك: من ولي له العرض؟ قال: عاصم الجحدري. قلت: الحسن فيهم؟ قال: كان شيخهم. الباقلاني: نكت الانتصار، ص٣٩٦.

(٢) الباقلاني: نكت الانتصار ، ص٣٩٦.

(٣) ثمة روايات تفيد أن الحجاج بن يوسف الثقفي جمع حفَّاظ البصرة، وقراءها، وكتابها إلى واسط ليختار منهم نخبة يعتمد عليهم في هذا العمل. السجستاني: المصاحف، ص١١٩؛ السخاوي، أبو الحسن علم الدين علي بن محمد الشافعي (ت٦٤٣هـ): جمال القراء وكمال الإقراء، تحقيق: علي حسين البواب، ط١، مكة المكرمة، مكتبة التراث، ١٤٠٨هـ، ٣٨٦/١.

(٤) حيث ذكر في أغلب المصادر انتسابه للخوارج، وأنه على رأيهم، ثم تركهم ورجع عنهم. المرزباني: معجم الشعراء، ٧٢/٢؛ الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنصاري (ت٥٧٧هـ): نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤١٩هـ، ٢٣/٣؛ الحموي: معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، ط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي،١٤٢٢هـ ، ٤٧٩/٢؛ الذهبي: معرفة القراء الكبار، ١٧٠/١؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٤٢٧/١٠.

(٥) خليفة بن خياط : تاريخه، ص٢٢١؛ ابن سعد: الطبقات، ٢٤٣/٧؛

ولأُحمِّنَّها من المصحف، ولو بضلع خنزير "[1]، حيث كان الهدف من ذلك ترسيخ وحدة النص القرآني، وإصدار نسخ قرآنية جديدة، مع إحداثات شكلية تعمل على تثبيت هذه الوحدة وتقويتها.

وبذلك اتبع الحجاج نهج الخليفة عثمان بن عفان ﷺفي قبض المصاحف المخالفة لمصحفه، وفي المطالبة بها، وتحريقها، ودرس آثارها، والمنع من العمل على ما فيها، كما أرسل نسخ المصاحف الجديدة إلى الأمصار الإسلامية، حيث روى أنس بن مالك ﷺ قوله: " أرسل الحجاج بن يوسف إلى أمهات القرى بمصاحف... " [2].

ولم يقف اهتمام الولاة بالقرآن الكريم من حيث وضع نقط المصحف، والحركات، بل تعدى ذلك إلى ما هو أهم؛ حيث عمد غالبية الولاة في فتوحاتهم إلى تعليم كتاب الله، وتدريسه، ومن ذلك ما قام به والي إفريقية عقبة بن نافع الفهري عندما دخل إفريقية، كان في جيشه خمسة وعشرون صحابيًا، وخلف في القيروان، وفي بعض الأقاليم جماعة منهم يعلمون البربر القرآن، ويفقهونهم في الدين، وفي موقف آخر كذلك عندما هَزَمَ والي إفريقية حسَّان بن النعمان الغساني الكاهنة، وبنى مدينة تونس عَهِدَ إلى ثلاثة عشر فقيهًا من التابعين بمهمة تعليم القرآن الكريم إلى البربر [3].

ويظهر أن الوالي عقبة بن نافع كان يدع نفرًا من أصحابة يعلمون الناس القرآن، وأمور دينهم كلما دخل بلدًا، ويؤكد ذلك شهرة أحد الأماكن هناك باسم أحد أتباعه الذين تركهم في أربطة يعلمون الناس القرآن الكريم، وأمور دينهم، وفي ذلك يقول عبيد الله بن صالح: " ثم وصل إلى موضع شاكر الذي سمي باسم أحد أصحابه، تركه هناك حيث أنشأ رباطًا عرف

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ٣٨٦/١٣؛ ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد القرشي (ت٢٨١هـ): الإشراف، تحقيق: وليد قصاب، ط١، الدوحة، دار الثقافة، ١٤١٦هـ، ص٨٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٥٨٦/٤؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣١٩/١٠-٣٢٠.

(٢) ابن شبة: تاريخ المدينة، ٨/١؛ الباقلاني: الانتصار للقرآن، تحقيق: محمد عصام القضاة، ط١، بيروت، دار ابن حزم، ١٤٢٢هـ، ٢٧٠/١؛ السمهودي، أبو الحسن نور الدين علي بن عبد الله الشافعي ت٩١١هـ: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، مصر، مطبعة السعادة، ١٩٥٥م، ٦٦٨/٢.

(٣) ابن الأثير: أسد الغابة، ٧٥٧/٣؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ٢٣/١؛ النويري: نهاية الإرب ، ٣٢/٢٢.

باسمه، ومازال هذا الموضع – حتى اليوم – باسم سيدي ثيكر "[1].

ولما فتح الوالي موسى بن نصير مدينة طنجة، ترك حامية ترابط فيها تحت إمرة طارق بن زياد مولاه، وكانت في ألف وسبعمائة رجل، وسرعان ما ازداد عدد جنود الرباط، حتى بلغ اثني عشر ألف رجل بما انضم إليهم من البربر، فأرسل إليهم الوالي موسى بن نصير سبعة وعشرين فقيهًا، يعلمون الناس أمور الشريعة الإسلامية، وتدريس كتاب الله [2].

وفي المقابل نجد الأثر السلبي في بعض المواقف من الولاة، وخاصة ما يخص الأحداث السياسية وأثرها على أهل القرآن والقراء في تلك الحقبة، ولعل حركة ابن الأشعث[3] تحكي بعض المعاناة التي واجهها العلماء من قراء، وفقهاء بطش الولاة، وظلمهم، كما تعرض بعض العلماء للمضايقة، أوالتعذيب، أوالقتل كسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير وغيرهم [4].

ويعتبر **الحديث النبوي** من أهم العلوم الشرعية بعد القرآن الكريم، حيث حرص الصحابة ﷺ على حفظ الأحاديث، وروايتها، وقام بعض منهم بتدوينها بشكل خاص[5]، ولم يتم تدوينها بشكل رسمي إلا في العصر الأموي، حيث كان بعض المسلمين ينظرون إلى التدوين بكونه عملًا مخالفًا للسنة، ومحرمًا، لذلك فإنهم استصعبوه، واستثقلوه في بادئ الأمر، حتى

---

(١) ابن صالح، عبيد الله بن صالح: نص جديد عن فتح العرب للمغرب، نشره: ليفي بروفنسال، تحقيق: حسين مؤنس، مجلة المعهد المصري، مدريد، ١٩٥٤م، ص٢٠٩.

(٢) ابن عذاري: البيان المغرب، ٤٢/١؛ المقري: نفح الطيب، ٢٣٠/١.

(٣) لم تكن مشاركة العلماء بما فيهم من قراء وقضاة وغيرهم مخططًا لها مسبقًا، وإنما جاءت نتيجة لظروف تلك الحركة والإقليم الذي خرجت فيه، والوالي الذي كانت موجهة ضده.

(٤) ابن سعد: الطبقات، ٢٣٥/٤؛ خليفة بن خياط : تاريخه، ١٨١/١؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٢٤/٤، ١٢٢/٥.

(٥) فقد ورد أن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ كتب عن النبي ﷺ كثيرًا، مما حدا بأبي هريرة الدوسي ﷺ أن يعترف بريادته في ذلك، فقال:" لم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثًا مني، إلا عبدالله بن عمرو بن العاص، فإنه كتب، ولم أكتب"، فكان عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ يحفظ ما يكتب من أحاديث في صحيفة أسماها " الصادقة" ويقول عنها: " فيها ما سمعت من رسول الله ﷺ ليس بيني وبينه فيها أحد "، وكانت هناك صحائف أخرى كتبها: عبد الله بن عباس، وسَمُرة بن جندب الفزاري، وأبو سَلمة نَبيط بن شريط الأشجعي، وجابر بن عبد الله الخزرجي الأنصاري. ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، ط٢، القاهرة، دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٢هـ، ٣٠٨/١؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٠١/٦؛ المزي: تهذيب الكمال، ٤٣٣/٤.

أجبرهم الخلفاء والولاة على ذلك، إذ يقول معمر عن الزهري: " كنا نكره كتابة العلم حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء" [1]، كما قال الزهري في هذا الصدد:" أَمَرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السُّنَن، فكتبناها دفترًا دفترًا، فبعث إلى كل أَرض له عليها سلطان دفترًا من دفاتره"[2].

وفي رواية[3] أخرى أن الخليفة عمر بن عبد العزيز بعث إلى علماء الأمصار الإسلامية يقول:" انُظروا إلى حديث رسول الله ﷺ فاجمعوه "، وذلك تحت إشراف الولاة في شتى الأقاليم الإسلامية.

وهذه دلالة واضحة على الدور الذي قام به الولاة في السعي لتدوين السنة النبوية، إذا ما علمنا أن أغلب الولاة في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز من العلماء ورواة للحديث.

أما أول عملية جمع للحديث النبوي الشريف وتدوينه، بشمول واستقصاء، فقد تمت في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، وبأمر وبإشراف مباشر منه (كجهة حكومية رسمية)، وهذا الزمن يعتبر متأخًرا لتدوين الحديث، فلو دون الحديث كما دون القرآن لأنسد باب الكذب على رسول الله ﷺ.

لذا نستطيع القول بأن التدوين كانت بدايته عندما كتب الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري، واليه على المدينة: " أن انُظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ، أو سُنَّة ماضية، فاكتبه، فإني قد خِفْت دروس العلم، وذهاب أَهله"[4]، وأمره بأن يكتب ما عند عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية[5]، فقام الوالي بهذا العمل، واختار كلًا من القاسم بن محمد بن أبي بكر، ومحمد بن شهاب الزُّهري للمشاركة بهذا العمل، وذلك

---

(١) ابن سعد: الطبقات، ٣٨٩/٢.

(٢) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، ٣٥٤/١.

(٣) الأصبهاني: تاريخ أصبهان، ط٢، الهند، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ، ١٥٩/١.

(٤) ابن سعد : الطبقات، ٣٥٣/٨؛ الدارمي: سنن الدارمي، ١٢٦/١؛ البخاري: صحيح البخاري، ١٨٦/١؛ ابن حجر: فتح البارئ، ١٩٤/١.

(٥) عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصارية، تربت في حجر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وهي عالمة، فقيهة، حجة،كثيرة العلم، ويعتبر والي المدينة أبو بكر بن محمد بن حزم الأنصاري ابن أختها، توفيت سنة ٩٨هـ، وقيل: ١٠٦هـ. ابن حبان: الثقات، ٢٨٨/٥؛ المزي: تهذيب الكمال، ٤٦٦/١٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٥٠٧/٤-٥٠٨.

لسعة علمهما، واطلاعهما، وهذا يدل على حسن اختيار الوالي لهذه المهمة الشاقة.

أما ماورد بأن والي المدينة مروان بن الحكم دعا الصحابي زيد بن ثابت ﷺ إلى مجلسه، وطرح عليه أسئلة، والكتَّاب جالسون خلف ستر، يدونون الإجابات، فلم يكن في تدوين الحديث، بل في معارف المشاهير من الصحابة، والدليل على ذلك أن الصحابي زيد بن ثابت ﷺ لما علم أن الكتَّاب يدونون ما يقول، التفت إلى الوالي مروان وقال له: " يا مروان، عذرًا إنما أقول برأيي "[1].

كما ورد أن كاتب والي المدينة مروان بن الحكم قال: " إن مروان أرسل إلى أبي هريرة، فجعل يسأله، وأجلسني خلف السرير، وأنا أكتب، حتى إذا كان رأس الحول، دعا به، فأقعده من وراء الحجاب، فجعل يسأله عن ذلك الكتاب، فما زاد ولا نقص، ولا قدم ولا أخر، قلت: هكذا فليكن الحفظ " [2].

وذكر أن مروان طلب من أبي هريرة أن يكتب حديثه كله فأبى، فلما أبى عليه، تغفله مروانوأقعد له كاتبًا ثقفًا، ودعاه، فجعل أبو هريرة يحدثه، ويكتب ذاك الكاتب، حتى استفرغ حديثه أجمع، ثم قال مروان: تعلم أنا قد كتبنا حديثك أجمع؟ قال: وقد فعلت! قال: نعم. قال: فاقرؤوه علي، فقرؤوه. فقال أبو هريرة: أما إنكم قد حفظتم، وإن تطعني، تمحه، قال: فمحاه [3].

ويتبين لنا من هذه الروايات أن فعل والي المدينة مروان بن الحكم كان نابعًا من شغفه بطلب العلم، وحفظ حديث رسول الله ﷺ، ولم يقصد بذلك التدوين، كما فعل الخليفة عمر ابن عبد العزيز بالجمع، والتنقيح، والتنظيم بشكل رسمي من خلال مراسلة جميع العمال والولاة.

كما تُشير بعض الروايات بأن والي مصر عبد العزيز بن مروان أرسل إلى كثير بن مرة

---

(١) ابن سعد: الطبقات، ٣٦١/٢.

(٢) صححه الحاكم في المستدرك ١١٠/٣؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١١٦/٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٥٩٨/٢.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٥٠٩/٣-٥١٠؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق، ١١٦/٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ٥٩٨/٢.

الحضرمي[1] يطلب منه أن يكتب له بما سمع من الصحابة، إلا حديث أبي هريرة، "فإنه عندنا " كما قال [2]، فإذا أخذنا بعين الاعتبار المدة التي كان فيها عبد العزيز بن مروان واليًا على مصر (٦٥هـ – ٨٦هـ)، ووفاة كثير الحضرمي (٧٠هـ - ٨٠هـ) استطعنا أن نحدد الفترة التي أرسل فيها الوالي طلبه وذلك بين (٦٥هـ - ٨٠هـ)، وبذلك من الممكن أن تكون أول بداية لتدوين الحديث، علمًا بأن الوالي عبد العزيز بن مروان كان محبًا للعلم وأهله، متفانيًا في خدمة الدين[3].

ولكن لم أجد في المصادر التاريخية جوابًا من كثير الحضرمي للوالي عبد العزيز بن مروان، ولم ينتشر شيئًا مما كتبه كثير بين الناس، بعكس ما قام به ابن شهاب الزهري الذي يفتخر بأنه "لم يدون هذا العلم أحد قبل تدويني "[4]، والذي يظهر أن طلب الوالي من كثير في وقت لا يسمح له بالتدوين، وذلك لكبر سنه، إذا ما علمنا أنه أدرك سبعين من أهل بدر، وهناك احتمال أخير بأن تكون وافته المنية قبل انتهائه من التدوين، والله أعلم.

وبذلك نرى مدى أهمية الولاة في العصر الأموي، وموقفهم من خدمة تدوين الحديث النبوي بشكل عام، وذلك باختيار العالم المناسب للجمع، والبحث عن الرواة، بالإضافة إلى تقصي الحقائق عن صحة الأحاديث، فقد فتح هذا العمل الطريق أمام الولاة، والعلماء الذين أثمرت جهودهم في خدمة السُّنَّة النبوية عن ظهور مصطلح الحديث الذي كان لدقة منهجه، وسلامة قواعده، أن اتخذه العلماء منهجًا في التاريخ، والفقه، والتفسير، واللغة، والأدب وغيرها، وظهور علم الجَرح والتعديل وعلوم الحديث الأخرى، وتصنيف المؤلفات في الأحاديث

---

(١) كثير بن مرة الحضرمي الحمصي الرهاوي، تابعي، جليل يكنى بأبي شجرة، كان إمامًا عالمًا أدرك سبعين من أهل بدر، روى عنه أهل الشام، توفي في الفترة مابين ٧٠هـ – ٨٠هـ ابن سعد: الطبقات، ٤٤٨/٧؛ البخاري: التاريخ الكبير، ٩٠٧/٧؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ٤٤/١؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٤٢٩/٨.

(٢) ابن سعد : الطبقات، ٤٤٨/٧؛ المزي: تهذيب الكمال، ١٦٠/٢٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٥٧/٩؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٣٥٦/٦.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف، ٤٤/١؛ المزي: تهذيب الكمال، ١٦٠/٢٤؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ١٧١/١-١٧٣.

(٤) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، ٧٨/١؛ الكتاني، محمد بن جعفر (ت١٣٥٤هـ): الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، تحقيق: محمد المنتصر، ط٥، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ١٤١٤هـ، ص٤.

الموضوعة، وفي الوضّاعين الكذابين، وفي الأحاديث المشتهرة، وذلك لتنقية السنة النبوية مما تعرضت له، وحمايتها من كل زيف.

ولابد أن ننوه في هذا الصدد إلى أن أكثر الصحابة رواية للحديث النبوي الشريف أبوهريرة ﷺ، كان أحد ولاة المدينة بالنيابة عن مروان بن الحكم [١]، ولا يمكن أن يخفى الدور البارز الذي قام به أبو هريرة ﷺ في حفظ أحاديث النبي ﷺ، وروايته لمن بعده.

ويتضح لنا الاهتمام بالحديث النبوي من قبل الولاة، في حرصهم على أبنائهم، وزجهم في هذا المجال، ومنهم عبد الله وعبد الملك أبناء والي المدينة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري الذي اعتنى بالحديث، وسيرة الرسول ﷺ، واستخدام الأسانيد في رواياته، وجمع قائمة بغزوات الرسول ﷺ مرتبة على السنين [٢].

ولو ألقينا نظرة كذلك على تدوين السيرة النبوية؛ فإن والي المدينة أبان بن عثمان بن عفان يعتبر من أوائل الذين كتبوا في المغازي، والسيرة النبوية، وكان قد أخذ عن عدد كثير من الصحابة، وأخذ عنه عددٌ كثير أيضًا من التابعين [٣].

فقد ذكر ابن سعد أن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي[٤]، لم يكن عنده خط مكتوب من الحديث، إلا مغازي رسول الله ﷺ، أخذها من أبان بن عثمان، فكان كثيرًا ما تقرأ عليه، ويأمر أولاده بتعلمها [٥].

---

(١) الفاكهي: أخبار مكة، ٣/١١-١٢؛ وكيع: أخبار القضاة، ١/٢٥٧؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ٢٩/٢٠٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٨/١١٣.

(٢) ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت٣٨٠هـ): الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم، تحقيق: إبراهيم رمضان، ط٢، بيروت، دار المعرفة، ١٩٩٧م، ١/٢٨٢؛ المزي: تهذيب الكمال، ١٤/٣٤٩-٣٥٠؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٥/١٤٤.

(٣) ابن سعد: الطبقات، ٥/٢١٠.

(٤) هو المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام برالمغيرة، يذكر الواقدي أنه خرج إلى الشام غير مرة غازيًا، وكان في جيش مسلمة الذين رابطوا بأرض الروم حتى أقفلهم عمر بن عبد العزيز، وذهبت عينه، ثم رجع إلى المدينة فمات بها، وأوصى أن يدفن بأُحد مع الشهداء، فلم يفعل أهله، ودفنوه بالبقيع، وكان ثقة، قليل الحديث. ابن سعد : الطبقات، ٥/٢١٠.

(٥) ابن سعد: الطبقات، ٥/٢١٠؛ الزبير بن بكار: الأخبار الموفقيات، تحقيق: سامي مكي العاني، ط٢، بيروت، =

كما أشار الزبير بن بكار إلى تدوين السيرة من أبان بن عثمان، وذلك أنه لما قدم سليمان بن عبد الملك حاجًا سنة اثنتين وثمانين، وهو ولي عهد، فمر بالمدينة، فدخل عليه الناس، فسلموا عليه، وركب إلى مشاهد النبي ﷺ التي صلى فيها، وحيث أصيب بأُحد، ومعه أبان بن عثمان بن عفان، وعمرو بن عثمان بن عفان، فأتوا به قباء، ومسجد الفضيخ[1]، ومشربة أم إبراهيم[2]، وغيرها، وكل ذلك يسألهم، ويخبرونه عما كان، ثم أمر أبان بن عثمان أن يكتب له سير النبي ﷺ ومغازيه، فقال أبان:" هي عندي، قد أخذتها مصححة ممن أثق به"، فأمر بنسخها [3].

وألقى فيها إلى عشرة من الكتاب، فكتبوها في رق، فلما صارت إليه نظر، فإذا فيها ذكر الأنصار في العقبتين، وذكر الأنصار في بدر،... فلم تنال إعجاب سليمان بن عبد الملك، فقال: ما حاجتي إلى أن أنسخ ذاك أذكره لأمير المؤمنين، لعله يخالفه، فأمر بذلك الكتاب فحُرِقَ. ولكن أبان أصر على اقتنائها لما تحتويه من مغازي النبي ﷺ، فقال له: اسأل أمير المؤمنين إذا رجعت، فإن يوافقه، فما أيسر نسخه [4].

ثم إن سليمان بن عبد الملك فيما بعد جلس من العالم الجليل قبيصة بن ذؤيب، فأخبره خبر أبان بن عثمان، وما نسخ من تلك الكتب، وما خالف أمير المؤمنين فيها، فقال قبيصة:

دار عالم الكتب، ١٤١٦هـ، ص٢٢٢؛ المزي: تهذيب الكمال، ١٩٩/٧؛ ابن حجر: تقريب التهذيب، ٢٦٩/٢.

(١) الفضيخ: شراب يتخذ من البسر المفضوخ، أي المشدوخ، ومسجد الفضيخ قريب من قباء، وسمي بذلك أن النبي ﷺ أتي بفضيخ في مسجد الفضيخ، فشربه، فلذلك سمي به، وقيل: إنه أتي بجر فضيخ بسر، وهو في مسجد الفضيخ، فشربه، فلذلك سمى مسجد الفضيخ. ابن شبة: تاريخ المدينة، ٦٥/١؛ الهيثمي، علي بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ): مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ط٣، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٢هـ، باب في مسجد الفضيخ، رقم الحديث ٥٩٠٣، ١٧/٤.

(٢) عدها ابن سعد من صدقات الرسول ﷺ من أموال بني النضير، والمقصود بإبراهيم ابن الرسول ﷺ، وسميت مشربة أم إبراهيم لأن أم إبراهيم مارية القبطية كانت تنزلها، وكان ذلك المال لسلام بن مشكم النضري، هذا الموضع بالعوالي بين النخيل، وهو أكمة قد حوط حولها بلبن، والمشربة هي البستان. ابن سعد : الطبقات ، ٥٠٢/١؛ ابن الضياء، محمد بن أحمد المكي (ت٨٥٤هـ): تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام، تحقيق: علاء إبراهيم وأيمن الأزهري، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ، ١٥١/١.

(٣) الزبير بن بكار: الأخبار الموفقيات، ص٣٣٢.

(٤) الزبير بن بكار: الأخبار الموفقيات، ص٣٣٢.

لولا ما كرهه أمير المؤمنين لكان من الحظ أن تعلمها، وتعلمها ولدك، وأعقابهم، إن حظ أمير المؤمنين فيها لوافر [1].

ولم تكن مواقف الولاة مقتصرة على التدوين فحسب، بل كانت الرواية عن الرسول ﷺ من الطرق المتبعة في ذلك الزمن، كما كانت الرؤية الميدانية لمواقف الرسول ﷺ، وأصحابه ﷺ من طرق اهتمام الولاة بسيرة المصطفى ﷺ، فمن ذلك ما أخرجه البخاري في التاريخ الأوسط فيمن مات بين الخمسين والستين وساق بإسناد له أن مروان برالحكم لما كان واليً ا على المدينة من قِ بَ ل معاوية أرسل إلى أبي قتادة الأنصاري ﷺ لُيريه مواقف النبي ﷺ، وأصحابه ﷺ، فانطلق معه فأراه[2].

وهذه دلالة واضحة على اهتمام الولاة من الصحابة، والتابعين بالسيرة النبوية، ونقلها، نابعًا من اهتمامهم بمعرفة كل ما يتعلق بالنبي ﷺ، ونقله إلى من بعدهم، وبالذات ولاة المدينة النبوية؛ لما يجدونه من آثار باقية، كالمسجد النبوي، وحجراته ﷺ، وغير ذلك.

كما اهتم أغلب الولاة بالعلوم الشرعية الأخرى كالتفسير، والفقه، والفرائض وغيرها، واقتصرت مواقفهم في تلك العلوم على التشجيع، وبذل الأعطيات، ومشاركة الولاة في أعمال الولاية، كالخراج، والشرطة، والصدقة وغيرها [3].

وقد نهج عدد من الولاة سبلاً معنوية شتى في سبيل دعم العلوم الشرعية وأهله، كما أبدى آخرون الاستعداد لتقديم الجرايات الثابتة لبعض العلماء، مقابل تفرغهم للتعليم، وامتدت جهود الولاة إلى جوانب معنوية مؤثرة، ففطنوا لأهمية الاستئناس بآراء العلماء في عدد من القضايا الشرعية والعلمية [4].

وبناء على ما سبق يتبين لنا الأثر الكبير في مواقف ولاة بني أمية من العلوم الشرعية، كما شملت عناية الولاة الأمويين الفائقة جوانب علمية أخرى، ومن أهمها علوم الأدب واللغة، وهذا ما سنلقي عليه الضوء في المبحث التالي .

---

(١) الزبير بن بكار: الأخبار الموفقيات، ص٣٣٣.

(٢) البخاري: التاريخ الصغير، تحقيق : محمود إبراهيم ، ط١ ، حلب ،دار الوعي ، ١٣٩٦هـ ، ١٣١/١؛ ابن حجر: الإصابة ، ٣٢٩/٧.

(٣) كما مر بنا في الفصل السابق، ص١٠٩-١١٠.

(٤) ابن سعد: الطبقات، ٤٨٠/٥؛ أبو زرعة : تاريخ أبي زرعة ، ٦٢٨/١؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٢٦/٧.

ثانيًا / علوم الأدب واللغة:

لم تكن علوم اللغة والأدب في العصر الأموي أقل حظًا من العلوم الشرعية، حيث سارت اللغة العربية جنبًا إلى جنب مع الإسلام منذ البداية، فقد اهتم الخلفاء الأمويون باللغة العربية، وأدآبها، والسعي في انتشارها، فنشَّأوا أبناءهم في البادية، يتعلمون فيها الشعر، والأدب، واللغة، فيأخذون من اللغة أفصحها، ومن الشعر أفضله (1).

وقد شرع الخلفاء الأمويين في بناء دولة تشكل اللغة العربية أهم ركائزها، فاعتمدوا على الشعراء، والأدباء في بعض شؤون الدولة، وبذلوا لهم الهدايا، والأعطيات، كما استعملوا اللغة العربية في البلاد المفتوحة بشكل رسمي، فتم تعريب الدواوين، والنقود(2) في عهد الخليفة عبدالملك بن مروان الذي كان محبًا للشعر، وروايته(3).

وإن كانت بعض المصادر التاريخية(4) تشير إلى أن عصر الخليفة عمر بن عبدالعزيز مناهضًا للأدب وفنونه، حيث أعرض عن الشعراء، ولم يجزل لهم العطاء، مع أننا نجده يستمع لبعض الشعراء، ويتمثل ببعض أبياتهم(5)، ولعله أراد بذلك حفظ مال المسلمين، ومحاولته الجادة العودة

---

(1) فعلى سبيل المثال نشأ الخليفة سليمان بن عبد الملك عند أخواله بني عبس. ابن قتيبة: المعارف، ٨٢/١؛ ابن العبري، أبو الفرج الملطي (ت٦٨٥هـ): تاريخ مختصر الدول، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م، ٦١/١.

(2) سيأتي الحديث عنهما في المبحث الرابع.

(3) كان عبد الملك بن مروان راويًا للشعر، ناقدًا له، كثير الاستشهاد به في كثير من المناسبات، يكثر من الأسئلة والمحاورة منه في مجلسه، فضلاً عن اهتمامه بمعانيه، كما كان يعلم خطورته في التأثير الإعلامي في كسب الأنصار والهجوم على خصومه، ولذلك اهتم بالشعراء اهتمامًا كبيرًا، ووظفهم لمدحه، ودولته وبني أمية، ولم يبخل عليهم بالعطاء، ولذلك كان كبار شعراء عصره من الأمويين، مثل الأخطل، والفرزدق، وجرير، وغيرهم، كما أنه عمل على كسب خصومه، حتى أنهم مدحوه بعد أن هجموا عليه بقصائد قوية في سبه وذمه، مثل: عبيد الله الرقيات. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٥٨٩/٤؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ٥٧/٢.

(4) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٩١/٢؛ أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ٤٧/٨؛ ابن الجوزي: المنتظم، ٣٤١/٢؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٤٣٠/١؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٢٩٢/٩.

(5) فعندما تولى الخلافة، وطرق الشعراء بابه، لم يأذن لأحد إلا جرير، واستمع لشعره، كما له أخبار مع شعراء الزهد والوعظ، كسابق البربري وغيره، وكان يتمثل بهذه الأبيات:

=

بالحياة إلى ما كانت عليه أيام الخلفاء الراشدين [(١)].

كما تجلت عناية الخلفاء، والولاة بالأدب، واللغة في مظاهر عديدة، كعقد المجالس الأدبية العامة التي تهتم بالأدب، والشعر، والنقد، ورعاية الكتابةواتخاذ أعلامها كتابًا في ديوان رسائل الخلفاء، بالإضافة إلى فن الخطابة باتجاهاتها، وتنوع أغراضها[(٢)].

وقد حذا بعض ولاة بني أمية حذوا خلفائهم في الاهتمام باللغة، والأدب، فكان منهم من هو عالم بالنحو، كوالي إفريقية إسماعيل بن عبيدالله، ويتضح ذلك من الحوار الذي دار بينه وبين الخليفة عبد الملك بمروان عندما كان مؤدبًا لأولاده، فقال له عبد الملك: علّم ولدي، فإني معطيك ومثيبك، فقال إسماعيل: يا أمير المؤمنين وكيف ذلك؟ وقد حدثتني أم الدرداء عن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: " من أخذ على تعليم القرآن قوسًا قلّده الله قوسًا من نار يوم القيامة " [(٣)]، قال عبد الملك: يا إسماعيل إني لا أعطيك، أو أثيبك على القرآن، إنما أعطيك أو أثيبك على النحو [(٤)].

يِ ُمتَكِ ينًا ا َوْهو لِ لْهو َماقِتٌ   بِه عَنْ َحِيثِ الْقَومِ َما ُهو َشاغِ لُه

أَزَعَه ُ عِ لْم عَنِ الْجَهْلِ كُلِّه   ِما عَ الِمٌ َشيْئًا كَمْن ُهو َجاهِلُه

ُوسٌ عَنِ الْجُهَّالِ ِحينَ يَ َراهُم   فَلَيْسَ لَهُ ِمنْهم َخِلين يُ َهازِلُه

ذَكَّر َما يَ ْبقَى ِمَن الْعَ يْشِ آِجلا   ُ عَنْ عَ اجِلِ الْعَ يْشِ أََجلُه

ابن العديم: بغية الطلب ، ١٧٧/٤؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ١٧/٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٢١٤/٩.

(١) وفي حفظ مال المسلمين من الشعراء كان يقول: " رأيت أن أجعل هذا المال في أكباد جائعة "، كما يبرر اختلاف نهجه عمن سبقه من بني أمية بقوله: "إنني متبع سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إن أعانني الله على ذلك ". ابن سعد: الطبقات، ٢٩٥/٥؛ الأصبهاني: حلية الأولياء، ٨٤/٥؛ ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبد العزيز، ص١٤٩.

(٢) للمزيد حول علوم اللغة العربية وآدابها، يراجع: السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وآخرين، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.

(٣) صحيح البيهقي وأبو نعيم.

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٤٣٧/٨.

ومنهم الشاعر الحارث بن خالد المخزومي[1] والي مكة، الذي عاتب الخليفة عبدالملك بن مروان بعدما حجبه عن الدخول لملاقاته بأبيات يقول فيها:

صَحِبتُكَ إذ عَيني عليها غشاوةٌ
فلما انجَلَتْ قطّعتُ نفسي ألومُها

وما بي وإن أقصيتَني من ضَراعةٍ
ولا افتقرتْ نفسي إلى من يضيمُها

عطفتُ عليك النفسَ حتى كأنما
بكفّيكَ بؤسي أو عليك نعيمُها[2]

ولا شك أن قول الشعر، وسماعه، وتناقله سواءً من الولاة، أو من غيرهم بما فيه من فخر، واعتزاز، ومدح، وعتاب، وهجاء، أوفي جوانبه الأخرى، كالرثاء، والغزل وغيرها، قد ساهم مساهمة فعَّالة في إثراء الحركة الأدبية في ذلك العصر.

وللحديث عن مواقف الولاة، ودورهم في علوم الأدب، واللغة، سنشير إلى العديد من النماذج التي تبين آثارهم، وإسهاماتهم في جميع المجالات الأدبية واللغوية، لاسيما بعد إقبال سكان البلاد المفتوحة على تعلم اللغة العربية، ودراسة آدابها.

ففي مجال النحو ساهم والي العراق زياد بن عبيد الله في بداية المدرسة النحوية في اللغة، وذلك بعد أوامره لأبي الأسود الدولي بإعراب القرآن الكريم - كما مر بنا سابقًا — واستمر الحجاج بن يوسف الثقفي في المساهمة بتطور اللغة العربية، ووضع النقط والتشكيل [3].

---

(١) يكنى بأبي وابصة، وهو أحد شعراء بني مخزوم المعدودين الذين اشتهروا بالغزل، نجد له نزرًا قليلاً في الوصف، والعتاب، ويعتبر من شعراء قريش الخمسة المشهورين. السدوسي: حذف من نسب قريش ١٣/١؛ أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ٣٠٨/٣.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ٣٣٦/٣؛ المبرد: الكامل في اللغة، ٢٢٥/١؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٨٠/١؛ أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ، ٣٢٨/١.

(٣) ابن سعد: الطبقات، ٩٩/٧؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ٤٨٦/٣؛ المرزباني: معجم الشعراء، ٢١/١؛ ابن =

ويعتبر أبو عمرو بن أبي العلاء المازني[1] من أوائل النحاة في البصرة، ومع ذلك نجده يستعين بوالي مكة الحارث بن خالد المخزومي، ويسأله عن الحروف، فقد ذكر ذلك أخوه معاذ بن العلاء بقوله: كان أبو عمرو إذا لم يحج استبضعني الحروف، أسأل عنها الحارث بن خالد المخزومي، وآتيه بجوابها؛ قال: فقدمت عليه سنة من السنين، وقد ولاه عبدالملك بن مروان مكة، فلما رآني قال: يا معاذ، هات ما معك من بضائع أبي عمرو، فجعلت أعجب من اهتمامه بذلك، وهو أمير [2].

وبغض الطرف عن مدى شهرة الوالي اللغوية، وفصاحته، إلا أننا نجد عدة وجوه تدل على بطلان هذه الرواية، أولها: كيف يكون مولد أبي عمرو بن العلاء مابين سنة ٦٥هـ –٧٠هـ، والحارث بن خالد المخزومي تولى إمارة مكة زمن حصار ابن الزبير في عهد الخليفة عبدالملك ابن مروان سنة ٧٣هـ، وبذلك يكون أبو عمرو قد بلغ ثماني سنوات –كأقصى حد ممكن – في سنة إمارته، ثانياً: هل من المعقول أن يحج أبو عمرو قبل سن الثامنة، بالإضافة إلى أنه يوصي أخاه بالعلم، ثالثًا: لا يمكن أن تبلغ شهرة أبي عمرو بن العلاء العلمية، حيث يهتم به أمير مكة، فيسأل عن بضاعته اللغويةوهو في تلك الفئة العُمرية.

وفي المقابل نجد الموقف السلبي من بعض الولاة تجاه علماء النحو، حيث ذُكر أن أبا عمرو

حزم: جمهرة أنساب العرب، ٨٣/١.

(١) اسمه زبان بن العلاء بن عمار التميمي المازني البصري النحوي، وقيل اسمه العريان، وقد اختلف في اسمه على عشرين قولاً، ولد ما بين سنة ٦٥هـ – ٧٠هـ، وهو أحد القراء السبعة، كما قيل عنه: أعلم الناس بالقراءات، والعربية، والشعر، وأيام العرب، مدحه الفرزدق بقوله:

ما زِلْتُ أفتُح أبواباً وأُغلقُها ... حتى أتيت أبا عمرِو بْنَ عَمّار

توفي سنة ١٥٤هـ وقيل: سنة ١٥٧هـ. ابن حبان: الثقات، ٣٧٤/٦؛ الحموي: معجم الأدباء، ٤٧٣/١؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ٤٧١/٤ ؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤٠٧/٦ .

(٢) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ٣٢٧/١.

ابن العلاء خرج هاربًا مع أبيه من الحجاج، وعسفه متوجهًا إلى اليمن[1].

أما بالنسبة للمجال الأدبي بنوعيه الشعر والنثر، فتباينت مواقف الولاة في تلك الفترة، إذا ما علمنا أن أغلب الولاة كانوا يتخذون لهم شعراء مقربين، وبغض النظر عن السبب في ذلك[2]، إلا أنهم جعلوا من مجالس الولاة مقرًا لإثراء الحركة الأدبية، فتنوعت مجالسهم الأدبية مابين سياسية واجتماعية، وسنلقي الضوء على نماذج من تلك المجالس، وتأثيرها في تلك الفترة.

ففي المجالس السياسية للولاة، تتعدد المناسبات السياسية لحضور الشعراء، فعلى سبيل المثال يعتبر تسلم أمور الولاية منذ أول وهلة فرصة سانحة للشعراء لكسب تعاطف الوالي، وإغداقه بالعطايا، والجوائز، والأمثلة على ذلك كثير، منها ما قام به الشاعر نصيب بن رباح[3] عندما تولى بشر بن مروان ولاية مصر، حيث أنشده قصيدة قال في مطلعها:

فبشّر أهل مصر، فقد أتاهم ... مع النيل الذي في مِصْر نيلُ[4]

وتكررت هذه المناسبة في شتى الأقاليم الإسلامية مع كثير من الولاة، فهذا الشاعر حمزة بن بيض الحنفي[5] يلقي قصيدة بمناسبة تولي المهلب بن أبي صفرة الكوفة، كما ألقيا ابن

---

(١) المرزباني: معجم الشعراء، ٢٢/١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ٤٠٩/٦.

(٢) البعض اتخذهم وسيلة إعلامية للدفاع عن بعض القرارات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية وغيرها، كما كما فضل البعض كسب ولائهم، وقطع ألسنتهم، ونيل مديحهم، وصنفٌ قربهم للهو، والتسلية، وإدخال البهجة والسرور في نفوسهم.

(٣) نصيب بن رباح يكنى بأبي محجن، مولى لعبد العزيز بن مروان، وقيل: لعمر بن عبد العزيز، اشتراه من بني كنانة كنانة وأعتقه، وهو أحد فحول الشعراء الإسلاميين، ومن شعراء الحماسة أيضًا، وكان فصيحًا مقدمًا في النسيب والمديح مترفعًا عن الهجاء. ابن سلام: طبقات فحول الشعراء، ١٤١؛ أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ١٢٥/١؛ الحموي: معجم الأدباء، ٢٢٨/١٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٢٢٦/٥.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ، ٩٥/١.

(٥) حمزة بن بيض بن عمر الحنفي الكوفي، من بلغاء الشعراء، ومن شعراء الدولة الأموية، ولكنه كثير المجون، منقطعًا منقطعًا لآل المهلب. أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ، ٢٠٢/١٦؛ الحموي: معجم الأدباء، ٢٨٠/١٠؛ النويري: نهاية الأرب ، ٧٩/٤؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ١٨٥/١٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ٢٦٧/٥.

ابن هرمة[1]، وابن ميادة[2] العديد من القصائد بمناسبة تولي عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك إمارة المدينة للخليفة مروان بن محمد، فكان لتلك المجالس نهضة أدبية في مجال الشعر على نطاق واسع؛ حيث تسير الركبان بتلك الأبيات، فتبلغ الآفاق[3].

وفي مناسبة سياسية أخرى في أروقة مجالس الولاة، كان للشعر دور بارز في إثراء الحركة الأدبية، حيث كان النصر على الأعداء، أو القضاء على الخارجين عن طاعة الدولة مناسبة تستدعي جلوس الوالي لاستقبال المهنئين بهذا النصر، كما يسعى الشعراء لإلقاء أفضل القصائد لتلك المناسبة، فعلى سبيل المثال بعدما دخل الحجاج بن يوسف مكة، وقتل ابن الزبير، جلس لاستقبال المهنئين، وكان من ضمن المهنئين جملة من الشعراء، كعبد الله بن الزبير الأسدي، ومحمد بن عبد الله النميري وغيرهم [4].

ويظهر أن ثمة مناسبة سياسية أخرى غالبًا ما يستند إليها الولاة بتقريب الشعراء، وإعطائهم الفرصة تلو الأخرى لإلقاء القصائد المناسبة لتلك المهمة، والمتمثلة بضرورة اتخاذ قرار جريء ومناسب لحالة معينة مهمة، تتعلق بشؤون السياسة، فعندما أقر الخليفة عبد الملك المهلب بن أبي صفرة على خراسان، وجعله تابعًا للحجاج، فمن الطبيعي أن الحجاج يتدخل في عمل

---

(١) وهو إبراهيم بن علي بن سلمة الفهري المدني الشاعر المعروف بابن هرمة، من شعراء الدولتين، نديم المنصور، كان شيخ الشعراء في زمانه. ابن العديم: بغية الطلب، ٤/٤١٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٧/٨٦.

(٢) وهو الرماح بن أبرد بن ثوبان من بني مرة من بني ذبيان، وميادة أمه أم ولد، بربرية، ويكنى أبا شراحيل، وكان عريضًا للشر، طالبًا لمهاجاة الشعراء، أدرك الدولتين الأموية والعباسية. ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٨/٢٠٠؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ٤/٤٦٣.

(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٦/٢٥٨؛ أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ١٦/١٣٠؛ الحصري القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت٤٥٣هـ): زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: زكي مبارك، ط٤، بيروت، دار الجيل، د. ت، ٣/٦٤٤-٦٤٥؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٥/١٩٢-١٩٤؛ ابن واصل: تجريد الأغاني، ١/٧٥٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٥/٢٦٧-٢٦٨.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ٦/٧١٨، ١٤/٣٩٠-٣٩١.

المهلب بل ويستبطئه في قتال الخوارج الأزارقة، وقد بعث الحجاج إلى المهلب من ينقل رأيه في سياسته، فكتب المهلب من ساعته إلى الخليفة عبد الملك، يشكوه الحجاج، فكتب الخليفة للحجاج أن لا يتدخل بعمل المهلب، وعند وصول الخبر إلى المهلب، قام الشاعر كعب بن معدان الأشقري مؤازرا لموقف المهلب، منشدًا إياه أبيات من الشعر، ورسول الحجاج لازال حاضرا، من ذلك قوله:

إن ابَن يوسُفَ غَره مِن غْزوِكُم   خفضُ المقامِ . َانبِ الأْمصَارِ

لو ايَ َن الصَفين حِينَ : َقيَ ا   ضَاقَتْ عليه ُبرْحبِهَا لأَقْطُار[1]

وحينما أعلن يزيد بن المهلب الخروج عن طاعة بني أمية، والدعوة لنفسه، دخل إليه الشاعر يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي مساندًا له بهذا الأمر، وألقى فيه أبياتًا من الشعر تأييدًا لموقفه هذا [2].

أما في المجالس الاجتماعية، فتشمل التقاء الشعراء التي كانت تقام عند الولاة في مختلف المناسبات الاجتماعية، كالوفاة، والمرض وغيرها، أو تقام بدون مناسبة، كالحضور لطلب الشفاعة، أوللإجارة، أوالمنادمة، أوطلب الحاجة، والتكسب المادي، وغير ذلك.

فمن ضمن المجالس التي كانت تقام عند الوفاة، نذكر ما حدث في مجلس الحجاج بعد وفاة ولده محمد، وأخيه محمد بن يوسف، وذلك بعدما أتاه خبر وفاتهما، إذ جلس الحجاج للمعزين، وكان فيهم الشاعر الفرزدق، فطلب منه الحجاج أن يرثي ولده وأخاه، فأنشده الفرزدق شعرًا يرثيهما، وفيه:

لئن جزع الحّجاج ما من مصيبةٍ   تكون لمحزونٍ أجّل وأوجعا[3]

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ، ١٤/٤١٤-٤١٥؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ٤/٢١٩-٢٢٠؛ ابن واصل: تجريد الأغاني، ٢/١٥٨٤.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ٣/١٢٠.

(٣) الدينوري، أحمد بن مروان (ت٣٣٣هـ): المجالسة وجواهر العلم، قسم المخطوطات ، المدينة المنورة، الجامعة

=

كما دخل الشاعر زياد بن سليمان الأعجم[1] على يزيد بن المهلب في وفاة أخيه المغيرة ابن المهلب، ورثاه بقصيدة منها قوله:

ماتَ المغيرةُ بعد طولِ تعرُّضٍ   للموتِ بينَ أسنَّةٍ وصفائحِ[2]

ويعتبر مرض الوالي مناسبة اجتماعية يحضرها الشعراء للمعاودة، وإنشاد الشعر بغية الحصول على الأموال، والمكافآت، فعندما مرض والي الكوفة بشر بن مروان، أتاه الشاعر الفرزدق يعوده في مرضه، وأنشده شعًرا بهذه المناسبة، وحينما مرض عبد العزيز بن مروان والي مصر، دخل عليه الشاعر كثير بن عبد الرحمن الخزاعي[3]، وألقى عليه قصيدة يدعو بها الله أن يشفي الأمير [4].

وقد يكون إتمام مشروع اجتماعي من المناسبات الاجتماعية التي يحضرها الشعراء في مجالس الولاة، كما حصل عند والي العراق خالد بن عبد الله القسري لما أحكم جسر دجلة، وانتهى من حفر نهر المبارك في البصرة، دخلت عليه أعرابية، وأنشدته شعًرا بهذه المناسبة، من ذلك قولها:

فالنَّاسُ بين صادرٍ ووارد   مثل حجيج الْبيت نَحْو خالِ د [5]

الجامعة الإسلامية ، رقم ٣٧٧١ ؛ المبرد: التعازي والمراثي، تحقيق: محمد الديباجي، ط٢، بيروت، دار صادر، ١٩٩٢م، ص٢٠٠-٢٠١، الكامل في اللغة والأدب، ص٣٣٩؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٣٠/٥.

(١) زياد بن سليمان الأعجم من عبد القيس أحد بني عامر بن الحارث، ويكنى أبا أمامة، وهو شاعر مشهور من شعراء الدولة الأموية. ابن العديم: بغية الطلب ، ٥٧/١.

(٢) المرتضى، أبو القاسم علي بن الطاهر (ت٤٣٦هـ): أمالي المرتضى، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٤م، ١٠٩/٤؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٤٩/١٩-١٥٠؛ الحموي: معجم الأدباء، ٤٧٥/١.

(٣) كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي، ويكنى بأبي صخر المعروف بكثير عزة، وهو من فحول الشعراء، له منزلة، وقدر عند قريش، يقال عنه: كثير أشعر أهل الإسلام، توفي سنة ١٠٥هـ. ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ٣٥٥/٦.

(٤) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ١١٢/١؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٢٧٣/١.

(٥) النهرواني، المعافى بن زكريا (ت٣٩٠هـ): الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، تحقيق: إحسان عباس

=

ولم تكن مجالس الولاة محصورة بالأحداث السياسية، والشؤون الاجتماعية لحضور الشعراء، وإلقاء القصائد؛ بل تعددت المناسبات، حتى أصبح للشعراء مكانة مرموقة لدى بعض الولاة، حتى وصل بهم الحال في الشفاعة لدى الوالي دون غيرهم، فعندما سجن والي العراق عمر بن هبيرة الشاعر الفرزدق – وكان قد هجاه لما ولي العراق –، ورفض عمر أن يستشفع أحدًا في الفرزدق، فدخل الشاعر أبو نخيلة التميمي[1]، ووقف بين يدي ابن هبيرة، وانشده شعًرا طالبًا فيه الشفاعة للشاعر الفرزدق، فأعجب ابن هبيرة بشعره، وأمر بأخلاء سبيل الفرزدق [2].

مما سبق نلاحظ مدى أهمية مجالس الولاة في إثراء الحركة الأدبية في المجال السياسي والاجتماعي، كما لا يمكن أن نهمل باقي المجالات، فقد اهتم بعض ولاة بني أمية في مجالات متعددة في خدمة اللغة والأدب، بحيث كانوا يرسلون إلى الخلفاء في دمشق من يأنسون منه علمًا وفيرًا، وأدبًا جمًّا وفصاحة ولسانًا، ولغة وشعًرا، مما نجد له أمثلة كثيرة، ولعل أقربها ما كان من والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي، وإرساله جريًرا إلى الخليفة عبد الملك بن مروان[3].

ومحمد مرسي الخولي، ط١، بيروت، دار عالم الكتب، ١٩٨١م، ٣٨٧/١؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق ، ٢٥/٣؛ ابن العديم: بغية الطلب ، ٢٣٨/٣.

(١) اسمه أبو نخيلة، وقيل: يعمر بن حزن بن زائدة التميمي، يكنى أبا الجنيد، ويلقب بالراجز السعدي، وهو شاعر مخضرم في الدولتين الأموية والعباسية، يمدح الخلفاء والولاة، كانت بدايته مع والي الجزيرة مسلمة بن عبد الملك الذي أوصله بدوره إلى مجالس الخلفاء، لقب نفسه بشاعر بني هاشم، فمدح الخلفاء من بني العباس. أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ٣٢٣/٥؛ ابن ماكولا: الإكمال، ١٠٣/٢؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٠١/٧.

(٢) لما علم الشاعر الفرزدق بأن من شفع له هو أبو نخيلة، طلب من الوالي إرجاعه إلى السجن، وقال: والله لا أخرج ولو من النار. فضحك الوالي ابن هبيرة، وأمر بإخلاء سبيله، وقال له: وهبتك لنفسي. ابن عبد ربه : العقد الفريد، ٢٠٢/٥؛ أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ٤٨٧/٢٠؛ الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد (ت٥١٨هـ): مجمع الأمثال، تحقيق: قصي حسين، ط١، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٣م، ١٥٩/١-١٦٠.

(٣) وقد امتدح الخليفة بقصيدة طويلة قال في مطلعها:

=

وفي جانب آخر كذلك، يقوم الولاة بزف خبر النصر في المعارك مع أحد الشعراء بإرساله إلى من تتبع له ولايته، ومن ذلك عندما أحرز المهلب بن أبي صفرة النصر على الخوارج الأزارقة بعث بالشاعر كعب بن معدان الأشقري بصحبة مرة بن تليد الأزدي – أحد أتباع المهلب – إلى الحجاج بن يوسف الثقفي؛ ليزفوا له خبر الانتصار، وعند دخولهما مجلس الحجاج، أخذ كعب ينشده القصائد بهذه المناسبة، فأثنى عليه الحجاج ثناءً حسنًا، ثم أخذ يحدثه عن أخبار ذلك النصر [1].

ويبدو أن تلك الحال قد أصبحت سنة جارية عند الولاة من آل المهلب، فعندما فتح يزيد ابن المهلب جرجان – إحدى أعمال بلاد فارس[2] – سنة ٩٧هـ كتب إلى أخيه مروان – والي البصرة يوم ذاك – يقول: " إن أحمل الفرزدق ليقول في آثارنا" [3].

كما ساهم بعض الولاة في تطور بعض الفنون الأدبية التي نشأت في العصر الأموي، كشعر النقائض، فنرى والي الكوفة بشر بن مروان يأمر الشاعر سراقة البارقي[4] بهجاء جرير، وتفضيل الفرزدق، وأرسل القصيدة إلى جرير، فأتاه رسول بشر بن مروان، فدفع إليه كتابه،

نستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راحِ

البيهقي، إبراهيم بن محمد (ت٣٢٠هـ): المحاسن والمساوي، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، ط١، القاهرة، دار المعارف، ١٩٩١م، ١/١٠٣؛

(١) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ، ١٤/٤١٠-٤١٢؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٥/٢١٠؛ ابن واصل: تجريد الأغاني، ٢/١٥٨٢.

(٢) جُرجان: مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان، قيل: إن أول من أحدث بناءها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة. الحموي: معجم البلدان، ٢/١١٩.

(٣) خليفة بن خياط : تاريخه، ص٢٤٧؛ ابن سلام: طبقات فحول الشعراء، ٢/٣٣٨.

(٤) سراقة بن مرداس بن أسماء البارقي، وهو من شعراء صدر الإسلام، والعصر الأموي، وهو فارس شجاع، شارك في قتال المختار الثقفي، له قصائد في الهجاء، والوصف وغيرها، وتوفي سنة ٨٠هـ تقريبًا. الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر (ت٣٧٠هـ): المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء، ط١، بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠٠٨م، ١/٦٠؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٠/١٥٦؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ٥/٣٨.

وقال له: إنه قد أمرني أن أوصله إليك، ولا أبرح حتى تجيب عن الشعر في يومك إن لقيتك نهارًا، أو ليلتك إن لقيتك ليلاً، وأخرج إليه كتاب بشر، وقد نسخ له القصيدة، وأمره بأن يجيب عنها [1].

ولم يقف دور الولاة عند هذا الحد في خدمة الشعر، والاهتمام بالشعراء، بل نجدهم يسألون عن أفضل الشعراء، ويستقطبونهم، إذ يروى أن الحجاج بن يوسف كتب إلى عامله على خراسان قتيبة بن مسلم الباهلي، يسأله عن أشعر شعراء الجاهلية، والمعاصرين له، فكتب قتيبة له أسماءهم[2].

وكان بعض الولاة يخاطب رؤساء القبائل، ويراجعهم الأشعار، فمن ذلك فعل والي خراسان نصر بن سيار مع مطرف الهجيمي – يعرف بأبي الأنواح، وكان رأس بني نمير بخراسان –، وكان نصر يراجعه الأشعار، وله يقول:

صَنيعُ مطرفٍ ما دَام رأسًا　　　سريٌع في بوارِ بني تميمِ[3]

حتى أن ابن هبيرة كتب إلى الخليفة مروان: " إن كنت تريد خراسان، فعاجلها برجل عام الرأي، يجمع أهلها؛ فإن نصرًا ليست همته فيما هو فيه إلا شعرًا يمدح قومه، ويهجو به غيرهم، فقد أوقع ذلك في صدور الناس قبله، ما إن ثبت كان داعية البلاء من الاستئصال، وقد نجم

(١) فرد جرير على الوالي بقصيدة قال في مطلعها:

ا بِشْرُ حَقَّ لِ وَجْهِكَ التَّبْ شِير　　　هَلَّا قَتَ لَنَ ا وَأَنْتَ أَمِيرُ

فأخذها الرسول، ومضى بها إلى الوالي بشر بن مروان، فقرئت بالعراق، وأفحم سراقة، فلم ينطق بعدها بشيء من مناقضته. أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ٢/٣٣١؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق، ٢٠/١٦٠.

(٢) ابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني ت٤٦٣هـ: العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق: النبوي عبد الواحد شعلان، ط١، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٢٠هـ، ١/١٤٧-١٤٨.

(٣) وله يقول أبو الأنواح:

أَلاَ أبلغْ أَبا لَيثٍ سُولًا　　　لانية وليَس مَن السِّرارِ

المرزباني: معجم الشعراء، ١/٩٥.

بين أظهرهم قوم يدعون إلى بني هاشم" [1]، وهذا يبين مدى اهتمام والي خراسان بالشعر، وتعلقه به.

كما تظهر ملامح شخصية بعض الولاة الأدبية من أقواله، كقول الوالي مسلمة بن عبدالملك:" مروءتان ظاهرتان: الرياسة والفصاحة "، وقوله: " اللحن في الكلام أقبح من الجدري في الوجه "، ولم يكتفِ بالقول حيث أعقب القول فعل، حيث أوصى بثلث ماله لأهل الأدب، فقال: " إنها صنعة جحف بأهلها " [2].

فهذا غيض من فيض مما يتعلق بالاتجاه الأدبي، وفي المقابل هناك مواقف سلبية من الولاة تجاه الحركة الأدبية، ولاسيما الشعر والشعراء، فيروى أن عمران بن عبدالرحمن بن شرحبيل بن حسنة قد استعمله عبد الله بن عبد الملك بن مروان على شرطة مصر، وقضائها، ثم غضب عليه؛ لأنه آوى شاعرًا هجا الوالي، ويقال: إنه هو نفسه قد هجاه، فحبسه في بيت، وأمر أن تكتب عيوبه على ثوب، ثم يلبسه ويوقّف للناس [3].

كما قام والي المدينة محمد بن هشام المخزومي بجلد الشاعر العرجي[4] بسبب هجائه، ولما تكرر منه الهجاء سجنه، ومكث في سجنه تسع سنوات حتى مات في سجنه، فهذه بعض من الآثار السلبية المتكررة من بعض ولاة بني أمية تجاه الشعراء، والأمثلة في ذلك كثيرة ومتعددة

---

(١) مجهول (ت ق٣هـ): أخبار الدولة العباسية، تحقيق: عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي، ط١، بيروت، دار الطليعة، ١٩٧١م، ٢٥٢/١.

(٢) أي سلبهم الناس حقهم. ابن قتيبة: عيون الأخبار، ٢٩٦/١، ١٨٥/٢؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٣٢٩/٩.

(٣) ابن حجر: رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق: علي محمد عمر، ط١، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤١٨هـ، ١٢٦/١.

(٤) هو: عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان، كان ينزل عرج الطائف، فكان يعرف بالعرجي، وكان شاعرًا سخيًا، له يسار وحال، وضرب الحد في السكر في أيام هشام بن عبد الملك. البلاذري: أنساب الأشراف، ٣٠٢/٢.

يصعب حصرها، علًما بأن بعض الولاة نأى بنفسه عن متابعة أقوال الشعراء، والتعرض لهم[1].

كما لجأ بعض الولاة إلى معاقبة الشعراء بغير التعذيب، والسجن، والتضييق، فقاموا بنفيهم، حيث ورد أن والي المدينة عمر بن عبد العزيز نفى الشاعر الأحوص[2] إلى جزيرة دهلك[3]، وذلك بسبب هجائه، وتعرضه للنساء [4].

وهذا دهمان الأشقر[5] والي مكة المكرمة، كتبّ إلى الخليفة عبدالملك بن مروان بأن ابن مسجع[6] قد أفسد فتيان قريش، وأنفقوا عليه أموالهم ، فأمره أن يقبض عليه ، فقبض عليه، ونفاه إلى الشام [7].

ولم يكن النثر أقل حظًا من الشعر في ازدهار الحركة الأدبية واللغوية في العصر الأموي، حيث تنوعت أشكاله، وألوانه، كالخطابة، والكتابة، والرسائل وغيرها، لذا سنلقي الضوء على بعض النماذج نبين من خلالها مدى اهتمام الولاة بالنثر في تلك الفترة.

فقد ساهمت عوامل عديدة في ازدهار فن الخطابة[8] في العصر الأموي، ومنها مشاركة

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ١٨٣/١؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٥٦٣/٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٤٤٠/٢.

(٢) عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأوسي الأنصاري، يكنى بأبي عاصم، ويقال له: الأحوص، وهو شاعر غزلي، توفي سنة ١٠٠هـ تقريبًا. ابن سلام: طبقات فحول الشعراء، ص٦٥٥؛ أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ٤٠/٤؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ٤٦٠/٥؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٩١/٤.

(٣) دهلك: جزيرة في بحر اليمن، وهو مرسى بين بلاد اليمن والحبشة، وهي منفى لخلفاء وولاة بني أمية. الحموي: معجم البلدان، ٢٥٧/٢.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ، ٤٠/٤؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ٤٦٠/٥

(٥) وقيل : دحمان الأشقر . ابن عساكر : تاريخ دمشق ، ٢٩٣/٢١ .

(٦) سعيد بن مسجع مولى بني جمح ، مغني متقدم من فحول المغنين ، وقد رأى الفرس وهم يتغنون بالفارسية، فقلدهم ، وقام بنقل الغناء من الفارسية إلى غناء العرب ، توفي سنة٩٥هـ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ١٧٣/٣ ؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر ، ١٥١/١ .

(٧) أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، ٨٨٢/٣ ؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق ، ٢٩٣/٢١ .

(٨) للمزيد حول خطب الولاة في العصر الأموي يمكن الرجوع إلى: أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب في =

بعض الولاة في تلك الفترة بتطور هذا الفن، وذلك من خلال تشجيع الخطباء، وتقريبهم[1]، إذا ما علمنا أن بعض الولاة في العصر الأموي تميزوا عن غيرهم بفن الخطابة بشتى أنواعها.

فعلى سبيل المثال برع بعضهم بالخطابة السياسية كزياد بن أبيه، وعمرو بن سعيد بن العاص، والنعمان بن بشير الأنصاري، والحجاج بن يوسف، وعتبة بن أبي سفيان، وخالد بن عبدالله القسري، والضحاك بن قيس، وروح بن زنباع، وعبد الله بن عامر، وبلال بن أبي بردة الأشعري [2].

ومن أشهر الخطب السياسية خطبة والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي: " أما والله إني لأحمل الشر محمله، وأحذوه بنعله، وأجزيه بمثله، وإني لأرى رؤؤسًا قد أينعت، وحان قطافها، وإني لأنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى ..."، وقوله: " يا أهل العراق، إنما مثلكم كما قال الله ﷻ: ﴿وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ [3]"، فلم يكتف الحجاج بتوكيد حق الأمويين بالخلافة؛ بل ذهب إلى الاعتقاد بأن الخروج عليهم كفر، يستحقون عليه العذاب[4].

عصور العربية الزاهرة، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م، ٢/١٨٢-٢٣٠.

(١) فمن ذلك أن الحجاج لما دخل الكوفة بعد هزيمة ابن الأشعث، أجلس مصقلة بن كرب – من خطباء العرب – إلى جانبه، وأمره أن يخطب فيشتم كل امرئ بما فيه. الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٥/١٦٩؛ ابن ماكولا: الإكمال، ٤/٨٨.

(٢) ابن حبيب: المحبر، ص٢٥٥؛ الجاحظ: البيان والتبيين، ٢/٦٢-٦٥؛ ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ١/١٨٠؛ المبرد: الكامل في اللغة ، ٤/١١٠؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٦/٤٦٤؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٤/١١٢؛ المسعودي: مروج الذهب، ٣/١١٣؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٣/١٨٧؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ١/٣٥٩-٣٦٠.

(٣) سورة النحل: آية رقم ١١٢.

(٤) الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٥/٤١؛ المسعودي: مروج الذهب ٣/١١٤؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٢/٢٨٠؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ، ١/٢٧٥؛ النويري: نهاية الأرب ، ٦/٣٣.

كما يبين الوالي عتبة بن أبي سفيان في أحد خطبه أن الأمويين جمعوا الناس بعد الفرقة، وأعادوا للدولة هيبتها، بقوله: " إن الله جمعكم بأمير المؤمنين بعد الفرقة، فأعطى كل ذي حق حقه " (١).

ولعل الأحداث السياسية المضطربة،وخاصةً في العراق، جعلت من خطب بعض الولاة تصل إلى حد التهديد، وشتم الخصوم، والتعالي عليهم، فهذا زياد بن أبيه يخاطبهم بقوله: " إذا رأيتموني أُنفذ فيكم أمًرا، فأنفذوه على إذلاله... وأيم الله، إن لي فيكم لصرعى كثيرة، فليحذر كل أمرئ أن يكون من صرعاي " (٢).

وفي موقف آخر خاطبهم الضحاك بن قيس بنفس الطريقة، وذلك بقوله: "... أما والذي ليس له ند، ولا شريك، لئن لم تنتهوا عما يبلغني عنكم؛ لأضعن فيكم سيف زياد، ثم لا تجدونني ضعيف السورة، ولا كليل الشفرة، أما إني لصاحبكم الذي أغرت على بلادكم، فكنت أول من غزاها في الإسلام " (٣).

ويتكرر الموقف مع النعمان بن بشير الأنصاري بخطبته: " إني والله ما وجدت مثلي ومثلكم إلا الضبع والثعلب، أتيا الضب في جحره، فقالا: أبا الحسل؟ قال: أجبتكما؟ قالا: جئناك نختصم؛ قال: في بيته يؤتى الحكم... " (٤).

ونادًرا ما نجد هذا الخطاب خارج حدود العراق، ومن ذلك خطبة والي مصر عتبة بن أبي سفيان مخاطبًا أهل مصر، وذلك بقوله: " يأهل مصر، قد طالت معاتبتنا إياكم بأطراف الرماح، وظبات السيوف، حتى صرنا شجى في لهواتكم، ما تسيغنا حلوقكم، وأقذاء في

---

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ١٣٧/٤.

(٢) الجاحظ: البيان والتبيين، ٦٤/٢.

(٣) ابن أبي الحديد:شرح نهج البلاغة، ٣٥٩/١-٣٦٠.

(٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد، ٢٥/٢.

أعينكم، ما تطرف عليها جفونكم... " [(١)].

أما القسم الآخر، فتميز بالخطابة الحربية، وذلك عند خوض المعارك، وبث روح الحماس لدى المقاتلين، كالمهلب بن أبي صفرة، وابنه يزيد، وقتيبة بن مسلم الباهلي، وطارق بن زياد، ونصر بن سيار، وأسد بن عبد الله القسري [(٢)].

ومن الخطب التي تحث على الجهاد خطبة قتيبة بن مسلم الباهلي مخاطبًا الجيش الذاهب إلى حرب السغد[(٣)] بعدما نقضوا عهدهم:" إن الله قد فتح لكم هذه البلدة في وقت الغزو ... فسيروا على بركة الله، فإني أرجو أن يكون خوارزم والسغد كالنضير وقريظة " [(٤)].

ونجد المهلب برأبي صفرة يستخدم أسلوبًا مغايرًا في حثه الجند على قتال الخوارج، حين يذكرهم بمذهب الخوارج المتطرف، وذلك بقوله: " يا أيها الناس؛ إنكم قد عرفتم مذهب هؤلاء الخوارج، وأنهم إن قدروا عليكم، فتنوكم في دينكم، وسفكوا دماءكم... فإنما هم مهنتكم وعبيدكم، وعار عليكم، ونقص في أحسابكم، وأديانكم أن يغلبكم هؤلاء على فيئكم، ويطأوا حريمكم" [(٥)].

وامتاز بعض الولاة بإجادة فن لخطابة الدينية، كالحجاج بن يوسف، وزياد بن أبيه وغيرهم، وللحجاج مواعظ يخيل لمن يطلع عليها أن صاحبها باع دنياه بأخرته، مما حدا بأحد معاصريه أن يقول عنه:" يعظ عظة الأزارقة، ويبطش بطش الجبارين "، وقال عنه: " ألا تعجبون من هذا الفاجر، يرقى عتبات المنبر، فيتكلم بكلام الأنبياء وينزل فيفتك فتك الجبارين، يوافق الله في

---

(١) المبرد: الكامل في اللغة ، ١١٠/٤.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢١٣/٥-٢١٦؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ٩٥/٣-٩٦؛ ابن حجر: الإصابة، ٥٥٩/٣؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ١٢٢/١-١٢٤؛ المقري: نفح الطيب، ٢٤٠/١-٢٤١.

(٣) السغد: ناحية كثيرة المياه، نضرة الأشجار، فيها قرى كبيرة بين بخارى وسمرقند. الحموي: معجم البلدان، ٢٢٢/٣.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٤٧٢/٦-٤٧٣.

(٥) المبرد: الكامل في اللغة ، ٣١٥/٣؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ١٨/٢.

قوله، ويخالفه في فعله " [1].

كما كان للولاة دور بارز في الاهتمام بالقصاصين، حيث كان بعضهم يرافق الجند في معاركهم، ويعتمد عليهم قادة الجيوش في تنمية روح الصبر، والجلد، والإقدام على الشهادة في سبيل الله، فيستثمر القاص الواعظ الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية في فضل الجهاد، لذا نجد بعض الولاة يتفقدون القصاص أثناء المعارك، فقد ورد أن قتيبة بن مسلم الباهلي كان يتخذ قصاصًا، ويتفقدهم، ويقول في واعظ جنده، وقاصهم محمد بن واسع الأزدي[2]: " إنه أحب إلي من مئة ألف سيف شهير، وسنان طرير" [3].

أما بالنسبة للكتابة[4]، والرسائل، فبعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية، كان من الطبيعي اتخاذ الكتَّاب، وإنشاء ديوان الرسائل، وذلك حاجة الخلفاء لمكاتبة القادة، والولاة، وفي المقابل فقد اتخذ الولاة كتَّابًا للرد على رسائل الخلفاء، بالإضافة إلى المكاتبة بين العمال والولاة [5]، وتقليد الوظائف، والتهنئة بالنصر، وغير ذلك، فازدهرت على ضوء ذلك كتابة الرسائل، ولكنها لم تكن كتأثير الخطابة.

ومن أشهر المراسلات بين الولاة ما كان بين الحجاج بن يوسف والي العراق، والمهلب بن أبي صفرة، والي خراسان، فبعد أن ظفر المهلب بالنصر على الخوارج،كتب إلى الحجاج، يصف

---

(١) الكلام للحسن البصري الزاهد المشهور. الجاحظ: البيان والتبيين، ٢٢٠/١.

(٢) محمد بن واسع بن جابر الأزدي، فقيه، ورع من أهل البصرة، عُرض عليه قضاؤها فأبى، وهو من ثقات أهل الحديث، توفي سنة ١٢٣هـ. ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٤٩٩/٩-٥٠٠.

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين، ٢٧٣/٣.

(٤) أطنب السلف في مدح الكتابة، ومن ذلك قول سعيد بن العاص: "من لم يكتب فيمينه يسرى ". القلقشندي: صبح الأعشى، ١١/١.

(٥) فعلى سبيل المثال: اتخذ الحجاج بن يوسف صالح بن عبد الرحمن، ويزيد بن أبي مسلم كتابًا، واتخذ المغيرة بن شعبة وراد أبو الورد كاتبًا، كما اتخذ المهلب بن أبي صفرة يحيى بن يعمر كاتبًا له، وغيرهم. البلاذري: أنساب الأشراف، ١١٠/٣؛ المسعودي: مروج الذهب، ٤٢٥/١؛ ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ٣٣٨/٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٣٧٧/٢.

له ما حدث بقوله: " أما بعد، فقد كان من أمرنا ما أغنت جملته عن تفصيله، وكنا نحن وعدونا في مدة هذا التنازع على حالتين مختلفتين: يسرنا منهم أكثر مما يسوؤنا، ويسوؤهم منا أكثر مما يسرهم؛ على شدة شوكتهم، واجتماع كلمتهم، وانزعاج القلوب لمخافتهم... " [(١)].

مما تقدم يتضح لنا ازدياد أهمية الرسائل بشكل واضح، ولاسيما أثناء ولاية الحجاج للعراق، نظًرا للمستجدات السياسية والعسكرية، ووجود المتمردين والخارجين على الدولة، مما استوجب متابعة أخبارهم، فكانت هذه الرسائل تصدر من الديوان بشكل مستمر إلى من يهمه الأمر لمعالجة أوضاع تلك الاضطرابات.

وبناء ً على أهمية الرسائل في تلك الفترة فقد قيل :"بدئت الرسائل بعبد الحميد[(٢)] وختمت بابن العميد[(٣)]"، وعبد الحميد هذا كاتب مروان بن محمد زمن ولايته وخلافته، بلغ من شهرته أن رفع شأن الدولة الأموية، حيث قال الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور: " غلبنا بنو مروان

(١) وكان الحجاج يستبطئ المهلب في حرب الأزارقة، فكتب إليه المهلب: " إن من البلاء أن يكون الرأي لمن تملكه دون من تبصره "، فلما قرأ الحجاج هذا أقصر عن مكاتبته بمثل ذلك. وللمزيد حول المراسلات التي تمت بين الحجاج والمهلب يمكن الرجوع إلى: الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى (ت٣٣٥هـ): أدب الكتاب، تحقيق: محمد بهجة الأثري، ط١، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٤١هـ؛ الدينوري: الأخبار الطوال، ص٢٧٧-٢٨٠؛ النويري: نهاية الأرب، ٢٤٦/٧-٢٤٧.

(٢) عبد الحميد بن يحيى بن سعد مولى بني عامر بن لؤي بن غالب، الكاتب البليغ المشهور؛ وبه يضرب المثل في البلاغة، وله رسائل في ألف ورقة، كان كاتب ًا لمروان بن محمد زمن ولايته وخلافته، قتل معه في سنة ١٣٢هـ. الجاحظ: البيان والتبيين، ٩/٣؛ الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص٧٢-٧٣؛ المسعودي: مروج الذهب، ٢٦٣/٣؛ ابن النديم: الفهرست، ص١١٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ٤٦٣/٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٥٥/١٠.

(٣) أبو الفضل محمد بن العميد أبي عبد الله الحسين بن محمد الكاتب، المعروف بابن العميد، والعميد لقب والده، لقبوه بذلك على عادة أهل خراسان في إجرائه مجرى التعظيم، وكان فيه فضل وأدب وله ترسل. وكان وزيًرا لركن الدولة الحسن بن بويه. ابن أبي الدنيا: قرى الضيف، تحقيق: عبد الله المنصور، ط١، الرياض، دار أضواء السلف، ١٩٩٧م، ١٨٣/٣؛ ابن مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب (ت٤٢١هـ): تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: كسروي حسن، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ، ٢٧٤/٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ١٣٧/١٦؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ٦٠/١٠.

بثلاثة أشياء: بالحجاج، وعبد الحميد الكاتب، وبالمؤذن البعلبكي " [1].

فعلى أية حال، يمكن القول إن الكتابة استخدمت في العصر الأموي لأغراض عديدة، والنماذج في ذلك كثير، ولكن الملفت للنظر أن بعض الولاة قد لا تعجبه طريقة كاتبه، ومع ذلك يبقيه على منصبه، ومن ذلك ما فعله الوالي عبيد الله بن زياد مع كاتبه عمرو بن نافع ، وهو أول من عُرف بإطالة الرسائلولم يكن ابن زياد راضياً عن طريقته الكتابية التي تغاير ما ألفه العرب[2].

كما تتضح رسائل الوالي من خلال البلاغة والفصاحة التي يتميز بها كاتبه، حيث نرى الحجاج ابن يوسف يبدي اندهاشه من كُتّاب والي خراسان يزيد بن المهلب بعدما وصف له حالة جيشه في المعركة بقوله: " إنّا لقينا العدّو، فاضطررناهم إلى عرعرة الجبل، ونحن بحضيضه[3]" فقال الحجاج: ما لابن المهلّب ولهذا الكلام! قيل: إنّ ابن يعمر[4] هناك، قال:

(١) الصفدي: الوافي بالوفيات، ٥٤/٦ ؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤٦٣/٥ .

(٢) وكان ذلك عندما أمر الوالي عبيد الله بن زياد كاتبه عمرو بن نافع أن يكتب إلى يزيد بن معاوية بما كان من مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة المرادي، فكتب إليه كتابا أطال فيه، فلما نظر فيه عبيد الله بن زياد كرهه، وقال: " ما هذا التطويل؟ وهذه الفضول اكتب: أما بعد فالحمد لله... ". الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٢٨٥/٤. ومن كتّاب عبيد الله بن زياد زاذان فروخ الأعور، وكان زاذان فروخ من أحفظ الرجال. وذكر آل زياد أن الحريق وقع في الديوان بالبصرة فاحترق بأسره، وبالبصرة يومئذ من المقاتلة والذرية ثمانون ألفا، فكتبهم زاذان فروخ عن ظهر قلب جميعا، لم يغلط بأحد إلا بامرأة من بني سليم، أنمى اسمها. وهذا فيه شيء من المبالغة في الحفظ ومايهمنا انتقاء الولاة للكتّاب الحفّاظ. الجهشياري: الوزراء والكتاب، ٩٦/١.

(٣) عرعرة الجبل: أعلاه، وحضيضه: أسفله. ابن منظور: لسان العرب، مادة (عرر – حضض)، ٥٥٥/٤، ١٣٦/٧.

(٤) يحيى بن يعمر العدواني البصري يكنى بأبي سليمان، انتقل إلى خراسان وهو من فقهائها ثم نزل بمرو وكان على قضائها، وقيل: نفاه الحجاج بن يوسف. وهو كاتب المهلب بن أبي صفرة ثم لابنه يزيد بن المهلب، وتميز بفصاحته وإتقانه علوم العربية. توفي سنة ٩٠هـ تقريباً. ابن سعد: الطبقات، ٣٨٦/٧؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ٢٧٨/٤؛ المبرد: الكامل في اللغة ، ٧٤/١؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ١٠٦/١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ٤٤١/٤.

ذاك إذاً (1).

وفي المقابل نجد بعض الولاة يؤثر تأثيراً سلبياً في خدمة النثر بشكل عام، كما فعل عمر بن هبيرة والي العراق، في استدعاء صالح بن عبد الرحمن الكاتب(2)، وذلك بعدما تولى يزيد بن عبد الملك الخلافة من أجل أن يسأله في الخراج، فأوصاه به، وما أن وصل إليه قام ابن هبيرة بقتله (3).

كما أن طبيعة عمل الولاة يحتم عليهم الشدة في بعض الأحداث السياسية، فقد يتعرض بعض رموز الأدب، أو اللغة لشيءٍ من التعذيب، أوالتضييق، أو القتل، وهذا بطبيعة الحال ليس مبرِّرا لأفعال الولاة فقد سار الولاة في عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز سيرةً حسنة.

من كل ما سبق، يتضح لنا دور الولاة في ازدهار الحركة الأدبية في العصر الأموي، وقد تجلى ذلك في كثير من صور النشاط الأدبي، وكثير من ألوان الأدب، وأنواع الشعر، بالإضافة إلى شتى أنواع الخطب، ومجالس النقد، مما كون مجموعة من الاتجاهات الأدبية المتنوعة.

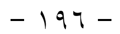
فهذا غيض من فيض، مما يتعلق بالاتجاه الأدبي الذي شهده العصر الأموي، والواقع أن هذه الأخبار عن بعض الولاة، إنما هي إضاءات لاتجاهات أدبية متنوعة، فكيف إذا أضفنا إليها وفادة الشعراء، والخطباء، والقبائل، وأهل الأمصار وغيرهم.

---

(1) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء، ١٤/١؛ البزار ، أبو طاهر المقرئ عبد الواحد بن عمر (ت٣٤٩هـ): أخبار النحويين، تحقيق: مجدي فتحي، ط١، طنطا، دار الصحابة، ١٤١٠هـ، ٢٠/١؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٥١/١٢؛ الحموي: معجم الأدباء، ٩/٣.

(2) أبو الوليد صالح بن عبد الرحمن من أهل البصرة وأصله من بلاد فارس، كاتب الحجاج بن يوسف، وهو أول من حول كتابة دواوين الخراج من الفارسية إلى العربية في العراق، وكان من سبي سجستان حين سباه مع أبيه الربيع بن زياد الحارثي في خلافة عثمان ﷺ، وكان حافظا يحفظ ما يسمع وصحب زاذان فروخ كاتب الحجاج فتعلم منه. وهو أول من نقل الديوان من الفارسية إلى العربية. البلاذري: أنساب الأشراف، ١١٠/٣؛ المبرد: الكامل في اللغة ، ١٦٠/١؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ٢٤٤/١.

(3) البلاذري: أنساب الأشراف، ٣٩/٣؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٢٨٩/٥؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق، ٣٤٤/٢٣.



ثالثًا / العلوم الطبيعية:

مّر بنا أن الحركة العلمية إبان العصر الأموي بلغت ذروتها في مجالي العلوم الشرعية، وعلوم الأدب واللغة، وذلك لاهتمام الخلفاء، وولاتهم، وحث العلماء بالإضافة إلى رغبة الناس في تعلُّم أمور دينهم، أمّا بالنسبة للعلوم الطبيعية لم تجد اهتمامًا بالغًا من الخلفاء، وولاتهم إلا النزر اليسير لبعض العلوم الطبيعية، كالطب، والكيمياء، والبعض الآخر لم يكن له وجود كالمنطق، وما وراء الطبيعة، وذلك لحاجتهم لهذه العلوم مع عدم معارضتها للإسلام في الجملة.

فنرى خلفاء بني أمية يتخذون لهم الأطباء، ويقربونهم، ويستقطبونهم من شتى بقاع الدولة الإسلامية لما عُرف عن مهارتهم بالطب، والمداواة، ولو كان من غير ملة الإسلام، فلم ينكر أحد على صاحب رسول الله ﷺ، وكاتب الوحي الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، عندما اتخذ ابن أثال[1] النصراني طبيبًا له، كما استطب الخليفة عمر بن عبد العزيز عبد الملك بن أبجر الكناني[2]، فكان خلفاء بني أمية من أوائل من أدخلوا الأطباء الأعاجم في حاشيتهم.

كما بلغ اهتمام الخلفاء الأمويين بالطب إنشاءهم المارستانات[3]، فكان الخليفة الوليد بن عبد الملك أول من بنى المارستان في الإسلام، وأجرى للأطباء الأرزاق، وأمر بحبس المجذومين لئلا يخرجوا، وأجرى عليهم وعلى العميان الأرزاق، وقام باستقطاب الأطباء، وتوفير العلاج، ولعل استقطاب الأطباء الروم الذين سرعان ما أخذ منهم الأطباء المسلمون، ونشطوا

---

(١) ابن أُثال: بضم الهمزة، ويكنى أبا الورد، وهو طبيب نصراني من جند يسابور، اصطفاه معاوية لنفسه، ويعتبر من الأطباء المميزين في دمشق، وكان خبيرًا بالأدوية المفردة، والمركبة، وقواها، توفي سنة ٤٦هـ. ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ١/٣٦٠-٣٦٢؛ ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن سديد القاسم (ت٦٦٨هـ): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م، ١/٩٨-١٠٠.

(٢) عبد الملك بن أبجر الكناني كان طبيبًا عالمًا ماهرًا في أول أمره في الإسكندرية؛ لأنه كان المتولي للتدريس بها، ولما فتح المسلمون الإسكندرية أسلم ابن أبجر على يد عمر بن عبدالعزيز، فاستطبه، واعتمد عليه في صناعة الطب. ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ، ١/٩٧.

(٣) الْمَارَسْتَانُ، وتطلق البيمارستان: بفتح الراء، وهي كلمة فارسية تعني دار المرضى، وقد نالت شهرة، بعض منها في العصر الأموي كالمارستان الصغير بدمشق – ينسب بناؤه إلى الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه – ومارستان الوليد بن عبد الملك، وغير ذلك. ابن منظور: لسان العرب، (مادة مرس)، ٦/٢١٥؛ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ، ١/٤٤، ٥٦، ٦١؛ المقريزي: المواعظ والأعتبار، ٣/١٦٥؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ١/٩٢.

في ترجمة كل ما وقع تحت أيديهم من مؤلفات طبية [1].

كما برع الأمير خالد بن يزيد بن معاوية في علم الطب، وترك الحياة السياسية رغبة في طلب العلم[2]، حيث قام بترجمة بعض الكتب الطبية إلى العربية، وفي عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز شرع بإنشاء خزانة للكتب العلمية في أنطاكية؛ حيث افتتح فيها معهدًا للعلوم الطبية، وجلب إليها مدرسين من معهد الطب في الإسكندرية، كما أمر بترجمة بعض الكتب الطبية[3]، ومع كل هذا الاهتمام لم يكن كافيًا للنهوض بعلم الطب في تلك الفترة [4].

ولابد أن ينعكس اعتناء خلفاء الدولة الأموية بالطب على ولاتهم ، لذا فقد سلك بعض الولاة نهج خلفائهم باتخاذ الأطباء، واستدعائهم عند الحاجة، فقد ورد أن والي العراق زياد بن أبيه لما طُعن في يده[5]، استدعى الأطباء ليداووه، فاجتمع حوله مايقارب المائة والخمسين طبيبًا[6]، وهذه دلالة واضحة لانتشار علم الطب في العصر الأموي، حيث اجتمع هذا العدد في البصرة، ناهيك عن بعض الأقاليم المتفرقة، إذا ما علمنا أن أغلب الأطباء في

---

(١) حيث قام ابن أثال بترجمة بعض الكتب، كما قام ماسرجويه – متطبب البصرة وهو يهودي المذهب – بترجمة كتاب القس هارون في الطب. اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ٢٩٠/٢؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٢٢٤/٥؛ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ، ١٤٨/١؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ٤٣١/١؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ١٦٥/٣؛ أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، ط٢، بيروت، دار الرائد العربي، ١٤٠١هـ، ص١٠.

(٢) فقد أخذ صنعة الطب على يد أحد الرهبان اسمه (مريانوس). ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٢٢٤/٢؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ٣٥١/٤.

(٣) حيث أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز بترجمة كتاب الطبيب أهرن بن أعين القس إلى العربية، فقد ذكر ابن أبي صبيعة أن عمر بن عبد العزيز وجد هذا الكتاب في خزائن الكتب، فأمر بإخراجه، ووضعه في مصلاه، واستخار الله في إخراجه للمسلمين، والانتفاع به، فلمَّا تم له في ذلك أربعون صباحاَ، أخرجه إلى الناس، وبثه في أيديهم. ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ، ١٤٨/١.

(٤) الجاحظ: البيان والتبيين، ٣٢٨/١؛ ابن النديم: الفهرست، ٣٣٨/١؛ العسكري: الأوائل،١٤٥/٢؛ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ، ٩٨/١؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان، ٢٢٤/٢.

(٥) وقيل: خرج في يده طاعونة. الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٢١٥/٤؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٠٣/١٩: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ١٣٨/٢.

(٦) منهم ثلاثة ممن كان يطب كسرى بن هرمز. ابن كثير : البداية والنهاية، ٢٦١/١١.

تلك الفترة من المشرق ومصر [1].

ومع ذلك كله، نجد الوالي لا يستمع إلى نصائح الأطباء، وأقوالهم، فيستشير من يثق برأيه، فعندما أشار عليه الأطباء بقطع يده، استدعى القاضي شُريح، وعرض عليه ما أشار به الأطباء، فقال: "لك رزقٌ معلومٌ، وأجلٌ محتومٌ، وإنّي أكره إنْ كانت لك مدّة أنْ تعيشَ في الدنيا بلا يمين، وإنْ كانَ قد دنا أجلُك أن تلقى ربَّك مقطوعَ اليد، فإذا سألك لِمَ قطعْتَها، قلتَ: بُغْضًا في لقائِك، وفِرارًا من قضائِك"، فلم يقطعها [2].

كما اختص بخدمة والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي طبيبان: الحكيم تياذوق[3]، وله عدة نصائح للحجاج في المصادر التاريخية[4]، والآخر يقال له ثاودون[5]، وقد وفر لهما الوالي سبل التدريس، وتلبية حاجاتهم، لذا فقد برز العديد من طلابهم أصبحوا فيما بعد علماء يشار لهم بالبنان في علم الطب [6].

ولم تكن هناك مواقف تذكر لولاة بني أمية مع الأطباء، ودورهم في النهوض بعلم الطب بشكل مباشر، بل كانت هناك بعض الإسهامات الصحية والطبية لبعض الولاة، وسنلقي

---

(١) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ١/١٨٢؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٤/٢١٥؛ ابن أعثم الكوفي: الفتوح، ٤/٢٠٣؛ المسعودي: مروج الذهب، ٣/٣٢؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان، ٢/٤٦٢؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ١١/٢٦١.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٤/٢١٥؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٢/٤٦٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٣/٤٩٦؛ النويري: نهاية الأرب ، ٥/٤١٦.

(٣) تياذوق أو تيادوق: طبيب فاضل، وله نوادر، وألفاظ مستحسنة في صناعة الطب، وكان في أول دولة بني أمية، ومشهورًا عندهم بالطب، وخدم الحجاج بن يوسف بصناعة الطب، وكان يعتمد عليه، ويثق بمداواته، وله من الكتب كناش كبير ألفه لابنه، وكتاب إيدال الأدوية، وكيفية دقها، وإيقاعها، وإذابتها، وشيء من تفسير أسماء الأدوية، وعُمِر، توفي بواسط سنة ٩٠هـ. البلاذري: أنساب الأشراف، ٤/٣٠٣؛ ابن النديم: الفهرست، ١/٣٠٣؛ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ،١/١٠٢؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ١/١٤٨؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٢/١٩٢.

(٤) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ١/٣٦٧؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ٤/٣٠٣؛ القفطي: أخبار العلماء بأخيار الحكماء، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ، ١/٤٨؛ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ، ١/١٠٢-١٠٣؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ١/١٤٨-١٥٠؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٢/١٩٢.

(٥) لم أجد له ترجمة. ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ١/٦٠.

(٦) فمن تلاميذه: فرات بن شحناتا طبيب عيسى بن موسى. القفطي: أخبار العلماء، ١/٤٨؛ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ، ١/١٤٦.

الضوء على بعض النماذج من تلك الإسهامات.

ولعل من أهم تلك الإسهامات الاهتمام بنظافة البيئة، كإحياء الأرض الموات، واستصلاحها، وشق الترع والأنهار، وزيادة المصارف المائية لإحياء الأرض، والأمثلة في ذلك لا يمكن حصرها، ومن ذلك عيون أبي المهاجر والي إفريقية، حفرها بالقرب من القيروان، وحفر زياد بن ابيه نهر الأبلة، والمعقل بالبصرة، وحفر خالد بن عبد الله القسري نهر المبارك، وحفر عبدالله بن عامر نهر الأساورة، وغيرها (1).

وحرص بعض الولاة على نظافة طرق المدن، ومن ذلك أن والي العراق زياد بن أبيه أمر بتنظيف كل ساكن في ولايته أمام بيته، وكان يعاقب من يهمل ذلك، كما اهتم الولاة بنشر الوعي الصحي بين الناس، وتوعيتهم بخطورة الأمراض، فكانوا يأمرون بتعليق نشرات صحيَّة في الأماكن التي تكثر بها العامة، خاصة المساجد، فقد قام الوالي زياد بن أبيه بتعليق صحيفة في أحد المساجد عن داء الكلب (2).

وفي المقابل نجد الأثر السلبي من بعض الأطباء على الولاة، وذلك من خلال دس السم لقتلهم؛ حيث تشير بعض المصادر التاريخية(3) إلى أن ابن أثال طبيب الخليفة معاوية رضي الله عنه قد دس السم لوالي حمص عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي، فقتله، وبغض النظر عن عدم صحة الرواية(4)، إلا أنه كان للأطباء دور بارز في صناعة السموم، واستخدامها لأغراض

---

(1) البلاذري: أنساب الأشراف، 1/206؛ المالكي: رياض النفوس، 1/7؛ الحموي: معجم البلدان، 5/311، 316، 50؛ ابن العديم: بغية الطلب ، 3/238.

(2) البلاذري: أنساب الأشراف، 1/206، 2/159.

(3) ابن الكلبي: جمهرة النسب، ص18؛ ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، 1/103؛ الزبير بن بكار: جمهرة نسب قريش، 1/59؛ البلاذري:أنساب الأشراف، 4/109؛ أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، 4/312. علمًا بأن علماء الحديث، ونقاد الآثار والأخبار لا يرضون عن ابن الكلبي، ولا عمن نحا نحوه من التاريخيين، والأخباريين، لا لشيء سوى أنهم تعرضوا لرواية الآثار، دون أن تتوافر فيهم الشروط اللازمة فيمن يتصدر لهذا الضرب من النقل، فهؤلاء العلماء يجرحون أمثال ابن الكلبي، ويحطون من أقدارهم، لأنهم أقدموا على تدوين الآثار ممزوجة ببعض الأساطير والأقاصيص.

(4) لعدة وجوه: أولاً: أن الطبيب ابن أثال توفي سنة 46هـ، والوالي عبد الرحمن بن خالد توفي سنة 48هـثانياً: الروايات التي ذكرت القصة كلها ضعيفة السند، وهي عن طريق المدائني، وسنده كله مجاهيل.ثالثاً: عقب ابن كثير في البدية والنهاية بعد الرواية بقوله: وهذا لايصح. ابن الكلبي: جمهرة النسب، ص18؛ ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش ،

=

سياسية، أو اقتصادية وغيرها.

لذا نستطيع القول إن العصر الأموي كان بداية التوجه إلى دراسة العلوم الطبيعية – الطب – بشكل رسمي، وهذا لا يعني بشكل من الأشكال ازدهار علم الطب، وتفوقهم في تلك الفترة، بل حصلت هناك كوارث صحية، لم يستطع الأطباء معالجتها بل والحد منها ووقايتها، ولعل الطاعون الجارف الذي حل بالبصرة سنة ٦٥هـ [(١)]، وغيرها من الأوبئة والأمراض لم يجد لها الطب في ذلك العصر سبيلًا .

أما في مجال الكيمياء، فلم يكن هناك اهتمام من خلفاء بني أمية؛ لذلك العلم إلا ما كان من الأمير خالد بن يزيد بن معاوية الذي أتقن علم الكيمياء، حتى قال: " إن شئتم أَعذبت لكم ماء البحر "، كما أمر بإحضار جماعة من الفلاسفة اليونانيين الذين كانوا ينزلون في مصر، ويعرفون العربية، وأمرهم بنقل الكتب في الكيمياء من اللسان اليوناني، والقبطي إلى اللسان العربي، وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة في هذا المجال في بلاد الشام [(٢)]، فلاشك أن لوالي مصر في تلك الفترة دوًر في تنقل هؤلاء العلماء، ورحيلهم إلى دار الخلافة، بالإضافة إلى نقل أمتعتهم، وكتبهم، وما يحتاجونه، فكما كان للولاة دور في ارتحال الشعراء من بلد إلى آخر، حيث كانوا يركبونهم مع البريد على نفقة الدولة[(٣)]، فلم نجد لأخبارهم في المصادر

١/١٠٣؛ الزبير بن بكار: جمهرة نسب قريش ، ١/٥٩؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ٤/١٠٩؛ أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ، ٤/٣١٢؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٥/٢٢٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٨/٣١.

(١) وقيل: سنة ٦٤هـ، أو ٦٩هـ، أو ٨٧هـ، ومدته ثلاثة أو أربعة أيام مات فيه خلق كثير. ابن سعد: الطبقات، ٧/١٤٦؛ البخاري: التاريخ الكبير، ٧/٣٩٦؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٣/٤٢٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٨/٢٦٢.

(٢) وله عدة كتب ورسائل في عمل الصناعة، وله شعر كثير في هذا المعنى، ويشير ابن النديم إلى ذلك، بقوله: " رأيت منها نحو خمسمائة ورقة، ورأيت من كتبه:كتب الحَرارات، وكتاب الصحيفة الكبير، وكتاب الصحيفة الصغير، وكتاب وصيته إلى ابنه في الصنعة، كما يروي القِفْطي عن ابن السنبدي – من أهل العلم والمعرفة بمصر–: أنه شاهد في خزائن الكتب في القاهرة كُرة نُحاس من عمل بطليموس، كُتب عليهاجُمِ لَتْ هذه الكرةُ من الأمير خالد بن يزيد بن معاوية. ابن النديم: الفهرست، ١/٣٣٨؛ القفطي: أخبار العلماء ، ١/١٨٨؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٢/٢٢٤.

(٣) فالشاعر أيمن بن خريم الأسدي، عندما أراد الخروج إلى الوالي بشر بن مروان في الكوفة، وهو حينذاك عند عبد العزيز بن مروان والي مصر؛ حيث أمر أن يحمل على البريد، كما طلبت ليلى الأخيلية من والي العراق الحجاج بن يوسف أن يحملها مع البريد إلى والي خراسان قتيبة بن مسلم الباهلي، فحُملت إليه، وطلب الشاعر حاجب بن ذبيان

=

التاريخية سوى أعمالهم، بخلاف علماء الشريعة، كالمفسرين، والفقهاء، والقراء، والأدباء، والشعراء وغيرهم، ممن كان لهم حظوة في تلك الفترة.

أما بالنسبة لمواقف الولاة، فلم يكن لهم مواقف تُذكر في هذا المجال في تلك الفترة، ولعل عزوف الولاة عن مثل هذه العلوم، وخاصة الكيمياء نابع من عدم اقتناعهم بمن يدرسها، وقد يتهمونه في عقله، وينتقدونه، حيث أورد أبو هلال العسكري كلامًا حول من يتعلم الكيمياء بقوله: " ليس من يعتقد أن الكيمياء يصح ويطمع في قلب الفضة ذهبًا، أو النحاس فضة، بتام العقل، لأنه يطمع في قلب الأعيان، وقلب الطبائع والجبلات عن أصولها، ولا يكون ذلك إلا من سخافة العقل، وعدم التمييز" [1]، فيمكننا القول إن نظرتهم لتلك العلوم في تلك الفترة نظرة سيئة إلى حد ما، لذا نرى الخليفة عبد الملك بن مروان يصف خالد بن يزيد بن معاوية بالحماقة[2].

كما يُلاحظ أن الولاة في تلك الفترة أولوا اهتماماتهم بالفتوحات الإسلامية، والجهاد في سبيل الله، كما تميزت بعض الفترات بالفتن، والقلاقل، والثورات المتوالية، فلم تكن لديهم الفترة الكافية للنظر في العلوم الطبيعية من ناحية، بالإضافة إلى اهتمامهم بالعلوم الشرعية كالحديث وتدوينه، والفقه، والعقيدة من ناحية أخرى.

لذا نستطيع القول بأن ما وصل إليه المسلمون في العلوم الطبيعية، فإنه وإن كان أرقى من العصور السابقة، وأكثر ثروة في العلم والاختبار، إلا أنه لا يتناسب مع فتوحهم الواسعة في دوائر علمية أخرى، كما ظهر ذلك في علوم، وآداب الأمم السابقة، وهذا ماسنتطرق إليه في المبحث القادم.

من يزيد بن المهلب أن يحمله أثناء العودة ويكرمه، فأكرمه، وزوده بفرس، وبغل، وبرذون لحمله. أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ٣٩٢/١١، ٤٠١/١٤؛ الحصري القيرواني: زهر الآداب وثمر الألباب، ١٠٧/٤؛ ابن واصل: تجريد الأغاني، ١١١/١.

(١) الأوائل، ١١٩/١.

(٢) ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ٣٩٢/١.

رابعًا / علوم وآداب الأمم السابقة (الإسرائيليات – علوم الفرس):

بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية في العصر الأموي، وانتشار الإسلام في البلاد المفتوحة، حتى وصل إلى بلاد الصين شرقًا، وشواطئ المحيط الأطلسي غربًا، نتج عن ذلك دخول شعوب جديدة ذات حضارة قديمة، كان لها إسهام في تداخل الثقافات، وامتزاجها، علمًا بأن الدولة الأموية ورثت علوم الأمم السابقة من الروم والفرس بعد سقوط دولتهم.

وورد أن بعض خلفاء بني أمية لديهم عناية بمثل تلك العلوم والآداب، فقد عُرف عن الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ استدعاؤه في مجلسه للأدباء والعلماء؛ ليقرؤوا له تاريخ العرب وأيامهم، والعجم، وملوكها، وسياستها لرعيتها، وسِيَر ملوك الأمم، وحروبها، ومكايدها، وسياستها لرعيتها، وغير ذلك من أخبار الأمم السالفة، وقد سلك بعض خلفاء بني أمية نهجه كعبد الملك بن مروان وغيره[1].

كما بين الخليفة معاوية ﷺ اهتمامه بمصدر تلك الأخبار؛ حيث قال: " إلا أن كعب الأحبار[2]، أحد العلماء إن كان عنده لعلم كالبحار، إن كان عنده لعلم كالثمار، وإن كنا فيه لمفرطين"[3]، كما استفاد الخلفاء الأمويون من تاريخ الفرس، والروم، وحكامهم، ونظم إدارتهم في شتى النواحي الحضارية، وللحديث عن مواقف الولاة من علوم وآداب الأمم السابقة رأينا أن تكون على قسمين:

١/ الإسرائيليات:

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٢١/١؛ المسعودي: مروج الذهب، ٧١/٢-٧٢.

(٢) هو كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، تابعي كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في زمن الخليفة أبي بكر ﷺ، وقدم المدينة في خلافة عمر ﷺ، فأخذ عنه الصحابة ﷺوغيرهم، كثيرًا من أخبار الأمم الغابرة، وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة ﷺ، وخرج إلى الشام، فسكن حمص، وتوفي فيها عن مائة وأربع سنين، وذلك سنة ٣٢هـ وقيل: سنة ٣٤هـ. ابن سعد: الطبقات، ٣٥٨/٢؛ البخاري: التاريخ الكبير، ٢٢٤/٧؛ ابن حبان: الثقات، ٣٣/٥؛ الأصبهاني: حلية الأولياء ، ٤٨٧/١٦؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٦٩/٥٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤٨٩/٣.

(٣) ابن سعد : الطبقات، ٣٥٨/٢؛ ابن حبان: الثقات، ٣٣/٥؛ أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء، ٤٨٧/١٦؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق، ١٦٩/٥٠؛ المزي: تهذيب الكمال، ١٩٢/٢٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ٤٨٩/٣.

وهي أحاديث أهل الكتاب، وأخبارهم فيها الصدق، والكذب، والغث، والسمين، وهي مقسمة إلى ثلاثة أقسام: إما موافقة لشرعنا، أو مخالفة، أو لاموافقة ولامخالفة [1]، فقد قال الرسول ﷺ: " بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل، ولا حرج، ومن كذب علي متعمدًا، فليتبوأ مقعده من النار "[2]، وقال ﷺ :" لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم " [3].

ومما ينبه له في هذا المجال أن علم التفسير داخله كثيرٌ من الإسرائيليات، وذلك لكثرة من دخل من أهل الكتاب في الإسلام، وكان لا يزال عالقا بأذهانهم من الأخبار ما لا يتصل بالأحكام الشرعية، كأخبار بدء الخليقة، وأسرار الوجود، وبدء الكائنات، وكثير من القصص، وكانت النفوس ميّالة لسماع التفاصيل عما يشير إليه القرآن من أحداث يهودية، أو نصرانية، فتساهل التابعون، فزجّوا في التفسير بكثير من الإسرائيليات بدون تحّر ونقد.

ولقد اشتهرت أسماء عديدة في هذا الميدان ممن رووا الإسرائيليات، وكانوا المصدر الأساس، والجسر الأول بين التراث الإسلامي في عصر التدوين، وبين تلك الإسرائيليات كان في مقدمتهم عبد الله بن سلام[4]، وكعب الأحبار[5]، ووهب بن منبه[6]، وعبدالملك بن عبدالعزيز

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي محمد سلامة، ط٢، المدينة النبوية، دار طيبة، ١٤٢٠هـ، ٣١/١.

(٢) البخاري : صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ماذكر عن بني إسرائيل ، رقم الحديث (٣٤٦١) ، ١٧٤/١٢.

(٣) البخاري : صحيح البخاري ، كتاب الشهادات ، باب لايسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها ، رقم الحديث (٢٩) ، ٤٩٧/٩.

(٤) الصحابي الجليل عبد الله بن سلام بن الحارث حليف لبني عوف من الخزرج، وكان اسمه في الجاهلية الحصين فلما أسلم سماه النبي ﷺ عبد الله، ويكنى بأبي يوسف، وهو من أحبار يهود بني قينقاع، أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة، ويقال إنه أول من أسلم من علماء، وأحبار اليهود، وشُهد له بالجنة، روى كثيرًا من أخبار الأمم السابقة، توفي بالمدينة في خلافة معاوية بن أبي سفيان ﷺ سنة ٤٣هـ. ابن سعد: الطبقات، ٣٥٢/٢-٣٥٣؛ خليفة بن خياط : تاريخه، ص٢٠٦؛ البخاري: التاريخ الكبير، ١٨/٥-١٩؛ ابن عبد البر: الاستيعاب ، ٩٢١/٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤١٣/٢؛ ابن حجر: الإصابة ، ١٠٨/٦.

(٥) سبق ترجمته في الصفحة السابقة.

(٦) هو العلامة الإخباري القصصي التابعي، أبو عبد الله الإبناوي، اليماني الذماري الصنعاني، من أبناء فارس كان ينزل ذمار، وكان ممن قرأ الكتب، ولزم العبادة، وواظب على العلم، وتجرد للزهادة، ويُعدُ من فقهاء اليمن، وكان عنده علم

=

ابن جريج[1]، ممن احتكوا بالرواة، وبثوا مروياتهم، وأوصلوها إلى المفسرين، والمحدثين، والإخباريين في العصر الأموي، وما بعده، ولا شكّ أن الرجوع إلى هذه الإسرائيليات في التفسير أمر مأخوذ على التابعين، كما هو مأخوذ على من جاء بعدهم.

وننبه في هذا الصدد أن مواقف الولاة مع العلوم الشرعية قد تدخل في هذا النطاق لتداخل الإسرائيليات في علم التفسير، كما أوردنا سابقًا، ومن أشهر العلماء الذين ذكرنا مواقف الولاة من علومهم: أبو هريرة ﷺ، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، وابن شهاب الزهري، وسعيد بن جبير، وغيرهم، لذا سأقتصر على ذكر بعض العلماء الذين يعتبرون من مصادر تلك الأخبار.

فعلى سبيل المثال موقف والي اليمن عروة بن محمد السعدي من العلامة الإخباري وهب بن منبه الذي ولاه على قضاء صنعاء، وكان من جلسائه المقربين، ولقد ضمت المصادر التاريخية[2] العديد من أخباره مع الوالي عروة، ومن ذلك مارواه سماك بن فضل، حيث قال:"كنا عند عروة بن محمد الأمير، وإلى جنبه وهب، فجاء قوم فشكوا عاملهم، وذكروا منه شيئًا قبيحًا، فتناول وهب عصا كانت في يد عروة، فضرب بها رأس العامل حتى سال الدم، فضحك عروة واستلقى، وقال: يعيب علينا وهب الغضب، وهو يغضب! قال: ومالي لا

وفير من أخبار الأمم السابقة؛ حيث قال:"لقد قرأت ثلاثين كتابًا نزلت على ثلاثين نبيًا"، توفي سنة ١١٠هـ وقيل: سنة ١١٤هـ. ابن سعد: الطبقات، ٥٤٣/٥؛ البخاري: التاريخ الكبير ١٦٤/٨؛ الشيرازي: طبقات الفقهاء، ص٧٤؛ الحموي: معجم الأدباء، ٢٥٩/١٩؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٣٧/٦؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ١٤/٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٢٧٦/٩.

(١) أبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي مولاهم، فجده عبدٌ رومي لأم حبيب بن جبير، ويعتبر من تابعي التابعين حيث لازم عطاء بن أبي رباح عشرين سنة، وهو أحد العلماء والفقهاء والقراء، وعنده علم في أخبار الأمم الغابرة، له كثير من المصنفات، قيل: إنه أول من دون بمكة، توفي سنة ١٤٩هـ وقيل: ١٥٠هـ، وكان عمره سبعين سنة. البخاري: التاريخ الكبير ، ٤٢٢/٥؛ ابن حبان: مشاهير الأمصار، ص١٤٥؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ٤٠٠/١٠؛ الشيرازي: طبقات الفقهاء، ص١٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٥٩٤/٥؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان، ١٦٣/٣-١٦٤؛ المزي: تهذيب الكمال، ص٨٥٧-٨٥٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٣٢٥/٦-٣٣٣.

(٢) ابن سعد : الطبقات، ٥٤٤/٥ ؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٤٧٧/١٧ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ٢٧٧/٩ .

أغضب، وقد غضب الذي خلق الأحلام، يقول تعالى: ﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم﴾ [1]، فمن خلال هذه الرواية يتبين لنا مدى اهتمام الوالي بالعلماء، وخاصة من يملكون علمًا وافرًا،كوهب بن منبه؛ ولذا لم يعنفه بسبب ما قام به.

كما كان الوالي يفتح له المجال لما يجد لديه من علم لمحاورة الفرق الضالة، فقد ورد له العديد من الأقوال في محاورة ومناصحة بعض الفرق الضالة،كالمبتدعة، حيث قال:" إياكم وهوى متبعًا، وقرين سوء، وإعجاب المرء بنفسه "[2]، كما قال لرأس المعتزلة الجعد بن درهم: " إني لأظنك من الهالكين، لو لم يخبرنا الله أن له يدًا، وأن له عينًا ما قلنا ذلك "[3].

وكان له الفضل في إرجاع الكثير من الخوارج إلى مذهب أهل السنة والجماعة، فكان له مناظرة مع أحدهم في مجلس الوالي مسعود بن عوف – من قبل عروة السعدي – فقال له: " أتريد أن تكون بعد الكبر حروريًا تشهد على من هو خير منك بالضلالة؟ فماذا أنت قائل لله غدًا حين يقفك الله؟ ومن شهدت عليه، فالله يشهد له بالإيمان، وأنت تشهد عليه بالكفر، والله يشهد له بالهدى، وأنت تشهد عليه بالضلالة، فأين تقع إذا خالف رأيك أمر الله، وشهادتك شهادة الله؟. . . وفي آخر المناظرة قال خصمه: فما تأمرني؟ قال: انظر زكاتك، فأدها إلى من ولاه الله أمر هذه الأمة، وجمعهم عليه، فإن الملك من الله وحده وبيده، يؤتيه من يشاء، فإذا أديتها إلى والي الأمر برئت منها، وإن كان فضل فصل به أرحامك، ومواليك، وجيرانك، والضيف، فقال: أشهد أني نزلت عن رأي الحرورية " [4].

ولكن ذلك لم يستمر طويلاً حيث وقف الولاة موقفًا مؤلمًا تجاه العالم الإخباري وهب بن منبه الذي كان من مصدرًا من مصادر أخبار الأمم السابقة، حيث أوردت بعض المصادر التاريخية[5] أن والي اليمن يوسف بن عمر الثقفي، قام بضرب وهب بن منبه حتى قتله، وقد

---

(١) سورة الزخرف: آية رقم ٥٥.

(٢) ابن عساكر : تاريخ دمشق ، ٤٨٠/١٧ .

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤٣٣/٥.

(٤) السمرقندي: بحر العلوم، تحقيق: محمود مطرجي، ط١، بيروت، دار الفكر، د. ت، ١١٣/٤؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٧٩/٦٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ٥٤٨/٤؛ المزي: تهذيب الكمال، ١٤٦/٣١.

(٥) الدولابي، أبو بِشْر محمد بن أحمد الرازي (ت٣١٠هـ): الكنى والأسماء، تحقيق: محمد الفاريابي، ط١، بيروت، =

بينا فيما سبق الأثر السلبي في مواقف بعض الولاة تجاه بعض العلوم، وذلك بسبب بعض المواقف المعارضة لسياسة الوالي مما يجعل العا لم عرضة لبطش بعض الولاة.

ويُعد القصاص ممن اشتهروا برواية الإسرائيليات، وذلك بالوعظ والتذكير، وذكر الجنة والنار، فبرز منهم عبيد بن عمير الكناني[1] الذي كانت له فتاوى يأخذ بها ولاة مكة، وتبيع بن عامر الحميري[2]، وعكرمة البربري[3] الذي كان له تأثير على الولاة، وذلك بإدخال مذهب الخوارج إلى بلاد المغرب، مما أدى إلى قيام بعض الفتن والقلاقل [4].

دار ابن حزم، ١٤٢١هـ، ٢٠١/٤؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق، ٤٨٣/١٧.

(١) عبيد بن عمير بن قتادة بن سعد بن عامر الليثي الجندعي الكناني المكي، ولد في حياة النبي ﷺ، روى الأحاديث عن عمر، وعلي، وابن عباس، وكعب الأحبار، وعبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ وغيرهم، فوصف بأنه ثقة كثير الحديث، وهو أول من قص بمكة، وذلك في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، توفي سنة ٧٤هـ. ابن سعد: الطبقات، ٤٦٣/٥؛ البخاري: التاريخ الكبير، ٤٥٥/٥؛ البسوي: المعرفة والتاريخ، ٢٤/٢؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ٣٥٣/٣؛ المزي: تهذيب الكمال، ٢٢٥/١٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٥٦/٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٥/٩؛ الفاسي: العقد الثمين، ٥٤٣/٥.

(٢) تُبَيع بن عامر الحميري ابن امرأة كعب الأحبار، وله سبع كنى ذكرها الحافظ ابن عساكر وهي: أبو عبيدة، وأبو عبيد، وأبو عتبة، وأبو أيمن، وأبو حمير، وأبو غطيف، وأبو عامر، والأولى أشهرها، أسلم في أيام أبي بكر وعمر ﷺ، ويقال له: تبيع صاحب الملاحم، قرأ الكتب، ونظر في سير الأولين، وسمعن كعب الأحبار علًما كثير ً ا، توفي سنة ١٠١هـ. ابن سعد : الطبقات، ٤٥٢/٧؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٥٧/٣؛ المزي: تهذيب الكمال، ٣١٢/٤-٣١٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ٤١٣/٤.

(٣) عكرمة بن عبد الله المدني البربري مولى ابن عباس، وكان في الأصل مولى للحصين بن أبي الحر العنبري، فوهبه لابن عبا عندما كان أمير ً ا على البصرة، يكنى بأبي عبد الله، وهو تابعي، ومن أعلم الناس بالتفسير والمغازي، كانت وفاته بالمدينة سنة ١٠٥هـ، وقيل: سنة ١٠٧هـ، حيث توفي هو و كثير عزة في يوم واحد، فقيل: "مات أعلم الناس، وأشعر الناس" ابن سعد : الطبقات، ٢٨٧/٥؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٢٦٥/٣؛ المزي: تهذيب الكمال، ٢٨٨/٢٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ١٢/٥-١٧؛ الفاسي: العقد الثمين ، ١٢٣/٦-١٢٥؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ١٦٣/١.

(٤) اختلفت الآراء حول عكرمة البربري أشد الاختلاف مابين قادح ومادح، حيث روي عن بعض معاصريه أنه كان سبب ً ا في نشر مذهب الصفرية الخوارج في بلاد المغرب، وذلك بعد أن لجأ إلى نجدة بن عامر الحنفي، وأقام عنده ستة أشهر، كما أن هناك علماء نفوا عنه اتباع المذهب الخارجي، كالبخاري، والنسائي، فقد قال البخاري: " ليس من أصحابنا أحد إلا وهو يحتج بعكرمة "، وقد قال الحافظ ابن حجر في " مقدمة الفتح " ص ٤٢٧، وهو يرد عن عكرمة ما ألصق به: لم يثبت عنه من وجه قاطع أنه كان يرى ذلك، وإنما كان يوافق في بعض المسائل، فنسبوه إليهم، وقد برأه الإمام

=

فكان لبعض الولاة مواقف من عكرمة البربري الذي كان كثير الأسفار، والنزول على الولاة، كبلال بن مرداس الفزاري، والي المدائن، حيث استمع إلى أحاديثه، وشيء من أخباره، وأجازه بثلاثة آلاف درهم، كما نزل على بعض الأمراء في خراسان، والشام، واليمن، ومصر، وإفريقية، فكانوا يهدونه ويقربونه [(١)].

ولقد سعى بعض الولاة سعيًا حثيثًا لتذليل الصعاب المادية التي قد تواجه العلماء، أو تقف عائقًا أمام راحتهم النفسية، فتَحُدُّ من نشاطهم العلمي، فهذا عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج يعتمد في جزء كبير من عيشه على منح الولاة، كما حظي وهب بن منبه بتقدير بعض الولاة، وأعطياتهم، لذا كان لهم دور مؤثر في تصنيف الكتب، ونسخها، ومن أشهر مؤلفات ابن جريج كتاب الأمانة الذي استحق الإشادة من الآخرين، حيث قال أحد معاصريه:" كنا نسمي كتب ابن جريج كتب الأمانة، وإن لم يحدثك ابن جريج من كتابه لم تنتفع به " [(٢)].

وقد شارك بعض الولاة في تقديم علمه، وسلطته لبعض العلماء الذين عنوا بأخبار الأمم السابقة كالإمام المفسر مجاهد[(٣)] الذي طلب من والي اليمن أن يريه بئر برهوت[(٤)] بحضرموت،

أحمد، والعجلي من ذلك، فقال في كتاب " الثقات " له: " عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما، مكي، تابعي، ثقة، بريء مما يرميه الناس به من الحرورية، وقال ابن جرير: " ولو كان كل من ادعي عليه مذهب من المذاهب الرديئة، ثبت عليه ما ادعي به، وسقطت عدالته، وبطلت شهادته بذلك، للزم ترك أكثر محدثي الأمصار، لأنه ما منهم إلا وقد نسبه قوم إلى ما يرغب به عنه ".

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ٤٩/٥؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٨١/٤١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٢١/٥؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٤٤٣/١.

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ٤٩٤/٤؛ المزي: تهذيب الكمال، ٣٤٨/١٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٣٢٨/٦؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٣٥٩/٦.

(٣) مجاهد بن جبر، ويقال: جبير، مولى لبني مخزوم، ولد سنة ٢١هـ، يكنى بأبي الحجاج، ويُعد من كبار علماء التابعين طلب العلم منذ الصغر، فتلقاه على عدد من الصحابة، كأبي هريرة، وعائشة، وعبد الله بن عمر، وابن عباس – رضي الله عنهم – وقد عُني بعلوم القرآن دراسة وتفسيرًا، كما اهتم بالفقه والحديث، ولم تخلُ مروياته من الإسرائيليات، توفي في مكة – على الأرجح – سنة ١٠٣هـ وهو ساجد. ابن سعد: الطبقات، ٤٦٦/٥-٤٦٧؛ البخاري: التاريخ الكبير، ٤١١/٧؛ البسوي: المعرفة والتاريخ، ٧١١/١؛ المزي: تهذيب الكمال، ٢٢٨/٢٧-٢٣٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤٤٩/٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٢٢٤/٩.

(٤) بَرَهُوتُ: بئر بحضرموت، وقيل: هو اسم للبلد الذي فيه هذه البئر، وقيل: هو واد معروف بقرب حضرموت، =

وطلب من والي بابل أن يريه هاروت وماروت، فلم يتوان الولاة بتقديم المساعدة له ولغيره من العلماء في تلك الفترة [(١)].

كما تولَّد لدى بعض الولاة حب الاستطلاع، والبحث عن الأخبار، فبعد مقتل ابن الزبير وجد الحجاج بن يوسف الثقفي صندوقاً في خزانة، عليه أقفال حديد، ففتحت، وتعجب الحجاج من ذلك، وقال: أرى في هذه الأشياء، فإذا صندوق آخر عليه الأقفال، ففتحت، فإذا سفط فيه درج ففتحته، فإذا فيه صحيفة فيها: "إذا كان الحديث حلفًا، والمقيت إلًفا، وكان الولد غيظًا، والشتاء قيظًا، وغاض الكرام غيضًا، وفاض اللئام فيضًا، فاعبر عبرتي جبل وعر، خير من ملك بني النضر، حدثني بذلك كعب الحبر" [(٢)].

وبغض النظر عن صحة تلك الروايات التي تبين مدى اهتمام بعض الولاة بمثل تلك الأخبار، إلا أن اهتمام الولاة كان محدودًا، ولم يصل إلى مرحلة اهتمامهم بالعلوم الشرعية، والأدبية، فكانت الروايات الإسرائيلية تأتينا في ثنايا الكتب الشرعية، ولم يفرد لها العلماء التأليف إلا الشيء اليسير.

قال عنه النبي ﷺ: " إن فيه أرواح الكفار والمنافقين "،وروي عن علي ؓ أنه قال: " أبغض بقعة في الأرض إلى الله ﷻ وادي برهوت بحضرموت، فيه أرواح الكفار، وفيه بئر ماؤها أسَود منتن، تأوي إليه أرواح الكفار". البكري: معجم مااستعجم، ٧٢/١؛ الحموي: معجم البلدان، ٢٨٨/١.ولم أجد أصلاً للحديث إلا ما رواه الطبراني في معجمه الكبير عن ابن عباس ؓ قال: قال رسول الله ﷺ :" خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم، فيه طعام من الطعم، وشفاء من السقم، وشر ماء على وجه الأرض ماء برهوت بقية حضرموت، كرجل الجراد من الهوام" صححه الألباني .

(١) حيث ورد أنه لما قدم أرض بابل لقيه الحجاج بن يوسف الثقفي، وسأله عن سبب قدومه، فقال: حاجة إلى رأس الجالوت — كبير اليهود – فأرسله إليه، وأمره بقضاء حاجته، فقال له رأس الجالوت: ما حاجتك؟ قال: أن تريني هاروت وماروت! فقال لبعض اليهود: اذهب بهذا، وأدخله إلى هاروت وماروت لينظر إليهما، فانطلق به حتى أتى موضعًا، ورفع صخرة، فإذا شبه سرب، فقال له اليهودي: انزل وانظر إليهما، ولا تذكر الله! فنزل مجاهد معه، فلم يزل يمشي به اليهودي حتى نظر إليهما، فرآهما مثل الجبلين العظيمين، منكوسين على رأسيهما، وعليهما الحديد من أعقابهما إلى ركبهما مصفدين، فلما رآهما مجاهد، لم يملك نفسه فذكر الله، فاظربا اضطرابًا شديدًا حتى كادا يقطعان ما عليهما من الحديد، فخر اليهودي، ومجاهد على وجههما، فلما سكنا رفع اليهودي رأسه، وقال لمجاهد: أما قلت لك لا تفعل ذلك، فكدنا نهلك! فتعلق مجاهد به، ولم يزل يصعد به حتى خرجا. وإسناده ضعيف. الأصبهاني: حلية الأولياء، ٢٨٨/٣؛ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ١٢٢/١؛

(٢) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ٢٣٩/١؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٦٨/٥٠.

كما يمكننا القول بأن كثرة القصاص، والخطباء، وانتشار مجالس الوعظ في العصر الأموي أدى إلى إقبال الناس عليها بما يتخللها من روايات إسرائيلية، مما لفت انتباه الولاة إلى تلك المجالس، فاستقطبوا بعض القصاص، والخطباء إلى مجالسهم الخاصة، فكانوا يفوزون بأعطياتهم، وهباتهم العينية والنقدية .

٢/ علوم الفرس:

تُعد الإمبراطورية الفارسية التي تعرف بدولة الفرس من أعظم، وأكبر الدول التي سادت البلاد قبل البعثة النبوية، حتى أنها فاقت الإمبراطورية البيزنطية في القوة والشهرة، وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ سقطت دولة الفرس، فورث المسلمون علومهم،وشيئًا من نظامهم الإداري والمالي، حيث تعتبر الدواوين من أهم الأنظمة الإدارية والمالية التي استفاد منها المسلمون في عصر الخلافة الراشدة.

أما في العصر الأموي، فاقتضى اتساع مساحة الدولة، وزيادة مواردها، وتعدد أوجه إنفاقها ضبطًا للمؤسسات الإدارية والمالية، ووضع قواعد جديدة للإشراف على نشاطها، وسير العمل بها، فكان الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ أول من أحس تلك الحاجة، نتيجة الاستقلال المالي والإداري للولايات الإسلامية المتفرقة، وذلك بإنشاء بعض الدواوين [١].

ولما كان العرب قد انصرفوا في صدر الإسلام للجهاد من أجل جعل كلمة الله هي العليا، فقد كان طبيعياً أن تكون أعمال الدواوين بأيدي أبناء البلاد المفتوحة، وبألسنتهم[٢]، مما شكل عبئًا على الولاة للقيام بالإشراف على تعريب الدواوين في شتى الأقاليم الإسلامية.

ففي بداية الأمر سعى والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي إلى تكليف – صالح بن عبد الرحمن – الذي يجيد اللغة الفارسية والعربية – بتعريب ديوان خراج العراق، وبقية الأجزاء

---

(١) كديوان الرسائل، وديوان البريد، وديوان الخاتم وغيرها. خليفة بن خياط : تاريخه، ١/١٧٣؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٣/٢٦٤؛ العسكري: الأوائل، ١/٢٤؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ١/٤٤٦.

(٢) كتب ديوان الشام باليونانية أو الرومية، وديوان مصر بالقبطية، وديوان العراق بالفارسية، وديوان إفريقية بالبربرية، وظل الأمر على هذا الحال حتى كان عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، فصدرت الأوامر بنقل هذه الدواوين جميعها إلى العربية، وهو ما عرف بتعريب الدواوين. العسكري:الأوائل، ١/٧٨؛ الماوردي: الأحكام السلطانية، ١/٤٠٠؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ١/١٢٤.

الشرقية من الدول الإسلامية إلى اللغة العربية، وقد اتصل صالح بن عبد الرحمن بالوالي الحجاج بن يوسف الثقفي قبل أن يلي العراق، فلما ولي جعله في كتاب ديوانه، ثم قلده أمر الديوان، فوضع اصطلاحات للكتاب والحساب استغنوا بها عن المصطلحات الفارسية [1].

كما أشرف باقي الولاة على تعريب الدواوين في باقي الأقاليم الإسلامية، ففي مصر عمل واليها عبد الله بن عبد الملك بن مروان على تعريب الدواوين في ولايته، كما شارك والي إفريقية حسان بن النعمان بتعريب الديوان في ولايته، وبعد فتح الأندلس قام الوالي موسى بن نصير بتعريب ديوانها، أما آخر ديوان خراج تم تعريبه هو ديوان خراسان على يد الوالي نصر بن سيار، وبذلك أصبحت اللغة العربية هي اللغة الوحيدة السائدة في كل المعاملات الإدارية، والمالية في الدولة الأموية، فتحررت بذلك من أية تبعية إدارية لأبناء الأمم الأخرى [2].

ولاشك أن حركة تعريب الدواوين[3] قد أسهمت إسهامًا فعالًا في نشر اللغة العربية على نحو كبير، إذ سارع أبناء هذه البلاد المفتوحة إلى تعلم العربية، حتى لا يفقدوا وظائفهم في تلك الدواوين، كما أنها أدت إلى ظهور طبقة جديدة في المجتمع الإسلامي، هي طبقة الكُتَّاب، والذي ساعد على بروزهم بشكل لافت تقريب الولاة لهم —كما سبق بيانه – [4]، وإسناد بعض المهام الإدارية لبعضهم.

وشهد العصر الأموي نشاطًا في مجال الترجمة ، حيث تُرجمت بعض المصنفات عن تاريخ الفرس، وسياسات ملوكهم في عصر بني أمية، وهذا بطبيعة الحال يبين مدى اهتمام بعض

---

(١) فلما عرف مردانشاه بن زاذان فروخ ذلك بذل له مائة ألف درهم ليظهر للحجاج العجز عنه، فلم يفعل؛ فقال له: قطع الله أصلك من الدنيا، كما قطعت أصل الفارسية، و قيل: لما أراد نقل الديوان إلى العربية، بذل له كتاب الفرس ثلاثمائة ألف درهم على أن لا يفعل فأبى. البلاذري: فتوح البلدان، ٣٦٨/٢؛ ابن النديم: الفهرست؛ ٣٠٣/١؛ الماوردي: الأحكام السلطانية، ٤٠١/١؛ النويري: نهاية الأرب ، ٤٢٦/٢.

(٢) خليفة بن خياط : تاريخه، ٨١/١؛ البلاذري: فتوح البلدان ، ٢٣٠/١؛ العسكري: الأوائل، ٧٨/١؛ الماوردي: الأحكام السلطانية، ٤٠٠/١؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ٣٨/١؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ١٧٠/٣؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، ١٢٤/١.

(٣) للمزيد حول هذا الموضوع راجع: حسان علي حلاق: تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي، ط١، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٣٩٨هـ.

(٤) تحدثنا عن هذا الموضوع تحت عنوان " علوم الأدب واللغة " في هذا الفصل.

الخلفاء، والولاة بأخبار الفرس، وعلومهم[1].

وفي المقابل كانت هناك بعض المواقف من الولاة، كان لها الأثر السلبي على بعض العلماء والكُتاب الذين نقلوا علوم الفرس وأخبارهم، فعلى سبيل المثال، ورد أن الحجاج بن يوسف الثقفي قام بتعذيب ذادويه، حتى تقفعت يده، حتى لقب ابنه بابن المقفع، وورد أن الذي عذبه الوالي يوسف بن عمر الثقفي، حتى مات بين يديه [2].

كما أننا نجد بعض المؤرخين[3] يلقي باللوم على ولاة بني أمية للإيغال في ممارسة الظلم، وتكريس رد المظالم، مستشهدًا باعتمادهم على تخفيف شروط القضاء، وهذا موروث اعتمده ملوك الفرس الساسانيين الذين كانوا أول من مارس هذا الأسلوب.

وإننا إذا ما تتبعنا سير ولاة بني أمية في الرعية؛ لثبت لنا زيف تلك التهم، وبطلانها، وذلك أن ارتكاب الظلم من بعض الولاة لا يعني أن غالبية ولاة بني أمية مارسوا الظلم، وسعوا إلى تكريس رد المظالم؛ بل إن بعض الولاة لم يشهد التاريخ لهم مثيلًا في العدل، وإعطاء كل ذي حق حقه، ومع ذلك لا نقابل التهويل بالتهوين، فلا نحن ننكر أثر الظلم في بعض ما وقع من الولاة، ولا نعطيها أكبر من حجمها، كما أن إلقاء الضوء على الصفات الحميدة في بعض الولاة، لا يعني بأي حال من الأحوال أن جميع ولاة بني أمية كانوا على ذلك المنهج، ولكنها عبارة عن نماذج متفرقة في شتى مجالات الاتجاهات العلمية والثقافية.

وهكذا يتضح أن الخلفاء الأُمويين، وولاتهم على الأقاليم، قد أَولوا الجانب الثقافي اهتمامًا كبيراً، فكانوا يشجعون التعليم بمراحله المختلفة، وقد ظهر أثر التعليم واضحًا في تقدم الحركة الفكرية، سواء كان ذلك في مجال التدوين، والتأليف، أو الترجمة وغيرها.

---

(١) ومن أشهر الكتب الفارسية التي تم ترجمتها: كتاب رستم وإسفنديار، وكتاب بهرام شوس، وغيرها. المسعودي: مروج الذهب، ٩٧/١؛ ابن النديم: الفهرست، ٣٦٤/١.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ١٨٤/٣؛ الجهشياري: الوزراء والكتاب، ١٠٩/١؛ ابن النديم: الفهرست، ١١٨/١؛ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ، ٣٠٨/١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٢٠٩/٦؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٩٦/١٠.

(٣) الطوسي، الحسن بن علي بن إسحاق (ت٤٨٥هـ): نظام الملك (سياسة نامة)، ترجمة: schefer، باريس، ١٨٩١م، ص٥٦ ومابعدها.

الفصل الرابع:

مواقفهم من فكر الفرق

أولاً – الخوارج.

ثانياً – الشيعة.

ثالثاً – الجهمية.

رابعاً – المعتزلة.

خامساً – القدرية.

مّر بنا أن من معالم سياسة الدولة اعند خلفاء بني أمية المحافظة على العقيدة الصحيحة ، ومحاربة أهل البدع، والأهواء ، وكان من سياستها بأن تكميم الأفواه لا يأتي بخير؛ بل يزيد من الاحتقان، والتوتر ، وعلى العكس من ذلك؛ فإن حرية التعبير تمنح الدولة فرصة مناسبة لمعالجة الظواهر الفكرية المنحرفة في المجتمع .

فكان من معالم الدولة الأموية مايعرف بحرية التعبير ، وقد صرح بهذا المنهج الخليفة معاوية ابن أبي سفيان ﵁ حيث وضع قاعدة لإرساء حرية التعبير في الدولة، تنص على أن حرية التعبير مكفولة للجميع، مالم تترجم إلى عمل مسلح ضد الدولة ، فقد قال:" والله لانحول بين الناس وبين ألسنتهم، مالم يحولوا بيننا وبين ملكنا "[1] ، ولم يكن الخليفة معاوية ﵁ الوحيد الذي اتبع هذه القاعدة؛ بل سار على نهجه بعض الخلفاء كعمر بن عبدالعزيز الذي كتب إليه أحد ولاته بأنه قد هم بقتل أحد المعارضين؛ لأنه شتم أمير المؤمنين ، فرد عليه عمر بقوله :" والله لو قتلته لقتلتك به ، ولكن أطلق سراحه، وإن شئت فاشتمه كما شتمني " [2].

ولاشك أن خلفاء بني أمية وولاتهم قد أدركوا أنهم يواجهون تحديات كبيرة من قبل بعض الفرق التي لها نشاط وتأثير على المجتمع فجعلت من الخروج على الدولة منهجًا لها ، غير متورعة عن سفك الدماء، وقتل الأبرياء، بحجة موالاتهم للدولة ، لذا فقد شارك ولاة بني أمية في ملاحقتهم، وتخليص الأمة من شرورهم بمختلف الوسائل ، ولكنهم أدركوا بأن الأسلوب الفكري من أنجح الأساليب في محاورتهم لتصحيح مفاهيمهم، وتجنيب الأمة مخاطرهم .

وبما أن العصر الأموي اتسم بالنهضة العلمية والفكرية في شتى الأقاليم المتفرقة فمن الطبيعي أن تشهد الفرق الإسلامية فيها أرضًا خصبة لنشر أفكارهم وآرائهم ، ومن أبرز تلك الفرق وأشهرها الآتي :

---

(١) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، ٤/١ .

(٢) المبرد : الكامل في اللغة ، ١٤٧/١ .

أولًا / الخوارج:

تعريف الخوارج في اللغة:

قال ابن فارس: " خرج: الخاء والراء والجيم أصلان، وقد يمكن الجمع بينهما، إلاّ أنا سلكنا الطريق الواضح، فالأول: النَّفاذ من الشيء، والثاني: اختلاف لونين. فالأول: قولنا: خرج يخرج خروجًا ... "(١).

تعريف الخوارج اصطلاحًا:

تشير المصادر أن كل من خرج على الإمام الحقّ الذي اتفقت عليه الجماعة، سواء كان الخروج في أيام الصحابة ﷺ على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين، أو على الأئمة في كل زمان (٢).

والخوارج:" صنف من المبتدعة، يعتقدون أن من فعل كبيرة كفر، وخلد في النار، ويطعنون لذلك في الأئمة، ولا يحضرون معهم الجمعة والجماعات " (٣).

وتعتبر فرقة الخوارج من أول الفرق الضالة ظهورًا، فقد أورد ذلك شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله، فيقول: "... أولها ظهورًا الخوارج، فان التكلم ببدعتهم ظهر في زمانه ﷺ، ولكن لم يجتمعوا، وتصير لهم قوة إلا في خلافة أمير المؤمنين علي ﷺ ... " (٤).

ولابد أن نشير إلى أن كتب الفرق الإسلامية(٥) لم تتفق على تقسيم فرقهم الرئيسية

---

(١) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين (ت٣٩٥هـ): معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، مادة: خرج، ٣١٣/١؛ ابن منظور: لسان العرب، ٢/ ٢٤٩-٢٥١.

(٢) يراجع ، الشهرستاني: الملل والنحل؛ ٢٢٣؛ ابن قدامه، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد الجماعيلي (٦٢٠هـ): المغني، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وعبد الفتاح الحلو، ط٣، بيروت، دار عالم الكتب، ١٤١٧هـ، ٢٣٩/١٢.

(٣) يراجع ، النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ): روضة الطالبين، تحقيق: عادل عبد الموجود، ط١، بيروت، دار عالم المكتبات، ١٤١٢هـ، ٥١/١٠.

(٤) ابن تيمية: الفتاوى الكبرى، تحقيق: محمد ومصطفى عبدالقادر عطا، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ، ٤٨٩/٢٨-٤٩٠.

(٥) البغدادي: الفرق بين الفرق، ١٥/١؛ ابن حزم: الفصل في الملل، ٨٩/٢؛ الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي (ت٧٩٠هـ): الاعتصام، تحقيق: سعيد الهلالي، ط١، الرياض، دار ابن عفان، ١٤١٢هـ، ٩٥/١-٩٩.

والفرعية على عدد معين، غير أن لهم ألقاباً وأسماء أخرى، كالحرورية، والشراة، والمحكمة، والمارقة، وغيرها، وكان رأيهم في الخلافة الأموية أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ اغتصب الخلافة بالقوة،كما أنه خالف في حكمه الكتاب والسنة، ولهذا فهو كافر يجب قتاله [1].

وبناء على نظرة الخوارج هذه إلى الخلفاء، فقد قرروا أن من يتولى خليفة كافًرا، فهو كافر أيضًا [2]، وبهذا فقد كفروا جميع المسلمينوأباحوا دماء جميع مخالفيهم، ولذلك غالباً ما كانت المواجهة العسكرية هي الفصل بينهم، وبين الدولة الأموية، إلا أنهم في زمن الخليفة عمر بن عبدالعزيز توقف نشاطهم، وثورتهم حيث قام الخليفة بمحاورتهم، ومناظرتهم، والرد على شبهاتهم [3].

وقد امتاز الخوارج بالقدرة على الجدل والمناظرة، وإن كانت بعض آرائهم الاجتهادية تغيب عنها الحجة، وينعدم فيها البرهان، حيث أقر الخليفة عبد الملك بن مروان لهم بالقدرة على الجدل، بعدما ناظره رجل منهم، فقال: " لقد كان وقع في خاطري أن الجنة خلقت لهم، وإني أولى بالجهاد منهم " [4].

أما الخليفة عمر بن عبد العزيز، فكان لا يرى قتالهم، ولا يلجأ إليه إلا إذا كان لابد منه[5]، أما إذا كان هناك مجال للمناقشة، وتداول الآراء، وإحلال السلم بدل الحرب، فذلك

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٥٧/٥.

(٢) ابن الجوزي: تلبيس إبليس، تحقيق: أحمد بن عثمان المزيد، ط٣، الرياض، دار الوطن، ص٩٢.

(٣) كتب الخليفة عمر بن عبالعزيز كتاباً مفصلاً ضمنه الدعوة لهم بالحكمة والموعظة الحسنة، فدعاهم إلى الله ﷻ، وإلى الإسلام، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والإنابة إلى أمر الله ﷻ ، وعدم مخالفته، وحذرهم من البدع والغلو في الدين، وطلب منهم أن يرسلوا إليه من يحاوره ويناظره في آرائهم، وتضمن الكتاب ردًا لكل الشبهات التي أثاروها. ابن عبدالحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز، صححها: أحمد عبيد، ط٥، بيروت، دار العلم للملايين، ص٩-١٠.

(٤) المبرد: الكامل في اللغة ، ٢٣١/٢-٢٣٢؛ لطيفة البكاي: حركة الخوارج نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأموي، ط١، بيروت، دار الطليعة، ٢٠٠٣م، ص٢٢٠.

(٥) حيث ورد أن مواجهة عسكرية حدثت بين شوذب أمير الخوارج – حركة الشبيبة – وأفرادًا من الجيش الأموي، الأموي، وذلك في منطقة جوخي، ومع ذلك قال شوذب لأصحابه: " يا أخلائي، إنكم قد باينتم قومكم في ولاية هذا الرجل، وهو يأمر بالعدل، ويظهره، ويعمل به، فاعدلوا فيما بينكم وبينه، وادعوه إلى أمركم. مؤلف مجهول: العيون والحدائق في أخبار الحقائق، ط١، بغداد، مكتبة المثنى، ٤١/٣.

هو المنشود، وقد كان مؤمناً بهذا الرأي قبل أن تصل إليه الخلافة، ففي عهد الوليد بن عبدالملك أشار عليه بأن يودع الخوارج السجن، حتى يرجعوا إلى الله ﷻ، أو تدركهم المنية [1].

أما بالنسبة لولاة بني أمية، وموقفهم تجاه الفكر الخارجي، فلم يكن حالهم أقل من خلفائهم؛ حيث غلب عليهم المواجهة العسكرية تجاه الخوارج، وذلك بسبب الأساليب الشنيعة التي كانوا يمارسونها، فكانوا يقتلون كل من عرض عليهم من الرجال والنساء والولدان، فكانت ردة الفعل من بعض الولاة أقسى وأمر، كزياد بن أبيه، وابنه عبيد الله، والحجاج بن يوسف الثقفي، بالإضافة إلى سياسة الدولة تجاههم [2].

فلم تكن مواقف الولاة من فكر الخوارج مقتصرة على الأعمال العسكرية فحسب؛ بل إن بعض الولاة أوكل أمرهم إلى الله، ما لم يشقوا عصا الطاعة، فعلى سبيل المثال، نرى والي الكوفة المغيرة بن شعبة ﷺ في بداية الأمر، لم يقاتلهم، بل كان يحسن في الناس السيرة، ولم يفتش أهل الأهواء عن أهوائهم، وكان يؤتى، ويقال له: " إن فلاناً يرى رأي الشيعة، وإن فلاناً يرى رأي الخوارج"، وكان يقول: " قضى الله ألا تزالون مختلفين، وسيحكم الله بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون " [3].

فالوالي المغيرة بن شعبة ﷺ لم يستمر موقفه طويلاً، حتى إذا بلغه أن الخوارج استعدوا للخروج، وانتقلوا من الكلام إلى الأفعال، أرسل إليهم معقل بن قيس، وقال له: "... فسر إلى هذه العصابة المارقة الذين فارقوا جماعتنا، وشهدوا عليها بالكفر، فادعهم إلى التوبة، وإلى الدخول في الجماعة، فإن فعلوا فاقبل منهم، واكفف عنهم، وإن هم لم يفعلوا فناجزهم، واستعن بالله عليهم" [4].

---

(١) ابن عبد الحكم: سيرة عمر بن عبدالعزيز، ص١٢٦؛ ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبد العزيز، ص٥٠.

(٢) فقد ورد أن الوالي زياد، وابنه عبيد الله قتلا من الخوارج أعدادًا كبيرة جدًا، حيث بلغت ثلاثة عشر ألفًا، وكان عبيد الله بن زياد شديد التتبع لهم، حتى أنه كان في سجنه منهم أربعة الآف. المبرد: الكامل في اللغة ، ١٩١/٢؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٥٢٤/٥.

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٨٩/٦؛ ابن الجوزي: المنتظم، ١٤٠/٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ١١٣/٢.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ١٦٧/٣؛ ابن الجوزي: المنتظم، ١٤٥/٢.

وقد تبين للوالي المغيرة بن شعبة ﷺ أن فكر الخوارج مرتبط بالسلاح، وبإحلال الدماء، ويصعب محاورته ومناظرته، ومع ذلك في بداية ولايته، لم يلق له بالًا، وأوكل أمرهم إلى الله ما لم يحدثوا فرقة وقتلًا، وبعد خروجهم لم يناجزهم؛ بل دعاهم إلى التوبة، والدخول في الجماعة، ولكنهم رفضوا رأيه، وقاتلوه.

وبما أنه قد تهيأ للخوارج من أسباب الفصاحة، والبلاغة، والبيان، والسبق في الخطابة، لأن الكثير منهم من الأعراب، وأهل البادية، حيث أسعفتهم قرائحهم، وأذهانهم الصافية [(١)]، فكانت الخطابة أداتهم الإعلامية التي توضح توجهاتهم السياسية والدينية، لذا حاول بعض ولاة بني أمية استخدام نفس الأسلوب في الرد على زيغهم، وضلالهم، ومراسلة أمرائهم.

فهذا والي الكوفة المغيرة بن شعبة لما بلغه أن الخوارج يريدون الخروج عليه، قام فيهم خطيبًا، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: " أما بعد، فقد علمتم أيها الناس أني لم أزل أحبُّ لجماعتكم العافية، وأَكفَّ عنكم الأذى، وأني والله خشيتُ أن يكون ذلك أدب سوء لسفهائكم، فأما الحلماء الأتقياء فلا، وأيْمُ الله، لقد خشيتُ ألا أجدُ بدًا من أن يعصب الحليم التقي بذنب السفيه الجاهل، فكفّوا أيها الناس سفهاءكم، قبل أن يشمل البلاء عوامّكم، وقد ذُكر لي أن رجالاً منكم يريدون أن يظهروا في المصر بالشقاق والخلاف، وأيّم الله لا يخرجون في حيٍّ من أحياء العرب في هذا المصر إلا أبدتهم، وجعلتهم نكالاً لمن بعدهم، فنظر قومٌ لأنفسهم قبل الندم، فقد قمت هذا المقام إرادة الحجة والإعذار" [(٢)].

وفي موقف آخر كتب الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق إلى زعيم الخوارج قطري بن الفُجاءة كتابًا، يقول فيه: " سلامٌ عليك، أمّا بعدُ، فإنّك مرقت من الدِّين مروقَ السّهم من الرّمية، وقد علمتَ حيث تجرثمْتَ، وذاكَ أنك عاصٍ لله ولوُلاة أمره، غير أنَّكَ أَعرابيٌّ، جِلْفٌ، أُمِّيٌّ، تستطعم الكِسرةَ، وتستشفي بالتَّمرةِ، والأمور عليك حَسْرة؛ خرجتَ لتنالَ شبعةً، فلحق بك طَغامٌ صَلُوا بمثْلِ ما صَليتَ به من العيش، فهم يهزُّون الرِّماح، ويستنشئون الرّياح، على

(١) حسين عطوان : الفرق الإسلامية في بلاد الشام في العصر الأموي ، ط١ ، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٨٦م ، ص١١٠ ؛ عبد الجليل عبده: الخطابة وإعداد الخطيب، ط٣، مصر، دار الشروق، ١٤٠٨هـ، ص٣٧٥.

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٣/١٦٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢/١١٥.

خوف، وَجَهْد من أمورهم، وما أصبحوا ينتظرون أعظُم مما جَهِلوا معرفَته، ثمَّ أهلكَهم اللَّهُ بَتَرَحًا ين، والسَّلام" (1)، فلم يكتف الحجاج بتوضيح منهجهم بكتابه؛ بل عنفهم على الاستمرار في العصيان، ثم بين جهل من اتبعه من قومه ببلاغة وفصاحة.

فأجابه قَطري بقوله:" من قطريِّ بن الفُجاءة إلى الحجَّاج بن يوسف، سلامٌ على الهُداة من الولاة الذين يَرعَون حريمَ اللَّه، ويَرهبون نِقَمه، فالحمدُ للَّه على ما أظهَر من دينه، وأظلَع به أهل السِّفال، وهدَى به من الضَّلال، ونَصَر به، عند استخفافك بحقِّه، كتبتَ إليّ تذكُر أنِّي أعرابيٌّ جلفٌ أمِّي، أستطعم الكِسْرة، وأستشفي بالتَّمرة، ولعمري يا ابنَ أمِّ الحجَّاج إنَّك لَمُتيَّهٌ في جِبلَّتك، مُطلخمٌّ في طريقتك، واهٍ في وثيقتك، لا تعرف اللَّه، ولا تجْزَع من خطيئتك، يئستَ، واستيأستَ من ربِّك، فالشَّيطانُ قرينُك، لا تجاذبه وِثاقَك، ولا تنازِعُه خناقَك، فالحمدُ للَّه الذي لو شاء أبرز لي صفحتَك، وأوضَح لي صَلَعتك، فو الذي نَفْسُ قطريّ بيده، لَعرفْتَ أنَّ مقارَعة الأبطال، ليس كتصدير المقال، مع أنِّي أرجو أن يدحَضَ اللَّهُ حُجَّتَك، وأن يمنحني مُهجَتَك"(2)، فغالبًا ما كانت المراسلات والمناظرة الكتابية بين زعماء الخوارج والولاة على الأقاليم محاولة للخروج بنتيجة نحو الصلح، أو عدم الخروج عن الطاعة، إلا أنها في نهاية المطاف تكون وقودًا للحروب، وذلك بالتهديد والوعيد.

هكذا كان الخوارج يرددون في خطبهم، وكتبهم أن الحكام كفرة، وأن الولاة ظلمة، والمنكرات فاشية، والواقع أنهم لما خرجوا فعلوا أضعاف ما كان موجودًا من المظالم، والمنكرات، مما جعل المحاورة معهم، والمناظرة صعبة المنال؛ لقوة اعتقاداتهم الباطلة(3).

وبعض الولاة لجأ إلى إثارة البلبلة الفكرية بين صفوف الخوارج، معتمدًا على ثقافته الدينية، وذلك عندما أرسل المهلب بن أبي صفرة رجلاً على هيئة طالب علم، وطلب منه أن يطرح عدة أسئلة محددة، اختيرت بعناية فائقة ، فقال لهم :" أرأيتم إن خرج إليكم رجلان مهاجران ،

---

(1) الجاحظ: البيان والتبيين، 1/208.

(2) الجاحظ: البيان والتبيين ، 1/208.

(3) للمزيد من المعلومات حول فكر فرقة الخوارج ونشاطهم العسكري في العصر الأموي راجع : سليمان بن عبدالله السويكت : الخوارج في العصر الأموي ، رسالة ماجستير ، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، 1398هـ .

فمات أحدهما قبل أن يصل إليكم، وأتاكم الآخر فامتحنتموه، فلم يجز المحنة، فما تقولون في الميت ؟ فقال بعضهم: الذي مات مؤمن، وهذا كافر، حتى يجيز المحنة. وقال آخرون: هما كافران"[1] ، وهذه دلالة واضحة بأن الوالي أدرك أن الأسلوب الفكري أشد عليهم من الأسلوب العسكري؛ حيث قال :" الاختلاف أشد عليهم، وأسرع في هلاكهم، فلا تشغلوهم بالقتال عن الجدال"[2] .

وقد حاول بعض الولاة استمالة أبناء الفكر الخارجي عن طريق العلماء بالدعوة الصادقة للمنهج الصحيح، والدعوة بالتي هي أحسن، فكما مر بنا سابقًا في موقف والي اليمن عروة ابن محمد السعدي مع العالم الجليل وهب بن منبه، الذي تصدى لبعض أفكار الخوارج من خلال الحجة، والبرهان، واستطاع إعادة بعضهم إلى طريق الحق والصواب [3].

كما شارك العالم الجليل وهب بن منبه في تحذير الناس من مغبة الانضمام إلى فرقة الخوارج، وبين لهم مدى خطورة تسلطهم، لو حكموا الناس، فقال: "... ولو أمكن الله الخوارج من رأيهم لفسدت الأرض، وقطعت السبل، وقطع الحج من بيت الله الحرام،وإذًا لعاد أمر الإسلام جاهلية، حتى يعود الناس يستغيثون برؤوس الجبال، كما كانوا في الجاهلية،وإذًا لقام أكثر من عشرة أو عشرين رجلًا، ليس منهم رجل إلا وهو يدعو إلى نفسه بالخلافة، ومع كل رجل منهم أكثر من عشرة الآف يقاتل بعضهم بعضًا، ويشهد بعضهم على بعض بالكفر، حتى يصبح الرجل المؤمن خائفًا على نفسه، ودينه، ودمه، وأهله، وماله، لا يدري أين يسلك، أو مع من يكون... " [4].

وقد عمد بعض الولاة للتصدي للفكر الخارجي عن طريق الاستعانة ببعض العلماء الربانيين الذين شاركوا في نصح الخلفاء، والولاة، واتبعه كثير من الناس، كالحسن البصري الذي حاور مرداس بن أدية التميمي[5]، ومحاولة نهيه عن التمرد على سلطان بني أمية، فقد حاول أن يثنيه

---

(١) البلاذري : أنساب الأشراف ، ١٥/٣ .

(٢) البلاذري : أنساب الأشراف ، ١٥/٣ ؛ المبرد : الكامل في اللغة ، ١٤٧/١ .

(٣) سبق ذكر بعض الأمثلة في المبحث الرابع من الفصل الثالث.

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٨٣/٦٣.

(٥) مرداس بن حدير بن عامر بن عبيد بن كعب الربعي الحنظلي التميمي، ويكنى بأبي بلال، ويقال له: =

عن عزمه في الخروج على والي العراق عبيد الله بن زياد، وقد توسل إليه من خلال سؤال طرحه عليه، عسى أن يعدل عن رأيه، ويراجع نفسه، لكن أبا بلال عرف قصده، وخالفه، كما هو واضح من سؤاله لأبي بلال:" أخبرني عن رجلين خرجا في أمر، فغشيتهما ظلمة، فوقف أحدهما، حتى انجلت الظلمة، فمضى، وتقحم الآخر الظلمة، أيهما أصوب رأياً؟ قال: أصوبهما عندي أخطأهما عندك " [(١)].

وهذا الحوار يبين لنا مدى تعصب الخوارج لارائهم، ومعتقداتهم، دون بيان الحجة والدليل، فبمجرد أن الوالي يرتكب بعض الأخطاء، والمعاصي، يحق لهم الخروج على الوالي، ومقاتلته، والوقوف ضد من يرى رأيه، ويأتمر بأمره، فلم يستطع العلماء أن يثنوهم عن آرائهم الباطلة، إلا القليل من أتباعهم.

وفي محاولة أخرى، قام والي إفريقية حنظلة بن صفوان الكلبي بالاتصال برؤوس الخوارج، وأمرائهم لإقناعهم للرجوع إلى كتاب الله، وسنة نبيه ﷺ، والعمل على إنهاء الفتنة في ولايته، وذلك بعد أن أمره الخليفة هشام بن عبد الملك بقتالهم [(٢)].

فاتبع والي إفريقية طريقة حكيمة في التحاور مع الفكر الخارجي؛ حيث أعلن نزوله على حكم علماء إفريقية، الذين أسلم جّل أهالي إفريقية على أيديهم، فهم أعرف الناس بكتاب الله، وسنة نبيه ﷺ، وأوضح هؤلاء العلماء للوالي حنظلة، وللخوارج الطريق الذي يجب أن يسيروا عليه، فقبل حنظلة بذلك، وأرسل ما كتبه علماء إفريقية إلى زعماء الخوارج في طنجة، ولم تذكر كتب التاريخ ردًا من إمام الخوارج آنذاك خالد بن حميد الزناتي[(٣)].

مرداس بن أدية نسبة إلى أمه، وهو من أمراء الشراة، وأحد الخطباء الأبطال العباد، شهد معركة صفين مع الخليفة علي رضي الله عنه، وأنكر التحكيم، وشهد النهروان مع الخوارج، وتم سجنه في ولاية عبيد الله بن زياد في الكوفة، ثم أطلق سراحه، خرج مع رجاله إلى خراسان، فأرسل إليه ابن زياد عباد بن أخضر المازني فقتله. خليفة بن خياط : تاريخه، ١٩٦/١؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ١٤١/٢؛ ابن قتيبة: عيون الأخبار، ٩٦/١؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٢٣٢/٤؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ١٥٤/٢-١٤٦.

(١) البلاذري: أنساب الأشراف، ١٤٠/٢.

(٢) المالكي: رياض النفوس، ١٠٣/١.

(٣) ابن عبد الحكم: فتوح مصر ، ص٢٩٨؛ المالكي: رياض النفوس، ١٠٣/١.

وهذا يبين مدى حرص بعض الولاة بدعوة الخوارج، ومن تبعهم لتغليب نهج الحوار، والمناظرة، والاتعاظ من تكرار المآسي التي حصلت في المواجهات العسكرية المتكررة في كثير من الفترات في شتى الأقاليم الإسلامية.

كما أن الولاة الذين سلكوا النهج الحربي، والعسكري كان لهم مواقف توضح مدى خطورة مذهب الخوارج، وتحذر الناس منه، فهذا الوالي المهلب بن أبي صفرة قبل أحد معاركه يخاطب جموع المسلمين بقوله: "... يا أيها الناس؛ إنكم قد عرفتم مذهب هؤلاء الخوارج، وأنهم إن قدروا عليكم فتنوكم في دينكم، وسفكوا دماءكم، فقاتلوهم على ما قاتل عليه أولهم الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ ... "[1]، فيتبين لنا من خطبته أن المجتمع كان على دراية بمذهب الخوارج، وبمعتقداتهم الباطلة، ولعل العلماء في ذلك الزمان كان لهم الأثر البارز في بيان فكرهم، وضلالهم، بالإضافة إلى أن الوالي نفسه أصبح لديه خبرة كافية في الرد على شبهاتهم، لذا نراه يبيّن لجنوده أهمية قتالهم اقتداءً بالخليفة علي بن أبي طالب ﷺ.

ففي هذا السياق لابد أن نطرح تساؤلاً عن عدم وجود مثل حوار ابن عباس ﷺ مع الخوارج ، فقد استطاع إرجاع ما يقارب من ألفين من الخوارج[2]، ولعل ذلك يعود إلى عدة أسباب، من أهمها:

١. لعل سوء معاملة بعض الولاة للرعية، وظلمهم، أدى إلى الفجوة بينهم وبين العلماء، وقد تسبب ذلك في انعزال العلماء عن المشهد السياسي برمته.
٢. لا شك أن مكانة الصحابي الجليل ابن عباس ﷺ لدى الناس بما فيهم الخوارج، وقرابته من النبي ﷺ مؤثرة عن غيره من العلماء مهما بلغوا في العلم والمنزلة .
٣. قلما تجد من العلماء من يصل إلى مكانة ابن عباس في العلم والفقه والتأويل، وهو الذي قال فيه ﷺ: " اللهم فقه في الدين، وعلمه التأويل " [3].

---

(١) المبرد: الكامل في اللغة ، ٢٧٢/١.

(٢) يذكر ابن كثير في البداية والنهاية ٢٨١/٧ أن الذين رجعوا بعد مناظرة ابن عباس أربعة الآف.

(٣) البخاري : صحيح البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل ابن عباس ، رقم الحديث (٦٥٢٣) ، ١٩٥/١٦ . رواه من حديث ابن عباس دون قوله " وعلمه التأويل " وهو بهذه الزيادة عند أحمد وابن حبان والحاكم وقال صحيح الإسناد.

والذي يظهر أن بعض الخوارج وأمرائهم كانوا من رجال الدولة المقربين، كما شاركوا الولاة في مجالسهم، فكان بعض الخلفاء والولاة يقربونهم لزهدهم تارة، ولعبادتهم تارة أخرى، حتى إذا ما عابوا على الوالي في تعامله مع خاصته، أو رعيته، خرجوا وانضموا إلى الخوارج، أو أصبحوا أمراء، كونوا لهم أتباعًا، وتجلية لهذا الأمر، سأورد بعض الأمثلة التي تبين اندماج الخوارج في مجالس الخلفاء، والولاة؛ بل وتمكنهم من تولي بعض المناصب الإدارية.

فهذا عبد الله بن أباض التميمي(١) مؤسس المذهب الأباضي، كان أحد المقربين من الخليفة عبد الملك بن مروان، بل إن علاقته المتينة بالخليفة عبد الملك بن مروان، سمحت له بأن يقوم بدور المستشار للخليفة، فقد تميز بقوة الحجة، وتم اختياره للمرافعة عن الأباضية لما له من ملكة لسانية، فكان قوي المناظرة، بالإضافة إلى انتمائه لقبيلة بني تميم التي تولت الدفاع عنه، مما قد يلحقه به بنو أمية (٢).

ويتجلى موقف عبد الله بن أباض من الخوارج من خلال الرسالة التي بعثها إلى الخليفة عبد الملك بن مروان يعظه فيها، ويدعوه للاعتصام بكتاب الله، وسنة نبيه ﷺ حيث قال: " أنا براء إلى الله من ابن الأزرق، وأتباعه، لقد كان خرج إلى الإسلام فيما ظهر لنا، ولكنه ارتد، وكفر بعد إسلامه، فنبرأ إلى الله منهم "(٣)، ولم تتوقف المراسلة بينهما عند الاعتذار، والبراءة من بعض الفرق الضالة، بل غالبًا ما يعتمد على النصح، والتوجيه بالاعتصام بالله، وسنة نبيه ﷺ، والإحسان إلى الناس.

وفي رسالة أخرى بعث بها عبد الله بن أباض إلى الخليفة عبد الملك بن مروان، تبين مدى علاقتهما المتينة، يقول فيها بعد البسملة، والمقدمة: " جاءني كتابك مع سنان بن عاصم... "،

---

(١) عبد الله بن أباض من بني مرة بن عبيد بن مقاعس النميمي، وقد اختلف المؤرخون في سيرته، وتاريخ وفاته، والراجح أن وفاته كانت في حدود سنة ٨٦هـ عند بعض المؤرخين، وهو من ألين الخوارج قولاً، كتب له الزركلي ترجمة مستوفاه. راجع: الأعلام، ١٨٤/٤ وما بعدها.

(٢) الشماخي ، أبو العباس أحمد بن عثمان (ت ٩٢٨هـ) : سير المشايخ، ط١، الجزائر، د.ت ، ٧٧/١ ؛ الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق: إبراهيم طلابي، ط١، الجزائر، مطبعة البعث، ١٩٧٤م، ٢١٤/٢ .

(٣) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ١٧٧/١؛ الشماخي: سير المشايخ، ١٧٧/١.

ويذكر فيها أنه أدرك معاوية، ورأى عمله وسيرته [١]، وهذا يبين لنا مدى تغلغل بعض الخوارج داخل أركان الدولة الأموية.

أما لدى الولاة، فيعتبر عروة بن أدية التميمي[٢] من جلساء والي العراق عبيد الله بن زياد الذي خرج في رهان له، فلما جلس ينتظر الخيل، أقبل عليه عروة يعظه، وقال له قوله تعالى: ﴿أتبنون بكل ريعٍ آيةً تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين﴾[٣]، فتعجب ابن زياد من طريقة نصحه، ووعظه بهذه الطريقة، فعرف أنه من الخوارج، وسعى في طلبه، ثم قتله، وهذه هي السمة الغالبة على ولاة بني أمية في التعامل مع الخوارج، وذلك بملاحقتهم، والزج بهم في السجون، أو قتلهم.

كما كان سميرة بن الجعد الشيباني[٤] يسامر الحجاج بن يوسف الثقفي، ويحدثه، فلم يك يطلب شيئًا من الحديث إلا وجد عنده منه علًما، وهو أحد شعراءه المقربين منه، وكان يرى رأي الخوارج، فاستمر نديمًا للحجاج فترة طويلة، حتى أرسل له قطري بن الفجاءة وهو يحارب المهلب بن أبي صفرة قصيدة قال في مطلعها:

لشتَّان ما بين ابن جعد وبيننا ... إذا نحن رُحْنَا في الحديد المظاهر

نجاهد فُرسَانَ المهلّب كلنا ... نَثُور على وقع السيوف البَواتر

وفي ثنايا القصيدة طلب منه الرجوع والتوبة عن ما فعله بمجالسة الحجاج، والتكفير عن ذلك بالمشاركة في القتال ضد بني أمية بقوله:

فَراجِع أبا جعد ولاتك مُغْضِيًا ... على ظلمة أعشَتْ جميع النواظر

---

(١) تقع الرسالة في إحدى عشرة صفحة، أوردها أبو القاسم ابن إبراهيم البرادي في كتابه " الجواهر " المطبوع على الحجر بمصر، وهي في الصفحات ١٥٦ – ١٦٧، كما نقلها بعض مؤلفي السير، والجوابات لبعض أئمة الأباضية.

(٢) عروة بن حدير بن عامر بن عبيد بن كعب الربعي الحنظلي التميمي، وهو شاعر من شعراء الخوارج، شارك مع الخوارج في النهروان، وقيل: إنه أول من قال: " لا حكم إلا الله " يوم صفين، وسيفه أول ما سل من سيوف أباة التحكيم، قتله عبيد الله بن زياد في أواخر سنة ٥٨هـ. البلاذري: أنساب الأشراف، ٢١٧/٢؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٢٣١/٤؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ٩٨/١.

(٣) سورة الشعراء: آية رقم ١٢٨–١٣٠.

(٤) وقيل: سبرة بن الجعد الشيباني من شعراء الخوارج، وهو من أتباع قطري بن الفجاءة. ابن أعثم الكوفي: الفتوح، ٣٤/٧؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٣٦/٢.

ﺑﺘﻮﺑﺔ تهدي إليك شهادة فإنك ذو ذنب ولست بكافر

فلما قرأ كتابه بكى، وركب فرسه، وأخذ سلاحه، ولحق بقطري وطلبه الحجاج فلم يقدر عليه، ولم يشعر الحجاج إلا بكتاب يأتيه من قبل سميرة بن الجعد فيه قصيدة يخبره بما كان منه، ويتأسف على أيامه التي مضت بصحبة الحجاج، جاء في مطلعها:

فمن مبلغ الحجاج أن سميرة قلا كل دين غير دين الخوارج

رأى الناس إلا من رأى مثل رأيه ملاعين تراكين قصد المخارج

فطرح الحجاج هذا الكتاب إلى عنبسة بن سعيد[١]، فقال: هذا ا سميرنا الشيباني، وهو من الخوارج، ولا نعلم به [٢].

ونرى والي المدينة عثمان بن حيان المري يجالس أبا بيهس[٣]، ويسامره بعد هربه من الحجاج، ثم بعد ذلك أتته الأوامر بالظفر به، وحبسه، ثم معاقبته بقطع يديه ورجليه ، كما لم يتوان الوالي بقتله بسبب انتمائه للخوارج [٤].

كما اعتمد بعض الولاة على الخوارج، وذلك من خلال تمكينهم من بعض المناصب الإدارية في الدولة، فقد اعتمد والي العراق عبيد الله بن زياد على المنذر بن الجارود العبدي[٥] ؛

(١) عنبسة بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي، أخو عمرو الأشدق، يكنى بأبي خالد، وقيل: أبو أيوب، وهو من أهل المدينة، ولكنه انتقل، وسكن الشام، روى له البخاري ومسلم، ويعتبر أحد جلساء الحجاج بن يوسف الثقفي. البخاري: التاريخ الكبير، ٣٥/٧؛ المزي: تهذيب الكمال، ٤٣١/١٤؛ ابن أبي حاتم الرازي: الجرح والتعديل، ٣٩٨/٦.

(٢) المسعودي: مروج الذهب، ١٣٦/٣-١٣٧.

(٣) وهو الهيصم بن جابر من بني سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، ويعتبر أحد رؤوس فرق الخوارج، وهي فرقة البيهسية التي تنسب إليه ، طلبه الحجاج بن يوسف أيام الوليد بن عبدالملك، ولكنه هرب إلى المدينة . البلاذري : أنساب الأشراف ، ٤٩/٣ ؛ الشهرستاني : الملل والنحل ، ٣٩/٢ .

(٤) الشهرستاني : الملل والنحل ، ٣٩/٢ .

(٥) المنذر بن الجارود واسمه بشر بن عمرو بن حنيس العبدي، يكنى بأبي الأشعث، وهو أمير من السادة الأجواد، ولد في عهد النبي ﷺ، وشهد الجمل مع علي رضي الله عنه، وولاه على إمرة إصطخر، ثم بلغه عنه ما ساءه، فكتب إليه: " أما بعد، فإن صلاح أبيك غرني منك، وظننت أنك تتبع هديه، وتسلك سبيله، فإذا أنت فيما رقي إلي عنك لا تدع لهواك انقيادًا ... " توفي بالهند وذلك في عام٦١هـ وقيل: ٦٢هـ. أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ١١٧/١١؛ الحموي: معجم البلدان، ٤٠١/٣؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٥٦٢/١؛ ابن حجر: الإصابة، ١١٦/١.

حيث ولاه إمارة الهند، واستمر واليًا عليها حتى وفاته[1].

والملفت للنظر أن الوالي عبيد الله بن زياد كان من أشد الولاة بطشًا على الخوارج، فكان يقول: "ما عملت بعد كلمة الإخلاص عملاً هو أقرب إلى الله عندي من قتلي من قتلت من الخوارج " [2]، ولكنه في نفس الوقت يمكن بعضهم من المناصب الإدارية، ويقربهم في مجلسه، وهذا في الحقيقة ليس تناقضًا، ولكن لعله يعود للأسباب التالية:

١- لعل تأثير الترابط الاجتماعي كا سببًا في تحامل ابن زياد على المنذر بن الجارود بسبب زواجه من ابنته [3].

٢- ربما كان انتماء المنذر بن الجارود للخوارج متأخرًا، وذلك في ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي، حيث أوردت بعض المصادر التاريخية[4] مقتله كان في زمن الحجاج بن يوسف، وهو من أمر بقتله.

٣- أن الوالي عبيد الله بن زياد أراد بذلك إبعاده عن ولايته لكي لا تتأثر علاقته الاجتماعية، بالإضافة إلى كسب ولاء عشيرته، والزج به في ساحات الوغى، سواء أدى إلى انتصاره، فيظفر بالغنائم، واتساع رقعة الدولة، أو هزيمته وقتله في أحدى المعارك، وبذلك يكون قد ظفر في كلتا الحالتين.

كما تذكر بعض المصادر التاريخية[5] أن المنذر بن الجارود كان مقربًا من الوالي عبيد الله بن زياد إلى درجة أنه شفع في ابن مفرغ[6] الذي هجا زيادًا وبني زياد، حتى لم يجد من

---

(١) ابن سعد: الطبقات، ٥/٥٦١؛ خليفة بن خياط : تاريخه، ١/١٨٠؛ البلاذري: فتوح البلدان، ٣/٥٣٣؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ٧/٤٠٨.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٥/٥٢٣.

(٣) ويقال لها: بحرية. الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٤/٢٣٥؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٦٥/١٧٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٨/١٠٣.

(٤) الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٥/١٥٢؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق، ٦٠/٢٨٥.

(٥) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء، ٢/٦٩٠؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٤/٢٣٥؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٦/٣٤٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٨/١٠٣.

(٦) هو يزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرغ بن ذي العشيرة بن الحارث الحميري، يكنى بأبي عثمان، لقب جده بمفرغ لأنه راهن على سقاء من لبن يشربه كله، فشربه حتى فرغه، فسمي مفرغًا، اشتهر بشعره، وهجائه الوالي =

من يجيره حتى نزل على الأحنف بن قيس – الذي يضرب فيه المثل بالحلم – فقال: " إني لا أجير على ابن سمية وأغرك"، ومع ذلك لم يتوان المنذر بن الجارود في ذلك الوقت العصيب من إجارته، وهذا دليل على العلاقة الوثيقة بينه وبين الوالي عبيد الله بن زياد، حيث لم يتجرأ الأحنف بن قيس على إجارته نظًرا لمعرفته بالشدة التي يتصف بها الوالي ضد الخارجين عن الطاعة.

علًما أنه في تلك الفترة كانت البصرة خصوصًا، والعراق على وجه العموم، تعج بالخوارج، فلعل أن بعض التصرفات كانت خارجة من غير إرادة الولاة في تنصيبهم وتقريبهم، ويظهر ذلك من خلال مقولة الحجاج بن يوسف الثقفي لأصحابه: ": هذا سميرنا الشيباني، وهو من الخوارج، ولا نعلم به" [١].

وقد ذكرت بعض المصادر التاريخية أن يزيد بن أبي مسلم والي إفريقية يرى رأي الخوارج، ولكنه يكتم ذلك ، ففي ذات يوم كان جالًسا عند الحجاج، فأُتي بامراة من الخوارج، فكلمها الحجاج، فلم تنظر إليه ، فقال لها يزيد : ويلك الأمير يكلمك ، فقالت: بل الويل لك ياكافر الردى ، والردى عند الخوارج من هو يخفي الشيء ويظهر خلافه[٢] .

وقد تكون مواقف الولاة بالفكر الخارجي غير مباشرة، كظهور مذهب الخوارج بإفريقية على سبيل المثال، حيث انتقل بعض الدعاة لمذهب الخوارج عن طريق الجيوش الإسلامية كأبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري[٣]، كما أوردت بعض المصادر التاريخية[١] الإشارة إلى

عباد بن زياد بن أبيه بعدما صحبه، توفي سنة ٦٩هـ بالكوفة. البلاذري: أنساب الأشراف؛ ٣٧٤/٤؛ أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ٢٥٤/١٨؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٣٨/١٨؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان، ٣٤٤/٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٥٢٢/٣.

(١) المسعودي: مروج الذهب، ١٣٦/٣-١٣٧.

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٦١٧/٦؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان، ٣١١/٦؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ٤٨/١؛ النويري: نهاية الأرب، ٣٩٣/٢١.

(٣) عبد الاعلى بن السمح المعافري الحميري اليمني، وكنيته أبو الخطاب، وهو زعيم الأباضية في إفريقية. كان شجاعًا بطلاً، استولى أول أمره على طرابلس الغرب سنة ١٤٠ هـ، وحكم إفريقية كلها في بدء سنة ١٤١ هـ، فندب له الخليفة العباسي المنصور القائد محمد بن الأشعث الخزاعي فقتله سنة ١٤٤هـ. الزبيري: نسب قريش، ص٢٥٦-٢٥٧؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ١١٩/٢؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ٧٠/١-٧١.

تدفق الخوارج عن طريق جيوش الخلافة، بقولهم: " إنه كان من أولئك الخوارج أيضًا من كان مندسًا في صفوف جيش الخلافة الزاحفة إلى بلاد المغرب، ومنهم عكاشة بن أيوب الفزاري الذي كان ضمن جيش عبيد الله بن الحبحاب... " لذا كانت بعض المواقف خارجة عن إرادة الولاة إذا ما علمنا أنه لا يمكن للولاة التنبؤ بما يحمله أفراد الجيش من أفكار، لذا نرى بعض الولاة يحاسب الناس بالشك والظن.

كما تشير بعض المصادر التاريخية إلى اختلاف المواقف لبعض الولاة تجاه بعض أرباب الفكر الخارجي، وعلمائهم، فعلى سبيل المثال حظي عكرمة البربري — أدخل مذهب الخوارج إلى المغرب – الذي كان كثير الأسفار، بالنزول على الولاة، كبلال بن مرداس الفزاري، والي المدائن، حيث استمع إلى أحاديثه، وشيء من أخباره، وأجازه بثلاثة آلاف درهم، كما نزل على بعض الأمراء في خراسان، والشام، واليمن، ومصر، وإفريقية، فكانوا يهدونه ويقربونه[٢].

وفي المقابل هناك مواقف لبعض الولاة قد تثير الاستغراب، حيث نرى بعض ولاة بني أميه أيدوا الخوارج، وسلكوا طريقهم، ومما يزيد الأمر غرابة أنهم من البيت الأموي، فهذا عبدالله بن عمر بن عبد العزيز[٣]، بايع زعيم الخوارج الضحاك بن قيس الشيباني، وصلى خلفه، وصالحه، على أن بيد الضحاك ما كان غلب عليه من الكوفة، وسوادها، وبيد ابن عمر ما كان بيده من كسكر، وميسان، ودستميسان، وكور دجلة، والاهواز، وفارس [٤].

---

(١) الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، ١/١١٤؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٤/٢٢٣؛ النويري: نهاية الأرب، ٤/٦١؛ بوزيان الدراجي: دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس، ط١، الجزائر، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٧م، ص٢٣.

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ٥/٤٩؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٤١/٨١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٥/٢١؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ١/٤٤٣.

(٣) عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي، كنيته أبو سلمة، روى عن أبيه وعمه عبد العزيز، ولاه الخليفة يزيد بن الوليد بن عبد الملك — الناقص – على العراق، سجنه الخليفة مروان بن محمد ثم قتله في سنة ١٣١هـ. ابن سعد: الطبقات، ٦/٣٢٧؛ خليفة بن خياط : تاريخه، ١/١٠٩؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ١/٢٧٠؛ ابن حبان: الثقات، ٨/١٣٨؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٣/٤٦١.

(٤) الجاحظ: البيان والتبيين، ١/٣٤٣؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٩/٧٦؛ ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ٥/١٣٠.

والذي يتضح لنا أن الوالي عبد الله بن عمر لم يكن يؤيد الخوارج في عقيدتهم، وأفعالهم، وإنما أراد بذلك مصالحه في الجانب السياسي فحسب، ومما يدل على ذلك قوله للضحاك بن قيس لما حاصره في مدينة واسط: " إن مقامكم علي ليس بشيء، هذا مروان فسر إليه، فإن قاتلته فأنا معك "[1]، كما أنه قاتله قبل الصلح ستة أشهر، حتى أرسل الضحاك الضحاك إليه يستلطفه، ويطلب منه الدخول تحت إمرته، ويقره على عمله [2].

ويعلق فلهاوزن[3]، على ذلك بالقول: " لم يكن الانتقال في السياسة فقط، بل كان في الدين أيضًا "، غير أن الأحداث المتتالية فيما بعد تبين مدى بطلان كلامه، حيث كان الانتقال سياسيًا فحسب، لذا نرى أنه بعد انضمام الوالي عبد الله بن عمر أصبح العراق كله في قبضته.[4]

كما كان للوالي سليمان بن هشام بن عبد الملك[5] موقفًا مماثلاً لسابقه، فقد ورد أنه دخل دخل في طاعة الضحاك بن قيس، بل إنه سلم عليه بالخلافة، وبايعه، وصلى خلفه، وهو في نصيبين بعدد كبير من أهل بيته ومواليه، مما جعل بعض شعراء الخوارج يتغنى بأبيات، منها

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ١٥/٦.

(٢) خليفة بن خياط : تاريخه، ٣٠١/١؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٤٠٥/٢.

(٣) الدولة العربية، ص٣٠٩.

(٤) بعد أن تمكن الضحاك من السيطرة على أجزاء عديدة من العراق، وبموجب أوامره، تم تعيين عبد الله بن عمر الله بن عمر واليًا على العراق، وأصبح عدد جيشه منه عشرين ألف مقاتل، وجيش سليمان الذي كان عددهم يقدر بأربعة آلاف مقاتل هذا العدد كان سببًا في تقدمه ينظر: الأزدي، يزيد بن محمد بن إياس (٣٣٤هـ): تاريخ الموصل، تحقيق: علي حبيبة، ط١، القاهرة، ١٣٨٧هـ، ٦٨٩/١؛ سعدي أبو جيب: مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية، دار لسان العرب، بيروت، ١٩٧٢م، ص٤٤.

(٥) سليمان بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي، كنيته أبو أبو أيوب، وقيل أبو أيّاب، ويقال: أبو الغمر الأموي، نشأ في دمشق، وغزا أرض الروم في عهد أبيه، سجنه الخليفة الوليد ابن عبد الملك بعد موت أبيه، ولما قتل الوليد خرج من السجن، ولحق بيزيد بن الوليد، فولاه بعض حروبه، طمع بالخلافة، فقاتله مروان بن محمد فهزمه، وهرب إلى الضحاك بن قيس، ثم قتل الخليفة العباسي السفاح في أوائل سنة ١٣٢هـ بعدما أعطاه الأمان. ابن حبيب: المحبر، ٤٨٦/١؛ خليفة بن خياط : تاريخه، ١٠٥/١؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ٩٢/٣؛ المسعودي: مروج الذهب، ٤٥٣/١؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ١٤٤/٥.

قوله:

أَلَمْ تَر أنَّ اللهَ أظْهر دِينَ ه   َوَصلَّتْ قريشٌ خَلْفَ بكر بن وائلِ[1]

والواقع أن   شلعومثل هذا يمثل انعكاسًا لما يجري، إذ كان للولاة قدرًا، ومكانة لدى المجتمع، والحقيقة أنه لم تكن تبعية ولاة بني أمية كما صوره الخوارج في قصائدهم، وأشعارهم، بل يتضح من خلال الأحداث التاريخية أن هروب الوالي سليمان بن هشام بن عبد الملك من الخليفة مروان بن محمد بسبب دعوته لنفسه بالخلافة، ثم توجهه إلى الخوارج كقوة منافسة للخليفة يحتمي بها.

كما نراه يختلف مع الخوارج في سياستهم العسكرية؛ حيث قال لهم، وكان معهم في عسكرهم:" إن الذي تفعلون ليس برأي، وإن أخذتم برأيي، وإلا انصرفت عنكم، قالوا: فما الرأي، قال: إن أحدكم يظفر ثم يستقل فيقتل، فإني أرى أن ننصرف على حاميتنا حتى ننزل الموصل فنخندق... " [2]، وبالفعل ما كان من الخوارج إلا أن استجابوا لطلبه، فعلى أية حال يتبن لنا أن انضمام الوالي سليمان بن هشام للخوارج، لم يكن سوى مناورة سياسية ضد خصمه اللدود الخليفة مروان بن محمد .

كما لم تكن مواقف الولاة تجاه أصحاب الفكر الخارجي فحسب، بل تعدت ذلك إلى كل من يتصل بهم، ولو ً من أقاربهم، أو أصحابهم، فقد ورد أن الحجاج بن يوسف الثقفي قال لأحد إخوة قطري بن الفجاءة: لأقتلنك، فقال: لم ذلك؟ قال: لخروج أخيك، قال: فإن معي كتاب أمير المؤمنين أن لا تأخذني بذنب أخي، قال: هاته، قال: فمعي ما هو أوكد منه، قال: ما هو قال: كتاب الله عز وجل، حيث يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [3]، فعجب منه وخلى سبيله [4].

(١) الزبيري: نسب قريش، ١٦٨/١؛ خليفة بن خياط : تاريخه، ١٠٧/١؛ الجاحظ: البيان والتبين، ٥١٢/١؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ٢٣٠/٣؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ١٣٤/١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٤٦١/٢؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٤٠٥/٢.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ١٨/٦.

(٣) سورة فاطر: آية رقم ١٨.

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٩٥/٤.

ثانيًا / الشيعة:

تعريف الشيعة في اللغة:

شيعة الرجل بالكسر: أتباعه، وأنصاره، والفرقة على حدة، ويقع على الواحد، والمثنى، والجمع، والمذكر، والمؤنث[1]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ [2]، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، وكل من عاون إنساناً، وتحزب له، فهو له شيعة [3].

وفلان من شيعة فلان، أي: ممن يرى رأيه، وشيعت الرجل على الأمر تشييعًا، إذا أعنته عليه، وشايعت الرجل على الأمر مشايعة، وشياعًا إذا مالأته عليه [4].

وشيّعت النار تشييعًا إذا ألقيت عليها تُذَكِّيها، ويقال: شيعت فلانًا، أي: خرجت معه لأودعه، ويقال: شيعنا شهر رمضان بست من شوال، أي: أتبعناه بها، وتقول العرب: آتيك غدًا، أو شَيَعهُ أي: اليوم الذي يتبعه، والشيعة التي يتبع بعضهم بعضًا، والشيع الفرق الذي يتبع بعضهم بعضًا، وليس كلهم متفقين [5].

تعريف الشيعة اصطلاحًا:

كلمة شيعة اتخذت معنى اصطلاحيًا مستقلاً، حيث أطلقت على جماعة اعتقدوا أن الإمامة ليست من المصالح العامة التي ترجع إلى نظر الأمة، ويتعين لقائم بها بتعيينهم، بل إنها ركن الدين، وقاعدة الإسلام، ولا يجوز لنبي إغفالها، ولا تفويضها إلى الأمة، بل يجب عليه أن يعين الإمام للأمة [6].

ويذكر ابن حزم أن كلمة شيعة تطلق أحيانًا على كل من وافق الشيعة في أن عليًا رضي الله عنه

---

(١) الجوهري: الصحاح في اللغة، مادة شيع، ٣٧٦/١؛ الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مادة شاع، ٣٩٣/٢.

(٢) سورة الصافات: آية رقم ٨٣.

(٣) الزبيدي، محمد بن محمد المرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هـ): تاج العروس وجواهر القاموس، تحقيق: إبراهيم الترزي وآخرون، ط٣، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٤٠٤هـ ، مادة شاع، ٤٠٥/٨.

(٤) ابن دريد، محمد بن الحسن (ت٣٢١هـ): جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط١، بيروت، دار العلم للملايين، ١٤٠٨هـ، ٦٣/٣.

(٥) الأزهري، محمد بن أحمد (ت٣٧٠هـ): تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون وآخرون، ط١، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٣٨٧هـ، مادة شاع، ٦١/٣.

(٦) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص١٩٦، ١٩٧.

أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ، وأحقهم بالإمامة، وولده من بعده، فهو شيعي، وإن خالفهم فيما عدا ذلك فليس شيعيًا [1].

وجاء في التاريخ أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال لبسر بن أرطأة حين وجهه إلى اليمن: "امض حتى تأتي صنعاء، فإن لنا بها شيعة" [2]؛ فإذن لم يظهر مصطلح الشيعة دلالة على أتباع علّي فحسب حتى ذلك الوقت، والتخصيص لمفهوم التشيع بمن يتولى عليًّا، وأهل بيته لا يحدد في واقع الأمر فرقة الشيعة بذاتها، لأن أهل السنة يتولون عليًا، وأهل بيته.

وقد حفلت كتب المقالات والفرق بذكر فرق الشيعة وطوائفهم، فبعد وفاة كل إمام من الأئمة عند الشيعة تظهر فرق جديدة، وكل طائفة تذهب في تعيين الإمام مذهبًا خاصًا بها، وتنفرد ببعض العقائد والآراء عن الطوائف الأخرى، وتدعي أنها هي الطائفة المحقة [3].

فيجب علينا أن نتعامل مع فكر التشيع تعاملاً مرحليًا، أي ملائمًا للظرف الزمني، وبناء عليه فالتشيع لم يكن ذا صبغة واحدة، وإن اتفق في اللفظ، فقد كان هناك تفاوت في التفكير، فالتشيع في البداية يمثل التفاف جماعة حول الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه التفافًا عاطفيًا لمنزلته من الرسول ﷺ، بعد ذلك نلمح جماعة لا تنقصها الكثرة، ولكن يعوزها الإخلاص أثناء خلافة علي رضي الله عنه، ثم حالة سكون في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، أعقبها اتجاه عقدي بعد مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه، ثم أبرزوا آراء المذهب ونضوجه فيما بعد، مع ملاحظة أن محور البحث هنا هو الإشارة إلى مواقف ولاة بني أمية من فكر التشيع، ولا يعنينا بحث التطور

---

(1) الفصل في الملل، ٢/١٠٧.

(2) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ٢/١٩٧.

(3) وهذا الاختلاف والتفرق كان محل شكوى وتذمر من الشيعة نفسها، قال أحد الشيعة لإمامه: "جعلني الله فداك، ما هذا الاختلاف الذي بين شيعتكم؟ فقال: وأي الاختلاف؟ فقال: إني لأجلس في حلقهم بالكوفة، فأكاد أشك في اختلافهم في حديثهم. . فقال: أبو عبد الله أجل هو كما ذكرت أن الناس أولعوا بالكذب علينا، وإني أحدث أحدهم بالحديث، فلا يخرج من عندي، حتى يتأوله على غير تأويله، وذلك أنهم لا يطلبون بحديثنا وبحبنا ما عند الله، وإنما يطلبون الدنيا، وكل يحب أن يدعى رأسًا". المسعودي: مروج الذهب: ٣/٢٢١؛ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ): رجال الكشي، تحقيق: جواد أبو الفرج الأصفهاني، ط١، إيران، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٢٧هـ، ص١٣٥-١٣٦؛ الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر (٦٠٦هـ): اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تحقيق: علي سامي، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م، ص٨٥.

العقدي للشيعة والفِرق الشيعية.

وقبل الحديث عن مواقف ولاة بني أمية من فكر الشيعة، لابد من الإشارة إلى أن خلفاء بني أمية ساهموا في تقريب شيعة علي، وكسبهم وخاصة الزعماء منهم، كما سلكوا سياسة اللين معهم، أما من التجأ منهم إلى الغلو في التشيع، وحمل السلاح، وشق عصا الطاعة، فقد سلكوا معهم سياسة الشدة والعنف.

وأما ما ذكرته بعض المصادر التاريخية[1] بأن خلفاء بني أمية حملوا الناس على سب الخليفة علي ابن أبي طالب ، ولعنه فوق منابر المساجد، فهذه الدعوة لا أساس لها من الصحة، فلم تثبت برواية صحيحة، كما أنها لا تتفق مع منطق الحوادث، ولا طبيعة المتخاصمين، فإذا رجعنا إلى الكتب التاريخية المعاصرة لبني أمية؛ فإننا لا نجد فيها ذكرًا لشيء من ذلك، وإنما نجده في كتب المتأخرين[2].

أما بالنسبة لولاة بني أمية، فلم يسلموا كذلك من التهمة بشتم الخليفة علي بن أبي طالب على المنابر قبل خلافة عمر بن عبد العزيز، حيث ورد عن لوط بن يحي قال: " كان الولاة من بني أمية قبل عمر بن عبد العزيز يشتمون رجلاً ، فلما ولي هو- عمر بن عبد العزيز - أمسك عن ذلك "، وهذا الأثر لا يصح؛ فإسناده ضعيف [3].

كما وصف ولاة بني أمية بمواقفهم المتشددة تجاه الفكر الشيعي، ولو ألقينا نظرة على الولاة

---

(١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ٢٣٣/١؛ المسعودي: مروج الذهب، ٣٥٤/١؛ أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ٢٧٥/٣.

(٢) علًما بأن علماء الحديث، ونقاد الآثار والأخبار، لا يرضون عن اليعقوبي، والمسعودي، وأبو الفرج الأصفهاني، ولا عمن نحا نحوهم من الأخباريين، لا لشيء سوى أنهم تعرضوا لروايات باطلة، وعملوا على تشوية خلفاء بني أمية، كما أنه لم تتوافر فيهم الشروط اللازمة فيمن يتصدر لهذا الضرب من النقل، فهؤلاء العلماء يجرحون أمثال اليعقوبي، والمسعودي، وأبو الفرج الأصفهاني، ويحطون من أقدارهم؛ لأنهم أقدموا على تدوين الآثار ممزوجة ببعض الأساطير والدسائس.

(٣)إن هذا الأثر واهٍ ، فعلي بن محمد هو المدائني فيه ضعف، وشيخه لوط بن يحيى، واهٍ بمرة، قال عنه يحي بن معين: ليس بثقة، وقال أبو حاتم: متروك الحديث، وقال الدارقطني: أخباري ضعيف، ووصفه في الميزان: أخباري تالف لا يوثق به، وعامة روايته عن الضعفاء والهلكى والمجاهيل. ابن سعد: الطبقات، ٣٩٣/٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٤٧/٥؛ ميزان الاعتدال، تحقيق: علي البجاوي، ط١، بيروت، دار المعرفة، ١٣٨٢هـ، ١٤٩/٣.

الذين اتصفوا بالشدة كزياد بن أبيه، وابنه عبيد الله، والحجاج بن يوسف، ويوسف بن عمر، وقرة بن شريك وعمر بن هبيرة، نجدهم جميعًا كانوا ولاة على العراق فقط، وكان العراق إقليمًا يموج بالفتن والفرق المخالفة، والطوائف المتنافرة، إذا جاءهم الوالي الرحيم استضعفوه، وثاروا ضده، وإذا جاءهم الوالي القوي هابوه، وأطاعوا له، وبذلك تهدأ الفتن والثورات.

ويبدو أن ممارسات بعض ولاة بني أمية المتشددة تجاه فكر التشيع آنذاك في العراق أدى إلى تعاطف بعض أبناء المجتمع، وانحيازهم إلى الحركات التي تخرج باسم أهل البيت، كحركة المختار بن عبيد الثقفي[1] وغيرها، كما انحازت بعض القيادات الأموية إلى صف الحركات الشيعية، كعامر بن واثلة الليثي[2]، أو الشعراء كالأخوص بن شداد الهمداني[3]، وغيرهم.

والذي يظهر أن مواقف ولاة بني أمية من فكر الشيعة لم يكن مقتصرًا على الأعمال العسكرية فحسب؛ بل إن بعض الولاة، أوكل أمرهم إلى الله، ما لم يشقوا عصا الطاعة، فعلى سبيل المثال نرى والي الكوفة المغيرة بن شعبة ﷺ في بداية الأمر، لم يقاتلهم، بل كان يحسن في الناس السيرة، ولم يفتش أهل الأهواء عن أهوائهم، وكان يؤتى ويقال له: "إن فلانًا يرى رأي الشيعة، وإن فلانًا يرى رأي الخوارج"، وكان يقول: " قضى الله ألا تزالون مختلفين، وسيحكم الله بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون "[4].

---

(١) المختار بن أبي عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف الثقفي، تابعي، يكنى بأبي إسحاق، كان أبوه من أجلة الصحابة، يُعد من أهل الفضل والخير، حتى قيل: إنه ادعى النبوة، كما ادعى أنه رسول محمد بن الحنفية في طلب دم الحسين ﷺ، قتله مصعب بن الزبير سنة ٧٧هـ بالكوفة. ابن سعد: الطبقات، ٤٧٣/٨؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ٣١٨/١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٥٣٨/٣.

(٢) عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو، الليثي الكناني القرشي، وكنيته أبو الطفيل: شاعر كنانة، وأحد فرسانها، ومن ذوي السيادة والإمارة، حمل الخليفة راية علي بن أبي طالب ﷺ، في بعض وقائعه، وعاش إلى أيام الخليفة معاوية ﷺ، وما بعدها، وكتب إليه معاوية يلاطفه، فوفد عليه إلى الشام، قيل: إنه آخر من مات من الصحابة. ابن سعد : الطبقات، ٤٥٧/٥؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ٢٤١/١؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٢٨٦/٢؛ ابن حجر: الإصابة، ٩١/٢.

(٣) الأخوص بن شداد الهمداني، شاعر من شيعة المختار بن أبي عبيد الثقفي بالكوفة، له رجز لدى خروجه لقتال رجل من أهل الشام، كان في جيش الخليفة مروان بن الحكم الذي سيره لقتال المختار. الآمدي: المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء، ٥٧/١.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٨٩/٦؛ ابن الجوزي: المنتظم، ١٤٠/٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ١١٣/٢.

فعلى أية حال لم يكن لولاة بني أمية موقفًا معاديًا من شيعة الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ إذا ما علمنا أن بعض الولاة، كان من ضمن أولئك الأنصار كزياد بن أبيه الذي تولى عدة ولايات في زمن علي بن أبي طالب ﷺ، والمنذر بن الجارود وغيرهم (١).

لذا نرى اعتماد بعض الولاة في العصر الأموي على الشيعة، والاستعانة بهم في تولي المناصب الإدارية، كشريك بن الأعور الحارثي(٢) الذي ولاه زياد بن عبيدالله إصطخر، وبعض أعمال فارس، كما اعتمدوا عليهم في جباية الخراج، وقبض الصدقات، فقد ورد أن والي اليمن محمد بن يوسف الثقفي جعل على الصدقات طاووس(٣)، وأصبح بعضهم قادة في الجيش، كمعقل بن قيس(٤)، وغير ذلك من المناصب الإدارية، أو القيادية في شؤون الدولة الأموية(٥).

ومن المواقف المؤثرة تجاه الفكر الشيعي ما قام به والي الكوفة المغيرة بن شعبة في بداية العصر الأموي؛ حيث ساهم في تعميق الهوّة بين الشيعة، والخوارج، ويتضح ذلك من خلال استعماله أنصار الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ لمحاربة الخوارج، فقال لقبيصة بن الدمون(٦):"الصق لي بشيعة علي، فأخرجهم مع معقل بن قيس، فإنه كان من رؤوس

---

(١) خليفة بن خياط : تاريخه، ص٢١٢؛ ابن قتيبة: المعارف، ص٣١٨؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ١٤٩/٦.

(٢) شريك بن الأعور – الحارث – بن عبد يغوث بن خلف بن سلمة المذحجي، وقد وفد على عمر بن الخطاب ﷺ، وكان من أصحاب علي ﷺ، شهد معه الجمل وصفين، ثم وفد على معاوية بن أبي سفيان ﷺ، مات بالكوفة أيام ابن زياد. ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ١٤٥/١؛ ابن حجر: تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، ١٣٦/١.

(٣) طاووس بن كيسان، الفقيه القدوة، عالم اليمن، يكنى بأبي عبد الرحمن، كان من أبناء الفرس الذين جهزهم كسرى لأخذ اليمن له، فقيل: هو مولى بحير بن ريسان الحميري، وقيل: بل ولاؤه لهمدان، قال عنه سفيان الثوري: كان يتشيع، توفي سنة ١٠٦هـ بمكة، وصلى عليه الخليفة هشام بن عبد الملك. ابن سعد: الطبقات، ٥٣٧/٥؛ البخاري: التاريخ الكبير، ٣٦٥/٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤٢/٥-٤٥.

(٤) معقل بن قيس الرياحي من بني رياح بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وهو من أهل الكوفة، أحد أمراء الصفوف يوم الجمل مع الخليفة ﷺ، وولي الشرطة في عهده، وفي عهد الخليفة معاوية ﷺ كان مع المغيرة بن شعبة في الكوفة، استشهد أثناء قتاله الخوارج سنة ٤٣هـ. خليفة بن خياط : تاريخه، ١٤٩/١؛ ابن حبيب: المحبر، ٣٧٣/١؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٦٧/٥٩.

(٥)البلاذري: فتوح البلدان، ٤٨٣/٢؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٣٤٩/٣؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ١٤٧/٢؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ٥٥٧/٢.

(٦) قبيصة بن الدمون بن عبيد بن مالك الصدفي الحضرمي، بايع النبي ﷺ هو وأخوه هميل بن الدمون، وأنزلهما =

أصحابه، فإذا بعثت بشيعته الذي كانوا يعرفون، فاجتمعوا جميعًا، استأنس بعضهم ببعض، وتناصحوا، وهم أشد استحلالاً لدماء هذه المارقة، وأجرأ عليهم من غيرهم، وقد قاتلوا قبل هذه المرة... "، وهكذا استطاع الوالي الأموي أن يجعل المواجهة الفكرية بين الشيعة والخوارج تتحول إلى مواجهة عسكرية، المستفيد الأول منها الدولة الأموية.

وفي موقف آخر تجاه فكر الشيعة، استطاع والي الكوفة المغيرة بن شعبة أن يستخدم معهم حكمته، وذكاءه، وذلك أنهم لم يخلدوا إلى الهدوء بشكل مستمر، فحدث أنه لما تولى المغيرة ابن شعبة الكوفة صعد المنبر يوم الجمعة ليخطب، فحصبه حجر بن عدي، وكان من شيعة علي رضي الله عنه في نفر من أصحابه، فنزل مسرعًا من المنبر ودخل قصر الإمارة وبعث إلى حجر بخمسة آلاف درهم ترضّاه بها، فقيل للمغيرة: لِمَ فعلت هذا، وفيه عليك وهْن وغضاضة؟ فقال: قد قتلته بها " [1]، فأصبحت الشيعة في أثناء ولايته يلتزمون الهدوء والسكون، ولا تتعدى نشاطاتهم من القول إلى الفعل في تلك المدة، كما لم تكن سياسة اللين والرفق التي اتبعها المغيرة بن شعبة أثناء ولايته على الكوفة تصلح في جميع المواضع، فكان ليّنا في المواضع التي يصلحها اللين، ويشتد في المواضع التي تصلحها الشدة.

ولم ينجح الوالي زياد بن أبيه في تهدئة الأوضاع بالكوفة كالمغيرة بن شعبة؛ حيث تكرر موقف حجر بن عدي تجاه ابن زياد الذي قام بدوره بتوجيه اللوم إلى حجر، ومن شايعه، وإقامة الشهود عليهم، وإرسالهم إلى الخليفة معاوية رضي الله عنه، ونصح الخليفة أن تقتل الفتنة في مهدها، فقتل بعضهم، وأطلق البعض الآخر، وكان حجر من الذين قتلوا [2].

ولعل حالة عدم الاستقرار السياسي أعطت زخمًا كبيرًا للاتجاهات الفكرية، فبرزت الخطابة، والشعر وغيرها، وقد استثمرت الشيعة تلك الاتجاهات الفكرية في التنظير لمبادئها الدينية والسياسية، وتوضيح مواقفها من الخلافة الأموية، وفي الطرف الآخر شارك ولاة بني أمية تلك الحملات الفكرية بما يوازيها، وقد اختلفت مواقف الولاة في شتى الأقاليم، وذلك بحسب ما

رسول الله ﷺ الطائف، فهم في ثقيف. ابن الأثير: أسد الغابة، ٤٠٣/٢؛ ابن حجر: الإصابة، ٣١٢/٥.

(١) الدينوري: الأخبار الطوال، ص٣٢٩.

(٢) خليفة بن خياط : تاريخه، ١٦٠/١؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ١٦٥/٢؛ الدينوري: الأخبار الطوال، ص٢٣٩-٣٣٠؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٢٠٨/٤.

يمتلكونه من آثار دينية وثقافية.

ومما لاشك فيه أن الخطابة لدى أنصار الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ آنذاك كان لها دور مؤثر في كسب تعاطف الناس، فبرز منهم العديد من الخطباء، كالحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ، وأم كلثوم بنت علي بن أبي طالب ﷺ، وسليمان بن صرد الخزاعي[1]، والمختار الثقفي، والمسيب بن نجيه الفزاري[2]، وغيرهم، وقد تضمنت خطبهم العديد من القضايا السياسية، بالإضافة إلى ألوان من اللوم والتقريع للمتقاعسين عن نصرة آل البيت، لذا فقد رسمت مسار نشاطهم السياسي والعقدي.

ولم تقف الأمور عند هذا الحد، بل طلب بعض الخطباء أقرانهم بالنهوض والتحريض، فهذا عدي بن حاتم[3] يقول في خطبته: " أنا ابن حاتم، سبحان الله! ما أقبح هذا المقام! لا تجيبون إمامكم، وابن بنت نبيكم! أين خطباء مُضَر الذين ألسنتهم كالمخاريق في الدَّعة؟ ، فإذا جَدَّ الجِدُّ، فَرَوَّاغُون كالثعالب، أما تخافون مقت الله! ولا عَيْبَها وعارها! " [4]، وهكذا استغل الشيعة قرابة رسول الله ﷺ كنوع من الضغط على الناس من أجل الانضمام إلى صفوفهم.

أما بالنسبة لمواقف ولاة بني أمية من ذلك، فقد ساعدت الخلفية العلمية لبعض الولاة في

---

(١) سليمان بن صرد بن الجون بن أبي الجون الخزاعي، يكنى بأبي المطرف، يقال: كان اسمه يسار، فغيره النبي صلى الله عليه وسلم، شهد الجمل وصفين مع الخليفة علي ﷺ، وسكن الكوفة، وكان ممن كاتب الحسين، ثم تخلف عنه، ثم تزعم حركة التوابين، وخرج لمقاتلة عبيد الله بن زياد، فقتل في موضع يقال له: عين الوردة، وذلك سنة ٦٥هـ. ابن سعد: الطبقات، ٢٩٢/٤؛ ابن حبيب: المحبر، ص٢٩١؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٥٨٣/٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٣٩٤/٣؛ ابن حجر: الإصابة، ٧٥/٢.

(٢) هو المسيب بن نجية بن ربيعة بن رباح الفزاري، تابعي ثقة، وكان رأس قومه، شهد القادسية، وفتوح العراق، وشهد مع الخليفة علي ﷺ مشاهده كلها، سكن الكوفة، وثار مع التوابين، فقتل. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ١٧٥/٤-١٨١.

(٣) عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي، وكنيته أبو طريف، وفد على رسول الله ﷺ فأكرمه، ثم قدم على الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ بصدقات قومه في حين الردة؛ ومنع قومه وطائفة معهم من الردة بثبوته على الإسلام، شارك مع الخليفة علي ﷺ بموقعة الجمل وصفين، سكن الكوفة وبها توفي سنة ٦٧هـ. ابن سعد : الطبقات،٢٢/٦؛ ابن حبيب: المحبر، ص١٢٦؛ البخاري: التاريخ الكبير، ٤٣/٧؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢٣٤/١١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٦٢/٣،.

(٤) أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبين، تحقيق: أحمد صقر، ط٤، بيروت، دار المعرفة، ٢٠٠٦م، ١٦/١.

كيفية التعامل في مثل تلك المواقف الصعبة، فعلى سبيل المثال، نرى المغيرة بن شعبة والي الكوفة كان يداري الشيعة، ويستميلهم إليه، فقد واجه دعاة الفكر الشيعي بسياسة التعامل معهم باللين، والتحاور من أجل أن يعم الأمن والاستقرار في ولايته، ومن ذلك مخاطبته لصعصعة بن صوحان[1] لما طلب منه أن يأمره لقتال الخوارج، فرفض المغيرة طلبه، وقال له:"فإنما أنت خطيب " [2].

وفي حوار آخر يبين مدى سياسة المغيرة، وتعامله مع أرباب الفكر الشيعي آنذاك، حيث دعا خطيبهم صعصعة بن صوحان وقال له: " إياك أن يبلغني عنك أنك تعيب عثمانﷺ عند أحد من الناس، وإياك أن يبلغني عنك أنك تظهر شيئا من فضل عليﷺ علانية؛ فإنك لست بذاكر من فضل عليﷺ شيئاً أجهله، بل أنا أعلم بذلك، ولكن هذا السلطان قد ظهر، وقد أخذنا بإظهار عيبه للناس فنحن ندع كثيرًا مما أمرنا به، ونذكر الشيء الذي لا نجد منه بدًا ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقية، فإن كنت ذاكرًا فضله، فاذكره بينك وبين أصحابك، وفي منازلكم سرًا، وأما علانية في المسجد؛ فإن هذا لا يحتمله الخليفة لنا، ولا يعذرنا فيه، فكان يقول له: نعم أفعل "[3]، ولو سلمنا بصحة الرواية؛ لوجدنا أن المغيرة بن شعبة استطاع بحنكته وخبرته أن يتعامل بسياسة بالغة مع أحد منابر الشيعة،ويجعله عونًا له في إدارة شؤون الولاية، لا في إثارة الفتن والقلاقل، حيث شارك صعصعة بن صوحان في خطبه فيما بعد بإثارة الناس للخروج لمحاربة الخوارج والسعي على القضاء عليهم.

وأما بعض الولاة،فكان خطيبًا مفوهًا، كزياد بن أبيه، وقد استغل تلك الصفة بالتهديد والوعيد لمن يشق عصا الطاعة، فقال: "...فلا يكونن لسان أحدكم شفرة تجري على أوداجه،

---

(١) صعصعة بن صوحان بن حجر بن الحارث بن الهجرس العبدي، كنيته أبو طلحة، وقيل: أبو عمر، من أهل الكوفة، ويعتبر أحد خطباء العرب، حمل الراية يوم الجمل مع الخليفة علي ﷺ، ثم وفد على الخليفة معاوية ﷺ. ابن سعد: الطبقات، ٢٢١/٦؛ البخاري: التاريخ الكبير، ٣١٩/٤؛ المسعودي: مروج الذهب، ٢٢٨/٣؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٥٣/٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ٥٢٨/٣-٥٣٢؛ ابن حجر: الإصابة، ٢٠٠/٢.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ١٦٧/٣؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ١١٦/٢.

(٣) الرواية باطلة فهي عن أبي مخنف وهو مدلس. الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ١٦٧/٣.

وليعلم إذا خلا بنفسه أني قد حملت سيفي بيدي؛ فإن أشهره لم أغمده... "[1]فغالبًا ما كان موقفه من فكر الفرق، وخاصة الشيعة مؤثرًا، وذلك بإلقاء الخطب على هذا النهج الذي يؤثر فيه الأحداث السياسية، مما يجعله يلتجئ دومًا إلى التهديد، أو الإغراء.

كما نهج والي الكوفة النعمان بن بشير الأنصاري الأسلوب نفسه في خطبته فقال: " أما بعد، فاتقوا الله عباد الله، ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة، فإن فيهما يهلك الرجال، وتسفك الدماء، وتغصب الأموال، إني لا أقاتل من لم يقاتلني، ولا أثب على من لا يثب علي، ولا أشاتمكم، ولا أتحرش بكم، ولا آخذ بالقرفة، ولا الظنة، ولا التهمة، ولكنكم إن أبديتم صفحتكم لي، ونكثتم بيعتكم، وخالفتم إمامكم، فوالله الذي لا إله غيره، لأضربنكم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولو لم يكن لي منكم ناصر، أما إني أرجو أن يكون من يعرف الحق منكم أكثر ممن يرديه الباطل " [2]، وهذه دلالة واضحة أن بعض ولاة بني أمية استطاعوا أن يواجهوا الأفكار التي يبثها دعاة الشيعةسواءً على المنابر، أو في المجالس العامة، وذلك من خلال التسلح بالثقافة الدينية، والقيادة السياسية الفذّة.

والذي يظهر أن معاملة بعض ولاة بني أمية تجاه الفكر الشيعي تختلف اختلافًا كثيرًا عن معاملتهم لفكر الخوارج من ناحية الحوار والمناظرة، فقد يكون ذلك إيمانًا منهم بصحة اعتقادهم الفكري – حبهم للخليفة علي ﷺ – في بداية الأمر من ناحية، ومن ناحية أخرى بطلان اعتقاد الخوارج بتكفير، وقتال المسلمين، وأئمتهم.

ويتضح ذلك من خلال عدم لجوء الخلفاء الأمويين، وولاتهم إلى محاسبة من يتصف بانتمائه للفكر الشيعي، سواء عن طريق السجن، أو القتل ما لم يشق عصا الطاعة، ويحمل السلاح في وجه الدولة، لذا نجد بعض منابر الفكر الشيعي آنذاك كالشاعر كثير عزة[3] الذي

---

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ٨١٧/٤.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٢٦٤/٤.

(٣) كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الملحي الخزاعي المدني، يكنى بأبي صخر، يعتبر من فحول الشعراء، =

يتغنى كثير ً ا بآل البيت، ويعتبر شاعر الشيعة آنذاك، حيث أنشد العديد من الأبيات التي اعتبرها الشيعة من عقائدهم فيما بعد، وهو من أطلق على محمد بن الحنفية[1] لقب المهدي، ومن ذلك قوله:

إن الأئمةَ من قُريشٍ ... ة الحق أربعةٌ سواء

والثَّلاثَةُ مِنْ بنيه ... هُم الأسباطُ لَيس بِهم خفاء

فَسبط سِبْطُ إيمان وبر ... سبط غيبته كربلاء

وسْبط لا تراه العينُ حتى ... يقود الخيَل يقْدُمها اللواء [2]

ومع هذا كله، أصبح فيما بعد شاعر بني أمية؛ حيث قربه الخلفاء، وأستأنس به الولاة، وأكرموا وفادته، فقال أبياتاً يمدح بها الخلفاء والولاة، نالت إعجابهم، ومن ذلك قوله:

أَبوكَ الذي لما أتى مَرج راهطٍ ... وقد أَلّبوا للشّر فيَمْن تألّبا

تشنأَ للأعداءِ حتى إذا انتهوا ... لى أمرهِ طوعًا وكرهًا تحبّبا[3]

ولم يكتف الولاة بالمديح فحسب، بل حاولوا جاهدين الاستفادة من وجود الشعراء في مجالسهم لإثراء الحياة الفكرية، واستغلال تباعد وجهات النظر بين الشعراء، مما ساعد في

الشعراء، وهو شاعر أهل الحجاز في الإسلام، لا يقدمون عليه أحدًا، كان يتشيع، ويظهر الميل إلى آل رسول الله ﷺ، تتيم بعزة، وشبب بها، فلقب بكثير عزة، توفي سنة ١٠٥هـ في ولاية يزيد بن عبد الملك. المرزباني: معجم الشعراء، ٧٦/١؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ١٠٦/٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٥٢/٥.

(١) محمد بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي، أخو الحسن والحسين، يكنى بأبي القاسم وأبو عبد الله، أما أمه، فهي خولة بنت جعفر الحنفية من سبي اليمامة، وفد على الخليفة معاوية، والخليفة عبد الملك بن مروان، وكانت الشيعة في زمانه تتغالى فيه، وتدعي إمامته، ولقبوه بالمهدي، ويزعمون أنه لم يمت، توفي سنة ٨٠هـ، وقيل: ٨١هـ. ابن سعد: الطبقات، ٩١/٥؛ الزبيري: نسب قريش، ص٤١؛ البخاري: التاريخ الكبير، ١٨٢/١؛ البلخي: البدء والتاريخ، ٧٥/٥؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان، ١٦٩/٤؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٢٩٤/٣؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٣٥٤/٩.

(٢) قال هذه الأبيات بعد أن قال للشيعة إنه سمع من كعب أن محمد بن الحنفية هو المهدي. ابن قتيبة: عيون الاخبار، ١٤٤/٢؛ المسعودي: مروج الذهب، ١٠١/٢؛ أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ١٤/٩؛ الشهرستاني: الملل والنحل، ٢٠٠/١؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٢٩٥/٣.

(٣) المرزباني: معجم الشعراء، ٧٦/١؛ ابن العديم: بغية الطلب ، ٢٣٥/٤.

انتشار الآراء الفكرية، والمعتقدات الدينية بصورة أدبية يفهمها أبناء المجتمع.

وهناك بعض المواقف المتقاربة لبعض الولاة مع الخطباء والشعراء، وغيرهم من الأدباء، ورواد الفكر من الشيعة آنذاك، فعلى سبيل المثال لا الحصر، دخل الشاعر كثير على والي مصر عبد العزيز بن مروان يعوده في مرضه – وأهله يتمنون أن يضحك – فلما وقف عليه قال: " لولا أن سرورك لا يتم بأن تسلم وأسقم، لدعوت الله ربي أن يصرف ما بك إلي، ولكني أسأل الله تعالى لك العافية ولي في كنفك النعمة "، فضحك الوالي عبد العزيز بن مروان، فأنشد كثير:

ونعوُد سيِّدَنا وسيِّدَ غَيْرِنا ... بتَ التشكّي كان بالعوادِ

ان يُقْبَل فِدْيةٌ لَفَدَيْتُه ... صْطفي مِن طارِفي وتلادِي [1]

وكان إذا دخل على الوالي عبد العزيز بن مروان يقول: " طأطئ رأسك، لئلا يؤذيك السقف"، يمازحه بذلك؛ لأنه كان شديد القصر[2]، وغيرها من المواقف التي كان الولاة يفتحون مجالسهم للخطباء والشعراء، حتى ولو كانوا ممن يعارضونهم في أفكارهم ومعتقداتهم.

ولدينا من شواهد التاريخ ما يدل على مشاركة العلماء، والصحابة الأجلاء ﷺ في تقريب وجهات النظر بين الولاة ومعارضيهم من الشيعة، وذلك من خلال شفاعة ابن عمر ﷺ للمختار الثقفي عند ابن زياد لما قبض عليه، فتركه، ونفاه إلى الطائف [3]، وبغض النظر عن سبب شفاعة ابن عمر ﷺ للمختار؛ إلا أننا نلاحظ مدى حرص الصحابة ﷺ في الفصل بين الولاة ومعارضيهم بالتي هي أحسن.

وفي مشهد آخر كذلك، لم تتوان أم المؤمنين عائشة ﷺ في إرسال عبد الرحمن بن الحارث

---

(١) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ٥٩/٣؛ وكيع: أخبار القضاة، ٢٢٧/٣؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٢٨٢/٢؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق، ٣٥٦/٣٦ ؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ١١١/٤.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ٤٤٧/٢؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان، ١١٣/٤؛

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٥٤٤/٣.

المخزومي[١] إلى الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ في أمر حجر بن عدي و أصحابه، بعدما قبض عليهم ابن زياد، وشهد عليهم الشهود في خلع الطاعة [٢]، وغيرها من المواقف التي تبين مدى قبول المجتمع آنذاك بأفكار الشيعة التي تتمحور حول حب آل البيت، والانتصار لهم، بغض النظر عما كان يخفيه بعضهم من طلب السلطة، أو غير ذلك.

ولا يعني ذلك أن أحوال الشيعة ومفكريهم مع ولاة بني أمية، كانت على أحسن حال، بل إن من اتضح خطره على الدولة عوقب بالسجن، أو القتل، وبما أن العراق في تلك الفترة تموج بالفتن بوجه عام، والكوفة بوجه خاص، فقد كانت الموطن الأول للشيعة، لذا فقد تفاوتت المواقف لولاة بني أمية تجاه الفكر الشيعي بين القبول والتأييد بشرط أن لا يكون متعدياً على حقوق الدولة، وسياستها، وبين الرفض والتضييق بوجه عام[٣].

ويمكن أن نلاحظ ذلك من خلال تتابع الأحداث السياسية للولاة في الكوفة، واختلاف مواقفهم من أفكار الفرق، وخاصةً الشيعة، فالبعض أحسن المعاملة، وذلك باتباعه أسلوب الحكمة والروية والرفق في ولايته، فثبّت المدينة، وأقرَّ السلطان، فامتدحه أهلها، واستطاع أن يضمن الطاعة لخليفة المسلمين بأقل ما يمكن من الضحايا والدماء، وأما البعض الآخر من الولاة، فسلك سياسة البطش والقوة لكل من أراد أن يثير الفتن والقلاقل، وبغض الطرف عن أفكاره ومعتقداته.

فمن الواضح أنه لم يكن لدى ولاة بني أمية عداوة تجاه الفكر الشيعي في بداية الدولة

---

(١) عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، يكنى بأبي محمد، قيل: كان اسمه إبراهيم، فدخل على الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ في ولايته حين أراد أن يغير اسم من تسمى بأسماء أنبياء، فغير اسمه فسماه عبد الرحمن، يعتبر من أشراف قريش، سخيًا فاضلاً، شارك في نسخ الصحف، توفي سنة ٤٣هـ. ابن سعد: الطبقات، ٥/٥، ٦؛ البخاري: التاريخ الكبير، ٥/٢٧٢؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ٣/٣٤٨.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ٢/١٦٦– ٣/٣٤٨؛ ابن العديم: بغية الطلب ، ٢/٢٠٠؛ ابن كثير: البداية و النهاية، ٨/٥٤.

(٣) للمزيد حول ذلك راجع : حسين عطوان : الفرق الإسلامية ، ص١٣٠-١٤٢ .

الأموية، حيث كان عموم ولاة بني أمية يحبون آل البيت، ويجلونهم، ولكن بعدما بدأ الفكر الشيعي ينحى منحى آخر، وذلك بالخروج على الوالي، وشق عصا الطاعة، بدعوى الأخذ بثأر آل البيت، بالإضافة إلى الغلو في الفكر، وابتداع ما ليس في الإسلام، انتهج خلفاء بني أمية وولاتهم مجابهة الفكر بالتضييق، والسجن، كما أدى ببعض الولاة إلى المواجهة العسكرية مع الثورات الشيعية المتفرقة.

كما يلفت النظر ورود أسماء بعض الولاة، أو القادة مع فرقة الخوارج، ثم يتكرر مع الشيعة وغيرهم، وذلك بحسب أهوائهم، فعلى سبيل المثال كان المختار الثقفي خارجياً، ثم صار زبيرياً ثم صار رافضياً، وكان يضمر بغض علي رضي الله عنه، ويظهر منه أحياناً لضعف عقله[1]، كما تجد الأسرة الواحدة في تلك الفترة متعددة الأفكار والأهواء، فعلى سبيل المثال كان لأبي الجعد[2] ستة بنين: فاثنان شيعيان، واثنان مرجئان، واثنان خارجيان، فكان أبوهم يقول: " قد خالف الله بينكم"[3].

فعلى أية حال، لم تكن المواجهة الفكرية بين ولاة بني أمية وأصحاب الفكر الشيعي على نطاق واسع بل كانت محصورة غالباً في إقليم العراق، وخاصة في الكوفة، كما أن تعاطف بعض الولاة مع الشيعة أدى إلى قلة المواجهة بين الطرفين، ولعل ظهور بعض الفرق الأخرى، كذلك أدى إلى التفات الولاة لمواجهتها فكرياً، وغض الطرف عن الشيعة، ولو لفترات محدودة.

---

(١) الكتبي: فوات الوفيات، ١٢٣/٤.

(٢) واسمه رافع الأشجعي الغطفاني، ويعرف بكنيته أبي الجعد، سكن الكوفة، له رواية عن ابن مسعود، وهو أحد قراء الكوفة المشهورين. ابن حبان: الثقات، ٢٣٥/٤؛ ابن حجر: الإصابة، ٤٢١/٢.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ١٠٩/٥.

ثالثًا / الجهمية:

تُعد الجهمية إحدى الفرق الكلامية التي تنتسب إلى الإسلام، وهي ذات مفاهيم وآراء عقدية خاطئة في مفهوم الإيمان، وفي صفات الله تعالى، وأسمائه، فهم يقولون بخلق القرآن، كما أنهم غلوا في التعطيل، حتى نفوا الأسماء والصفات جميعًا،ولا يثبتون لله تعالى ذاتًا،ولا اسمًا، ولا صفة، وأن الجنة والنار تفنيان، وأن الإيمان هو المعرفة فقط، والكفر هو الجهل فقط، وأنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا لله وحده، وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على سبيل المجاز، وغير ذلك من عقائدهم، وآرائهم الباطلة [1].

وقد كان قدماؤهم يتحاشون عن التصريح بذلك، ويتسترون منه، لكن كان أئمة الحديث يتفرسون، فيهم فقالوا: "إِنَّمَا يُحَاوِلُونَ أَنْ يَقُولُوا لَيْسَ فِي السَّمَاءِ إله يعبد "[2]، فقامت أفكارهم على البدع الكلامية، والآراء المخالفة لحقيقة العقيدة السليمة، متأثرين بشتى الاتجاهات الفكرية الباطلة.

وترجع الجهمية في نسبتها إلى مؤسسها الجهم بن صفوان الراسبي [3]، حيث انتشرت معه أفكار الجهمية في بلاد خراسان، فبدأت من بلخ، وترمذ، وسمرقند ثم انتقلت بعدها إلى بعض الأقاليم كالعراق، والشام، والجزيرة العربية، ولكن غالبية أتباعها في بلاد خراسان والعراق،

---

(١) وملخص عقيدتهم أنهم كانوا ينكرون أسماء الله، وصفاته الواردة في الكتاب والسنة، للاستزادة حول ذلك راجع: البغدادي: الفرق بين الفرق، ١/١٩٩؛ الشهرستاني: الملل والنحل، ١/٨٦؛ ابن تيمية: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط١، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد، ١٤٢٦هـ، ١/٣٠-٣٥؛ ابن القيم: الصواعق المرسلة ، ٣/١٠٠؛ الجرجاني: التعريفات، ص٨٤.

(٢) الحكمي: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تحقيق: عمر بن محمود، ط١، الدمام، دار ابن القيم، ١٤١٠هـ، ١/٣٧٠.

(٣) هو الجهم بن صفوان الراسبي الترمذي، مولى لبني راسب من الأزد، يكنى بأبي محرز، عمل كاتبًا للحارث بن سريج التميمي – الذي أثار الفتن ضد الدولة الأموية في خراسان –، يقول بعض من أرّخه: لم يكن لجهم نفاذ في العلم، قتل سنة ١٢٨هـ. الشهرستاني : الملل والنحل، ١/٣٥٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ١٠/١٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٥/٤٣٣؛ الجرجاني: التعريفات، ص٨٤.

وبلغت ذروتها في العصر العباسي [1].

وقد حفلت كتب المقالات والفرق[2] بذكر فرق الجهمية التي انقسمت إلى اثنتي عشرة فرقة، كل فرقة اتخذت لنفسها مسلكًا فكريًا خاصًا بها، وتجلية لهذا الأمر سأتطرق إلى مواقف ولاة بني أمية من ذلك الفكر الذي كان له تأثير سلبي على الدولة الأموية، إذا ما علمنا أن ظهور هذه الفرقة كان في أواخر العصر الأموي.

وقبل الحديث عن مواقف بعض ولاة بني أمية تجاه أفكار الجهمية، وآرائهم الباطلة، لابد من إلقاء الضوء على بعض مواقف الخلفاء تجاه تلك الفرقة الضالة، فقد ورد أن الخليفة عمر بن عبد العزيز قد حذر من ظهور هذا الفكر وانتشاره بين الناس، فقد دخل عليه رجل ، فقال له: من أين أنت؟ فقال: من أهل بلخ، فقال: كم بينك وبين النهر؟ قال: كذا وكذا فرسخًا، فقال الخليفة عمر: هل ظهر من وراء النهر رجل يقال له جهم؟ قال: لا. قال: " سيظهر من وراء النهر رجل يقال له جهم، يهلك خلقًا من هذه الأمة، يدخلهم الله وإياه النار مع الداخلين"[3]، لكن يبدو على ظاهر هذه الرواية الوضع؛ لأن الخليفة عمر بن عبد العزيز توفي قبل خروج الجهم برصفوان بحوالي ثلاثين سنة تقريبًا، والغيب لا يعلمه إلا الله ﷻ.

كما أوردت المصادر إلى أن موقف خلفاء بني أمية من أفكار الجهمية، ومن زعيمها الجهم بن صفوان، قد قوبلت بالرفض والإنكار، ومعاقبة من ينتسب إلى تلك الفرقة الضالة

---

(١) ورد أن أغلب أتباعه من أهل البصرة من أصحاب عمرو بن عبيد، وأناس من أصحاب أبي حنيفة. الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٣٢٤هـ): الإبانة في أصول الديانة، تحقيق: فوقية حسين، ط١، القاهرة، دار الأنصار، ١٣٩٧هـ، ١٣/٢- ٨٦.

(٢) الأشعري: الإبانة، ٤٥/٢؛ البغدادي: الفرق بين الفرق، ١٩٩/١-٢٠٠؛ الشهرستاني: الملل والنحل، ٨٦/١؛ ابن تيمية: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ٣٠/١-٣٥؛ ابن القيم: الصواعق المرسلة ، ١٠٠/٣.

(٣) اللالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور (ت ٤١٨هـ): أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق: أحمد سعد حمدان، ط١، الرياض، دار طيبة، ١٤٠٢هـ، ٤٢٥/٣؛ ابن تيمية: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ، ٢٦٥/١.

بالقتل، أو السجن، أو النفي، فقد ذكر بعض الكتاب أنه قرأ في دواوين الخليفة هشام بن عبدالملك إلى عامله بخراسان – نصر بن سيار–: " أما بعد، فقد نجم قبلك رجل من الدهرية من الزنادقة، يقال له جهم بن صفوان، فإن أنت ظفرت به فاقتله، وإلا فادسس إليه من الرجال غيلة ليقتلوه"، لذا نستطيع القول بأن موقف الخليفة هشام بن عبدالملك كان مبينًا لسياسة الدولة تجاه المعتقدات الباطلة التي ظهرت في عهده، كالجهمية، والمعتزلة وغيرها[1].

ولم تكن مواقف الولاة بمنأى عن مواقف الخلفاء، إلا أنهم كانوا يشكلون الأداة الفعلية لسياسة الدولة من جهة، والقضاء على من يحارب الدين من جهة أخرى، فلا تعارض بينهما، والدليل على ذلك موقف والي خراسان نصر بن سيار من مؤسس الجهمية — الجهم بن صفوان — وكان قد خرج على الوالي مع الحارث بن سريج، فقرأ سيرته، ودعا إلى توليته، وحرض الناس في الخروج معه، فما كان من الوالي إلا أن قبض عليه، وقام بقتله، وذلك نظًرا لإثارته الفتن والقلاقل في ولايته [2].

وفي المقابل لابد من الإشارة إلى أن بعض رجالات الجهمية قد حظي بتولية بعض المناصب الإدارية في الدولة الأموية، فهذا والي خراسان يزيد بن المهلب يولي شاعر الجهمية ثابت بن قُطْنة[3] أحد أعمال خراسان [4] متغاضيًا عما يحمله من أفكار ومعتقدات.

---

(١) اللالكائي: أصول الاعتقاد، ٤٢٤/٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ١٩/١٠؛ ابن حجر: فتح الباري، ٣٤٦/١٣.

(٢) وقيل: إن نصر بن سيار كتب إلى صاحب شرطته سالم بن أحوز المازني بقتله. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ١٢٣/٥؛ ابن تيمية: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ٢٦٥/١؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ٥٧/٤.

(٣) هو ثابت بن كعب أخو بني أسد بن الحارث بن العتيك، يكنى بأبي العلاء، واشتهر بلقبه قطنة؛ لأن سهمًا أصابه في إحدى عينيه في بعض حروب الترك، فذهب بها، فكان يجعل عليها قُطْنة، وهو شاعر شجاع، من أصحاب يزيد بن المهلب. ابن قتيبة: عيون الأخبار، ٢٣١/١؛ ابن دريد: الاشتقاق، تحقيق: عبد السلام هارون، ط١، بيروت، دار الجيل، ١٤١١هـ، ص٤٨٣؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ٣١/٢؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان، ٣٠٨/٦؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ٤٨٤/٣.

(٤) لما ولي عملاً في خراسان صعد المنبر يوم الجمعة فرام الكلام وتعذر عليه وحصر، فقال: " سيجعل الله بعد عسر يسًرا وبعد عي بيانًا، وأنتم إلى أمير فعال أحوج منكن إلى أمير قوال ". ثم أنشد:

=

ولم تقف الأمور عند هذا الحد، بل شاركه في اتخاذ بعض القرارات السياسية الحاسمة، وقويت علاقته بالوالي، فكان يكتب إليه ويحرضه، ومن ذلك قوله:

بد كُنْ في الحَرْب إذ هيّجتَها ... كأبيك لا رَعِشا ولا رِعْديدا

شاوَرْت أكْرم من تناول ماجد ... فرأيتُ همَّك في الهموم بعيدا

فما كان من الوالي يزيد بن المهلب بعد أن قرأ كتابه إلا أن يقول: "إن ثابتاً لغافل عما نحن فيه، ولعمري لأطيعنه، وسيرى ما يكون، فاكتبوا إليه بذلك "(1)، وهذا يبين مدى قوة العلاقة بين شاعر الجهمية ثابت مع الوالي الأموي آنذاك، ولعل من أسباب قربه من الوالي كثرة أشعاره في مدح بيت المهلب، وأبنائه، وقبيلته الأزدية، بالإضافة إلى ما يتمتع به ثابت من كفاءة إدارية، وشجاعة في الحروب، لذا نراه يشارك يزيد بن المهلب في حروبه، ولم يكن هناك موقف من الوالي يزيد تجاه ما يعتقده الشاعر ثابت بن قطنة من أفكاره الضالة المنحرفة، بل جعله من ندمائه وجلسائه.

ولم يكن الوالي يزيد بن المهلب الوحيد الذي استعان بثابت بن قطنة في ولاية بعض الأعمال الإدارية في إقليم خراسان، بل ولاه أسد بن عبد الله القسري بعض الأعمال، كما اعتمد عليه أمية بن عبد الله القسري، فجعله على البريد، أما نصر بن سيار، فقام بملاطفته والإحسان إليه، فمدحه ثابت قائلاً:

ر منكَ أمراً قَد سَبَقتَ بِهِ ... ن كانَ قَبلَكَ يا نَصرُ بنَ سَيّارِ (2)

وكان الوالي نصر بن سيار خبيراً بخراسان، ومشكلاتها التي تهم العرب والأعاجم، إذ عاش

فَإِنْ لا أكُنْ فيكُم خطيباً فإنَّني ... بِسَيْفي إذا جَدَّ الْوَغَى لَخَطِيبُ

الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٣٨٦/٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٣٩٥/٢؛ الصفدي: الشعور بالعور، تحقيق: عبد الرزاق حسين، ط١، الأردن، دار عمار، ١٤٠٩هـ، ٥٨/١.

(1) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ٩٩/٤.

(2) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ١٢٤/٤؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ١٣١/٥.

بها أكثر عمره متنقلاً في المناصب الرسمية الإدارية والعسكرية، فبذل جهدًا كبيراً لإصلاح أوضاعها السيئة، ومن ضمنها ظهور فكر الجهمية الضال، فحينما قبض على الجهم قال له:"أنت الذي تزعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليمًا؟ "، فقال له الجهم: استبقني، فقال: " لو ملأت هذا الملاءة كواكب، وأنزلت إلي عيسى بن مريم، ما نجوت، والله لو كنت في بطني، لشققت بطني حتى أقتلك"(١)، لذا فقد تبين من هذا الحوار أن الوالي نصر بن سيار على دراية تامة بمحتويات الأفكار الباطلة التي يسعى لنشرها الجهم، كما أن مثل تلك الأقوال الباطلة لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يتنازل الوالي عن قائلها، دون إنزال أقصى العقوبة على من يتبناها، حيث قال: " والله لو كنت في بطني لشققت بطني حتى أقتلك" نكاية بأقواله، وبالإضافة إلى انتمائه السياسي إلى الحارث بن سريج، والخروج معه على محاربة الدولة الأموية.

وقد اختلفت مواقف بعض الولاة في خراسان(٢) من الجهمية المتمثلة في أرباب الفكر، كالعلماء، والشعراء، وأصحاب الشأن، فمثلاً نرى بعض الولاة يجعل من سياسة الدولة فقط طريقًا للتعامل مع الاتجاهات الفكرية المختلفة، دون النظر إلى ما يحمله بعضهم من عقائد وشبهات باطلة، أدت فيما بعد إلى التفرق الذي ألحق الضرر بحياة المسلمين وعقيدتهم، فعندما ولي سعيد بن عبد العزيز الأموي(٣) خراسان، جلس يعرض الناس،فرأى ثابتًا – شاعر الجهمية

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٢٦١/٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٢٧/١٠؛ ابن حجر: لسان الميزان، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط١، سوريا، مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٢٣هـ، ١٤٢/٢.

(٢) نظًرا لظهور الجهمية من إقليم خراسان، وكان ظهورها في وقت متأخر من الدولة الأموية، فتركزت أغلب مواقف الولاة في ذلك الإقليم، ثم انتشرت في باقي الأقاليم في عصر الدولة العباسية.

(٣) سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي، يلقب بسعيد خذينة، وذلك لأنه كان رجًلالينًا سهلاً متنعمًا، قدم خراسان على بختية معلقًا سكينًا في منطقته، فدخل عليه ملك أبغر، وسعيد متفضل في ثياب مصبغة، حوله مرافق مصبغة، فلما خرج من عنده، قالوا له: كيف رأيت الأمير؟ قال: " خذينية لمته سكينية "، فلقب (خذينة)، و خذينة هي: الدهقانة ربة البيت، ولي خراسان لمسلمة بن عبد الملك. خليفة بن خياط : تاريخه، =

- وكان تام السلاح جميل الهيئة، فسأل عنه، فقيل: هذا ثابت بن قطنة، وهو فارس شجاع، فأمضاه، وأجاز على اسمه، فلما انصرف، قال له رجل: هذا الذي يقول:

إِنَّا لضرابون فِي خمس الوغى أس الْخليَفة إِن أَ اَد صدودا

فقال الوالي سعيد: علي به! فلما أتاه، قال له: أنت القائل إنا لضرابون؟ قال: نعم، أنا القائل:

إِنَّا لضرابون فِي خمس الوغى أس المتوج إِن أَ اَد صدودا

َعن طاَعة الرَّحْمن أَو خلفائه أَو رام إفساًدا ولج عنودا

فقال له سعيد: " أولى لك، لولا أنك خرجت منها لضربت عنقك"[(1)]، ولعل استيقافه عن صحة الأبيات تبين مدى التزام الوالي بسياسة الدولة التي تسعى إلى عدم التعرض لسياسة الخلفاء، والتعريض بهم.

وقد التجأ بعض الولاة لمحاربة الفكر الضال من خلال حث العلماء على مواجهة تلك الأفكار الجهمية، وذلك بالتأصيل الشرعي، والتحذير من تلك الفرقة الضالة، وتجلية لهذا الأمر، سأورد بعض النماذج التي سعى فيها الولاة لمواجهة مثل تلك الأفكار، فقد وجه والي خراسان نصر بن سيار مؤسس الجهمية – الجهم بن صفوان – إلى بلخ لملاقاة المفسر مقاتل بن سليمان البلخي[(2)]، والسماع منه، ويعتبر الاثنان متضادين، فأحدهما، معطل والآخر

٩١/١؛ البلاذري: فتوح البلدان، ٥٢٤/٣؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٩٠/٤-٩١؛ ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ٤٨/١.

(١) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ٩٧/٤؛ عبدالقادر البغدادي، عبدالقادر بن عمر (ت١٠٩٣هـ): خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٤، مصر، مكتبة الخانجي، ١٤١٨هـ، ٤٤٥/٣؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ٤٨٤/٣.

(٢) كبير المفسرين مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، يكنى بأبي الحسن، صاحب التفسير المسمى (تفسير مقاتل)، أصله من بلخ، انتقل إلى البصرة، ودخل بغداد، وحدَّث بها، ولكنه متروك الحديث، قال عنه ابن المبارك: " ما أحسن تفسيره لو كان ثقة "، توفي سنة ١٥٠هـ. ابن سعد: الطبقات، ٣٧٣/٧؛ البخاري: التاريخ الصغير، ٢٢٧/٢؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٢٥٥/٥-٢٥٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٢٠١/٧.

مشبه، لذا فقد قال الإمام أبو حنيفة: " أتانا من المشرق رأيان: جهم معطل ومقاتل مشبه"[1]، فكان الوالي آنذاك مدركًا ما كان يصبو إليه من توجيه الجهم إلى مقاتل في بلخ، والصلاة في مسجده، ومحاورته، ومناظرته فيما يرى، حتى وقعت العصبية بينهما، فوضع كل منهما على الآخر كتابًا ينقض عليه، وقد استفاد من أتى بعدهما من العلماء في تأصيل تلك الأقوال، والرد على بعض من الشبهات، حتى نُفي بعد ذلك الجهم إلى ترمذ بأمر من الوالي، لكي لا تقع فتنة أكبر من مقولته، ومن المحتمل أن الوالي أراد أن يُشهَر بالجهم في بطلان مقولته لكي يحذر الناس من اتباعه، والاغترار بأقواله، وبما أن المفسر مقاتل مقرب من ولاة خراسان، فمن الممكن أن الجهم نُفي إلى ترمذ بإيعاز منه.

ولما سيطر الحارث بن سريج على شرق خراسان، وتحالف مع الأتراك، أوفد والي خراسان نصر بن سيار المفسر مقاتل بن سليمان لعرض الصلح عليه، وكان جهم بن صفوان يمثل الحارث بن سريج في هذه المفاوضات، ومعنى هذا أن مقاتلاً وجهًما التقيا مرة أخرى في حوار، ولكنه كان سياسيًا، فكان مقاتل يمثل أتباع الدولة الأموية، أما جهم، فكان يمثل من خرج عليها، من ذلك يمكن القول إن الوالي أراد أن يواجه الخارجين بالفكر بقدر المستطاع قبل اللجوء إلى المواجهة العسكرية التي غالبًا ما تكون الفيصل بين الدولة والخارجين عليها[2].

كل هذه المواقف لبعض ولاة بني أمية في خراسان تُفنِّد مقولة أن الدولة الأموية دعمت، وشجعت الأفكار الجهمية، كونها تقول بالجبر تبريًرا لهيمنتها، وذلك من خلال الترويج لهذا المذهب أو ذاك، وهي من الحجج الواهية إذا ما نظرنا إلى مواقفهم المتكررة تجاه أصحاب الملل، والفرق الضالة.

ومما لا شك فيه أن هؤلاء الجهمية، كانوا العقبة الكؤود في طريق العقيدة الصحيحة

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ٢٠٢/٧؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٢٢/٦٠.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٣١٠/٧ ؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ١٠/ ٢٦.

وانتشارها، حيث صرفوا علماء السلف عن نشرها بما وضعوا أمامهم من عراقيل، شغلتهم، وأخذت الحيز الأكبر من أوقاتهم في رد شبهات الجهمية، ومجادلاتهم لهم، وخصامهم معهم في عصر الدولة الأموية، وما بعدها.

وأحياناً يلقب المعتزلة بالجهمية، لا لأنهم وافقوا الجهمية في القدرة؛ بل لأنهم وافقوا الجهمية بنفي الصفات عن الله، وقولهم بخلق القرآن، ولكن المعتزلة نفوا هذه التسمية عنهم، فهذا بشر بن المعتمر[1] أحد رؤساء المعتزلة، وشاعرهم يتبرأ من الجهمية في أرجوزته فيقول:

ننفيهم عنا ولسنا منهم ولا هم منا ولا نرضاهم

إمامهم جهم وما لجهم وصحب عمرو ذي التقى والعلم[2]

لذا سأقوم بإفراد المعتزلة في المبحث القادم،مبيناً بذلك موقف ولاة بني أمية من أفكارهم التي لم تختلف عن سابقتها من حيث العقيدة وفروعها، كما أنها ظهرت متأخرة في أواخر العصر الأموي، مما يجعل العبء الأكبر على خلفاء الدولة العباسية، وولاتهم في مواجهة تلك الأفكار بشتى الطرق المتاحة آنذاك.

---

(١) بشر بن المعتمر الهلالي البغدادي، يكنى أبا سهل من كبار المعتزلة، وله تنسب إليه الطائفة (البشرية) منهم، له منهم، له مصنفات في الاعتزال، وكان راوية شاعراً نسابةً، له الأشعار في الاحتجاج للدين، توفي سنة٢١٠هـ ببغداد. أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ١٢٨/٣؛ ابن النديم: الفهرست، ص١٨٤؛ البغدادي: الفرق بين الفرق، ص١٥٦؛ الشهرستاني: الملل والنحل، ٦٤/١؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ١٥٥/١٠.

(٢) الخياط، عبد الرحيم بن محمد بن عثمان البلخي (ت ٣٠٠هـ): الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد، تحقيق: ينبرج، ط١، بيروت، دار الندوة الإسلامية، ١٩٨٨م، ص١٣٢.

رابعًا / المعتزلة:

الأعتزال لغة: من اعتزل الشيء، وتعزله، بمعنى تنحى عنه، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ﴾(1)، أراد: إن لم تؤمنوا بي فلا تكونوا علي، ولا معي، واعتزلت القوم، أي فارقتهم، وتنحيت عنهم (2).

أما اصطلاحًا:

اسم يطلق على أول مدرسة كلامية واسعة، ظهرت في الإسلام، وأوجدت الأصول العقلية للعقائد الإسلامية، فلاتختلف عقيدتهم عن الجهمية في المسائل العقدية، ولكن لسبق الجهمية في الظهور، أطلق العلماء اسم الجهمية على المعتزلة، وذلك لأن المعتزلة هم الذين أحيوا آراء الجهمية في مبدأ ظهورهم، حيث جاء المعتزلة ونفخوا في رمادهم، وصيروها جمرًا من جديد، ومن هنا استحق المعتزلة أن يطلق عليهم جهمية، فالجهمية أعم من المعتزلة، فكل معتزلي جهمي، وليس كل جهمي معتزلياً (3).

فتتمثل عقيدة المعتزلة بأنهم يثبتون لله تعالى الأسماء دون الصفات، ويجعلون الأسماء أعلامًا محضة، كما أنهم يقولون بالمنزلة بين المنزلتين، وبإنفاذ الوعيد، وخلود أهل التوحيد في النار، وأن النار لا يخرج منها من دخلها، ويقدسون العقل، ويجعلونه المصدر الأول للاعتقاد، ولهم ضلالات في نواح متعددة، واختلافات كثيرة في مسائل دقيقة من مسائل الصفات والعقائد لا يستدعي المقام الدخول في تفاصيلها (4).

---

(1) سورة الدخان: آيه رقم ٢١.

(2) ابن منظور: لسان العرب، مادة (عزل)، ٤٤٠/١؛ الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مادة (عزل)، ١٥/٤؛ الزبيدي: تاج العروس، ١٥/٨.

(3) ابن تيمية: منهاج السنة ٣٤٤/١.

(4) للاستزادة حول عقيدة المعتزلة راجع: الأشعري: الإبانة ، ١٩٦/١؛ البغدادي: الفرق بين الفرق، ٩٣/١؛ الشهرستاني: الملل والنحل، ٤٩/١.

وتشير المصادر[1] أن المعتزلة كان ظهورها أول ما ظهرت من مجلس الحسن البصري، في أواخر العصر الأموي، حيث كان زعيمها واصل بن عطاء[2] تلميذًا له، ثم اعتزل مجلسه بسبب بسبب رأيه في مرتكب الكبيرة، ففي ذات يوم كان الحسن البصري جالًسا في مجلسه، فدخل عليه رجل، وقال له: "يا إمام الدين، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم يخرج بها عن الملة، وهم وعيدية الخوارج، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان، بل العمل على مذهبهم ليس ركنا من الإيمان، ولا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم مرجئة الأمة، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاًدا؟ "، فبينما كان الحسن يفكر في الجواب، سبقه واصل فقال: " أنا أقول إن صاحب الكبيرة لا مؤمن مطلًقا، ولا كافر مطلًقا، بل هو في منزلة بين المنزلتين، لا مؤمن، ولا كافر "، ثم قام واعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد، يقرر مذهبه الجديد هذا على جماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن: " اعتزل عنا واصل " ، فُسمي هو وأصحابه معتزلة [3].

وأهم ما أود التنبيه عليه هو أن المعتزلة فرق كثيرة، حيث اختلفوا في المبادئ والتعاليم، ووصلوا إلى اثنتين وعشرين فرقة[4]، وتجلية لهذا الأمر سأتطرق إلى مواقف ولاة بني أمية من ذلك الفكر الذي كان له تأثير على بعض خلفاء بني أمية، الذين شاركوا المعتزلة في بعض أفكارهم، ونهجوا طريقهم.

---

(١) الأشعري: الإبانة ، ١٩٦/١-٢٠٠؛ البغدادي: الفرق بين الفرق، ٩٣/١-٩٥؛ الشهرستاني : الملل والنحل، والنحل، ٤٩/١-٥٣؛ ابن تيمية: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ١٠٠/٣.

(٢) هو واصل بن عطاء مولى بني ضبة، وقيل مولى بني مخزوم، ، وكنيته أبو حذيفة، ولقبه الغزال، لتردداه إلى سوق سوق الغزل ليتصدق على النسوة الفقيرات، كان بليغ ًا، يهجر الراء في خطبه؛ لأنه يلثغ فيها. توفي سنة ١٣١هـ. ابن النديم: الفهرست، ص ٢٥١؛ العسكري: االأوائل، ص ٢٩٨ -٣٠٠؛ الحموي: معجم الأدباء، ٢٤٣/١٩؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٧/٦ -١١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤٦٤/٥.

(٣) البغدادي: الفرق بين الفرق، ١٠٥/١؛ الشهرستاني: الملل والنحل، ٦١/١-٦٢.

(٤) البغدادي: الفرق بين الفرق، ١٠٤/١.

فرأس المعتزلة الجعد بن درهم كان مربيًا ومؤدبًا لآخر خلفاء الدولة الأموية مروان بن محمد، وقد التقى به مروان حينما كان واليًا على الجزيرة وحران، فأعجبته آراؤه، واستدعاه ليؤدبه، وقد تأثر به الخليفة مروان بن محمد علًما، بأنه قتل قبل توليه الخلافة، حيث تعتبر آراء الجعد بن درهم بمثابة اللبنة الأولى التي أفرزت فرقة المعتزلة، ولعل قتله يوم النحر أمام الملأ جعل ذلك امتدادًا للقول بمقولته وانتشارها في الآفاق، كما أن انشغال الخلفاء والولاة بالأحداث السياسية المتتالية في أواخر العصر الأموي، سهلت مهمة ظهور المعتزلة، وانتشار أفكارها في شتى الأقاليم الإسلامية، فقد قال شاعرهم:

له خلفَ شَعْب الصِّين في كل ثُغْرة	إلى سُوسها الأقصى وَخَلْف البرابرِ
رجالٌ دُعاة لا يُفُلُّ عزيمُهم	تهكُّم جَبّارٍ ولا كيدُ ماكرِ
إذا قال مُرُّوا في الشتَاء تطوَّعُوا	وإن كان صيفٌ لم يُخَفْ شهُر ناجرِ[1]

ولابد أن نشير إلى أن دعوة المعتزلة دعوة عقلية، تحمل معاني الفلسفة، وألفاظها، فهي بعيدة عن عقول العوام، وليس من السهل الاستجابة إليها في أوساطهم، وإن استجاب لها بعض الشعراء، أو الأدباء، أو الخلفاء؛ فإن ذلك لا يعني أنها كانت ذات انتشار واسع بين عوام الناس.

وفي موقف آخر، يتبين لنا مدى صلابة الخليفة هشام بن عبد الملك تجاه فرقة المعتزلة، ويتمثل ذلك من خلال موقفه من الجعد بن درهم، وذلك حينما شهد عليه ميمون بن

---

(١) وقد انتشرت المعتزلة في أرجاء الأقاليم الدولة الإسلامية إبان العصر الأموي، ثم العباسي، فقد أرسل واصل بن عطاء دعاته إلى كافة البلدان، فبعث عبد الله بن الحارث إلى المغرب، وحفص بن سالم إلى خراسان، والقاسم إلى اليمن، والحسن بن ذكوان إلى الكوفة، وعثمان الطويل – شيخ العلاف– إلى أرمينية، وقد كان لهؤلاء الدعاة بعض الأثر نتيجة هذا النشاط، حيث يقول أحد الدعاة: " ما كنا نرى أن لنا على أنفسنا ملكًا في حياة واصل حتى مات... كان يقول للواحد منا:أخرج إلى بلد كذا، فما يُراّه". الجاحظ: البيان والتبيين، ٧/١؛ ابن عبد الجبار، عبدالجبار الهمذاني (ت٤١٥هـ): المنية والأمل، جمعه: أحمد المرتضى، ط١، الأسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥م، ص٣٥.

مهران[1]، وجماعة معه بالكفر، فطلبه هشام، فهرب إلى حران، ثم إنه ظفر به، فحمل إلى هشام، فأخرجه من الشام إلى العراق، وكتب إلى خالد بن عبد الله القسري، وهو عامله على العراق بأن يقتله [2].

أما الخليفة عمر بن عبد العزيز، فكان موقفه تجاه فرقة المعتزلة مختلفًا عن باقي الخلفاء، وسيتضح ذلك في مناظرته مع القدرية، فكان موقفه عبارة عن توجيه، وإرشاد، فمن ذلك قوله عنهم:" إذا رأيت قومًا يتناجون في دينهم بشيء دون العامة، فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة"[3]، فكان رحمه الله يجادلهم بالكلمة الطيبة، وبالتأصيلات الشرعية من الكتاب والسنة، فغالبًا ما كان أعداؤه يتوقفون عن مناظرته لقوة حجته.

وبالنسبة لمواقف الولاة تجاه فرقة المعتزلة، فلم تكن لهم مواقف مؤثرة، وذلك لعدة أسباب من أهمها: أولاً: أن المعتزلة لم يكن لهم أي نشاط سياسي، واقتصرت قضيتهم على العقيدة، وأصولها.ثانيًا: أن الولاة في تلك الفترة منهمكون في تتبع الأحداث السياسية، من قلاقل، وفتن.ثالثًا: أن الولاة لم يكونوا ذا بصيرة وعلم، كما كانوا في الفترة المتقدمة من العصر الأموي، حيث كان الولاة في أواخر العصر الأموي ينصب كامل اهتمامهم بتثبيت الأمن، وملاحقة الخارجين على الدولة. رابعًا: اكتفى الولاة بتوجيه العلماء للرد على هذه الفرقة الضالة، واقتصرت مواقف الولاة تجاه رؤسائهم، ومن شهد عليه بالكفر – كما مر بنا سابقًا – في قتل الجعد بن درهم وغيره.

---

(١) هو أبو أيوب ميمون بن مهران الجزري الكوفي الأسدي بالولاء، من ثقات التابعين، وكان فقيهًا فاضلاً دينًا، ولد سنة ٤٠ هـ، سمع عبد الله بن عمر، وابن عباس، وأبا الدرداء، ولي الجزيرة لعمر بن عبد العزيز، ومات رحمه الله سنة ١١٧هـ وقيل بعدها. البخاري: التاريخ الكبير، ٣٣٨/٧؛ ابن حبان: الثقات، ٤١٨/٥؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣٣٦/٦١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٧١/٢.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ٤٣٠/٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٢٢٠/٩.

(٣) اللالكائي: أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ١٣٥/١؛ الأصبهاني: حلية الأولياء ، ٨٣٣/٥؛ ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبدالعزيز، ص٦٨.

بل إن بعض آراء الولاة وأقوالهم كانت سببًا في ظهور بعض الاختلافات في وجهات النظر، مما أدى إلى ظهور بعض الفرق التي تؤيد، أو تعارض تلك الأقوال، فعلى سبيل المثال: قول الحجاج بن يوسف الثقفي بعد قتله سعيد بن جبير: "الله قتله"، وهذا ماجعل بعض العلماء، كالحسن البصري يعارضه بقوله: " لعن الله قومًا باتوا وأقلامهم تجري بدماء المسلمين وأموالهم، ويقولون إنما تجري بأقلام الله، وكذبوا؛ لأن أقلام الله تجري بالبر والتقوى، وأقلامهم تجري بالإثم والعدوان، فإن كذبوا وزعموا أن الله قد أسر عندهم كتابًا نهاهم عنه في العلانية، لقد اغتشوا ربهم، واتهموه، وقالوا عنه قولاً عظيمًا " [1].

أما غالب الولاة في تلك الفترة، فقد اكتفوا بمحاربة الخارجين على الدولة بالسلاح، وفسحوا المجال أمام العلماء للتصدي لمثل هذه الأفكار، لذا نرى وهب بن منبه يُحذر الجعد بن درهم قبل القول بمقولته التي أودت بحياته، فكان يقول له: " إني لأظنك من الهالكين، لو لم يخبرنا الله أن له يدًا، وأن له عينًا ما قلنا ذلك "[2].

وفي جانب آخر نستطيع القول إن بعض ممن ينتسبون إلى المعتزلة، كانوا يشاركون الولاة في بعض أعمالهم الأدارية، فهذا عمرو بن عبيد البصري[3] أحد رؤوس المعتزلة، كان أبوه من شرطة الحجاج الثقفي [4].

ومما يبين لنا مدى اندماج المعتزلة في مجالس الولاة، وفي شؤونهم الإدارية، ما كان من والي العراق عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، لما أرسل إلى عامله على البصرة – وهو شبيب بن

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤/٤٩٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٩/٣٦٥.

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ٥/٤٣٣؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ٩/٣٨٢.

(٣) عمرو بن عبيد بن باب التيمي بالولاء، يكنى بأبي عثمان البصري، أحد شيوخ المعتزلة، وزهادها، وقد أوردت بعض المصادر نسبة المعتزلة إليه، حيث قال ابن منبه في ذلك: " اعتزل عمرو بن عبيد وأصحاب له الحسن، فسموا المعتزلة"، واشتهر بعلمه وزهده وأخباره مع الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، مات سنة ١٤٣هـ بطريقه إلى مكة وقيل: سنة ١٤٤هـ. ابن سعد: الطبقات، ٧/٢٧٣؛ المسعودي: مروج الذهب، ٣/٣١٣؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار ،١/٣٧٩.

(٤) الذهبي: ميزان الاعتدال، ٣/٢٧٣.

شيبة[1] – أن يوفد إليه وفدًا، فأرسل إلى جماعة يأمرهم بذلك، وأرسل إلى عمرو بن عبيد البصري فامتنع، فأعاد سؤاله فقال: " إن أول ما يسألني عنه سيرتك، فما تراني قائلاً ، قال: فكف عنه"، وهذا يبين لنا أن رجالات المعتزلة كانوا يتصفون بالزهد والفصاحة والبلاغة، لذا فقد كان بعض الولاة يستعين بهم عند ملاقاة الخليفة [2].

وفي موقف آخر يستجيب كبير المعتزلة – واصل بن عطاء – للوالي عبد الله بن عمر بن عبدالعزيز، فيخرج ضمن أعضاء الوفد، فلما فدخلوا على الوالي عبد الله بن عمر، فتكلموا رجلاً رجلاً، فما بقي فن من فنون الكلام إلا تكلموا فيه، وبقي واصل بن عطاء آخرهم، وقد سبق إلى أبواب الفنون، فتكلم رجل ضئيل الصوت، خفي المنطق، فلم يزل يعلو صوته ويرتفع، وكأنما جمعت له محاسن الأقوال، فهو يتخيرها على بصيرة، فأمر لهم بألفين ألفين، فقبلوا إلا واصلاً ، فقال لهم واصل: " والله لئن كنتم شخصتم لله، فما فيما أعطيتم عوض مما شخصتم له، ولئن كنتم شخصتم للدنيا، فما أعطيتم ما تستحقون"، وجعل يعطي واصلاً، ويزيده، حتى بلغ مائة ألف درهم، فقال واصل: " إني لم آب ما أمرت به، ولا استقلالاً له، ولا استزادة لك، ولو كنت إنما أتيت لذلك لقد بذلت ما مثله كفى وأقنع، ولكني شخصت لغير ما أعطيت" [3] ، فمشاركة واصل بن عطاء في وفدٍ كهذا، ومحاورته للوالي، ومناظرته إياه، ورفضه أخذ المال، والترفع عنه، يبين لنا علاقته الوثيقة مع الولاة والعمال، وقبله عمرو بن عبيد الذي رفض الدخول ضمن الوفد لأسباب يراها تخل بمصداقيته، ومع ذلك لم يقم العامل بمعاقبته، وتوبيخه.

وتشير بعض المصادر إلى أن الولاة في أواخر العصر الأموي كانوا يعاقبون أصحاب

---

(١) شبيب بن شيبة بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم التميمي المنقري البصري، يكنى بأبي معمر، كان يقال له: "الخطيب" لفصاحته، وكان شريفًا، من الدهاة، ينادم خلفاء بني أمية، ويفزع إليه أهل بلده في حوائجهم. الجاحظ: البيان والتبيين، ٦٢/١؛ الذهبي: ميزان الأعتدال، ٤٤١/١.

(٢) البلاذري: أنساب الأشراف، ٩٥/٣؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٤٦٠.

(٣) البلاذري : أنساب الأشراف، ٩٥/٣.

الأفكار الضالة، لما ثبت جرمهم بالقول، أوالفعل، كمقولة الجعد بن درهم وغيره –كما ذكرنا سابقًا – والقيام بتحذير من حاول أن يلبس على الناس بأفكار تخل بالعقيدة السليمة، فمن ذلك ما ورد عن والي العراق خالد بن عبدالله القسري أنه قال لواصل بن عطاء: " بلغني أنك قلت قولاً، فما هو؟ " قال: " قلت: يقضي الله الحق، ويحب العدل"، قال خالد: فما بال الناس يكذبونك؟ قال: " يحبون أن يحمدوا أنفسهم، ويلوموا خالقهم " فقال له الوالي: " لا، ولا كرامة، الزم شأنك "[1].

وتعتبر المعتزلة كغيرها من الفرق من حيث انضمام الشعراء والأدباء، فرأس المعتزلة واصل بن عطاء جعل من الشاعر بشار بن برد[2]صديقًا مقربًا منه، يدافع، ويناضل من أجل فكرته، ومقولته، ومن ذلك مدحه لخطبة واصل بن عطاء، وتجنبه قول الراء في الخطبة؛ لأنه كان يلثغ بها، فقال فيه:

م ُمرتجلاً تَغْلِي بِ بَداهَتُه	رَجل القَيْن لما ا حُفَّ بِاللَّهبِ
وجانَبَ الراء لم يَشْعُر به أحدٌ	قبل التصَفُّح والإِغراقِ في الطلبِ

حتى أصبح الشاعر بشار بن برد شاعر المعتزلة، ولكنه بالغ في مذهبه، وقال بالرجعة، وتكفير جميع الأمة، فتبرأ منه واصل بن عطاء، فما كان من بشار بن برد إلا أن هجاه بقصيدة أخرى، قال فيها:

مالي أُشايع غّزالاً ل عُنُق	كنقنق الدَو إن ولّى وإن مثَلا
نُقُ الزرافَة مابالي وبالِكُم	تُكَفِّرونُ رجالاً كَفَّروا رجلا[1]

---

(١) ابن عبد الجبار: المنية والأمل، ص٣٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٤٣٠/٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٢٢٠/٩.
٢٢٠/٩.

(٢) هو أشعر المولدين على الأطلاق، أصله من طخارستان – غرب نهر جيحون – نشأ في البصرة، ثم سكن بغداد، نسبته إلى إمراة عقيلية، قيل: إنها اعتقته من الرق، أدرك الدولتين الأموية والعباسية، وكان ضريرا، ولد سنة ٩٥هـ،ومات ضربًا بالسياط سنة ١٦٧هـ. الجاحظ: البيان والتبيين، ٩٩/١؛ ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ٢٩١/١؛ المبرد: الكامل في اللغة، ١٣٤/٢؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٨٨/١.

فعلى أية حال، اقتصرت ردود الفعل عند ظهور فرقة المعتزلة في آواخر العصر الأموي من العلماء في أغلب المناظرات، والحوارات، أما الولاة فبعضهم لم يكن يعلم بمن ينتمي إلى هذه الفرقة، أو ينتسب لتلك؛ لأنه ليس لديه دراية بما يدور في حلقات المساجد، والمجالس العلمية، وتركزت اهتماماته على ما يدور في الساحة السياسية؛ حيث لم يكن يفرق بين المعتزلة عن غيرهم من الفرق؛ نظًرا لأن الاختلاف في أصول العقيدة لا يتبين إلا من خلال حوار علمي، وتفسير للأيات القرآنية التي لم يمتلكها الولاة في آواخر العصر الأموي.

وهناك من أطلق على المعتزلة اسم القدرية؛ لأنهم قالوا :" بقدرة الناس على أفعالهم، وأنه ليس لله فيها تقدير "[٢]، ولكن عارض المعتزلة هذا الاسم، واعتبروا أن خصومهم أحق بهذا الاسم منهم؛ لأن الذي يثبت القدر لله تعالى أحق أن ينسب إليه اسم القدرية من نافيه، وقد وقع بين المعتزلة والسلف مناظرات، وكل فريق حاول أن يثبت أن اسم القدرية يلزم الآخر، وقد جاء أن النبي ﷺ ذم القدرية، حيث قال: " القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم "[٣]؛ لذا سأقوم بإفراد القدرية في المبحث القادم مبينًا بذلك موقف ولاة بني أمية من أفكارهم التي لم تختلف عن سابقتها من حيث العقيدة وفروعها.

---

(١) الجاحظ: البيان والتبيين، ٢٤/١؛ أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ٢٨٨/١؛ الحموي: معجم الأدباء، ٤٨٤/٢.

(٢) ويُلقَّب المعتزلة بالقدرية تارة، وبالمُعَطِّلة تارة أخرى، أما تلقيبهم بالقدرية، فلأنهم يسندون أفعال العباد إلى قدرتهم، وينكرون القَدَر فيها، وأما تلقيبهم بالمُعَطِّلة، فلأنهم يقولون بنفي صفات المعاني، فيقولون: الله عالِم بذاته، قادِر بذاته. الشهرستاني: الملل والنحل ٥٤/١.

(٣) مسند الإمام أحمد ٨٦/٢، جامع الأصول ١٢٩/١٠-١٣٠، رقم ٧٦٠٢.

خامسًا / القدرية:

هم الذين قالوا بالقدر، وقالوا: إن الله ﷻ لم يخلق أفعال العباد، بل العباد هم الذين يخلقون أفعال أنفسهم، فالإنسان هو الذي يخلق المعصية، والطاعة، وهو الذي يخلق الخير والشر، حتى يستحق الثواب على الطاعات، ويستحق العقاب على المعصية، بسبب الشبهة التي حصلت لهم، فهم يقولون: لو قلنا: إن الله يخلق المعاصي، ويعاقب عليها لصار ظالمًا، ففروا من ذلك فقالوا: "إن العبد هو الذي يخلق فعل نفسه، حتى يكون مستحقًا للعقاب وللثواب" لذا سموا بالقدرية[1].

وتشير المصادر إلى أن القدرية انقسمت إلى عدة فرق، كالقدرية النفاة، والقدرية المجبرة، والقدرية المشركون، ولعل بداية ظهور فرقة القدرية كان في عهد الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان، حيث يعتبر معبد بن خالد الجهني[2] من أوائل الذين نسب إليهم القول بالقدر، وعنه أخذ غيلان الدمشقي[3]، وقد انتشرت أقوالهم في البصرة، والشام، ثم انتقلت إلى المدينة النبوية[4].

في حين تشير بعض المصادر إلى أن فكرة القدر معروفة منذ أوائل العصر الأموي،

---

(١) للاستزادة حول عقيدة القدرية راجع: الأشعري: الإبانة ، ١٩٦/١؛ الجرجاني: التعريفات، ٥٥/١؛ البغدادي: الفرق بين الفرق، ٩٦/١-١٠٠؛ ابن حزم: الفصل في الملل ، ٨٢/٣؛ الشهرستاني: الملل والنحل، ٤٧/١.

(٢) اختلف في نسبه، فقيل: هو معبد بن عبد الله بن عويمر، وقيل: معبد بن عبد الله بن عكيم الجهني، أحد الفقهاء والقراء، وكان ذا عبادة وزهد، كان ممن خرج مع ابن الأشعث لمقاتلة الحجاج بن يوسف، قتله الحجاج سنة ٨٠هـ. خليفة بن خياط: تاريخه، ص١١٢؛ الجاحظ: البيان والتبيين، ٢٥١/١؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣١٢/٥٩؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٣٠٤/٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٣٤/٩؛ ابن حجر: تقريب التهذيب، ٢٦٢/٢.

(٣) غيلان بن مسلم الدمشقي، يكنى بأبي مروان، اختلف في اسم أبيه، فقيل: مسلم، وقيل: مروان، وقيل: يونس، كان أبوه أحد موالي الخليفة عثمان بن عفان ﷺ، ويعتبر غيلان من أهل البلاغة والفصاحة، قيل: إنه كان في صباه من أتباع الحارث بن سعيد – الكذاب –، ثم أصبح أحد تلاميذ الحسن البصري، قتله الخليفة هشام بن عبدالملك، وصلبه على أبواب دمشق. ابن قتيبة: المعارف، ص٢١٢؛ ابن بطة، عبدالله بن محمد العكبري (ت٣٨٧هـ): الإبانة الكبرى، تحقيق: رضا معطي وآخرين، ط٢، الرياض، دار الراية، ١٤١٥هـ، ٢١٧/٤؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق، ١٨٦/٤٨-٢٠٠؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٣٧٦/٥.

(٤) الأشعري: الإبانة ، ١٩٦/١؛ البغدادي: الفرق بين الفرق، ٩٦/١-١٠٠؛ ابن حزم: الفصل في الملل، ٨٢/٣؛ الشهرستاني : الملل والنحل، ٤٧/١.

حيث وضع وهب بن منبه كتابًا في القدر، ثم ندم عليه، وكان وهب كثير النقل من الكتب القديمة المعروفة بالإسرائيليات، وتوالت فيما بعد رسائل الرد على القدرية[1]، وما يهمنا في ذلك كيف تصدى ولاة بني أمية لتلك الفرقة؟ وما مدى تأثيرهم لمواجهة مثل تلك الأفكار المنحرفة؟

وقبل الحديث عن مواقف الولاة تجاه فرقة القدرية، لابد أن نشير إلى أن فرقة القدرية تعتبر من أكثر الفرق تأثيرًا على خلفاء بني أمية، وخاصة إذا ما علمنا أن الخليفة عبدالملك بن مروان قد اختار معبد بن خالد الجهني ليؤدب ولده سعيد، فكان ذلك منفذًا ثابتًا لدخول الفكر الجدلي إلى بلاط الخليفة [2].

ومما يؤكد تغلغل القدرية في البيت الأموي، ومجالس بعض الخلفاء، ما أشارت إليه بعض المصادر التاريخية[3] بأن أحد رؤوس القدرية – غيلان الدمشقي كان مقربًا من الخليفة عمر ابن عبدالعزيز، وناصحًا له، ومن ذلك قوله: " أبصرت يا عمر، وما كدت، ونظرت، وما كدت، اعلم يا عمر أنك أدركت من الإسلام خلقًا بالياً ... " [4]، كما أنه تولى دار الضرب، ورد المظالم بدمشق، وتعددت المناصب الإدارية لمن ينتمي لفرقة القدرية بعد تولي يزيد بن الوليد الخلافة[5].

فعلى أية حال لم تشر المصادر التاريخية إلى أن الدولة الأموية قبل خلافة عمر بن عبدالعزيز

---

(١) كرسالة أبي الأسود الدؤلي سنة ٦٩هـ، ويحيى بن يعمر سنة ٨٩هـ، ورسائل عبدالله بن إسحاق الحضرمي، وعيسى بن عمر الثقفي، وعمر بن عبدالعزيز، والشعبي، والزهري، وغيرهم. ابن سعد: الطبقات، ٥٤٣/٥؛ البخاري: التاريخ الكبير، ١٦٤/٨؛ الأصبهاني: حلية الأولياء، ٣٢٦/٥؛ الشيرازي: طبقات الفقهاء، ص٧٤؛ الحموي: معجم الأدباء، ٢٥٩/٩.

(٢) وقيل: كان مولى للخليفة عبدالملك بن مروان، وأحد كتابه. البلاذري: أنساب الأشراف، ١٤٢/٣؛ البغدادي: الفرق بين الفرق، ١٤/١؛ السمعاني، عبد الكريم بن محمد المروزي (ت٥٦٢هـ): الأنساب، تحقيق: محمد عطا، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٤١٩هـ، ص١٤٥؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٢٢٥/١.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٢٥٥/٤؛ ابن عبد الجبار: المنية والأمل، ص٢٠ –٢١؛ ابن حجر: لسان الميزان، ١٦٤/٢؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ٢٠٥/٢٧.

(٤) ابن عبد الجبار: المنية والأمل، ص٢٠ –٢١؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٢١١/١٢.

(٥) ابن حمدون، محمد بن الحسن بن علي بن حمدون (ت٥٦٢هـ): التذكرة الحمدونية، تحقيق: إحسان عباس، ط١، بيروت، دار صادر، ١٤١٧هـ، ٣٣٨/١.

امتحنت القدرية، إلا ما كان من معاقبة معبد الجهني وقتله صبرًا بأمر من الخليفة عبدالملك بن مروان على يد الحجاج بن يوسف الثقفي، وصلبه بدمشق لقوله بالقدر [١].

أما في خلافة عمر بن عبدالعزيز[٢]، لما بلغه كلام غيلان الدمشقي في القدر، فاستدعاه وحاجّه، فأعلن غيلان توبته، ورجوعه عن الضلال إلى الهدى [٣]، حتى قال الخليفة له: " يا أبا مروان، أعني أعانك الله"[٤].

وتشير المصادر إلى أن الخلفاء من بعد عمر بن عبدالعزيز قاموا بمتابعة القدرية، فقد سيّرهم الخليفة هشام بن عبد الملك إلى جزيرة دهلك، وحمله كثرة كلام الناس في غيلان الدمشقي، وشكواهم إياه إليه على أخذه ومناظرته، ثم أمر بقتله، كما لم يقبل الخليفة الوليد بن يزيد شفاعة من تشّفع بالقدرية المسّيرين إلى دهلك، وأبقاهم في النفي، ولم يتخذ الخلفاء مع القدرية منهج الحملات العسكرية، كما كان مع الخوارج، أو الشيعة على سبيل المثال، وبقيت الخلافة الأموية معادية للقدرية حتى خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك، لذا تجّنبت القدرية الجهر بالقول في القدر اتقاء غضب الدولة وسطوتها [٥].

---

(١) كما قيل:إن السبب سياسي، وليس دينيًا، فالحجاج قتله لخروجه عليه مع ابن الأشعث، فقد ذكر مالك بن دينار أنه لقي معبدًا بمكة بعد ابن الأشعث، وهو جريح، وكان قاتل الحجاج في المواطن كلها، فقال معبد لمالك: "... ياليتنا أطعنا الحسن البصري"، وكان الحسن البصري ينهى عن الخروج على الحجاج. الجاحظ: البيان والتبيين، ٢٥١/١؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ٣١٢/٥٩-٣١٦؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ٢٢٥/١٠-٢٢٦؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٨٨/١.

(٢)سلك معهم منهج الكتاب والسنة، فناظرهم، وكتب إليهم مبينًا لهم المذهب الصحيح بتأن وروية، واستدلال بآي الكتاب العزيز، فجاءت الآثار الواردة عنه نبراسًا مضيئًا لمن يريد اتباع السلف الصالح.

(٣) له مناظرات عديدة مع الخليفة عمر بن عبدالعزيز . للاستزادة حول ذلك راجع: ابن بطة: الإبانة الكبرى، ٢٣٨/٢؛ الآجري، أبو بكر محمد بن الحسين (ت٣٦٠هـ): الشريعة، تحقيق: عبدالله بن عمر الدميجي، ط٢، الرياض، دار الوطن، ١٤٢٠هـ، ٤٤٠/١-٤٤٨؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق، ١٨٩/٤٨؛ ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبدالعزيز، ص٨٥؛ حياة بن محمد بن جبريل: الآثار الواردة عن عمر بن عبدالعزيز في العقيدة، ط١، المدينة النبوية، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ١٤٢٣هـ، ١٨٠/١-١٨٦.

(٤) ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ٣٣٨/١؛ ابن عبد الجبار: المنية والأمل، ص٣٨؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق، ١٨٩/٤٨.

(٥) البسوي: المعرفة والتاريخ، ٣٤/٢؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٢٣٢/٧؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق، =

وفي آواخر العصر الأموي مالت الخلافة إلى القدرية ، وذلك منذ عهد الخليفة الأموي يزيد ابن الوليد – الناقص – بن عبد الملك، الذي قال بقولهم، وقّربهم، وأعان على نشر مقالتهم، وبذل الأموال والصّلات لمن مدحه من شعرائهم، وقد ساعدته القدرية في الظفر بالخلافة، والقضاء على الخليفة الذي سبقه الوليد بن يزيد بن عبدالملك، كما أن الخليفة مروان بن محمد اتهم بأنه تأثر بأقوالهم، والذي يظهر من خلال الأحداث التاريخية أن الهدف من ذلك سياسي وليس دينياً[(١)].

وتُعد مواقف ولاة بني أمية مرتبطة بمواقف الخلفاء من ذلك الفكر الذي كان له تأثير سلبي على الدولة الأموية بشكل عام، فمن ذلك أن الخليفة عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامله في البصرة آنذاك عدي بن أرطاة الفزاري[(٢)] يأمره أن يستتيب القدرية مما دخلوا فيه، فإن تابوا خلّى سبيلهم، وإلاّ نفاهم من ديار المسلمين [(٣)].

وفي موقف آخر يدل على ارتباط مواقف الولاة بالخليفة، ما كان من الخليفة عمر بن عبدالعزيز عندما كتب إلى الولاة يبين لهم موقفه من القدرية، وأقوالهم ويدحضها، ولكن موت عمر حال دون إرسالها [(٤)].

ومما يدل على أن بعض الولاة لم يكن على دراية تامة بما تحمله تلك الفرقة من أفكار، لذا نجد أن بعضهم يستشير الخليفة في ذلك، فالخليفة عمر بن عبدالعزيز على سبيل المثال أرسل كتاباً لأحد الولاة الذين استفسروا في كيفية التعامل معهم، فقال:" كتبت تسألني عن الحكم فيهم، فمن أتيت به منهم فأوجعه ضرباً، واستودعه الحبس، فإن تاب من رأيه السوء، وإلا

١٨٦/٤٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٣٤٤/٦.

(١)البسوي: المعرفة والتاريخ، ٣٩/٢-٤٢، ٤١٣؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٢٦٩/٧-٢٧٠، ٢٩٥؛ المسعودي: مروج الذهب، ٢٣٤/٣؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٨٦/٤٨-١٩٠؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢٥٥/٤؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٨٦/١.

(٢) تمت ترجمته ص٥٨.

(٣) ابن بطة: الإبانة الكبرى، ٢٣٧/٢؛ اللالكائي: أصول الاعتقاد، ٦٨٦/٢؛ ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبدالعزيز، ص٨٥.

(٤) ابن عساكر : تاريخ دمشق، ١٩٥/٤٨.

فاضرب عنقه"[1].

كما أيّد بعض الولاة مواقف الخلفاء تجاه غلاة القدرية، فهذا الوالي عبادة بن نسي الكندي[2]، أتاه رجل يخبره أن الخليفة هشام بن عبد الملك قطع يد غيلان الدمشقي ولسانه، وصلبه، فقال له: حقًا ما تقول؟ قال نعم. قال: " أصاب والله السنة، والقضية، ولأكتبن إلى أمير المؤمنين، فلأحسنن له ما صنع" [3].

وقد تضمنت مواقف بعض الولاة الاستعانة بهم من قبل الخلفاء في المناظرات العلمية والفكرية، والحكم على الخصوم، فهذا الخليفة هشام بن عبدالملك يستعين بميمون بن مهران بمناظرة غيلان الدمشقي لما كثر كلام الناس فيه، ولما انقطعت حجة غيلان في المناظرة، عاقبة الخليفة بقطع رجليه، ويدية، ثم قتله [4].

ولقد بذل أغلب الولاة جهودهم في مواجهة القدرية، والتحذير منهم، وذلك بمشاركة العلماء في بيان ضلالهم، علمًا بأن بعض الولاة كان له باع في التصدي لمثل تلك الفرق، فأبوهريرة ﷺ قال فيهم مُحذِّرا: " إن رسول الله ﷺ قال: إن لكل أمة مجوسًا، ومجوس هذه الأمة القدرية، فلا تعودوهم إذا مرضوا، ولا تصلوا عليهم إذا ماتوا " [5].

ونهى ميمون بن مهران الناس عن مجالسة أهل القدر، وقرن النهي عن مجالستهم مع النهي عن تعلّم التنجيم، والنهي عن سبّ الصحابة رضوان الله عليهم، وسلك كذلك غيره من الولاة، كعقبة بن عامر الجهني، وعبادة بن نسي الكندي مسلكهم في التحذير من القدرية، والنهي عن

---

(١) الآجري: الشريعة، ٤٤٥/١.

(٢) عبادة بن نسي الكندي يكنى بأبي عمر، تولى قضاء طبرية، ثم تولى الأردن في عهد الخليفة عبدالملك بن مروان وفي عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز فأطلق عليه " سيد أهل الأردن ". ابن سعد: الطبقات، ٤٥٦/٧؛ البسوي: المعرفة والتاريخ، ٣٩/٢؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، ١١٣/٥.

(٣) الآجري: الشريعة، ٨٠/٢؛ ابن بطة: الإبانة الكبرى، ٤٠٣/٤.

(٤) والراجح أن الذي قام بمناظرته عبدالرحمن الأوزاعي (ت١٥٧هـ). البلاذري: أنساب الأشراف، ١٧١/٩؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٢٠٣/٧؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق، ١٩٧/٤٨.

(٥) السجستاني، أبو داوود سليمان بن الأشعث (ت٢٧٥هـ): سنن أبي داوود، تحقيق: هيثم تميم ، ط١، بيروت، دار الأرقم، ١٤٢٢هـ ، ٢٣٠/٤؛ ابن حجر: لسان الميزان، ٤٢٠/٤.

مجالستهم [1].

وقد كان تفاعل بعض العلماء مع الولاة في تلك الفترةيجابيً ا في التحذير من القدرية، وتبيين ضلالهم، فشارك العلماء من الصحابة ﷺ والتابعين، فعلى سبيل المثال لا الحصر، حّذر منهم ابن عمر ﷺ، وابن عباس ﷺ، وحمل عليهم جابر بن عبدالله ﷺ، وإبراهيم بن محمد الفزاري الذي كان يطلب إلى من يرى رأي القدرية أن لا يحضر مجلس علمه، كما أنكر مقالتهم أنس بن مالك ﷺ، وقيل عن سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب ﷺ والقاسم بن محمد بن أبي بكر ﷺ وهما من أئمة الناس وخيارهم وفقهائهم في الحجاز، أنهما كانا يلعنان القدرية [2].

ولا بد من الإشارة إلى أن هؤلاء الذين ذكرنا من العلماء الأعلام، من الصحابة والتابعين، في بيان موقفهم من القدرية، لم نذكرهم على سبيل الحصر، وإنا كانوا أمثلة، وشواهد، توزعت بين سنّي قيام القدرية، ونشوء فرقتهم، وكانوا بعض من حفظت الكتب أسماءهم ومقالتهم في الإنكار على القدرية.

ولاشك أن تأثير الولاة والعلماء على محاربة تلك الأفكار المضللة، نتج عنها رفض بعض المجتمعات لمن ينتمي لها، فمثلاً عندما أرسل الخليفة يزيد بن الوليد عثمان بن داود الخولاني لأهل الأردن وفلسطين لاستمالة أهلها للبيعة بعد مقتل الوليد، أخذ أهل الأردن بالصياح بمحمد بن عبد الملك قائلين: " أصلح الله الأمير، اقتل هذا القدري الخبيث " [3]، ولعل هذا النموذج ليس الوحيد الذي يبين لنا مدى نجاح تفاعل الولاة والعلماء، والمشاركة في التصدي لمثلك تلك الآراء، والمعتقدات الباطلة.

وقد اختلفت مواقف ولاة بني أمية تجاه الفرق الضالة، فمواقفهم تجاه الشيعة والخوارج كانت حازمة، وكانت المواجهات العسكرية هي الحاسمة في أغلب المواقف بعكس مواقفهم تجاه

---

(١) ابن قتيبة: المعارف، ص١٩٨؛ البغدادي: الفرق بين الفرق، ص١٥؛ الأصبهاني: تاريخ أصبهان، ٣٢٤/١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٧١/٥.

(٢) ابن قتيبة: المعارف، ص٧٦، ٨٠؛ البغدادي: الفرق بين الفرق، ص١٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ٥٣/٥-٥٨.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٢٦٧/٧؛ ابن حجر: لسان الميزان، ١٤٠/٤.

الجهمية والمعتزلة والقدرية التي لم تكن لهم ثورات، ومواجهات مع الدولة الأموية، واقتصر خطرهم على الفكر، ولاشك أن ذلك أشد خطًرا من غيرها؛ لذا فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" إن دولة بني أمية كان انقراضها بسبب هذا الجعد المعطل، وغيره من الأسباب، التي أوجبت إدبارها، وفي آخر دولتهم ظهر الجهم بن صفوان بخراسان " [1].

من كل ما تقدم نخلص إلى القول، بأن موقف ولاة بني أمية من الفرق الضالة كان مختلًفا من والٍ إلى آخر، ومن إقليم إلى آخر، ولعل ذلك يرجع إلى عوامل متفرقة، كالتكوين الأسري والثقافي للوالي، كما أن سياسة الدولة لها تأثير على مواقف الولاة، فتختلف من فترة إلى أخرى، ومن خليفة إلى آخر، بحسب الأحداث المتزامنة في تلك الفترة، ومما لاشك فيه أن بداية العصر الأموي يختلف اختلافًا جذريًا عن أواخره من خلال مواقف الولاة، وإن في هذه الاختلافات دلالة على تنوع أساليب الولاة في تعاملهم مع تلك الأفكار، والتوجهات الباطلة.

فعلى أية حال، يتضح لنا أن هذه الأفكار والآراء المنحرفة من الفرق الضالة، لها أبعاد، وآثار على المجتمع الإسلامي فيما بعد – العصر العباسي –، فقد ظهرت فرق أخرى، وأنماط مختلفة، وطروحات غريبة عن جوهر الإسلام، ولا يتصور مدى الضرر الذي ألحقته تلك الأفكار بحياة المسلمين وعقيدتهم.

---

(١) ابن تيمية: الفتاوى الكبرى، ٢/١٥٤.

الفصل الخامس:

أثر مواقف الولاة على الحياة السياسية والحضارية في الدولة الأموية

المبحث الأول- أثر مواقفهم في تقوية مركز الخلافة

المبحث الثاني- أثرمواقفهم في تماسك الجبهة الداخلية من التفكك والفوضى

المبحث الثالث- أثرهم في التعامل بشكل حاسم مع مصادر التهديد الظاهرة

المبحث الرابع- أثر مواقف بعض الولاة السلبي في ضعف الدولة وسقوطها

المبحث الأول : أثر مواقفهم في تقوية مركز الخلافة في الأقاليم

تركت الأحداث السياسية والجوانب الاجتماعية والثقافية والحضارية آثارًا واضحة في عصر الدولة الأموية ، وقد ساهم ولاة بني أمية في جميع الجوانب، ولاسيما في تقوية مركز الخلافة في شتى الأقاليم ، ولعل من المفيد قبل أن نقف على أثر ولاة بني أمية في تقوية مركز الخلافة ، أن أن نشير إلى أن مركز الخلافة لبني أمية انقسم إلى قسمين : أحدهما : زمن الخلفاء الذين تميزت أيامهم بالفتوحات، والأمن، والأستقرار، كمعاوية بن أبي سفيان ﷺ، وعبدالملك بن مروان، والوليد بن عبدالملك، وعمر بن عبدالعزيز، وهشام بن عبدالملك. والآخر : زمن الخلفاء الذين اتسمت عهودهم بالفتن، والاضطرابات، ونشوب الحروب الداخلية ، أو كانت أيامهم قصيرة، كمعاوية بن يزيد، والوليد بن يزيد .

لذا تركزت غالبية مواقف ولاة بني أمية، وآثارها التي نتج عنها تقوية مركز الخلافة في شتى الأقاليم في العهود المتقدمة من الدولة الأموية ، وهناك استثناءات متفرقة في آواخر الدولة الأموية، لايمكن بأي حال من الأحوال التغاضي عنها ، فمن تلك الآثار: نشر الدين الإسلامي، وزيادة مساحة الدولة الإسلامية ، وإقامة الحق والعدل بين الرعية ، بالإضافة إلى إخلاص الولاة، وولائهم للخلفاء ، وقدرتهم العالية على التصرف السياسي، والتنظيم الإداري ، ومن تلك الآثار كذلك: تكريس موارد الدولة المالية في سبيل دعم إدارتها، والنهوض بمستوى المرافق العامة ، وغيرها من الآثار التي نتج عنها تقوية مركز الخلافة .

بعد العرض السابق الموجز الذي وضّح أهم الآثار التي أدت إلى تقوية مركز الخلافة في الأقاليم، لابد أن نذكر نماذج، وأمثلة لبعض مواقف الولاة الذين كانت لهم علاقة تعاون، ومشاركة مع عمالهم في تحمل المسؤولية ، ومالهم من أثر في صياغة القرارات التي أدت إلى تثبيت دعائم السلطة، وتأكيد هيبة الدولة .

سعى ولاة بني أمية في نشر الدين الإسلامي في شتى الأقاليم الإسلامية ، فاستعانوا بالقادة الأفذاذ الذين ضربوا أروع الأمثلة، وقدموا من صور التضحية، والبذل، والعبقرية العسكرية ما حيّروا به الأعداء، مما أدى إلى اتساع رقعة الدولة الإسلامية، والدخول في دين الله أفواجا ، ومن ذلك الدور الكبير الذي قام به ولاة المغرب، وإفريقية، وبلاد الأندلس، كعقبة بن نافع الفهري ، وأبي المهاجر بن دينار المخزومي، وإسماعيل بن عبيدالله بن أبي المهاجر، وطارق بن

زياد وموسى بن نصير، وغيرهم – كما مر بنا سابقًا[1] – في نشر الدين الإسلامي في المغرب، المغرب، وإفريقية، وبلاد الأندلس [2] .

كما وصل الإسلام إلى حدود الصين، مرورًا ببلاد ماوراء النهر وبلاد السند بقيادة قتيبة بن مسلم الباهلي، ومحمد بن القاسم الثقفي[3]، ولم تقف الفتوحات عند زيادة مساحة الدولة الأموية فحسب، بل تعدى ذلك إلى اختيار عمال يحسنون السيرة في البلاد المفتوحة ، وتعليمهم القرآن الكريم، ومبادئ الإسلام، وأن يفقهوهم في الدين ، وغير ذلك من الأمور التي أدت إلى تقوية مركز الخلافة .

ولا نبالغ إذا قلنا إن تأثير الولاة في نشر الإسلام لم يقتصر على الحملات العسكرية فحسب، بل كان لمعاملة الولاة مع الأسرى ومحاولة تعريفهم بالإسلام، وترغيبهم فيه دور كبير في نشر الدين الإسلامي ، فهذا والي الأندلس عقبة بن الحجاج السلولي، كان إذا أسر الأسير لم يقتله حتى يعرفه بالإسلام، ويرغبه فيه، ويبصره بفضله، ويبين له عيوب دينه الذي هو عليه ، فيذكر أنه أسلم على يديه بذلك ألف رجل [4].

وقد ذكرت بعض المصادر أن بعض ولاة بني أمية اعتمد على المسلمين في إدارتهم لشؤون الولاية ، وهذا ماصوره الشاعر يحيى بن نوفل[5] عند قدوم والي العراق يوسف بن عمر الثقفي الثقفي فقال :

---

(١) سبق وذكرنا عدة نماذج للولاة في المبحث الأول من الفصل الثالث .

(٢) ابن سعد : الطبقات، ٣٢٠/١ ؛ خليفة بن خياط : تاريخه، ص ٢٩١؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٥٩/٨؛ ٥٩/٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٥٢٣/٤ ؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ٤٨/١؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ١٨٨/٤.

(٣) البلاذري: فتوح البلدان، ص٣٩١-٣٩٢؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ٢٢٦/١ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، والملوك، ١٠٠/٨؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٥/٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ١٤٠/٩ ؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٦٧/٤.

(٤) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص٢٩٣؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ٢١٩/٤؛ ابن خلدون : تاريخ ابن ابن خلدون، ٢٤١/٤.

(٥) يحيى بن نوفل الحميرى اليمانى، يكنى بأبي معمر ، ويعتبر من شعراء الهجاء ، أصله من اليمن، وشهرته في العراق، وله العراق، وله أخبار مع الوالي بلال بن أبي بردة . المبرد : الكامل في اللغة والأدب ، ١٢٠/١ .

وَأَهْلُ الشِّرْكِ أَهْلُ زَكَاتِنَا   وَحُكَّامُنَا فِيمَا نُسِرُّ وَنَجْهَرُ
أَتَانَا يُوسُفُ الْخَيْرِ أَشْرَقَتْ   لَهُ الْأَرْضُ حَتَّى كُلُّ وَادٍ مُنَوَّرُ
وَحَتَّى رَأَيْنَا الْعَدْلَ فِي النَّاسِ ظَاهِرًا   كَانَ مِنْ قَبْلِ الْعُقَيْلِيِّ يَظْهَرُ [(١)]

هذا فيما يتعلق بدور الولاة بنشر الدين الإسلامي، وأثره على تقويةمركز الخلافة سياسيًا واقتصاديًا ، ومن القيم الحضارية البارزة في العصر الأموي قيم العدل والمساواة بين الرعية، لذا فقد سلك أغلب ولاة بني أمية طريق الحق، وإقامة العدل في تعاملهم مع رعيتهم، مما نتج عنه تقوية مركز الدولة .

فمن ذلك أن ولاة بني أمية يجتهدون في إسناد مهمة القضاء لأفقه الناس، وأعلمهم، وأتقاهم، مما يجعل المهمة سهلة في إقامة الحق، والعدل بين الرعية، فهذا شريح بن الحارث الكندي – الذي اشتهر بالعدل – استمر مدة طويلة في قضاء للكوفة، رغم تقدمه بالسن، ولما طلب من الوالي الحجاج بن يوسف الثقفي أن يعفيه من هذه المهمة لكبر سنة، رفض أن يعفيه حتى يدله على رجل ، فقال شريح:" عليك بالعفيف الشريف أبي بردة بن أبي موسى الأشعري"[(٢)]، فأحضره وولاه، فكانت سمة بارزة لدى الولاة في اختيار القضاة، وذلك من خلال سؤال القاضي من ينوبه في تحمل المسؤولية ،كما تعتبر دلالة واضحة على اهتمام الولاة بأفضل القضاة للفصل بين الناس في الخصومات .

ولقد ضمت المصادر التاريخية العديد من الشواهد التي اعتمد فيها ولاة بني أمية على اختيار القضاة من العلماء؛ لأجل ضمان استمرارية العدل، وإقامة الحق، ورد المظالم إلى أهلها نظرًا للدور الذي يقوم به القاضي في الحياة العامة، وتأثير ذلك على تقوية مركز الدولة ، حتى لو قام القاضي بالحكم على الوالي؛ فإن أحكامه لابد من تنفيذها ، ومن ذلك مافعله قاضي المدينة النبوية أبوبكر بن حزم عندما حكم على واليها عثمان بن حيان المري بحد الخمر، بعد

---

(١) البلاذري : أنساب الأشراف ، ١٨٥/٣ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٤٢٤/٢ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ١٠٣/٦ .

(٢) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ٢٥/١.

أن ع ُثر على الخمر في منزله ، ومن ذلك ماحكم به قاضي القيروان جميل بن كريب[1] ضد والي القيروان آنذاك وأنصف خصمه حتى رضي عنه [2] ، مما يدل على حرص الولاة على المحافظة على قوة القضاء وعدم التدخل في أحكام القاضي، فضلًا على حرصهم في توفير الأمن، والاستقرار .

كما أن الجلوس لمظالم الناس كانت سمة بارزة لبعض ولاة بني أمية ، فهذا زياد بن أبيه كان يتحرى العدل في الأحكام، والإحسان في المعاملة إلى الرعية ، ولم يغفل عن مشارفة الأمور بنفسه، والسؤال عن أحوال الناس ، والقيام بالأمور خير قيام ، حيث وصف عهده بالاستقرار، والأمن ، وأنه جمع لأهل العراق كما تجمع الذّرة ، وحاطهم كما تحوط الأم البر ّ ة [3].

ولما دخل عمر بن عبدالعزيز المدينة والي ًا، أعاد للناس سيرة عمر بن الخطاب ﷺ في العدل، وإقامة الحق ، حيث دعا عشرة من فقهاء المدينة، وجعلهم مستشارين له في قراراته، وأن لايقطع أمراً إلا برأيهم ، وأنهم إذا رأوا أحدًا يتعدى، أو بلغهم عن عامل له مظلمة أن يبلغوه بذلك [4]، وقد استطاع بذلك أن يثبت قواعد الحكم في المدينة النبوية آنذاك ، لأن أهل المدينة لم يكونوا على توافق مع من سبقه من الولاة ، وقد مر بنا فيما سبق العديد من النماذج التي تبين اعتماد بعض الولاة على القضاة والعلماء في تسيير شؤون ولايتهم .

وكان الحجاج بن يوسف الثقفي يحث عماله على التزام جانب الحق والعدل في الرعية ، ومن ذلك الخطبة التي ألقاها عامله على المدائن بقوله :" أيها الناس، إن الأمير الحجاج أصلحه الله قد ولاني، وأمرني، بالحق، والعدل في السيرة ، فإن عملت بما أمرني، فأنا أسعد الناس، وإن

---

(١) جميل بن كريب المعافري، يكنى بأبي كريب ، وهو قاض فاضل كان مقيًما بتونس ، وولي قضاء القيروان سنة ١٣٢هـ، وثار جمع من الخوارج في أيامه فلما اشتد أذاهم خرج أبو كريب في ألف رجل لقتالهم، فالتقوا بظاهر القيروان في الطريق المؤدية إلى تونس، فقتل أبو كريب وجميع من معه وذلك سنة ١٣٩هـ . المالكي : رياض النفوس ، ١٠٧/١ ؛ ابن حجر : لسان الميزان ، ٤٨٧/٢ .

(٢) وكيع : أخبار القضاة ، ١٤١/١ ؛ المالكي : رياض النفوس ، ١٦٩/١-١٧٠.

(٣) البلاذري : أنساب الأشراف ، ٢١٩/٤ ؛ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ٢٣٥/٢ ؛ المبرد : الكامل في اللغة ، ٢٦١/٣ .

(٤) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٤٢٨/٦ .

لم أفعل، فنفسي أوبقت، وحظ نفسي ضيعت " [١].

وفي اليمن على سبيل المثال كان عروة بن محمد السعدي[٢] يتحرى العدل في ولايته ، ويجلس للناس لرد المظالم ، وهو الذي لما دخل اليمن قال :" يا أهل اليمن، هذه راحلتي ، فإن خرجت بأكثر منها فأنا سارق "، وخرج من اليمن، وما معه إلا سيفه، ورمحه، ومصحفه[٣] ، والشواهد، والأمثلة على تحري ولاة بني أمية العدل، والجلوس لرد المظالم لايمكن إحصاؤها ، ومما لاشك فيه أن مثل هذه الأعمال أدت إلى أمن، واستقرار الأقاليم المتفرقة .

كما كان لإخلاص الولاة وولائهم للخلفاء دور بارز في تقوية دعائم الحكم ، فقد عُرف عن بعض الولاة إخلاصهم للدولة الأموية، وخلفائها ، وحبهم للجماعة، ومحاربتهم لأسباب الفرقة والفتنة، مهما كلف الأمر ، لذا فقد اعتمد خلفاء بني أمية في إسناد الولاية على أبناء البيت الأموي، لكي يضمنوا ولاءهم، فعلى سبيل المثال اعتمد الخليفة عبدالملك بن مروان على أخيه عبدالعزيز لمصر، ولما مات ولى ابنه من بعده ، وولى اخاه بشر على الكوفة، ثم ضمّ إليه البصرة ، وولى ابنه الوليد على دمشق ، كما اعتمد على ابنه عبدالله، ثم أبان بن عقبة على حمص ، أما محمد بن مروان، فولاه على الجزيرة ، وأمية بن عبيدالله على خراسان [٤]، وغيرهم من بني أمية الذين سعوا جاهدين في تثبيت سلطانهم في كافة الأقاليم .

ولم يكن الولاء للخليفة مقتصرًا على الولاة من أبناء البيت الأموي فحسب، بل تعدى ذلك إلى غيرهم من أبناء القبائل العربية، أو الموالي ، وقد مر بنا سابقًا العديد من أقوال الولاة التي تبين ولاءهم للخليفة، والدولة ، لذا سأكتفي بذكر أقوال الخلفاء في مدح ولاتهم ، فمن

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٢٨٤/٦ .

(٢) عروة بن محمد بن عطية بن عروة السعدي ، استعمله الخليفة سليمان بن عبدالملك على اليمن فأقره عمر بن عبدالعزيز ، وابنه الوليد بن عروة الذي حج بالناس أخر من حج لبني أمية . خليفة بن خياط : تاريخه، ٢٤٧/١-٢٥١؛ الفاكهي : أخبار مكة ، ١١٩/٣ .

(٣) ابن عساكر : تاريخ دمشق ، ٥٨٦/١١-٥٨٩ .

(٤) خليفة بن خياط : تاريخه، ٣٩٢/١؛ البلاذري: فتوح البلدان، ٥١٢/٣؛ اليعقوبي: البلدان، ٢٨/١؛ وكيع: أخبار القضاة، ٤/١؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ١٦٤/٢٣،٦/٥؛ البلخي: البدء والتاريخ، ٣٣٦/١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢٠٤/٢ ، ٢٦٧/٢؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ١٣٢/٢؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ٣٨٢/٨ .

ذلك قول الخليفة الوليد بن عبدالملك عن ولاء الحجاج بن يوسف الثقفي، ومولاه يزيد بن أبي مسلم :" مثلي ومثل الحجاج وابن أبي مسلم ، كرجل ضاع منه درهم، فوجد دينارًا"[١]، ولاشك أن الولاء للخليفة كان سبيلًا للمناصحة التي تستقيم بها الأمور .

وفي نموذج آخر يبين الخليفة عبدالملك بن مروان كيف كان ولاء الولاة له من خلال تعجبه من والي فلسطين روح بن زنباع الجذامي، وذلك بقوله :" جمع روح طاعة أهل الشام ودهاء أهل العراق، وفقه أهل الحجاز"[٢]، فهذه المقولة من الخليفة تُغني عن كثير من الأمثلة التي تبين ولاء بعض الولاة من بني أمية الذين بذلوا مابوسعهم من أجل تثبيت الحكم ، والسعي لنشر الأمن، والاستقرار .

وعندما عاب الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ على الوالي زياد أنه رأى جّل عماله من بني الحارث بن كعب، كتب إليه زياد :" وجدت فيهم خلتين، لو كانتا في الزنج لوليتهم، معهما الأمانة والكفاية "[٣]، وهذا ما جعل الوالي زياد يدفع بالعديد منهم لحرصه على ضمان ولاء عماله للدولة الأموية، وإخلاصهم لها .

ويعتبر نجاح الولاة في إدارة شؤون الولاية، وما يمتاز به معظمهم من القدرة الفائقة في فن الحكم، وإدارة البلاد ، والكفاءة الإدارية التي أدت إلى تقوية شوكة الخليفة، وإعادة هيبة الدولة، ولعل من أهم الأمثلة في ذلك ماقام به الحجاج بن يوسف الثقفي في تأثيره على عسكر الخليفة عبدالملك بن مروان ، فقد اشتكى الخليفة عبدالملك للحجاج من عسكره في أثناء خروجه لإخضاع زفر بن الحارث الكلابي[٤] في الجزيرة ، بأنهم لايرحلون برحيله، ولاينزلون بنزوله ، فقام

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٢٩٤/٦ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ٥٩٣/٤ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ، ٣٩/٢٨ .

(٢) ابن الأثير : أسد الغابة ، ٣٧٣/١ ؛ ابن حجر : الإصابة ، ٤٢٠/٢ .

(٣) البلاذري : أنساب الأشراف ، ١٣٢/٢ .

(٤) زفر بن الحارث بن عبد عمرو بن معاذ الكلابي ،يكنى بأبي الهذيل ، ويعتبر من التابعين من أهل الجزيرة ، شهد صفين مع معاوية أميرًا على أهل قنسرين ، وشهد وقعة مرج راهط مع الضحاك بن قيس الفهري ولما قتل الضحاك هرب إلى قرقيسيا ومات بها . خليفة بن خياط : تاريخه ، ١٩٩/١ ؛ ابن حبيب : المحبر ، ٤٩٥/١ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٤١٨/٤ ؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق ، ٣٤/١٩ .

الحجاج بهذه المهمة خير قيام ، فلما وجد بعض العسكر متخلفًا عن الخليفة، قام بجلدهم، وحرق خيامهم بالنار ، وعلى رأسهم وزير الملك روح بن زنباع الجذامي ، فلم يعد أحد بعدها قادر على أن يتخلف عن الخليفة في رحيله ونزوله [١].

ولابد من الإشارة إلى أن القدرة العالية التي يتمتع بها ولاة بني أمية في التصرف السياسي، والتنظيم الإداري ، وتكريسهم موارد الدولة المالية في سبيل دعم إدارتها، والنهوض بمستوى المرافق العامة من أهم الآثار التي أدت إلى استمرارية محبة الناس في الخليفة ، حيث تزخر المصادر التاريخية بالعديد من النماذج المبهرة في مجالات الحياة المختلفة ، فمن ذلك أن الولاة أولوا اهتمامهم بالزراعة، والري، وحفر الأنهار، وإقامة القناطر والجسور ، فحفرت عدة أنهار في ولاية عبدالله بن عامر [٢] على سبيل المثال ، وأنشأ زياد بن أبيه جلسًاليمنع طغيان الماء في الكوفة ، وظل هذا الجسر قائمًا طوال العصر الأموي، وقد قام بإصلاحه، وتجديده كل من ابن هبيرة، وخالد بن عبدالله القسري، ويزيد بن عمر بن هبيرة، وغيرهم [٣].

وفي مجال الاهتمام بالحج، والحجاج، فقد قام الولاة بتذليل العقبات التي تواجه المسافرين في شتى الأقاليم المتفرقة ، فمن ذلك أن والي خراسان سليمان بن أبي السري[٤] ببناء الاستراحات على الطرقات من أجل إطعام المسافرين ، والاعتناء بدوابهم ، وتقديم الخدمة للمرضى منهم ، ودفع النفقات لتأمين سفر المنقطعين منهم إلى أهلهم ، وغير ذلك من الأعمال التي أدت بشكل أو بآخر إلى تقوية مركز الخلافة، نظرًا لما تقدمه من خدمات جليلة في سبيل راحة المسافر [٥].

---

(١) ابن عبدربه : العقد الفريد ، ١٤/٥ ؛ ابن العديم : بغية الطلب، ٢٨٠/٢ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ٢٥١/٤ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ص٣٢٧ .

(٢) كنهر عبدالله ونهر نافذه ونهر مّره وغيرها . الجاحظ : البيان والتبيين ، ٤٠٥/١ ؛ ابن قتيبة : المعارف ، ص٢٦٤ ؛ البلاذري : فتوح البلدان ، ص٣٦٦ .

(٣) البلاذري : فتوح البلدان ، ص٢٨٥ .

(٤)سليمان بن أبي السري مولى بني عُوافة ، ولاه عمر بن عبدالعزيز سمرقند ، كان من قواد سعيد الحرشي وله وقائع في الصغد وغيرها ، كما تولى كش ونسف حربها وخراجها . النويري : نهاية الأرب ، ٨٢/٦ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٣٥٢/٥ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٣٨٨/٢ .

(٥) النويري : نهاية الأرب ، ٧٩/٦ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٥٦٧/٦ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، =

وتشير المصادر للعديد من مساهمات الولاة في مجال الإدارة والتنظيم الإداري، فعلى سبيل المثال: ساهم والي الأردن سليمان بن سعد[1] بشكل كبير في نقل الدواوين إلى العربية ، حتى ولاه الخليفة عبدالملك بن مروان جميع دواويين الشام ، كما ساهم غيره من الولاة في هذا المجال، كما أن مشاركة بعض الولاة في سك النقود فعالة بشكل كبير، كمروان بن محمد، والحجاج بن يوسف، وخالد القسري، وعمر بن هبيرة، ويوسف بن عمر، وغيرهم من الولاة الذين تنافسوا في بلوغ جودة النقود لأكمل درجة ، وكان هذا بلاشك عملاً عظيمًا، إذ قضى على المفاسد التي كانت موجودة، فاستفادت منه الرعية كما استفادت منه الدولة الأموية في نهوض الحياة التجارية [2].

الخلاصة من العرض السابق يتضح أن لولاة بني أمية مواقف متعددة، ومؤثرة في تقوية مركز الخلافة في شتى الأقاليم، اسوً كانت في الحياة السياسية، أو الحضارية، كما امتدت مواقفهم لتشمل تأثيرها على الدولة الأموية من خلال دورهم في تماسك الجبهة الداخلية من التفكك والفوضى ، لذا سأقوم بذكر بعض النماذج لمواقف الولاة في هذا الجانب في المبحث القادم.

٦٠/٥.

(١) سليمان بن سعد مولى خشين – حي من قضاعة – ويكنى بأبي ثابت ، كان حازمًا ذا رأي ، وهو كاتب الخليفة عبدالملك بن مروان كان أول مسلم ولي الدواوين وأول من ترجم الديوان من الرومية للعربية سنة٨١هـ . خليفة بن خياط : تاريخه ، ٨٧/١ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ٤٢٦/٢ ؛ البلاذري : فتوح البلدان ، ٢٣٠/١ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٢٥/٥ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ، ٣٠٥/٢ .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ، ص٢٨٩ ؛ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ص٣٦ ؛ الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص٢٢٣ .

المبحث الثاني: أثر مواقفهم في تماسك الجبهة الداخلية من التفكك والفوضى

شهدت الفترة الأخيرة من العصر الراشدي وبداية العصر الأموي الكثير من الفتن، والاضطرابات الأمنية ، كما شهدت الفترة الأخيرة من العصر الأموي العديد من الثورات، والفتن في شتى الأقاليم الإسلامية ، لذا فقد تحمل العبء الأكبر في تماسك الجبهة الداخلية من التفكك والفوضى الولاة الذين حاولوا جاهدين المحافظة على الأمن الداخلي .

لقد كان الولاة في العصر الأموي على وعي تام بما يحتويه المجتمع من تنوع سياسي، ومذهبي، فالكل يسعى لكسب الأنصار من مختلف عناصر المجتمع على مختلف طبقاتهم ووظائفهم ، وهذا حتم عليهم السعي في نشر الأمن، والاستقرار في ولاياتهم ، علمًا بأن أي اختلال للأمن، والشعور بالفوضى يكون له انعكاس على سخط الرعية على الدولة .

ولاشك أن بعض ولاة بني أمية قد سلك طرق صارمة في إحلال الأمن، واتخذ إجراءات إدارية متنوعة، أدت فيما بعد إلى تماسك الجبهة الداخلية ، نلاحظ ذلك من خلال خطبهم، أو في بعض مواقفهم التي ترمي إلى القضاء على الفوضى، وإشاعة الفتن بين الناس ، وقد اتهم بعض الولاة بالظلم والطغيان؛ لحزمهم في مواجهة مثيري الفتن والقلاقل ، ولكن بقيت بعض إجراءتهم الإدارية طريقًا يهتدى بها في إلزام الناس بالطاعة .

وتجلية لهذا الأمر سأورد بعضًا من الإجراءات التي اتخذها بعض الولاة لتوطيد الأمن، وفرض النظام، وذلك بالإفصاح عن أهدافهم، كقول الحجاج بن يوسف الثقفي:"ألا إنه لو ساغ لأهل المعصية معصيتهم، ماجبي فيء، ولا قوتل عدو، ولعطلت الثغور..." (١) ، أو كما قال زياد ابن أبيه :"إنّا أصبحنا لكم ساسةً، وعنكم ذادة، نَسوسكم بُسلطان اللّه الذي أَعطانا، ونَذُود عنكم بَفيء اللّه الذي خَولنا ، فَلَنا عليكم السَّمع والطاعة فيما أَحببنا، ولكم

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٥٤٨/٣ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٢٨٠/٢ .

علينا العدلُ فيما وَلينا، فاستوجبوا عَدْلَنا وفيئنا بمُناصحتكم لنا "[1] ، فمن خلال هذه الأقوال يتبين لنا أن الولاة يهدفون من خلال أعمالهم إلى إرساء قواعد الأمن في ولايتهم، دون النظر إلى مايترتب على ذلك من قسوة، أو ظلم ، وهذا لم يعهده الناس في زمن الخلفاء الراشدين، أو العصر النبوي ، إذا ماعلمنا أن المجتمع قد طرأ عليه التغيير، ونشأت الفرق المذهبية، والأحزاب السياسية فكان لازمًا على الولاة توخي الحذر في إدارة ولاياتهم .

ولم يقف تأثير الولاة الأمني على الأقوال فحسب، بل تعدى ذلك إلى الأفعال، واتخاذ إجراءات إدارية متنوعة للمحافظة على تماسك الجبهة الداخلية ، ومن تلك الإجراءات الأمنية الاستعانة بالعيون، والمخبرين للتصدي لجميع محاولات المخربين الذين يثيرون الفتن والقلاقل ، وقد صرح بذلك بعض الولاة قائلًا :" والله إني لأعد للأمر عسى ألا يكون أبدًا "[2] ، وقال والي المدينة النبوية عثمان بن حيان المري :" أيها الناس، إنا والله ما رأينا شعاًقط مثل الأمن ولا رأينا حلًسا قط لشًمن الخوف، فالزموا الطاعة، فإن عندي يأهل المدينة خبرة من الخلاف، والله ما أنتم بأصحاب قتال، فكونوا من أحلاس بيوتكم، وعضوا على النواجذ، فإني قد بعثت في مجالسكم من يسمع، فيبلغني عنكم أنكم في فضول كلام غيره ألزم لكم، فدعوا عيب الولاة؛ فإن الأمر إنما ينقض شيئاً فشيئا حتى تكون الفتنة، وإن الفتنة من البلاء، والفتن تذهب بالدين وبالمال والولد "[3] ، فكان الوالي يحذر أهل المدينة من إيواء أي غريب، لكي لايسعى الغرباء إلى زرع الفتنة بين الناس بإظهار عيوب الولاة، ومحاولة زعزعة الأمن، والاستقرار في ربوع ولايته .

وقد استغل بعض الولاة هؤلاء المخبرين، والعيون في شق صفوف الخارجين على الدولة ، فعلى سبيل المثال استطاع الخوارج بقيادة قطري بن الفجاءة أن يفتكوا بجيش المهلب بن أبي

---

(١) الجاحظ : البيان والتبيين ، ١٣٩/١ ؛ البلاذري : أنساب الأشراف ، ١٥٠/٢ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ١٧٩/٣ .

(٢) ابن عساكر : تاريخ دمشق ، ٦٥/٧٠ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٤٨/٢ .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٢٥٨/٥ .

صفرة، وذلك من خلال تطوير سهام مسمومة عبر أحد الحدادين ، فأرسل المهلب من يهتدي إلى اسمه ، حيث وجه رجلاً من أصحابه بكتاب، وألف درهم إلى معسكرهم ، وأمره أن يرمي الكتاب دون أن يشعر به أحد ، وكان في الكتاب :" أما بعد : فإن نصالك قد وصلت إلي، وقد وجهت إليك بألف درهم فاقبضها " ، فلما وجد الكتاب في المعسكر، استدعاه قطري، فأنكر الحداد صلته بالكتاب ، فأمر بقتله [1]. وهكذا استطاع الوالي بذكائه، وحنكته الإدارية، الإدارية، والاستفادة من العيون في شق صفوف الخوارج، والسعي لصد مؤمراتهم المتكررة تجاه الدولة الأموية .

وقد أدى انتشار العيون والمخبرين إلى حذر الناس من الخوض في شؤون السياسة والحكم، بالإضافة إلى الارتياب بكل غريب يطرقهم، كما يتضح ذلك من قول الشاعر حميد الأرقط يذكر ضيفًا :

إذا ما أتانا وارد المصر مرملاً	تأوب ناري أصفر العقل قافل
فقلت لعبدي اعجلا بعشائه	وخير عشاء الضيف ما هو عاجل
فقال وقد ألقى المراسي للقرى	أبن لي ما الحجاج بالناس فاعل
فقلت ما لهذا طرقتنا	فكل، ودع الأخبار ما أنت آكل[2]

ويبدو أن هؤلاء العيون والمخبرين كانوا يؤدون دورهم الأمني من قبل الولاة بكل أمانة وصدق، فعن طريقهم تمكن الحجاج بن يوسف الثقفي من معرفة الوجهة التي قصدها يزيد بن المهلب بعد فراره من السجن إلى بلاد الشام [3].

وتورد بعض المصادر التاريخية[4] معلومات عن كيفية تعرُّف الولاة على أماكن وجود الأشخاص المطلوبين في أمر يخص الأمن الداخلي عن طريق أولئك العيون أو المخبرين . فقد تعرَّف عبيد الله بن زياد والي العراق على مكان وجود مسلم بن عقيل بن أبي طالب – ابن عم

(١) البلاذري : أنساب الأشراف ، ١٥٠/٢ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ١١٤/١ .

(٢) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، ٢٤٢/٣ .

(٣) النويري : نهاية الأرب ، ٣١٧/٢١ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٤٤٩/٦ .

(٤) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٢٧٠/٤ ؛ أبو الفرج الأصفهاني : مقاتل الطالبين ، ٢٧/١ .

الحسين بن علي رضي الله عنه، ومندوبه إلى أهل الكوفة - عن طريق مولى له يدعى معقل، أعطاه عبيدالله ثلاثة آلاف درهم ، وأمره أن يتزيا بزي تجار أهل الشام، وأن يحاول البحث عن أحدٍ يعرف مكان مسلم، فبدأ المولى مهمته، ونجح في ذلك .

كما استطاع يوسف بن عمر الثقفي والي العراق لهشام بن عبد الملك بمكان وجود زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنه في الكوفة عن طريق غلام خراساني،كان يعمل عيناً له . وعرف كذلك عن الموعد المحدد لبدء حركة زيد وأعوانه ، فما كان من يوسف وجنده إلاّ أن باغتوهم، وأجهضوا حركتهم ، وهكذا استغل الولاة بعض الإجراءات الإدارية من أجل وحدة الصف الداخلي للدولة الأموية [1].

أما من ناحية أخرى، فلا شك أن جهاز الشرطة كان له دور كبير في توطيد الأمن، وتماسك الجبهة الداخلية من التفكك والفوضى، وخاصةً داخل المدن ، حيث كان الوالي يشرف على هذا الجهاز إشرافاً كلياً في العصر الأموي ، وقد استطاع بعض الولاة الاستفادة من خبرتهم الإدارية في تعيين صاحب الشرطة[2]، ومتابعة أعماله ، فكان لهم دور كبير في تأثيرهم على الأمن ، وخاصة إذا ماعلمنا أن بعض الولاة زج بالعلماء والقضاة في هذا الجهاز لضمان استمرارية تماسك الجبهة الداخلية، وقد مر بنا فيما سبق بعض الأمثلة على ذلك .

ومن المعلوم أن للشرطة وظائف وواجبات منوطة بها إبان العصر الأموي استطاع الولاة تسيير الأمور الأمنية من خلالها، حتى أنه إذا استدعى الأمر دعوة شخص، أو إحضاره للوالي كان رجال الشرطة يقومون بتلك المهمة ، فقد أرسل والي الكوفة المغيرة بن شعبة صاحب شرطته قبيصة بن الدمون إلى منزل حيان بن ظبيان السلمي عندما أخبره قبيصة أن الخوارج قد اجتمعوا في منزل حيان ، فسار قبيصة في كثير من الناس ورجال الشرطة، وألقى القبض على حيان ومن معه [3].

وقد حرص الولاة على تلبية المطالب الأمنية من صاحب الشرطة لإستمرار الأمن،

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٤٣٩/٢ .

(٢) يفضل أن يكون صاحب الشرطة شديد الصولة ، قليل الغفلة ، دائم العبوس ، طويل الجلوس سمين الأمانة ، أعجف الخيانة . ابن قتيبة : عيون الأخبار ، ١٦/١ ؛ ابن عبدربه : العقد الفريد ، ١٩/٥ .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٢٥٧/٥ .

والاستقرار في الولاية ، فعندما ولي مروان بن الحكم المدينة، ولى مصعب بن عبدالرحمن[1] شرطته، فقال :" إني لا أضبط المدينة بحرس المدينة فابغني رجالًا من غيرها " ، فأعانه بمائتي رجل من أهل إيلة ، فضبطها ضبطًا شديدًا ، حيث كانوا قبل ذلك في فوضى عارمة، فكان يقتل بعضهم بعضًا [2] ، ولو تقصينا أخبار أهل المدينة قبل ولاية مروان بن الحكم في المدينة المدينة النبوية لم تكن بالسوء الذي وصفه بعض المؤرخين من أن بعضهم يقتل بعضًا ، ولكنه بالغ في وصف تلك الفترة لعدم استتباب الأمن إذا ما علمنا أن أهل المدينة في تلك الفترة، كانوا من خيرة الناس، فكان غالبيتهم من الصحابة، وأبناء الصحابة ﷺ ، ولعل طلب صاحب الشرطة رجالًا من خارج المدينة لكي لا يقع لهم الحرج في التعامل مع أهل المدينة .

وقد أشارت بعض المصادر التاريخية إلى أن بعض الولاة لم يحصر عمل الشرطة داخل المدن، بل لجأ إلى إقامة مراكز للشرطة على مفارق الطرق الرئيسة ، ومن ذلك مافعله الحجاج ابن يوسف على حدود العراق ، وهو مايعرف (بقصر سفوان) كان ينزله المجيزون — الذين يحفظون الطريق، ويجيزون السابلة — أي يسمحون للمسافرين بالمرور ، ولذلك قال الشاعر :

إذَا جَاوَزتْ قَصر المجيزين نَاقتي ... فكأبي الحَجَّاجِ لَمَّا ثَنَانِيَا [3]

ولم يكتف بعض الولاة بجهاز الشرطة لحفظ الأمن، واستقرار البلاد، بل اتخذوا إجراءات إدارية حازمة تجاه المجتمع ، فقد اعتمدوا على العرفاء[4] كنوع من السيطرة على السكان

---

(١) مصعب بن عبدالرحمن بن عوف الزهري ، أبوه أحد العشرة المبشرين بالجنة ، يكنى بأبي زرارة ، وهو أحد شجعان زمانه ، ولاه مروان بن الحكم قضاء المدينة مع الشرطة وذلك سنة ٤٤هـ بدلاً من أبي سلمة بن عبدالرحمن ، كان شديدًا صليبًا في ولايته، وأخذ الناس بالشدة ، شارك مع ابن الزبير في قتاله ضد الحجاج بن يوسف في مكة ، وقيل: أنه قتل ودفن في مكة، وقد دخل قبره في المسجد الحرام لما زيد . ابن سعد : الطبقات ، ١٥٨/٥ ؛ الزبيري: نسب قريش ، ٨٦/١ ؛ خليفة بن خياط : تاريخه ، ١٧٣/١ ؛ وكيع : أخبار القضاة ، ١١٩/١؛ أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، ٤/٢ .

(٢) وكيع : أخبار القضاة ، ١١٩/١ ؛ أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، ٤/٢ .

(٣) البلاذري : أنساب الأشراف ، ٢٤٦٥ ؛ المبرد : الكامل في اللغة ، ١٣٥/١ ؛ الحموي : معجم الأدباء ، ٢٢٢/٢ .

(٤) العريف : القيم والسيد بأمور القبيلة أو الجماعة من الناس يلي أمورهم ، ويتعرف الأمير منه على أحوالهم . ابن . ابن منظور : لسان العرب ، ٢٣٨/٩ .

وضمان عدم الفوضى بين القبائل ، كما شاركوا في القضاء على الثورات، فعندما قرر الحجاج ابن يوسف إرسال عثمان بن سعيد[1] لقتال شبيب الخارجي[2]، دعا أصحاب الدواوين وطلب منهم أن يضربوا البعث على الناس، وأن يخرجوا أربعة الآف من الناس ، فجمعت العرفاء ، وجلس أصحاب الدواوين، وضربوا البعث فأخرجوا أربعة الآف [3].

ومن ناحية أخرى، فإن العرفاء كذلك مسؤولون عن الأمن، والنظام في عرافاتهم ، فعليهم مراقبة مثيري الفتن والقلاقل، وإخبار الوالي عنهم ، فإذا تقاعسوا في مهمتهم، فإنهم يصبحون عرضة لعقوبات صارمة على إهمالهم ، ويتضح ذلك من قول عبيدالله بن زياد حينما وجه كلامه للعرفاء فقال :" اكتبوا إلى الغرباء ، ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين، ومن فيكم من الحرورية، وأهل الريب الذين رأيهم الخلاف والشقاق ، فمن كتبهم لنا فبرئ، ومن لم يكتب لنا أحدًا ، فيضمن لنا ما في عرافته ألا يخالفنا منهم مخالف ، ولا يبغى علينا منهم باغ ، فمن لم يفعل برئت منه الذمة، وحلال لنا ماله، وسفك دمه، وأيما عريف وجد في عرافته من بغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صلب على باب داره ، وألغيت تلك العرافة من العطاء" [4].

وفي ظل التدهور الأمني بين المدن المترامية الأطراف، وفي الأماكن النائية عن السكان، فإن بعض الولاة اعتمد على إجراءات أمنية متشددة في سبيل تأمين الطرق المؤدية إليها ، فحينما قيل للوالي زياد بن أبيه :" إن السبل مخوفة " ، فقال :" لا أعاني شيئاً سوى المصر حتى أغلب على المصر، وأصلحه، فإن غلبني المصر، فغيره أشد غلبه، فلما ضبط المصر، تكلف ما سوى

---

(١) عُثمان بن سَعيد بن شُرْحِبيل بن عَمْرو بن الأُرقم بن سَلَمة بن وَهْب الكندي ، وهو من بني الحارث ، ويعرف بالجزل، أحد قواد الحجاج بن يوسف الثقفي ، وكان شديدًا شجاعًا . ابن الكلبي : نسب معد واليمن ، تحقيق : ناجي حسن ، ط١ ، مصر ، دار عالم الكتب ، ١٤٠٨هـ ، ٣٦/١ ؛ ابن حجر : الإصابة ، ٤٢٢/١ .

(٢) شبيب بن يزيد بن نعيم الشيباني ، يكنى بأبي الصحارى وهو بطل مشهور من أبطال الخوارج المعدودين ، انتقلت إليه زعامة الخوارج بعد موت صالح بن مسرح التميمي ، وتسمى بأمير المؤمنين وقد كان من الشجاعة والفروسية على جانب كبير جدًا ، دارت بينه وبين جيوش الدولة الموية معارك كثيرة كان الظفر يحالفه في معظمها ، توفي غرقًا في نهر دجيل آواخر سنة ٧٧هـ . ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ١٣٦/١ ؛ الشهرستاني : الملل والنحل ، ٣٣/١ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٤٥٤/٢ .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٢٣١/٦ .

(٤) الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٣٥٩/٥ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٥٥/٢ .

ذلك فأحكمه " ، وبعث زياد إلى رجال من بني تميم، ورجال من بني بكر، وطلب منهم أن يدلوه على صلحاء كل ناحية، ومن يطاع فيها ، فدلوه ، فضمنهم الطريق، وحد لكل رجل حدًا ، فكان يقول :" لوضاع حبل بيني وبين خراسان علمت من أخذه "(١)، فهذه دلالة واضحة على تأثير الولاة في تماسك الجبهة الداخلية من التفكك والفوضى ، ففي ولاية زياد أمن الناس بعضهم بعضًا، إلى درجة أن الشيء يسقط من الرجل أو المرأة، فلايعرض له أحد حتى يأتيه صاحبه فيأخذه ، وتبيت المرأة فلا تغلق بابها (٢).

ومن آثار الولاة في تأمين حياة الناس في أنحاء ولاياتهم المتفرقة، اهتمامهم بالقبض على قطاع الطرق واللصوص ، فعندما تولى سعيد بن عثمان بن عفان خراسان، قام بالقبض على بعض الأعراب من بني تميم الذين كانوا يقطعون الطرق على الحجاج ببطن فلج(٣) ، وقد مر بنا فيما سبق العديد من الأمثلة في تأمين الطرقات للمسافرين والحجاج .

ومما يدل على تأثير بعض الولاة في توطيد الأمن، والقضاء على الفتن والثورات ما ذكره بعض المؤرخين في وصف استقرار الأمن في أرجاء الدولة الأموية زمن الخليفة هشام بن عبدالملك بقوله:" فصارت البلاد المتنائية الشاسعة كدار واحدة ..."(٤) ، وهذا يدل على تماسك الجبهة الداخلية آنذاك من الخارجين على الدولة .

ومن ضمن الإجراءات الأمنية التي اتخذها بعض الولاة: النهي عن الخروج ليلاً، والتجول داخل المدينة ، فهذا زياد بن أبيه يوضح عقوبة المتجولين بقوله :" إياي ودلج الليل، فإني لا أوتى بمدلج إلا سفكت دمه "(٥) ، لذا نستطيع القول بأن مواقف الولاة المختلفة في اتخاذ الإجراءات الأمنية المتنوعة، أدى إلى تأثيرها على تماسك المجتمع بشكل أو بآخر في أغلب فترات الحكم الأموي .

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ٣٢٣/٥ ؛ ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ٧/٥ .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٢٢٢/٥ .

(٣) وهو وادي يسلك من طريق البصرة إلى اليمامة ومنها إلى مكة ، وفلج اسم لبلد على الوادي . الحموي : معجم البلدان ، ٢٧٢/٤ .

(٤) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، ١٠٨/٢ .

(٥) النويري : نهاية الأرب ، ٤٠٧/٥ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ١٨١/٣ .

فعلى أية حال، قد يطول بنا المقام في سرد الإجراءات الأمنية التي سلكها ولاة بني أمية في سبيل استقرار البلاد ، حيث ركزت على ولاة العراق، نظًرا لأهمية الأقليم، وقربه من مركز الخلافة، بالإضافة إلى ما يثيره أهلها من قلاقل وفتن ، علًما بأن بعض الأقاليم الأقل أهمية كاليمامة على سبيل المثال، لم تخل من ولاة كان لهم باع طويل في استتاب الأمن، ومحاربة الفوضى كيزيد بن هبيرة[1] وابن عربي[2] وغيرهم .

على أي حال فإن الدولة الأموية نجحت في بسط نفوذها ًبرا وبًحرا على مساحة واسعة، رغم تعقد التحديات الداخلية بما تشتمل عليه من كم هائل من الأعراق والأجناس والأديان والمذاهب ، حيث كان للولاة تأثير مهم في تلك النجاحات إضافة إلى تأثيرهم البارز من خلال تعاملهم مع مصادر التهديد الظاهرة، وتمكنهم من فرض سيطرتهم الكاملة على ولاياتهم المتفرقة، وهذا ما سنتطرق إليه في المبحث القادم .

---

(١) يزيد بن هبيرة بن أقيش بن جذيمة المحاربي ، يكنى بأبي داود ، كان شريفًا وقد ولي عدة ولايات ، ويعتبر أول من ولي اليمامة للخليفة عبدالملك بن مروان . خليفة بن خياط : تاريخه ، ٢٣١/١ ؛ البلاذري : أنساب الأشراف ، ٢٨٤/٤ .

(٢) إبراهيم بن عربي الليثي ، الكناني ، وهو إبراهيم بن عبدالرحمن بن نافع ، وكان مكرماً عند بني أمية ، حيث كان على الديوان للخليفة عبدالملك بن مروان ، ثم ولاه اليمامة وأعمالها ، فأقره الوليد عليها ثم رده يزيد بن عبدالملك عليها ، امتدحه الفرزدق وبعض الشعراء . خليفة بن خياط : تاريخه ، ٢٣١ ؛ البلاذري : أنساب الأشراف ، ٢٢/١ ؛ الوزير المغربي ، الحسين بن علي بن الحسين (ت٤١٨هـ) : أدب الخواص في المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسابها ، أعده للنشر: حمد الجاسر، ط١ ، الرياض ، دار اليمامة ، ١٤٠٠هـ ، ٨٩/١ .

المبحث الثالث: أثرهم في التعامل بشكل حاسم مع مصادر التهديد الظاهرة

لم تكن الناحية الأمنية في الدولة الأموية مقتصرة على تماسك الجبهة الداخلية من التفكك والفوضى فحسب ؛ بل امتدت إلى أبعد من ذلك حيث حرص خلفاء بني أمية على تغيير الولاة الذين لم يتعاملوا بشكل حاسم مع مصادر التهديد الظاهرة ، وقد أشرنا سابقًا[1] إلى ذكر العديد من النماذج التي تم فيها عزل الولاة بسبب سياستهم التي تخللها اللين تارة، والضعف تارة أخرى، لذا فقد بذل ولاة بني أمية جهودًا كبيرة من أجل المحافظة على الأمن والاستقرار وذلك من خلال التعامل بشكل حاسم مع مصادر التهديد الظاهرة، كسوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، والاختلافات الدينية، والمذهبية، وغير ذلك .

وقبل الحديث عن أثر بعض الولاة في هذا الجانب، لابد من التنبيه على أن بعض الولاة تعامل بشكل صارم مع مصادر التهديد التي ظهرت خلال العصر الأموي ، وذلك نظرًا لارتفاع مستوى التحديات، وطبيعة الصراع الذي ساد أرجاء الأقاليم المتفرقة في فترات متفاوتة ، فكان لازامًا على الولاة التعامل بتلك الطريقة الأشد قسوة؛ لأن طبيعة الحكم يستلزم ذلك ، إذا ماعلمنا أن مواقف الولاة اختلفت اختلافًا جذريًا من إقليم لآخر .

ويكاد يكون تأثير الولاة في العصر الأموي في هذا الجانب بالغ الأهمية، فقد شكل بعض الولاة حصنًا منيعًا لثبات قواعد الحكم لدى الأمويين ، ومن أبرز تلك المواقف ما أشارت إليه بعض المصادر التاريخية[2] في خطبة والي العراق زياد بن أبيه التي قال فيها :" وإياي ودعوى الجاهلية، فاني لا أجد أحدًا دعا بها إلا قطعت لسانه، وقد أحدثتم أحداثاً لم تكن، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة، فمن غرق قومًا غرقته، ومن حرق على قوم حرقناه، ومن نقب بيتاً نقبت عن قلبه، ومن نبش قبراً دفنته حياً ، فكفوا عني أيديكم وألسنتكم، أكفف يدي وأذاي، لا يظهر من أحد منكم خلاف ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه ..." ، ونستشف من

---

(١) المبحث الأول من الفصل الأول .

(٢) وقيل : إن هذه الخطبة للحجاج بن يوسف الثقفي . الجاحظ : البيان والتبيين ، ١٣٩/١ ؛ ابن قتيبة : عيون الأخبار، ٢٢٥/١ ؛ البلاذري : أنساب الأشراف ، ١٥٠/٢ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ١٧٩/٣ ؛ ابن عبدربه : العقد الفريد ، ١٦/٢ .

خطبته هذه ليس التهديد والوعيد، بل القضاء على مصادر الفتنة، كالعصبية القبلية بين الناس، بالإضافة إلى أنه بيّن نواحي الفساد في ولايته ، وأعلن عزمه على القضاء عليها، كما وضح عقوبة كل جريمة ترتكب في ولايته .

وقد وقف بعض الولاة موقفًا صامدًا، وتعاملوا بشكل حاسم مع مصادر التهديد الظاهرة أثناء حركة ابن الزبير ﷺوكانوا سببًا في بقاء الدولة الأموية ، وقد برز العديد من الولاة في هذا التأثير، كروح بن زنباع، وعبدالرحمن بن عبدالله الثقفي، وحسان بن مالك الكلبي[1] الذي الذي شد الخلافة لمروان بن الحكم، فكان يسلم عليه بالخلافة أربعين يومًا، ثم سلمها لمروان بن الحكم [2]، وغيرهم من الولاة الذين شاركوا في تثبيت دعائم الحكم في تلك الفتنة التي التي حلت بالأمة الإسلامية .

وفي ظل تخاذل بعض الولاة في أواخر أيام الدولة الأموية، فإن هناك بعض الولاة لازال يتعامل بشكل حاسم مع أهم مصادر التهديد، كالدعوة العباسية التي ظهرت في تلك الفترة ، فعلى سبيل المثال كتب والي خراسان نصر بن سيار قبل ظهور الدعوة العباسية يحذر مركز الخلافة، وينذرهم من خطر العباسيين، فلم يأبهوا للخطر، فصبر يدبر الأمور إلى أن أعيته الحيلة، فأرسل عدة أبيات يبين للخليفة مروان بن محمد مدى الخطر المحدق بالدولة الأموية بقوله :

أَرى خَلَلَ الرمادِ وميضَ نَارٍ ... وَيوشِكُ أن يكُونَ لها ضِرَامُ
فإنِ النَارَ بالعيدان تُذكى ... الحَرَبَ أوّلها كَلاَمُ
فَإن لم تُطفئوها تُخرجُوهَا ... مُسَجَرَة يشيبُ لها الغُلامُ
أقولُ ن التعجب لَيْتَ شعري ... أُميهُ أَم نيَامُ ؟!

---

(١) حسان بن مالك بن بحدل بن أنيف بن دلجة الكلبي ، يكنى بأبي سليمان ، وهو زعيم كلب، ومقدمهم ، وسيد وسيد قحطان، ورئيسها بالشام ، كان عاملاً للخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ، ثم للخليفة يزيد بن معاوية، ومعاوية بن يزيد، ومروان بن الحكم على فلسطين والأردن . البلاذري : أنساب الأشراف ، ١٢٧/٥ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٥٣١/٥ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ٥٣٧/٣ .

(٢) ابن عساكر : تاريخ دمشق ، ٤٤٨/١٢ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٤٥/٤ .

فَإن يكُ قومنا أَضحَوا نياماً فقل قُومُوا فَقَدْ حَانَ القيامُ [١]

فكان من أشد ولاة بني أمية تأثيراً في القضاء على العديد من مصادر التهديد، حيث تعامل معها بشكل حاسم ، كما سعى كذلك في التوازن القبلي ، ولكنه لم يستطع أن يستمر في جهوده، نظًرا لظهور الشعوبية الفارسية التي انتهزت حالة الصراع القبلي العربي ، علًما بأنه استطاع القضاء على العديد من الحركات، ومصادر الفوضى التي شكلت تهديدًا على مصالح الدولة الأموية [٢].

والبعض الآخر من الولاة، كان تأثيره في تجفيف منابع الفتنة من خلال عفوه وتسامحه، وذلك بالتنازل عن بعض القرارت الإدارية من أجل النزول على رغبات العامة ، ويتضح ذلك ما أشارت إليه بعض المصادر التاريخية[٣] في ردة فعل الحجاج بن يوسف الثقفي عندما ولى سعيد بن جبير على قضاء الكوفة فضج الناس ، وقالوا:" لا يصلح للقضاء إلا عربي "، فاستقضى أبا بردة بن أبي موسى الأشعري، وأمره أن لا يقطع أمراً دونه . وبذلك استطاع أن يرضي الطرفين بدون تنازع واختلاف .

ومما يؤكد تأثير بعض الولاة على أهم مصادر التهديد آنذاك، تأليفهم لقلوب بعض قادة الفرق الضالة ، فقد قام الحجاج بن يوسف الثقفي باعتقال زعيم الخوارج عمران بن حطان[٤]، وهو يدرك بأن هذا الرجل يقدر قيمة العفو والصفح، وإن اعتقله، ومن ثم إطلاق سراحه سوف يمنعه من مقابلة الإحسان بالعصيان ، وبالفعل تحقق ماتمناه الحجاج ، فبعد أن أطلق

(١) خليفة بن خياط : تاريخه ، ١١٥/١ ؛ البلاذري : أنساب الأشراف ، ٤٩٩/١ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ١٥٠/٣ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء، ٥٦/٦ .

(٢) للاستزادة حول هذا الموضوع راجع : جاسم البدراني : خراسان في عهد نصر بن سيار ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ١٩٧٨م ، ص٨٨ .

(٣) ابن قتيبة : المعارف ، ١٠٤/١ ؛ البلاذري : أنساب الأشراف، ٤٩٥/٢ ؛ ابن المطهر : البدء والتاريخ ، ٣٣٩/١ .

(٤) عمران بن حطان بن ظبيان السدوسي الشيباني الوائلي، يكنى بأبي سماك ، وهو أحد رؤوس الصفرية، وخطيبهم وشاعرهم ، كان قبل ذلك من رجال العلم والحديث، من أهل البصرة، وأدرك جماعة من الصحابة فروى عنهم، وروى أصحاب الحديث عنه. ابن سعد : الطبقات ، ١٥٥/٧ ؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق ، ٤٨٥/٤٣ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ٢١٤/٤ ؛ ابن حجر : الإصابة ، ٤٢٠/٢ .

سراحه، اجتمع إليه أتباعه، وطلبوا منه الخروج والثورة على الحجاج، فرفض ذلك [1].

كما أمّن والي اليمامة إبراهيم بن عربي بعض رجالات الخوارج[2]، وجعلهم من أصحابه أصحابه بعد أن هددهم والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي بقوله لأحدهم:" لئن تغيبت عني لأقطعن يدك ورجلك، ولأضربن عنقك"[3] ، ولكنهم لما انضموا إلى ابن عربي أظهروا التوبة من مذهب الخوارج ، وأصبحوا من المقربين له ، وبهذا استطاع تأمين أحد مصادر التهديد في تلك الفترة، والحد من خروج فرقة الخوارج .

وإذا اعتبرنا ظهور الفرق الضالة من مصادر التهديد فإن تأثير الولاة في هذا الجانب واضح الأثر، وقد أشرنا سابقًا إلى العديد من الأمثلة في ذلك، وكيف تعامل الولاة بشكل حاسم مع تلك الأحداث ، ولابد أن نبين أن شدة بعض الولاة مع شعوب أقاليمهم، أدى إلى ظهور بعض الحركات العسكرية من أصحاب الفرق، والأهواء الضالة .

وقد شكل خروج الولاة على خلفائهم مصدًرا خطَيرا من مصادر التهديد الظاهرة على الدولة ، لذا نرى بعض ولاة بني أمية قد سنحت له الفرصة بالخروج، ومعه الرجال والأموال الكافية للإستقلال بالحكم،ولكنه رفض ذلك إيمانًا منه بلزوم الطاعة كموسى بن نصير على سبيل المثال، لما كاتبة يزيد بن المهلب بالخروج، قال :" والله لو أردت ذلك – أي الخروج – لما نالوا من أطرافي طرفًا ولكني آثرت الله ورسوله ، ولم نر الخروج عن الطاعة والجماعة "[4] ، وإذا وإذا ما عرفنا ذلك كله تبين لنا وجود ولاة كان في مواقفهم تأثيرًا على الحياة السياسية والحضارية في الدولة الأموية .

ومن ضمن مصادر التهديد الظاهرة سوء الأحوال الأقتصادية، وتعرض الناس لمجاعات وسنين قحط وجوع ، وقد تصدى لها بعض ولاة بني أمية، وكان لها الأثر الكبير في نفوس

(١) المبرد : الكامل في اللغة ، ٢٣١/١ .

(٢) ومنهم : عبدالله بن صباح الزماني ، الذي كان في مقدمة خيل أبي فديك ، ومويلك المزموم السدوسي أحد أحد شعراء الخوارج . البلاذري : أنساب الأشراف ، ٢٥/٣ ؛ المرزباني : معجم الشعراء ، ٨٢/١ ؛ .

(٣) البلاذري : أنساب الأشراف، ٢٥/٣ .

(٤) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، ٧٠/٢ ؛ ابن عذاري : البيان المغرب ، ٢١/٢ .

العامة، ومن ذلك ما فعله عبدالرحمن القشيري[1]حينما أصاب المسلمين عطش في أحد الحملات العسكرية حمل عشرين قربة على إبله، فسقاها الناس جُرعًا جرعًا ، فمدحه الشاعر معن بن مضرس الفزاري بقوله :

إذا سئلت قيس من الغمر فيهم	وسيدهم قالوا هو السيد الغمر
إذا ما ابن عبد الله أصبح ثاوياً	فلا ولدت أنثى ولا أنجبت بكر
ولا انهل ماء من صبير سحابة	ولا أمطرت أرض بها نابت قصر
إذا مت مات الجود وانقطع	وويل لقيس يوم يضمنك القبر[2]

فلم يكن الوحيد الذي يبذل ماله في سبيل التخفيف عن الناس مأساتهم ، ولكن عندما يبذل الوالي ذلك من ماله الخاص يكون له بعض الأثر في نفوس الناس .

وفي الغالب مايتسابق الشعراء في مدح الولاة الذين شاركوا الناس في أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية، وكان لهم بالغ الأثر في نفوس الرعية ، فمن ذلك ما أشارت إليه المصادر التاريخية[3] من أن والي مصر عبدالعزيز بن مروان في أثناء ولايته، قام بأعمال سخية في مجال الكرم والعطاء ، فقد كانت له ألف جفنة، كل يوم تنصب حول داره، وكانت له مائة جفنة يُطاف بها على القبائل، تُحمل على العجل إلى قبائل مصر، ولولا تواتر الروايات التاريخية، وكذلك الأبيات الشعرية من عدة شعراء بهذه الأخبار التي أراها مبالغًا فيها كون الوالي يُعد تلك الأطعمة الكثيرة، وتحديدًا في كل يوم ، مما يجعل هناك مجالاً للشك، وعدم تصديق مثل تلك الأخبار ، ولكن نرى بعض الشعراء على تنوع مشاربهم يذكرون تلك الأعمال، ويستحسنونها

---

(١) عبدالرحمن بن عبدالله القشيري ، من بني الأعور بن قشير ، كان أبرص ، وهو من وجوه العرب وساداتها، وأهل المروءات وقوادها بخراسان ، ولاه الخليفة عمر بن عبدالعزيز بعض أعمال خراسان . ابن قتيبة : المعارف ، ١٣١/١؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٣٥٠/٥ .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ٣٨٣/٥ ؛ المرزباني : معجم الشعراء ، ١٠١/١ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٣٩٤/٢ .

(٣) الجاحظ : الحيوان ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، ط٢ ، مصر ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٦٥م ، ٢١٧/١؛ الكندي : الولاة والقضاة ، ١٥/١ ؛ ابن عبد البر : بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذهن والهاجس ، تحقيق: محمد الخولي ، ط١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٢هـ ، ١١٣/١ ؛ ابن حمدون : التذكرة الحمدونية، ٢٤٣/١ .

من الوالي ، فهذا الشاعر الأصمعي يقول:

يَ ْومٍ كَأنّهُ يَ ْومُ أضْحى | عِنْدَ عَبْدِ العَزِيزِ أوْ يَ ْومُ فِطْرِ
وَلَهُ أَلْفُ جَفْنَةٍ مُتْرَعاتٍ | كُلّ يَ ْومٍ تُمِدّها أَلْفُ قِدْرِ

وقال عبيد الله بن قيس الرقيات في ذلك :

أَعْني ابنَ لَيلى عَبدَ العَزيزِ بِبا | ، اليُ ونَ تَغْدو جِفانُهُ رُذُما

وقال أيمن بن خريم بن فاتك قصيدة طويلة يذكر كرم الوالي ومنها:

يَ رَهَبُ النّ اسُ أنْ يَ عِلوا | بِعَبِدِ العَزيزِ بن لَيلى أَمِيرا
تَ رى قِ مُعلَناً بِالفِناءِ | م بَ عَد الجَ زورِ الجَ زورا

وقال ابن قيس في سخاه وكرمه وواصفًا طعامه :

كُونُ جِفانُهُ رُذُماً | فَمَصْبوحٌ وَمُغتَ بِ قَ
فَمَصْبوحٌ وَمُغتَ بِ قَ | جَ نَ تْ مِنْ دُونِهِمْ رُفُقُ

والذي يظهر من قصائد الشعراء أنه كان سخيًا بكثره موائده التي يفد إليها المساكين والفقراء ، وبالإضافة إلى ذلك، فقد كان بابه مفتوحًا لمن أراد أن يسأله عن حوائجه ، وفي ذلك قال الشاعر نصيب :

لعبد العزيز على قومه | وغيرهم نعٌم غامره
فبابك ألين أبوابهم | ودارك مأهولة عامره
وكفك حين ترى السّائلي | ن أندى من اللّيلة الماطره

ومن الملاحظ كذلك أن تأثيره على الناس لم يتوقف على كرمه، واستقباله لذوي الحاجة، بل عمل أعمالاً تصدى فيها لأحد مصادر التهديد، وهو فيضان نهر النيل حيث عمل على إصلاح المقاييس[1]، وغيرها من الأعمال ، كما يجب أن نأخذ بعين الاعتبار أن الطاعون حلَّ بولاية عبدالعزيز بن مروان ، فلم يسلم من مرض الجذام، مما جعله يرتحل إلى حلوان، وبقي فيها حتى وافته المنية ، فدامت ولايته ما يقارب العشرين سنة، كانت حافلة

---

(١) تستخدم لتعيين حد الماء لكي لايفيض نهر النيل ، ولمعرفة زيادة النيل ونقصانه . المسعودي : مروج الذهب ، ١٥٢/١ ؛ المقريزي : المواعظ والأعتبار ، ٧٤/١ .

بالعمارة، والرخاء، والجود، والكرم، والعطاء [1].

ولقد ضمت العديد من المصادر التاريخية[2] سوء الأحوال الاقتصادية، وما أصاب الناس في فترات متقطعة من العصر الأموي من جوع، وقحط حتى وصفت تلك السنين بأسماء الولاة؛ لأنهم استطاعوا التصدى لبعضها ، فكان لها الأثر البالغ في التخفيف على الناس تحمل أعبائها، والأمثلة في ذلك كثيرة، منها ما كان في أيام إمارة خالد بن عبدالملك بن الحارث على المدينة ، وكان يقال لها :سنيات خالد[3] ، فتعامل معها بشكل حاسم، حيث أجلى الناس من بادية الحجاز فلحقوا بالشام، فقد أحسن الوالي التصرف في مثل هذا الموقف حينما أصاب الناس ما أصابهم من البؤس والجوع .

ويبدو أن سوء الأحوال الاقتصادية قابلها بعض الولاة بالبذل والعطاء ، ومن ذلك ما قام به والي العراق خالد بن عبدالله القسري الذي استجاب لرجل من بني أسد، حينما اشتكى فقال :" أتت علينا سنون ثلاث أجحفت الأموال، ونحبت قلوب الرجال، فأما الأولى منهن فأذابت الشحم، وأما الثانية فنحضت اللحم، وأما الثالثة فهاضت العظم "، فتسابق الولاة في بذل الأموال من أجل الوقوف على حاجة الناس ومساعدتهم ، فأنفق والي الحجاز إبراهيم بن هشام المخزومي سبعين ألف دينار ، وأنفق خالد القسري ألفي ألف درهم ، فسميت السنة سنة خالد[4] نسبة إليه كونه بذل مالاً كثيراً، والناس في حالة اقتصادية سيئة ، بل إن التجار لم يبذلوا عطاءً بهذا الكرم .

ولايسعنا في هذا المقال الوقوف على المطعمين من ولاة بني أمية، وأثرهم في الحياة

---

(١)ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ١٩/١ ؛ الخطيب البغدادي : المتفق والمفترق ، ط١ ، دمشق ، دار القادري ، ١٤١٧هـ ، ١٥/٢ ؛ ابن حمدون : التذكرة الحمدونية ، ٢٤٣/١ ؛ الحموي : معجم البلدان ، ٢٩٤/٢ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ١١٢/٣ .

(٢) الزبيري : نسب قريش ، ٥٧/١ ؛ الزبير بن بكار : جمهرة نسب قريش ، ٦١/١ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٩١/٧ ؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق ، ١٧١/١٦ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٨١/٥ ؛ النويري: نهاية الأرب ، ٤٣/١.

(٣) ويقال لها أيضًا : السنيات البيض ، حيث يضرب بها المثل في الجدب ، وكانت مدتها سبع سنين . الزبيري: نسب قريش، ٥٧/١ ؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق ، ١١٧/١٦ .

(٤) البلاذري : أنساب الأشراف ، ١٤٤/٣ .

الاجتماعية، ودورهم في الوقوف مع الرعية في أصعب اللحظات ، فيكفي من ذلك تفائلهم بالوالي لمكانته الدينية، أو لزهده وعبادته، فعندما أقحط الناس في أيام بشر بن مروان فاستسقوا وهو معهم فمطروا ، فقال الشاعر سراقة بن مرداس البارقي واصفًا بركة دعائه :

دعا الرحمن بشر فاستجابا لدعوته فأسقانا السحابا

وكان دعاء بشر صوب غيث يعاش به ويحيى من أصابا

ومر الوالي بشر بن مروان بعد استسقائه بسراقة، وقد دخل الماء داره، فقال: ما هذا يا سراقة؟ قال:" قد نرى أيها الأمير هذا، ولم ترفع يديك بالدعاء، فلو رفعتهما لجاءنا الطوفان"[١]، ولايعني بذلك أن الوالي كان مستجاب الدعوة، فأسقي القوم بسبب انضمامه لصلاة الاستسقاء معهم، فمن المعلوم أن على الوالي إمامة الناس في صلاة الاستسقاء ، ولكن مايهمنا في ذلك أثر سؤاله عن حالهم بعد نزول المطر ، كما أن أهل الكوفة غالباً ما كانوا يتذمرون من الوالي،فإن كان ليناً استضعفوه،وإن كان قاسياً شتموه وأهانوه، وهذا الذي لم يحصل مع بشر بن مروان ، فقد توافد الشعراء في مدحه لجوده وكرمه .

كما يعتبر عمرو بن حريث المخزومي[٢] من الولاة القلائل الذين كان لهم تأثير على ولاية الكوفة في العصر الأموي ، فقد اشتهر ذكره في تلك المنطقة؛ لما كان يتمتع به من وجاهة، ومكانة بين رجالات الكوفة ، ولعل ثراءه جعل من شخصيته رمزاً في الكوفة ، لذا نجد اسمه يتردد على كل لسان في الكوفة ، حيث سُميت إحدى شوارع الكوفة باسمه ، وعُرفت داره من بين دور أهل الكوفة، إما لاتساعها، أو لموقعها في وسط الكوفة ، لذا كان بعض الأمراء في ذلك الوقت يجعلون من داره مكاناً لِصلب الخارجين على الدولة ، ليكون عبرةً لغيره [٣].

---

(١) البلاذري : أنساب الأشراف ، ٣٢٨/٢ .

(٢) هو عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، ويكنى أبا سعيد ، كان يستخلفه زياد بن أبيه وعبيدالله بن زياد على الكوفة ، وعقد له يوم الفتنة – فتنة مسلم بن عقيل – كما أنه تولى إمارة الكوفة أيام ابن الزبير، واستخلفه بشر بن مروان على الكوفة كذلك ، توفي سنة ثمانين ،وقيل: سنة خمس وثمانين من الهجرة. السدوسي : حذف من نسب قريش ، ١٤/١ ؛ ابن سعد : الطبقات ، ٢٣/٦ ؛ ابن حبيب : المحبر ، ص١٥٦؛ البلاذري : أنساب الأشراف ، ٣٦١/٣ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ٤١٧/٣ ؛ ابن حجر : الإصابة ، ٢٨٦/٢ .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٥٢٣/٥ ؛ الخطيب البغدادي : المتفق والمفترق ، ١٥٨/٣ ؛ ابن الأثير : أسد

=

ويمكن أن نستنتج آثارًا في مواقف ولاة بني أمية أقوى من هذه الآثار، وكيفية تعاملهم بشكل حاسم مع أغلب مصادر التهديد الظاهرة، إلا أننا نكتفي بهذا القدر من الآثار، علمًا بأننا ذكرنا بين ثنايا البحث العديد من المواقف التي حسمها الولاة من خلال مراعاتهم لأحوال الرعية، إما بالرفق، واللين، أوبالشدة، والقسوة، فكان لها الأثر الإيجابي من الناحية السياسية، أوالحضارية على حدٍ سواء .

ونستطيع القول بأن أثر الولاة في هذا الجانب لم يكن مقتصرًا على فترة معينة، فتنوعت الأقاليم التي شهدت تأثيراً على الحياة السياسية والحضارية ، فلم تكد تخلو ولاية من أعمال البر والإحسان، ومن المنافع المتعدية للمجتمع بشتى أطيافه وأجناسه ، وقد تفاوتت أعمال الولاة من إقليم إلى آخر بحسب إمكانية الوالي، وخبرته في تلك المجالات، وكفاءته الإدارية التي تعتمد على بذل الأموال، وطريقة الانتفاع بها .

مما سبق نلاحظ أن الخلافة الأموية تمكنت من إحباط العديد من المؤمرات، والقضاء على كثير من مصادر التهديد الظاهرة بمختلف الوسائل العسكرية والفكرية ، ألا إنها لم تستطع استئصال بعض المصادر التي كانت سبباً في ضعف الدولة وسقوطها، ونعني بذلك بعض الولاة الذين كان تأثيرهم سلبياً تجاه الخلافة أو الرعية ، لذا سنلقي الضوء في المبحث الأخير على نماذج مختلفة لبعض مواقف الولاة السلبية .

الغابة ، ٣٤٥/٢ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ٤١٩/٣ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ١٦٧/٨ .

المبحث الرابع: أثر مواقف بعض الولاة السلبي في ضعف الدولة وسقوطها

بلغت الدولة الأموية مساحات شاسعة ضمت ملايين البشر من مختلف الأجناس، ومتعددي المذاهب والاتجاهات ، مما جعل الدولة تواجه الكثير من الحركات، والاضطرابات التي أنهكت الدولة الأموية، ونالت من هيبتها وقوتها ، وقد تكاتف في سقوط الدولة الأموية أسباب عديدة، ومايهمنا في هذا المبحث مايتعلق بولاة بني أمية، وتأثيرهم السلبي الذي أدى إلى ضعف الدولة وسقوطها .

وننبه في هذا الصدد أننا لن نتطرق إلى المواقف السلبية لولاة بني أمية مع الفرق الضالة والاتجاهات الفكرية والعلمية، وتأثيرها على الحياة السياسية والحضارية، وذلك لأننا أشرنا إليها في الفصول والمباحث السابقة، وسنكتفي بذكر المواقف التي لم ترد سابقًا .

لاشك أن تردي الأحوال في أواخر الدولة الأموية كان سببًا في سقوطها، ولا نعني بذلك أن أولها لم يكن له تأثير على ضعفها، بل إن من وجهة نظري أن من أهم المواقف السلبية لولاة بني أمية التي كانت سببًا في ضعف الدولة الأموية، وسقوطها الأحداث التي حصلت في بداية الدولة الأموية كحادثة كربلاء ، وموقعة الحرة ، وحصار مكة وضربها بالمنجنيق ، فقد أدت إلى شرخ عظيم في الدولة الأموية على وجه الخصوص، وفي الأمة الإسلامية على وجه العموم ، وهي أحداث نطويها ولا نرويها، حيث ألفت في نقد مروياتها وأحداثها العديد من المؤلفات، لذا لن نتطرق إليها في هذا المبحث .

ولعل من أبرز تلك المواقف السلبية التي كان لها تأثير بالغ الأهمية وكان سببًا مباشرًا في إضعاف الدولة، وأحد أسباب سقوطها العنصرية القبلية التي ساهم بعض خلفاء بني أمية في إشعالها، أما الولاة، فهم جزء لا يتجزأ من سياسة الدولة، فكما عرجنا على ايجابيتهم كونهم جزءاً من العملية السياسية للدولة الأموية، فهم كذلك طرف في جوانبها السلبية ، لذا فقد شارك بعض الولاة في تكريس مفهوم العصبية القبلية بين أبناء المجتمع؛ حيث يطول بنا المقام في سرد نماذج لتلك المواقف السلبية؛ لذا سأقتصر على بعض النماذج في تلك الفترة .

اندلعت العصبية القبلية في الأقاليم الأموية، فكان لها ولاة، وقادة عسكريون، وشعراء وخطباء، يدافعون عنها، ولكن تأثير الولاة السلبي أكثر من غيرهم من فئات المجتمع كون السلطة بأيديهم، فكانت المعركة سجالًا بين القيسية واليمنية في فترات متعددة، أدت بطبيعة

الحال إلى إنهاك قوة الدولة الأموية، وإضعافها ، كما كانت هناك مناوشات، وبعض الصراعات بين القبائل العربية في شتى الأقاليم المتفرقة .

ولقد ضمت المصادر التاريخية[1] العديد من ولاة بني أمية الذين أشعلوا نار العصبية القبلية في ولاياتهم ، فظهرت آثارها السلبية على الحياة السياسية والحضارية ، فعلى سبيل المثال لاالحصر ما حصل في إقليم خراسان من أن أسد بن عبدالله القسري أفسد الناس بعصبيته القبلية ، وقد أخذت الأفعال، وردود الأفعال القبلية تتصاعد، وتزداد استشراء، فكانت العصبية القبلية في إقليم خراسان على وجه الخصوص من بين الثغرات العديدة التي نفذت منها الدعوة العباسية لتحقيق أهدافها .

كما شهدت الساحة الأموية التعصب للعنصر العربي في كثير من المواقف السلبية من بعض الولاة، أدت في نهاية المطاف إلى ضعف الدولة وسقوطها ، فهذا والي إفريقية عبيدالله بن الحباب الذي فرق بين العرب والبربر في المعاملة، دون مراعاة لتعاليم الإسلام ، واتضح ذلك من شكواهم للخليفة هشام بن عبدالملك بقولهم :" ... إن أميرنا يغزو بنا وبجنده، فإذا أصاب نفلهم دوننا، وقال: هم أحق به، فقلنا هو أخلص لجهادنا؛ لأنا لا نأخذ منه شيئاً إن كان لنا فهم منه في حل، وإن لم يكن لنا لم نرده، وقالوا: إذا حاصرنا مدينة قال: تقدموا، وأخر جنده، فقلنا: تقدموا؛ فإنه ازدياد في الجهاد، ومثلكم كفى إخوانه، فوقيناهم بأنفسنا، وكفيناهم، ثم إنهم عمدوا إلى ماشيتنا فجعلوا يبقرونها عن السخال، يطلبون الفراء البيض ..." [2]. تلك الصورة السيئة توضح التعصب للعربجيث لم يستطع أبناء المغرب من البربر عليه صبر ً ا، فكانت ثوراتهم متتالية أدت إلى إضعاف الدولةوسبب ً ا في سقوطها .

وقد تحول التحام الجبهة الداخلية، وتماسكها إلى التفكك والفوضى، وعدم الاستقرار الذي هدم أركان الدولة الأموية وقوتها، وذلك بسبب ظلم بعض الولاة ، وقد بين ذلك أحد أفراد البيت الأموي عندما سئل عن سبب سقوط دولتهم ؟ فأجاب بقوله :" ... وظلم عمّالنا

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٤٧/٧ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٤٢/٥ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٨٦/٣ .

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٢٥٤/٤ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٤٨٥/١ .

رعيتنافسدت نيّاتهم لنا " [1].

ومن نماذج الظلم التي مارسها بعض ولاة بني أمية نختصره بمقولة الخليفة عمر بن عبدالعزيز قبل توليه الخلافة :" الوليد بالشام ، والحجاج بن يوسف بالعراق ، ومحمد بن يوسف باليمن ، وعثمان بن حيان بالحجاز ، وقرة بن شريك بمصر ، امتلأت الأرض والله جوْراً [2] ، وبغض النظر عن مدى نسبتها إلى عمر بن عبدالعزيز، فإن ماجاء فيها يمثل قراءة لسياسة هؤلاء الولاة الذين اتصفت سياستهم بالشدة ، وقد تنوعت المظالم من الولاة في شتى الأقاليم الإسلامية ، فتارة بالأموال والتعسف في جبايتها ، وأخرى بالسجن، أوالجلد، أوالقتل، أوغيرها .

وهكذا ظهر واضحًا أن الظلم والشدة لن تكسب للدولة هيبتها في نفوس رعاياها ، بل أدى إلى ضعفها، وتمزيقها، وانتهائها على يد أبنائها ، فكلما زادت تلك الأعمال الظالمة من قبل الولاة، زادت من شعبية أعدائها، فالتجاؤوا إلى الحركات المعادية في شتى الأقاليم المتفرقة .

ومن أكثر المواقف السلبية لولاة بني أمية تأثيراً، ما اعتاد عليه غالبية الولاة من الانتقام ممن سبقه من الولاة، وعمالهم، وقوادهم ، وفي هذا المجال قد يطول بنا المقام في ذكر تلك النماذج التي أنهكت الدولة الأموية، وفقدان العديد من رجالاتها، وقوادها، وولاتها الذين بذلوا كل مايملكون من أجل بقاء الدولة الأموية قوية متماسكة بقدر المستطاع ، ولكن تبقى هذه السمة من السمات السيئة لولاة بني أميه .

وتجلية لهذا الأمر، ومدى تأثيره على إضعاف الدولة الأموية من الناحية السياسية، سأورد بعض الأمثلة التي خسرت من خلالها الدولة الأموية بوجه الخصوص، والأمة الإسلامية بوجه عام أفضل الولاة، وأكثرهم خبرة وسياسة ، فمن ذلك ما أوردته المصادر التاريخية [3] من القبض على خالد بن عبدالله القسري من قبل الوالي يوسف بن عمر الثقفي، وحبسه، ومحاسبته على أمواله ، كما قام بالقبض أيضًا على عماله .

---

(١) البيهقي : المحاسن والمساوئ ، ٢٥٤/١ .

(٢) ابن عساكر : تاريخ دمشق ، ٢٠٨/١٤ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٢٢١/٥-٢٢٤ ؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ٩٦/٣-٩٧ .

وأصبح انتقام الولاة بمن سبقهم سمة بارزة في العصر الأموي ، ومن ذلك مافعله بشر بن صفوان والياً إفريقية بتصفية آل موسى بن نصير ، واستولى على أموالهم ، كما انتقم والي خراسان عاصم بن عبدالله من عمال الجنيد بن عبدالرحمن المري فحبسهم وعذبهم ، وأما الجنيد فقد توفي قبل وصول عاصم لخراسان ، وغيرها من النماذج التي رأينا آثارها السلبية الواضحة في انهيار الدولة وسقوطها [1].

ويمكن القول بأن إيذاء العلماء؛ سواء من الصحابة ﷺ، أو التابعين من قبل بعض ولاة بني أمية في مواقف متكررة، كان له تأثيره السلبي على أنه سبب في سقوط الدولة الأموية ، فنأخذ مثلاً هيلحركة ابن الأشعث التي ضمت كثيرً ا من العلماء والقراء التي خرجت بسبب جور الولاة وظلمهم ، وقد فشلت تلك الحركة، فقام الحجاج بتعقب كل من شارك بها، وقام بقتله، والاقتصاص منه [2].

وكذلك كان لسوء معاملة الولاة مع العلماء في المصادر التاريخية[3] أمثلة كثيرة، كإيذاء سعيد بن المسيب من قبل والي المدينة هشام بن إسماعيل المخزومي ، وسوء معاملة والي المدينة خالد بن عبدالملك بن الحارث مع آل بيت رسول الله ﷺ، وسوء أدبه معهم ، وكما ورد أن والي اليمن محمد بن يوسف الثقفي مّر وطاووس يصلّي في غداة باردة، فأمر بإلقاء ساجٍ، أوطيلسان عليه ، فكل هذه الأعمال كان لها تاثير سلبي على المدى البعيد بأن فقدت الثقة بين الوالي والرعية .

ولم يقتصر تأثير تلك المواقف على تصدع قوة الدولة الأموية وثباتها ، فمن تلك المواقف

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ١٦٥/٧ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٨٢/٥ ؛ ابن عذاري : البيان المغرب ، ٤٩/١ .

(٢) ابن سعد: الطبقات، ٤/ ٢٣٨، ٢٦٣/٦؛ خليفة بن خياط : تاريخه ، ١٨٥/١؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك ، ٣٥٧/٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ٥٧٧/٢، ٣٩١/٣.

(٣)الأصبهاني : حلية الأولياء ، ٤/٤ ؛ ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ، ٣٦٧/٢٣ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ٤٧/٥ .

ماكان من خروج بعض الولاة على الخلافة، بغض النظر عن وجهة نظر الوالي في الخروج، وهل كان معه حق في ذلك أم لا ؟ ولكن يبقى خروجه على الخليفة بحد ذاته، وزعزعة أمن البلاد، واستقرارها، أدى بشكل أو بآخر إلى ضعف الدولة وهوانها .

ومن ذلك خروج أحد ولاة، وقادة بني أمية يزيد المهلب بن أبي صفرة على الخليفة يزيد بن عبدالملك بعدما أظهر عدم رضاه عن ظلم بني أمية ، وحاول كسب عواطف الناس بأنه سوف يسير بهم سيرة عمر بن عبدالعزيز، إنهم ثاروا معه وناصروه ، وهكذا فقد شكل خروجه عبئًا ثقيلًا على الدولة الأموية، وعلى أمنها واستقرارها [1].

ومن المواقف كذلك بأن بعض الولاة لم يعترف بالقيادة الجديدة التي تم تعيينها من قبل الخليفة، وذلك بسبب أنه لم يبايع الخليفة بالأساس، أو أن الخليفة مغتصب للخلافة، كما حصل من والي خراسان نصر بن سيار الذي لم يتقبل بولاية منصور بن جمهور، كونه لم يبايع الخليفة يزيد بن الوليد ، فأصبحت مثل تلك المواقف تشكل خطًرا على تهديد أمن البلاد واستقرارها، مما أدى إلى ضعف الدولة وسقوطها [2].

وهناك مواقف أخرى من بعض ولاة بني أمية، لها آثار سلبية في ضعف الدولة الأموية وسقوطها،لكنها أقل تأثيرًا من غيرها ، كعدم أهلية بعض الولاة في إدارة شؤون ولاياتهم، كما مّر بنا في ثنايا البحث ، وقلة خبرتهم الإدارية والسياسية ، وعدم خوضهم للتجارب العسكرية ، وغير ذلك من الآثار التي عجلت بسقوط الدولة الأموية .

فعلى أية حال فقد كان للولاة أخطاء لايمكن تبريرها بأي حال من الأحوال، وأخطاء أقل

---

(١) ابن قتيبة : المعارف ، ٤٠٠/١ ؛ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي، ٥٢/٣ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، ٥٢٣/٦؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٢٣/٥ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٢٧٨/٦ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ، ٢١٥/٤ .

(٢) خليفة بن خياط : تاريخه ، ص٣٨٣ ؛ ابن حبيب: المحبر ، ص٢٥٥ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ١٤٨/٥ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ٤٦٣/٥ .

ضراًرا وتأثيراً من غيرها ، لذا نستطيع أن نجعل اللوم على بعض الخلفاء الذي مكّن لهؤلاء الولاة فرصة لكي يعيثوا في الأرض الفساد ، ولسنا بصدد الدفاع عن ولاة بني أمية، ولكن الحق يقال بأن بعض خلفاء بني أمية قد عجل بسقوط الدولة حينما حكم هواه في اتخاذ قرارات أدت إلى توقف عجلة الفتوحات الاسلامية، والقضاء على ثلاثة من أشهر الولاة وأكثرهم تأثيراً في حركة الفتوح الإسلامية ، فقد تتبع الخليفة سليمان بن عبدالملك كلًا من : قتيبة بن مسلم الباهلي، ومحمد بن القاسم الثقفي، وموسى بن نصير اللخمي ، وهؤلاء من وجهة نظري كان لهم دوٌر كبير في نشر الإسلام، ودخول مساحات شاسعة تحت ظل الحكم الأموي .

ولا شك أن تردي الأحوال في الدولة الأموية شجع العباسيين وغيرهم على التطلع لنيل الحكم ، وقد يؤخذ على ولاة بني أمية في إقليم خراسان عدم تصديهم لدعوة بني العباس في بدايتها، وهي تحاك في السر ، فقد تخلى بعض الولاة عن أهم أعماله الإدارية، وذلك بحجب الأخبار عن الخليفة، إما لتهاونه بشانها، أو تقصير منه في أداء عمله ، وقد بين ذلك أحد أفراد البيت الأموي بقوله :" وكان زوال ملكنا استتار الأخبار عنا، فزال ملكنا عنا بنا " [(١)].

وفي الختام، ومع كل هذه الآثار والمواقف السلبية من الولاة، وتتابع الحركات، والثورات العسكرية المتتالية، لم تسقط الدولة، بل إن التناحر والتنازع بين الولاة من بني أمية على الحكم كان سبباً في ضعف الدولة، وكان له تأثير مباشر في سقوطها ، حيث انقسمت البلاد بين ولاتها، ففي الشام خليفة، وفي الجزيرة خليفة، وهكذا حتى أنهكت الدولة، واستغل ذلك بنو العباس، فأجهزوا عليها ، والله المستعان .

---

(١) البيهقي : المحاسن والمساوئ ، ٢٥٤/١ .

الخاتمة

الخاتمة

الحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على النبي الأمي إمام المرسلين وسيد الخلق أجمعين، أما بعد :

من أبرز النتائج التي تم التوصل إليها من خلال هذا الموضوع (**مواقف ولاة بني أمية من الاتجاهات العلمية والفكرية في العصر الأموي**) الآتي :

-وصلت الحياة الفكرية في العصر الأموي إلى ذروة التطور والإزدهار ، ولا سيما في العلوم الشرعية كتشكيل وتنقيط القرآن الكريم ، وتدوين الحديث النبوي الشريف ، وغيرها من العلوم التي ساهم ولاة بني أمية في نشرها والإهتمام بها .

-اتضح التأثير السياسي لولاة بني أمية ومدى إسهامهم في تثبيت قيام الدولة الأموية ، بالإضافة إلى معرفة مدى وعي الولاة بالمخاطر التي تحيط بالأمة و المجتمع، خاصة في ظل ظهور بعض الفرق المنحرفة كالخوارج و الشيعة .

- تبين من الدراسة دور الولاة في المحافظة على الاستقرار، والأمن الفكري ، وكيفية التعامل مع مصادر التهديد الظاهرة .

- عرف عن ولاة بني أمية قوة الجانب العلمي ، حيث سرى حب العلم في عدد من الولاة ، ولذلك غلب الجانب الموسوعي عليهم، فاشتغلوا بعلوم القرآن والتفسير والحديث والفقه واللغة والأدب وغيرها ، كما كان لهم جهود في طلب العلم، ولقاء العلماء، والإفادة منهم ، بالإضافة إلى جهودهم في ميدان التصنيف، والإنتاج العلمي حتى شملت مختلف العلوم الشرعية والعربية والأدبية والطبية وغيرها من العلوم .

- تبين من الدراسة العلاقة الوطيدة بين بعض ولاة بني أمية والعلماء والقضاة ، وبيان مواقفهم من نشاط الحركات العلمية والفكرية .

- اتضح من خلال الدراسة النتائج التي انتهت إليه المواجهات الفكرية ، كالاقتناع بالفكرة المطروحة من الوالي ، أو التنازل عن فكرة خاطئة ، وغير ذلك .

–عرف العصر الأموي حركات علمية وتيارات فكرية بفضل التداخل بين الأمم ، وقد استطاع ولاة بني أمية في الاستفادة من خبرات الأعاجم كترجمة الدواوين الفارسية للعربية ، وغيرها من التنظيمات الإدارية .

–كان لولاة بني أمية مواقف متباينة من سياسة الدولة الأموية ،فمنهم من كان صلباً في تعامله، وعدم تقبله توجيهات الخليفة، وتنفيذ أوامره ، ومنهم من كان مطيًعا لأوامر الخليفة، ومتماشيً ا مع سياسة الدولة، ومنافًحا عنها، سواء في حق أو باطل .

– كشفت الدراسة عن أثر مواقف بعض ولاة بني أمية في تقوية مركز الخلافة، ودورهم في تماسك الجبهة الداخلية من التفكك والفوضى .

– أوضحت الدراسة جهود ولاة بني أمية في المحافظة على الناحية الأمنية ، وذلك من خلال الاعتماد على الأكفاء في تولية المناصب الإدارية التي تخولهم بمعاقبة المخطئ، والحفاظ على ممتلكات الدولة ، وحقوق الناس آنذاك .

– برزت بعض الآثار السلبية في مواقف بعض ولاة بني أميةفكانت سببً ا من أسباب ضعف الدولة الأموية وسقوطها .

– كان لبعض الولاة إسهامات في مجال التصدي لمصادر التهديد الظاهرة، والتعامل معها بشكل حاسم .

- شارك ولاة بني أمية أرباب الفكر الضال آنذاك في حوارات ومناظرات، كان لها تأثير على الأحداث السياسية والحضارية ، كما باء بعضها بالفشل، نظًرا لعدم تقبل الطرف الآخر الحوار الفكري مع خصمه كالخوارج على سبيل المثال .
- اعتمد ولاة بني أمية في الأقاليم المتفرقة على عدة أساليب، وطرق إدارية في المحافظة على الناحية الأمنية، وتماسك الجبهة الداخلية من التفكك، والفوضى كاستخدام العرفاء، وتشكيل بعض العيون والمخبرين للقضاء على مصادر الفتنة في ولاياتهم .
- أوضحت الدراسة مدى اهتمام الولاة بمراكز الفكر في ولاياتهم كالمساجد، ومجالس العلماء

وبجالس الشعراء وندواتهم .

- انضم بعض الولاة إلى بعض الفرق الضالة التي شكلت خطًرا على أمن الدولة واستقرارها ، كما انضم بعضهم إلى أحزاب سياسية مناهضة للدولة الأمويةفكان ذلك سببًا من أسباب ضعف الدولة الأموية، وسقوطها .
- احتدام المنافسة بين الولاة في تذليل الصعوبات التي يواجهها الناس كسوء الأحوال الاقتصادية أوالاجتماعية ، وقد سميت بعض السنين بأسماء الولاة لوقوفهم موقًفا مشرفًا في تلك السنة المجدبة .
- كشفت الدراسة عن مدى مشاركة الولاة في بعض الآثار السلبية على الأمة الإسلامية والدولة الأمويةكالعصبية القبلية التي كانت سببًا من أسباب ضعف الدولة وسقوطها .
- شارك بعض خلفاء بني أمية ولاتهم في تخلي الدولة الأموية عن أشد ولاتها بأًسا، وأكثرهم حماسة في اتساع رقعة الدولة الإسلامية، كمحمد بن القاسم، وموسى بن نصير، وقتيبة بن مسلم الباهلي، الذين كان لهم دور بارز في نشر الإسلام في الشرق والغرب .
- اتسم ولاة بني أمية بالانتقام من الولاة السابقين، والسعي في القضاء عليهم ، كما أن بعضهم لم يكن يعترف بالقيادة الجديدة من الخليفة، نظًرا لعدم شرعية الخليفة ، مما أدى إلى نشوب المعارك بين الطرفين فسارع بإنهاك الدولة وسقوطها .

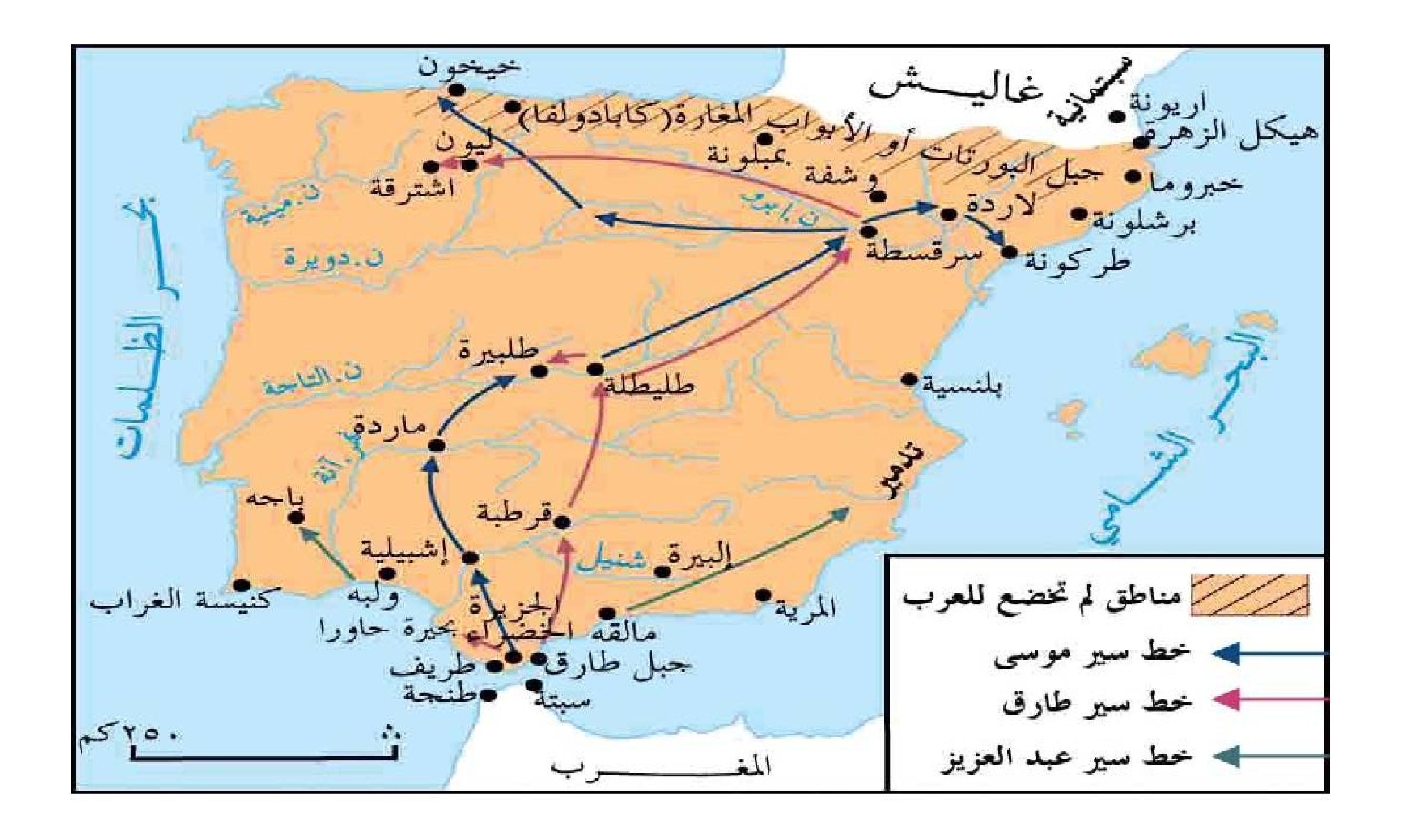
وأملي أن أكون قد وفقت للصواب ،وأن يكون هذا العمل المتواضع قد أضفى شيئاً جديًدا للمكتبة الإسلامية ، وأحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأصلي وأسلم على محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين .

الملاحق

خريطة الفتوحات في العصر الراشدي (شوقي أبو خليل : أطلس التاريخ العربي الإسلامي ، ص٣٦) .

الفتوحات في الجبهة الشرقية ومسير كل قائد (حسين مؤنس : تاريخ أطلس الإسلام ، ص١١٨) .

خريطة حدود الدولة الأموية في عهد الوليد بن عبد الملك(شوقي أبو خليل : أطلس التاريخ العربي الإسلامي ، ص٤٧)



خريطة فتح الأندلس مع بيان سير الفتوحات ومسير كل قائد (حسين مؤنس : تاريخ أطلس الإسلام ، ص١١٨)

قائمة المصادر والمراجع

أولاً – المصادر المخطوطة

ثانياً – المصادر المطبوعة

ثالثاً – المراجع العربية والمعربة

رابعاً – الرسائل العلمية غير المنشورة

خامساً - الأبحاث والمقالات العلمية

- **قائمة المصادر والمراجع**

- **أولاً / المصادر المخطوطة .**
- **ثانياً / المصادر المطبوعة .**
- **ثالثاً / المراجع العربية والمعربة .**
- **رابعًا / الرسائل العلمية غير المنشورة .**
- **خامسًا / الأبحاث والمقالات العلمية .**

القرآن الكريم

أولاً : المصادر المخطوطة:

- البلخي: عبد الله بن أحمد بن محمود (ت٣١٩هـ / ٩٣١م)

- **قبول الأخبار ومعرفة الرجال** . قسم المخطوطات ، مركز إحياء التراث والبحث العلمي ، جامعة أم القرى، ، مكة المكرمة ، رقم ٨٩٨ .

- ابن أبي خيثمة : أحمد بن زهير بن حرب النسائي (ت٢٧٩هـ / ٨٩٢م)

- **كتاب التاريخ** . قسم المخطوطات ، المكتبة المركزية ، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ، رقم ٣٧٧١ .

- الدينوري : أحمد بن مروان (٣٣٣هـ / ٩٤٤م)

- **المجالسة وجواهر العلم** . قسم المخطوطات ، المكتبة المركزية ، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية رقم ٦١ "مصورات" .

- ثانياً : المصادر المطبوعة:

- ابن الأبار : أبو عبد الله محمد بن عبدالله القضاعي (ت ٦٥٨هـ /١٢٥٩م)
- **الحلة السيراء،** تحقيق: حسين مؤنس،دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥م .

- ابن الأثير : عزالدين على بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت٦٣٠هـ /١٢٣٢م)
- **أسد الغابة في معرفة الصحابة** ، تحقيق : علي معوض و عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٥هـ .
- الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤٠٣هـ .

- الآجري : أبو بكر محمد بن الحسين (ت٣٦٠هـ / ٩٨٠م)
- **الشريعة،** تحقيق: عبدالله بن عمر الدميجي، دار الوطن، الرياض ١٤٢٠هـ

- الإدريسي : أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٤م)
- **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** ، دار عالم الكتب ، بيروت ١٤١٠هـ .

- الأزدي، يزيد بن محمد بن إياس (٣٣٤هـ / ٩٤٥م)
- **تاريخ الموصل،** تحقيق: علي حبيبة، القاهرة ١٣٨٧هـ .

- ابن الأزرق: أبو عبد الله محمد بن علي (ت ٨٩٦هـ / ١٤٩٠م)
- **بدائع السلك في طبائع الملك،** تحقيق: علي سامي النشار، الدار العربية للمطبوعات، القاهرة ٢٠٠٦م .

- الأزرقي : أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٢٥٠هـ / ٨٦٤م)
- **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار** ، تحقيق : رشدي ملحس ، دار الثقافة ، مكة المكرمة ١٤٠٣هـ .

- الأزهري: محمد بن أحمد (ت٣٧٠هـ / ٩٨٠م)

- **تهذيب اللغة،** تحقيق: عبد السلام هارون وآخرون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ١٣٨٧هـ .

- الأشعري: أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٣٢٤هـ / ٩٣٥م)

- **الإبانة في أصول الديانة،** تحقيق: فوقية حسين، ط١، دار الأنصار، القاهرة ١٣٩٧هـ .

- الأصبهاني: أبو نعيم أحمد بن عبدالله بن إسحاق (ت ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م)

- **تاريخ أصبهان،** تحقيق : سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٠هـ .
- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤٠٥ هـ.

- الأصطخري: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت٣٤٦هـ / ٩٥٧م)

- **المسالك والممالك،** دار صادر، بيروت ٢٠٠٤م .

- الأصفهاني: الحسن بن عبد الله (ت٣٥١هـ / ٩٦٢م)

- **بلاد العرب،** تحقيق: حمد الجاسر وصالح العلي،ط١،دار اليمامة، الرياض ١٣٨٨هـ .

- ابن أبي أصيبعة : موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم (ت٦٦٨هـ / ١٢٦٩م)

- **عيون الأنباء في طبقات الأطباء،** دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨م .

- ابن أعثم الكوفي : أبو محمد أحمد بن علي (ت ٣١٤هـ / ٩٢٦م)

- **الفتوح،** تحقيق: علي شيري، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد ١٣٨٨هـ .

- الآمدي : أبو القاسم الحسن بن بشر (ت٣٧٠هـ / ٩٨٠م)

- **المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء،** المكتبة العصرية، بيروت ٢٠٠٨م .

- الأنباري : أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنصاري (ت٥٧٧هـ / ١١٨١م)

- **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة ١٤١٩هـ .

- ● الباقلاني : أبو بكر محمد بن الطيب (ت٤٠٣هـ / ١٠١٢م)
- **نكت الانتصار لنقل القرآن**، تحقيق: محمد زغلول، منشأة المعارف، الأسكندرية ١٩٧١م .
- **الانتصار للقرآن**، تحقيق: محمد عصام القضاة، دار ابن حزم، بيروت ١٤٢٢هـ .

- ● البخاري : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت٢٥٦هـ/١٣٩٩م)
- **التاريخ الكبير**، تحقيق : مصطفى عبد القادر ومحمد عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٢هـ.
- التاريخ الصغير، تحقيق : محمود إبراهيم ، دار الوعي ، حلب ١٣٩٦هـ .
- **صحيح البخاري** ، تحقيق : عبد الرحمن عميرة ، دار المعارف ، الرياض ١٣٩٨هـ .

- ● البزار : أبو طاهر المقرئ، عبد الواحد بن عمر البزار (ت٣٤٩هـ / ٩٦٠م)
- **أخبار النحويين**، تحقيق: مجدي فتحي، دار الصحابة، طنطا ١٤١٠هـ

- ● البسوي : يعقوب بن سفيان (ت٢٧٧هـ /٨٩٠م)
- **المعرفة والتاريخ** ، تحقيق: خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٨هـ .

- ● البطليوسي : أبو محمد عبد الله بن السيد (ت٥٢١هـ / ١١٢٧م)
- **الحلل في شرح أبيات الجمل**، تحقيق: يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٠م .

- ● ابن بطة : عبدالله بن محمد العكبري (ت٣٨٧هـ / ٩٩٧م)
- **الإبانة الكبرى**، تحقيق: رضا معطي وآخرون،دار الراية، الرياض ١٤١٥هـ .

- ● البغدادي : عبد القادر بن طاهر (ت٤٢٩هـ / ١٠٣٧م)
- **الفرق بين الفرق**، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٧٧م .

- البغدادي : قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ / ٩٤٨م)

- **الخراج وصناعة الكتابة**، تحقيق: مصطفى الحياري ، دار الرشيد، بغداد ١٩٨١م .

- البغوي : عبد الله بن محمد (ت٣١٧هـ / ٩٢٩م)

- **مسند ابن الجعد**، تحقيق: عامر أحمد حيدر ، مؤسسة نادر، بيروت ١٤١٠هـ .

- البكري : أبو عبيد بن عبد الله بن عبدالعزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م)

- **معجم ما أستعجم من أسماء البلاد و المواضع** ، تحقيق : مصطفى السقا ، دار عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٣هـ .

- البلخي، أبو زيد أحمد بن سهل (ت٣٢٢هـ/ ٩٣٤م)

- **البدء والتاريخ**، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧م .

- البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ / ٨٩٢م)

- **أنساب الأشراف**، سهيل زكار ورياض زركلي، دار الفكر ، بيروت ١٤١٧هـ .

- **فتوح البلدان**، تحقيق: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٣ هـ.

- البيهقي : إبراهيم بن محمد (ت٣٢٠هـ / ٩٣٢م)

- **المحاسن والمساوي**، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة ١٩٩١م .

- ابن تغري بردي : جمال الدين أبو المحاسن يوسف الاتابكي (٨٧٤هـ /١٤٧٠م)

- **النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة** ، دار إحياء التراث ، بيروت ١٣٤٩هـ .

- ابن تيمية : أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله الحراني (ت٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م)

- **الفتاوى الكبرى** ، تحقيق : محمد ومصطفى عبد القادر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٨هـ .

- **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية،** تحقيق: مجموعة من المحققين، مجمع الملك فهد، المدينة النبوية ١٤٢٦هـ .
- **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية،** تحقيق: محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، بيروت ١٤٠٦هـ .

● الجاحظ : أبو عثمان بن بحر بن محبوب (٢٥٥هـ / ٨٦٩م)
- **البيان والتبيين** ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٤١٨هـ .
- **الحيوان** ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ١٩٦٥م .

● الجرجاني : علي بن محمد الشريف (ت ٨١٦هـ / ١٤١٣م)
- **تاريخ جرجان،** تحقيق: عبد الرحمن المعلمي، دائرة المعارف، الهند ١٣٩٦هـ .
- **التعريفات،** مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٥م .

● ابن الجزري : شمس الدين محمد بن محمد بن على (ت٨٣٣هـ /١٤٣٠م)
- **غاية النهاية في طبقات القراء** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٧هـ.

● الجزيري: عبد القادر بن محمد (ت ٩٧٧هـ / ١٥٦٩م)
- **الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة،** أعده للنشر: حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض ١٤٠٣هـ .

● الجهشياري: أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ / ٩٤٢م)
- **الوزراء والكتاب،** تحقيق: إبراهيم الأبياري ومصطفى السقا، دار الكتب الوطنية، تونس ٢٠٠٩م .

● ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد (ت ٥٩٧هـ /١٢٠٠م)
- **آداب الحسن البصري،** تحقيق: سليمان الحرش، دار المعراج، الرياض ١٤١٤هـ .
- **تلبيس إبليس،** تحقيق: أحمد بن عثمان المزيد، دار الوطن ، الرياض .
- **سيرة عمر بن عبد العزيز،** تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٠هـ .

- **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك** ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٢هـ .

● الجوهري : أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م)

- **الصحاح في اللغة** ، تحقيق : أميل بديع يعقوب و محمد نبيل طريفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٩هـ .

● ابن أبي حاتم الرازي : عبدالرحمن بن محمد بن ادريس (ت٣٢٧هـ /٩٣٨م)

- **الجرح والتعديل** ، تحقيق : مصطفى عبد القادر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٣هـ .

● ابن حبان : محمد بن حبان البستي (ت٣٥٤هـ/ ٩٦٥م)

- **الثقات** ، تحقيق : شرف الدين أحمد ، دار الفكر ، بيروت ١٣٩٥هـ .
- **مشاهير علماء الأمصار** ، تحقيق : م . فلا يشهمر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٣٧٩هـ .

● ابن حبيب : أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية (ت ٢٤٥هـ / ٨٥٩م)

- **المحبر** ، تحقيق : خورشيد أحمد ، دار الآفاق ، بيروت ١٣٩٥هـ .
- **المنمق في أخبار قريش** ، دار عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٦هـ .

● ابن حجر العسقلاني : أحمد بن على بن حجر (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)

- **الإصابة في تمييز الصحابة** ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ١٤١٢هـ.
- **تبصير المنتبه بتحرير المشتبه** ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار المكتبة العلمية ، بيروت ١٤١٧هـ .
- **تقريب التهذيب** ، تحقيق : عادل مرشد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٢١هـ.
- **تهذيب التهذيب** ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠٤ هـ.
- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** ، تحقيق : قصي محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة ١٤٠٧هـ .
- **لسان الميزان** ، تحقيق: دائرة المعارف النظامية بالهند ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ١٤٠٦هـ.

- ابن أبي الحديد : عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد (ت ٦٥٥هـ /١٢٥٧م)

- **شرح نهج البلاغة** ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت ١٩٩٦م .

- ابن حذلم : أبو الحسن أحمد بن سليمان بن أيوب (ت ٣٤٧هـ / ٩٥٩م)

- **جزء من حديث الأوزاعي** ، تحقيق : مسعد السعدني وشريف العدوي ، دار ماجد ، الرياض ١٤٢١هـ .

- الحراني : أبو عروة الحسين بن محمد الجزري (ت٣١٨هـ / ٩٣٠م)

- **المنتقى من كتاب الطبقات**، تحقيق: إبراهيم صالح، دار البشائر، سوريا ١٩٩٤م .

- الحصري القيرواني : أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت٤٥٣هـ / ١٠٦١م)

- **زهر الآداب وثمر الألباب**، تحقيق: زكي مبارك، دار الجيل، بيروت .

- ابن حزم : على بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (٤٥٦هـ /١٠٦٣م)

- **جمهرة أنساب العرب** ، تحقيق : عبد السلام هارون، دار المعارف،القاهرة ١٣٨٢ هـ.
- **جوامع السيرة** ، تحقيق : إحسان عباس ، دار المعارف ، مصر ١٤٠١هـ .
- **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٧م .
- **المحلى**، تحقيق: محمد منير الدمشقي، دار الطباعة المنيرية، القاهرة ١٣٥٢هـ .

- ابن حمدون : محمد بن الحسن بن محمد بن على بن حمدون (ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م)

- **التذكرة الحمدونية** ، تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس ، دار صادر ، بيروت ١٤١٧هـ .

- الحميدي : أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الأزدي (ت٤٨٨هـ / ١٠٩٥م)

- **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، الدار المصرية، القاهرة ١٩٦٦م .

- الحميري : محمد بن محمد (ت٩٢٢هـ / ١٥١٦م)

- **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت ١٩٨٠ م .

- ابن حنبل : أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)

- **مسند الإمام أحمد بن حنبل** ، إعداد : محمد سليم سمارة ورفاقه ، المكتب الإسلامي ، بيروت ١٤١٣هـ .

- ابن حوقل : أبو القاسم محمد بن علي الموصلي (ت٣٦٧هـ / ٩٧٩م)

- **صورة الأرض**، دار صادر، بيروت ١٩٢٨م .

- ابن خرداذابة ، أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله (ت٢٨٠هـ / ٨٩٣م)

- **المسالك والممالك**، دار صادر، بيروت ١٨٨٩م .

- الخطيب البغدادي : أحمد بن على بن ثابت (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)

- **تاريخ بغداد**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧م .

- **المتفق والمفترق**، دار القادري ، دمشق ١٤١٧هـ .

- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)

- **تاريخ ابن خلدون "المسمى بكتاب العبر وديوان المبتداء والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٧هـ .

- ابن خلكان : شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)

- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، تحقيق: إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت (د.ت).

- خليفة بن خياط : خليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)

- **تاريخ خليفة بن خياط** ، تحقيق : أكرم ضياء العمري ، دار طيبة ، الرياض ١٤٠٢هـ.

● الخياط: أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان البلخي (ت ٣٠٠هـ / ٩١٢م)

- **الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد،** تحقيق: ينبرج، دار الندوة الإسلامية، بيروت ١٩٨٨م .

● الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن (ت٢٥٥هـ / ٨٦٨م)

- **سنن الدارمي،** تحقيق: فواز أحمد زمرلي وأحمد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٧هـ .

● الداني : عثمان بن سعيد (ت٤٤٤هـ / ١٠٥٢م)

- **المحكم في نقط المصاحف،** تحقيق: عزة حسن، دار الفكر، دمشق ١٤٠٧هـ .

● الدباغ : عبد الرحمن بن محمد الأنصاري (ت ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م)

- **معالم الأيمان في معرفة أهل القيروان** ، تحقيق: أبو الفضل قاسم ، مصر ١٣٨٨هـ .

● الدرجيني:أبو العباس أحمد بن سعيد (ت٦٧٠هـ / ١٢٧١م)

- **طبقات المشائخ بالمغرب،** تحقيق: إبراهيم طلابي، مطبعة البعث، الجزائر ١٩٧٤م .

● ابن دريد : محمد بن الحسن الأزدي (٣٢١هـ / ٩٣٣م)

- **الاشتقاق** ، تحقيق: عبد السلام هارون ، دار الجيل، بيروت ١٤١١هـ.
- **جمهرة اللغة** ، تحقيق : رمزي بعلبكي ، دار العلم ، بيروت ١٤٠٨هـ .

● ابن أبي الدنيا: أبو بكر عبد الله بن محمد القرشي (ت٢٨١هـ / ٨٩٤م)

- **الإشراف،** تحقيق: وليد قصاب، ط١، دار الثقافة، الدوحة ١٤١٦هـ .
- **قرى الضيف،** تحقيق: عبد الله المنصور، دار أضواء السلف، الرياض ١٩٩٧م .

● الدولابي: أبو بِشْر محمد بن أحمد الرازي (ت٣١٠هـ / ٩٢٢م)

- **الكنى والأسماء**، تحقيق: محمد الفاريابي، دار ابن حزم، بيروت١٤٢١هـ .

● ابن الديبع: عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٨٦٦هـ / ١٤٦١م)

- **قرة العيون في تاريخ اليمن الميمون**، مكتبة الإرشاد، صنعاء ٢٠٠٦م .

● ابن أبي دينار: محمد بن أبي القاسم القيرواني (ت ١١٠٩هـ / ١٦٩٨م)

- **المؤنس في تاريخ إفريقية وتونس**، تحقيق: محمد شمام، ط١، تونس، ١٩٦٧م .

● الدينوري: أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ / ٨٩٥م)

- **الأخبار الطوال**، تحقيق: عبد المنعم عامر، ط١، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد، ١٩٦٠م .

● الذهبي : محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ /١٣٤٧م)

- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤١٣ هـ .
- **تذكرة الحفاظ** ، تحقيق : زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٨هـ .
- **سير أعلام النبلاء** ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٥هـ .
- **العبر في خبر من غبر** ، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ.
- **معرفة القراء الكبار على الطبقات و الأعصار**، تحقيق: بشار عواد وآخرون، دار الرسالة، بيروت ١٤٠٤هـ .
- **ميزان الأعتدال**، تحقيق: علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت ١٣٨٢هـ .

● الرازي: فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر (ت٦٠٦هـ / ١٢٠٩م)

- **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**، تحقيق: علي سامي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣م .

- ابن رجب : أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد (ت٧٩٥هـ / ١٣٩٢م)

- **الاستخراج لأحكام الخراج**،دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ .

- ابن رسته: أحمد بن عمر (ت٢٩٠هـ / ٩٠٢م)

- **الأعلاق النفيسة**، مطبعة بريل، ليدن ١٨٩١م .

- ابن رشيق: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت٤٦٣هـ / ١٠٧٠م)

- **العمدة في صناعة الشعر ونقده**، تحقيق: النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة١٤٢٠هـ .

- الرقيق القيرواني: أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (ت ٤٢٥هـ / ١٠٣٣م)

- **تاريخ إفريقية والمغرب**، تحقيق: المنجي الكعبي، تونس ١٣٨٧هـ .

- الزبيدي : مرتضى بن محمد بن محمد الحسيني (١٢٠٥هـ / ١٧٩١م)

- **تاج العروس وجواهر القاموس** ، تحقيق : مجموعة من المحققين ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٤٠٤هـ .

- الزبير بن بكار : الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير (ت ٢٥٦هـ / ٨٧٠م)

- **الأخبار الموفقيات**، تحقيق: سامي مكي العاني، دار عالم الكتب، بيروت ١٤١٦هـ .

- **جمهرة نسب قريش** ، تحقيق : محمود شاكر ، دار الفكر ، بيروت ١٤١٩هـ .

- الزبيري : مصعب بن عبد الله بن ثابت بن عبد الله (ت ٢٣٦هـ / ٨٥٠م)

- **نسب قريش** ، تصحيح وتعليق :ليفي بروفنسال ، دار المعارف ، مصر ١٣٩٠هـ .

- ابن أبي زرعة : عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله الدمشقي (ت ٢٨٠هـ / ٨٩٣م)

- **تاريخ أبي زرعة** ، تحقيق : خليل عمران منصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٧هـ.

● الزركشي: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن بهادر (ت٧٩٤هـ / ١٣٩١م)
- **البرهان في علوم القرآن،** تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٧م .

● السجستاني : أبو داوود سليمان بن الأشعث بن إسحاق (ت ٢٧٥هـ /٨٨٨م)
- **سنن أبي داود** ، تحقيق : هيثم تميم ، دار الأرقم ، بيروت ١٤٢٢هـ.

● السجستاني: أبو بكر عبد الله بن سليمان (ت ٣١٦هـ / ٩٢٨م)
- **المصاحف،** تحقيق:محب الدين عبد السبحان واعظ،دار البشائر، القاهرة ١٤٢٣هـ .

● السخاوي: أبو الحسن علم الدين علي بن محمد الشافعي (ت٦٤٣هـ / ١٢٤٥م)
- **جمال القراء وكمال الإقراء،** تحقيق: علي حسين البواب، مكتبة التراث، مكة المكرمة ١٤٠٨هـ

● السدوسي : أبو فيد مؤرج بن عمرو بن الحارث (ت ١٩٥هـ / ٨١٠م)
- **حذف من نسب قريش** ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، القاهرة ١٣٩٦هـ .

● ابن سعد : محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)
- **الطبقات الكبرى** ، دار صادر ، بيروت ١٣٨٠ هـ .

● ابن سلام:محمد بن سلاّم بن عبدالله الجمحي (ت٢٣٢هـ /٨٤٧م)
- **طبقات فحول الشعراء** ، دار الفكر العربي ، بيروت ١٤١٩هـ .

● السمرقندي: نصر بن محمد (ت ٣٧٢هـ / ٩٨٢م)
- **بحر العلوم،** تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت د. ت .
- **طلب القند في تاريخ سمرقند،** تحقيق: يوسف الهادي، مركز نشر التراث المخطوط،

طهران ١٤٢٠هـ .

- السمعاني : عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م)
- **الأنساب** ، تحقيق : محمد عطا ، دار الفكر ، بيروت ١٤١٩هـ.

- السمهودي: نور الدين أبو الحسن علي بن عبدالله (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م)
- **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر ١٩٥٥م .

- السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ /١٥٠٥م)
- **إسعاف المبطأ برجال الموطأ** ، المكتبة التجارية ، القاهرة ١٣٨٩هـ .
- **تاريخ الخلفاء** ، تحقيق: محمد محيي الدين، المكتبة العصرية، بيروت ١٤٢٣هـ .
- **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي** ، تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف ، مكتبة الرياض الحديثه ، الرياض (د.ت) .
- **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨م .

- الشاطبي: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد (ت ٧٩٠هـ / ١٣٨٨م)
- **الاعتصام**، تحقيق: سعيد الهلالي، دار ابن عفان، الرياض ١٤١٢هـ .

- ابن شبة : عمر بن شبة بن عبيدة النميري البصري (ت ٢٦٢هـ / ٨٧٥م)
- **تاريخ المدينة المنورة** ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٠هـ .

- الشرجي: أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف (ت٨٩٣هـ / ١٤٨٨م)
- **طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص**، الدار اليمنية، صنعاء ١٤٠٦هـ .

- الشماخي ، أبو العباس أحمد بن عثمان (ت ٩٢٨هـ / ١٥٢١م)

- **سير المشائخ** ، الجزائر، د.ت

- الشهرستاني:أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ / ١١٥٣م)
- **الملل والنحل**، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٠هـ .

- ابن أبي شيبة : عبد الله بن محمد (ت ٢٣٥هـ / ٨٤٩ م)
- **المصنف في الأحاديث والآثار**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض ١٤١٤هـ .

- الشيرازي: أبو إسحاق إبراهيم بن على بن يوسف (ت ٤٧٦هـ /١٠٨٣م)
- **طبقات الفقهاء** ، تحقيق: حسان عباس ، دار الرائد العربي ، بيروت ١٣٩٠هـ.

- الصالحي : ابن عبد الهادي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الصالحي (ت٧٤٤هـ / ١٣٤٣م)
- **طبقات علماء الحديث**، تحقيق: أكرم البوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٩هـ .

- الصفدي : صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)
- **الشعور بالعور**، تحقيق: عبد الرزاق حسين، دار عمار، الأردن ١٤٠٩هـ .
- **الوافي بالوفيات** ، تحقيق: أحمد الارناؤوط وتركي مصطفي ، دار إحياء التراث ، بيروت ١٤٢٠هـ.

- صفي الدين : عبد المؤمن بن عبد الحق (ت٧٣٩هـ / ١٣٣٨م)
- **مراصد الاطلاع**، تحقيق: محمد علي البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٩٩م .

- الصنعاني: أحمد بن عبد الله الرازي (ت٤٦٠هـ / ١٠٦٧م)
- **تاريخ مدينة صنعاء**، تحقيق: حسين العمري و عبد الجبار زكار، دار الفكر، بيروت ١٤٠٩هـ .

- الصولي: أبو بكر محمد بن يحيى (ت٣٣٥هـ / ٩٤٦م)

- **أدب الكتاب**، تحقيق: محمد بهجة الأثري، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٤١هـ .

- ابن الضياء : بهاء الدين أبو البقاء محمد بن أحمد (ت ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م)

- **تاريخ مكة المشرفة و المسجد الحرام** ، تحقيق : علاء إبراهيم وأيمن الأزهري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٤هـ .

- الطبري : أبي جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ /٩٢٢م)

- **تاريخ الأمم والملوك** ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار سويدان ، بيروت ١٣٨٢ هـ .

- **تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله ﷺ**، تحقيق: علي إبراهيم مصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٨م .

- الطحاوي: أبو جعفر حمد بن محمد (ت٣٢١هـ / ٩٣٣م)

- **شرح معاني الآثار**، تحقيق: محمد زهري النجار وزملائه ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٩هـ .

- ابن الطقطقي : محمد بن علي بن طباطبا (ت٧٠٩هـ / ١٣٠٩م)

- **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، مطبعة الموسوعات ، مصر ١٣١٧هـ .

- الطوسي : أبو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ / ١٠٦٧م)

- **رجال الكشي**، تحقيق: جواد الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران ، ١٤٢٧هـ .

- الطوسي: الحسن بن علي بن إسحاق (ت٤٨٥هـ / ١٠٩٢م)

- **نظام الملك (سياسة نامة)**، ترجمة: schefer، باريس ١٨٩١م .

- العباسي : عبدالرحيم بن أحمد (ت ٩٦٣هـ / ١٥٥٥م)

- **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار عالم

الكتاب، بيروت ١٣٦٧هـ

● ابن عبد البر : يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣هـ/١٠٨١م)

- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار المعارف ، مصر ، ١٣٠٩هـ.
- **بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس،** تحقيق: محمد الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٢هـ .
- **جامع بيان العلم وفضله،** دار الكتب الإسلامية، القاهرة ١٤٠٢هـ .

● ابن عبد الجبار : عبدالجبار الهمذاني (ت٤١٥هـ / ١٠٢٤م)

- **المنية والأمل،** جمعه: أحمد المرتضى، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية ١٩٨٥م .

● ابن عبدالحكم: عبدالله بن الحكم بن أعين المصري (ت ٢١٤هـ / ٨٢٩م)

- **سيرة عمر بن عبد العزيز،** تحقيق: أحمد عبيد، دار العلم للملايين، بيروت ١٤١٤هـ .

● ابن عبد الحكم : عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٢٥٧هـ / ٨٧١م)

- **فتوح مصر و أخبارها** ، تحقيق : محمد الحجيري ، دار الفكر ، بيروت ١٤١٦هـ .

● ابن عبد ربه : أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م)

- **العقد الفريد** ، تحقيق : محمد عبد القادر شاهين ، المكتبة العصرية ، بيروت ١٤٢٤هـ .

● عبد القادر البغدادي: عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ/١٦٨٢م)

- **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب** ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ،مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٤١٨هـ .

● ابن العبري: أبو الفرج الملطي (ت٦٨٥هـ / ١٢٨٦م)

- **تاريخ مختصر الدول** ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧م .

- ابن العديم : كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جردة (ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م)
- **بغية الطلب في تاريخ حلب**، تحقيق: سهيل زكار ، دار البعث ، دمشق ١٤٠٩هـ .

- ابن عدي، عبد الله بن عدي الجرجاني (ت٣٦٥هـ / ٩٧٥م)
- **الكامل في ضعفاء الرجال**، تحقيق: سهيل زكار ويحيى مختار، دار الفكر، بيروت ١٤٠٩هـ .

- ابن عذاري، أحمد بن محمد المراكشي (ت ٦٩٥هـ / ١٢٩٦م)
- **البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب**، دار الثقافة، بيروت ١٩٨٣م .

- أبو العرب التميمي، محمد بن أحمد القيرواني (ت ٣٣٣هـ / ٩٤٤م)
- **طبقات علماء إفريقية والمغرب**، دار الكتاب، بيروت ١٤١٨هـ .
- **المحن**، تحقيق: يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٢٧هـ .

- ابن عساكر : على بن الحسين بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت ٥٧١هـ/١١٧٥م)
- **تاريخ مدينة دمشق** ، تحقيق: شكر الله بن نعمة الله قوجاني ، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٢هـ .
- **تهذيب تاريخ دمشق**، تحقيق: عبد القادر بدران، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٠م .

- العسكري : أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت ٣٩٥هـ / ١٠٠٥م)
- **الأوائل** ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٨هـ .

- ابن العماد الحنبلي : عبد الحي أحمد بن محمد بت العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)
- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، تحقيق : عبد القادر و محمد الأرناؤوط ، دار

الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٧ هـ.

- ابن العميد : جرجيس بن أبي المكارم (ت٦٧٢هـ / ١٢٧٣م)
- **تاريخ المسلمين**، ط ليدن، ١٩٢٥م .

- العيني :بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد الحنفي (ت٨٥٥هـ /١٤٥١م)
- **مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار**، تحقيق: محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٧هـ .

- ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين (ت٣٩٥هـ / ١٠٠٥م)
- **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت ١٣٩٩هـ .

- الفاسي : تقي الدين أبو الطيب محمد بن أحمد (ت ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م)
- **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين** ، تحقيق : فؤاد السيد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٦هـ .

- الفاكهي : محمد بن إسحاق بن العباس (ت بعد ٢٧٢هـ/ ٨٨٥م)
- **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه** ، تحقيق: عبد الملك بن دهيش ، مطبعة النهضة الحديثة ، مكة ١٤٠٧هـ .

- أبي الفداء : عماد الدين إسماعيل بن علي بن شاهنشاه بن أيوب (ت٧٣٢هـ / ١٣٣٢م)
- **تاريخ أبي الفداء المسمى المختصر في تاريخ البشر**، تحقيق: محمود دياب، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٧هـ .

- أبو الفرج الأصفهاني : علي بن الحسين بن محمد (ت ٣٥٦هـ / ٩٦٦م)
- **الأغاني** ، تحقيق : عيد علي وسمير جابر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٤هـ .

- **مقاتل الطالبين**[1] ، تحقيق : أحمد صقر ، دار المعرفة ، بيروت ، ٢٠٠٦م .

● الفيروز بادي: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (٨١٧هـ / ١٤١٤م)
- **القاموس المحيط** ، دار الرسالة، بيروت ١٤٠٦هـ.

● ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م)
- **الشعر و الشعراء** ، تحقيق: مفيد قميحة و محمد أمين، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢١هـ.
- **عيون الأخبار** ، تحقيق: محمد الأسكندراني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤٢٣هـ.
- **المعارف** ، تحقيق : ثروت عكاشة ، دار المعارف ، القاهرة ١٤٠١هـ .
- **الإمامة و السياسة** (**منسوب إليه وهو ليس له**) ، تحقيق : خليل منصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٢هـ .

● ابن قدامه: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد الجماعيلي (٦٢٠هـ / ١٢٢٣م)
- **المغني،** تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وعبد الفتاح الحلو، دار عالم الكتب، بيروت١٤١٧هـ .

● القزويني : زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٠هـ / ١٢٨١م)
- **آثار البلاد و أخبار العباد** ، دار صادر ، بيروت ١٤١٨هـ .

● القفطي: أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف (ت٦٤٦هـ / ١٢٤٨م)
- **إنباه الرواة على أنباه النحاه،** تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،دار الفكر العربي، القاهرة ١٤٠٦هـ .
- **أخبار العلماء بأخيار الحكماء،** تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٦هـ .

---

(١) جاء اسم المؤلف على هذا الكتاب بلفظ " أبي الفرج الأصفهاني " وبناء على ذلك فقد أوردته وفق ذلك في ثنايا البحث ، فيلاحظ .

• القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ / ١٤١٨م)
- **صبح الأعشى في صناعة الإنشا،** شرحه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧هـ .

• ابن القوطية: أبو بكر محمد بن عمر الأندلسي (ت٣٦٧هـ / ٩٧٧م)
- **تاريخ افتتاح الأندلس،** تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري واللبناني، ١٤٠٢هـ .

• ابن القيم : أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت ٧٥١هـ/١٣٥٠م)
- **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة،** تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض ١٤١٨هـ .

• الكتبي: محمد بن شاكر (ت ٧٦٨هـ /١٣٦٦م)
- **فوات الوفيات،** تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٧٣م .

• ابن كثير : عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)
- **البداية والنهاية** ، تحقيق: أحمد أبوملحم، بيروت، دار الكتب العلمية، بييروت ١٤٠٥هـ.
- **تفسير القرآن العظيم** ، تحقيق: سامي محمد سلامة، دار طيبة، المدينة النبوية ١٤٢٠هـ .

• ابن الكردبوس : أبو مروان عبد الملك التوزري (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م)
- **تاريخ الأندلس،** تحقيق: أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الاسلامية، مدريد ١٩٧١م .

• ابن الكلبي : أبو المنذر هشام بن أبي النضر محمد (ت ٢٠٤هـ / ٨١٩م)
- **جمهرة النسب** ، تحقيق: ناجي حسين ، دار عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٦هـ .
- **معد واليمن** ، تحقيق : ناجي حسن ، دار عالم الكتب ،مصر ١٤٠٨هـ .

• الكندي: أبو عمر محمد بن يوسف (ت٣٥٥هـ / ٩٦٦م)
- **الولاة والقضاة،** تحقيق: محمد حسن وأحمد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٣م .

- اللالكائي: أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور (ت ٤١٨هـ/ ١٠٢٧م)

- **أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، تحقيق: أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض ١٤٠٢هـ .

- ابن ماكولا : على بن هبة الله بن أبي نصر بن مأكولا (ت ٤٧٥هـ/١٠٨٢م)

- **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١١هـ .

- المالكي: أبو بكر عبد الله بن محمد (ت٤٥٣هـ / ١٠٦١م)

- **رياض النفوس**، تحقيق: بشير الكوشي، دار المغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٣م .

- الماوردي : على بن محمد بن حبيب البصري الشافعي (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م)

- **الأحكام السلطانية** ، تحقيق: عبدالرحمن عميرة ، دار الاعتصام ، القاهرة ١٤٢٥هـ .

- المبرد : أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ /٨٩٨م)

- **الكامل في اللغة و الأدب** ، تحقيق: عبد الحميد أحمد يوسف الهنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٧هـ .

- **التعازي والمراثي**، تحقيق: محمد الديباجي، دار صادر، بيروت ١٩٩٢م .

- مجهول (ت ق٣هـ)

- **أخبار الدولة العباسية**، تحقيق: عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي، دار الطليعة، بيروت١٩٧١م .

- مجهول

- **العيون والحدائق في أخبار الحقائق**، مكتبة المثنى، بغداد .

- المرتضى : أبو القاسم علي بن الطاهر (ت٤٣٦هـ / ١٠٤٤م)

- **أمالي المرتضى**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٥٤م .

- المرزباني: أبو عبد الله محمد بن عمران (ت٣٨٤هـ / ٩٩٤م)
- **معجم الشعراء**، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٢هـ .

- المزي : جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف (ت ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م)
- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال** ، تحقيق : بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٠هـ.

- المسعودي : أبو الحسن على بن الحسين بن على الشافعي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م)
- **مروج الذهب ومعادن الجوهر** ، تحقيق : كمال حسن مرعي ، المكتبة العصرية ، بيروت ١٤٢٦هـ.

- ابن مسكويه : أحمد بن محمد بن يعقوب (ت٤٢١هـ / ١٠٣٠م)
- **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**، تحقيق: كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٤هـ .

- مسلم : مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري (ت ٢٦١هـ/ ٨٧٤م)
- **صحيح مسلم** ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة١٣٧٤ هـ.

- ابن المطهر: الحسن بن يوسف الحلي (ت٧٢٦هـ / ١٣٢٥م)
- **البدء والتاريخ**، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد ١٩٩٨م .

- ابن معين : يحيى بن معين بن عون البغدادي (ت ٢٣٣هـ/ ٨٤٧م)
- **تاريخ يحيى بن معين** (**رواية الدوري**) ، تحقيق : أحمد محمد نور سيف ، مركز البحث العلمي ، مكة ١٣٩٩هـ.

• المقدسي: محمد بن أحمد البشاري (ت٣٧٥هـ / ٩٨٥م)

- **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، تحقيق: محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨هـ .

• المقريزي: تقي الدين أبي العباس (ت٨٤٥هـ / ١٤٤١م)

- **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة د. ت

• المقري : أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ /١٦٣١م)

- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ، دار صادر، بيروت ١٣٨٨هـ .

• ابن منظور : محمد بن مكرم بن على (ت ٧١١هـ/١٣١١م)

- **لسان العرب** ، تحقيق : عامر أحمد وعبد المنعم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٥م .

- **مختصر تاريخ دمشق**، تحقيق: روحية النحاس وآخرون، دار الفكر ،دمشق ١٤١١هـ .

• الميداني: أبو الفضل أحمد بن محمد (ت٥١٨هـ / ١١٢٤م)

- **مجمع الأمثال**، تحقيق: قصي حسين، دار ومكتبة الهلال، بيروت ٢٠٠٣م .

• ابن النديم: أبي الفرج محمد بن إسحاق (ت٣٨٠هـ / ٩٩٠م)

- **الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم**، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت ١٩٩٧م .

• النهرواني : أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى (ت ٣٩٠هـ / ١٠٠٠م)

- **الجليس الصالح الكافي و الأنيس الناصح الشافي** ، تحقيق : حسان عباس ، دار عالم الكتب ، بيروت ١٤١٤هـ .

• النووي : محى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م)

- **روضة الطالبين**، تحقيق: عادل عبد الموجود، دار عالم المكتبات، بيروت ١٤١٢هـ .

- النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد القرشي (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م)
- **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، تحقيق : مفيد قميحة وآخرون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٥هـ .

- النيسابوري : محمد بن عبد الله أبو عبدالله الحاكم (ت ٤٠٥هـ / ١٠١٤م)
- **المستدرك على الصحيحين** ، تحقيق :مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١١هـ .

- ابن هشام : جمال الدين أبو محمد عبد الملك بن هشام البصري (ت ٢١٣هـ / ٨٢٩م)
- **السيرة النبوية** ، تحقيق : طه عبد الرءوف سعد ، بيروت ١٤٢١هـ .

- الهمداني : الحسن بن أحمد (ت٣٤٤هـ / ٩٥٥م)
- **صفة جزيرة العرب**، تحقيق: محمد الأكوع، دار اليمامة، الرياض ١٣٩٤هـ .

- الهمذاني أبو بكر محمد بن أحمد (ت٣٦٥هـ / ٩٧٥م)
- **البلدان**، تحقيق: يوسف الهادي، دار عالم الكتب، بيروت ١٤٠٦هـ .

- الهيثمي : علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م)
- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** ، دار الفكر ، بيروت ١٤١٢هـ .

- الواسطي: أبو الحسن أسلم بن سهل بن أسلم الرزاز (ت ٢٩٢هـ / ٩٠٤م)
- **تاريخ واسط** ، تحقيق : كوركيس عواد ، دار عالم الكتب ، بيروت ١٤٠٦هـ .

- ابن واصل: جمال الدين أبو عبد الله محمد الحموي (ت٦٩٧هـ / ١٢٩٧م)

- **تجريد الأغاني**، تحقيق: طه حسين وإبراهيم الأيباري، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٩٠م .

• الوزير المغربي : الحسين بن علي بن الحسين (ت٤١٨هـ / ١٠٢٧م)
- **أدب الخواص في المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسابها** ، أعده للنشر: حمد الجاسر، دار اليمامة ، الرياض ١٤٠٠هـ .

• وكيع : أبو بكر محمد بن خلف (ت٣٠٦هـ / ٩١٨م)
- **أخبار القضاة**، تحقيق: سعيد اللحام، دار عالم الكتب، مصر ٢٠١١م .

• ياقوت الحموي : شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموى (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)
- **معجم البلدان** ، دار الفكر ، بيروت ١٤٠٤هـ .
- **معجم الأدباء** ، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٢٢هـ .

• اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م)
- **تاريخ اليعقوبي** ، المكتبة الحيدرية ، العراق ١٣٩٤هـ .
- **البلدان** ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٢هـ

• ابن أبي يعلى : محمد بن الحسين بن خلف (ت٥٢٦هـ / ١١٣١م)
- **طبقات الحنابلة**، دار المعرفة، بيروت د. ت

• اليماني: تاج الدين عبد الباقي (ت٧٤٣هـ / ١٣٤٢م)
- **بهجة الزمن في تاريخ اليمن**، تحقيق: مصطفى حجازي، دار الكلمة، صنعاء١٩٨٥م .

• أبو يوسف: يعقوب ابن إبراهيم (ت ١٨٢هـ / ٧٩٨م)
- **الخراج**، تحقيق: محمد المناصيري، دار كنوز المعرفة، الأردن ٢٠٠٩م .

ثالثاً : المراجع العربية والمعربة :

- إحسان عباس .

- **شعر الخوارج**، ط٣، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٤م .

- أحمد الحوفي .

- **أدب السياسة في العصر الأموي**، ط١، مكتبة نهضة مصر، مصر ١٣٨٠هـ .

- أحمد زكي صفوت .

- **جمهرة خطب العرب**، المكتبة العلمية ، بيروت ١٩٣٧م .

- أحمد السباعي .

- **تاريخ مكة**، ط٧، مطبوعات نادي مكة الأدبي، مكة المكرمة ١٤١٤هـ .

- أحمد عيسى .

- **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**، ط٢، دار الرائد العربي، بيروت١٤٠١هـ .

- الألوسي .

- **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، تحقيق: محمد بهجة الأثري، ط٣،دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٤٢هـ .

- ابن بدران .

تهذيب تاريخ ابن عساكر، ط٢، دار المسيرة ، بيروت ١٣٩٩هـ.

- بوزيان الدراجي .

- **دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس**، ط١، دار الكتاب العربي، الجزائر ٢٠٠٧م .

- حسان علي حلاق .

- **تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي**، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٣٩٨هـ.

- حسين مؤنس (دكتور)

- **أطلس تاريخ الإسلام**، ط١، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة ١٤٠٧هـ.

- الحكمي .

- **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**، تحقيق: عمر بن محمود، ط١، دار ابن القيم، الدمام ١٤١٠هـ .

- حياة بن محمد بن جبريل .

- **الآثار الواردة عن عمر بن عبدالعزيز في العقيدة**، ط١، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية ١٤٢٣هـ .

- الزركلي .

- **الأعلام** ، دار العلم ، بيروت ١٤٢١هـ .

- السالمي .

- **تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان**، القاهرة، ١٩٦١م .

- ستيفن رنسيمان .

- **الحضارة البيزنطية**، ترجمة: عبد العزيز توفيق، ط٢، مكتبة الهيئة المصرية، القاهرة ١٩٧٧م .

- سعدي أبو جيب .

- **مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية**، دار لسان العرب، بيروت١٩٧٢م .

- السلادي .

- **الإستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق: جعفر ومحمد الناصري، ط١، دار

الكتاب، الدار البيضاء ١٩٥٤م .

- شارل أومان .
- **الأمبراطورية البيزنطية**، ترجمة: مصطفى بدر، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٩٥٣م .

- شُّراب محمد محمد حسن .
- **المدينة في العصر الأموي**، ط١، مؤسسة علوم القرآن، دمشق ١٤٠٤هـ .

- شكيب أرسلان:
- **الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية** ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت
- **تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط** ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

- شوقي أبو خليل (دكتور)
- **أطلس التاريخ العربي الإسلامي**، ط٥، دار الفكر، دمشق ١٤٢٣هـ .

- الراوي .
- **العراق في العصر الأموي من الناحية السياسية والإدارية والاجتماعية**، ط١، مكتبة النهضة، بغداد ١٩٦٥م .

- عبد الجليل عبده .
- **الخطابة وإعداد الخطيب**، ط٣، دار الشروق، مصر ١٤٠٨هـ.

- عبد الرحمن علي الحجي (دكتور)
- **التاريخ الأندلسي**، ط٢، دار القلم، بيروت ١٤٠٢هـ.

- عبد الشافي محمد عبد اللطيف .
- **العالم الإسلامي في العصر الأموي** ، دار الفكر العربي ، بيروت ١٤١٩هـ .

● عبد الله السيف (دكتور)

- **الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي**، ط٣، بيروت ١٤٠٣هـ .

● عبد العزيز اللميلم (دكتور) .

- **وضع الموالي في الدولة الأموية** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٤هـ .
- **رسالة المسجد في الاسلام** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤١٣هـ .

● عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش (دكتور) .

- **الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما**، ط١، مكتبة ومطبعة دار النهضة الحديثة، مكة المكرمة ١٤٠٦هـ.

● عبد الله بن عبد الرحمن الخرعان (دكتور) .

- **أثر العلماء في الحياة السياسية في الدولة الأموية**، ط١،مكتبة الرشد، الرياض ١٤٢٤هـ.

● عبد الله الغنيم .

- **جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري**، ط١، ذات السلال للطباعة والنشر، الكويت ١٩٧٧م .

● القاضي .

- **تاريخ المصحف الشريف**، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، القاهرة ١٩٦٥م .

● الكتاني .

- **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة**، تحقيق: محمد المنتصر، ط٥، دار البشائر الإسلامية، بيروت ١٤١٤هـ .

● لطيفة البكاي .

- **حركة الخوارج نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأموي**، ط١، دار الطليعة، بيروت

٢٠٠٣م.

● محمد أبو زهرة .
- **تاريخ الجدل،** ط٢، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٨٤م .

● محمد ماهر حمادة .
- **الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعهد الأموي،** ط٤ ، مؤسسة الرسالة دار النفائس ، بيروت ١٤٠٥هـ .

● محمود شاكر .
- **التاريخ الإسلامي،** ط٧ ، دار المكتب الإسلامي ، بيروت ١٤٢١هـ .

● محمود شيت الخطاب .
- **قادة الفتح الإسلامي في أرمينية،** ط١، دار الأندلس الخضراء، جدة ١٤١٩هـ.

● مسعود أحمد مصطفى .
- **أقاليم الدولة الإسلامية بين اللامركزية السياسية واللامركزية الإدارية،** ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ١٩٩٠م.

● المصري (دكتور) .
- **دولة الإسلام في الأندلس،** ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤١١هـ .

● نجدة خماش .
- **الإدارة في العصر الأموي،** ط١، دار الفكر، دمشق ١٩٨٠م .

● نعمان القاضي .
- **الفرق الإسلامية في الشعر الأموي،** ط١، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٠م .

رابعًا : الرسائل العلمية غير المنشورة :

- جاسم البدراني :

- **خراسان في عهد نصر بن سيار** ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ١٩٧٨م .

- سعيد بن عبد الله القحطاني :

- **الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدن خراسان في العصر الأموي**، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، ١٤٠٤هـ.

- صالحة السفياني :

- **التعليم في المساجد في القرن الأول الهجري**، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٤هـ.

- عبد الله حسين الشريف.

- **الدولة الأموية في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك** ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ١٤١٠هـ .

- علي بن عايش المزيني :

- **القبائل العربية وأثرها في سلطان بني أمية**، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، الدراسات العليا، المدينة المنورة، ١٤١١هـ.

- محمد بن عبد الله الغنام :

- **تاريخ القضاء في عهد الدولة الأموية**، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٧هـ .

رابعًا : الأبحاث والمقالات العلمية :

- ابن صالح، عبيد الله بن صالح

- **نص جديد عن فتح العرب للمغرب،** نشره: ليفي بروفنسال، تحقيق: حسين مؤنس، مجلة المعهد المصري، مدريد، ١٩٥٤م .

- ضيف الله البطاينة

- **سياسة بني أمية في اختيار الولاة، مجلة العرب،** جـ ٧-٨، ١٤٠٥هـ
- **في الإدارة والحكم أيام بني أمية،** مجلة التاريخ العربي، العدد ٤، ١٤١٧هـ.

- فواز الدهاس

- **الدور القيادي لمكة المكرمة خلال العصر الأموي،** مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج١٩، ع ١٤٢٨،٤١هـ .

الفهارس

جدول المحتويات

المقدمة.. ٢

التمهيد.. ١٣

المبحث الأول: الإطار المكاني والزماني:.. ١٤

المبحث الثاني: الأوضاع العامة في العالم الإسلامي في عصر بني أمية:....... ٢٧

الفصل الأول:.. ٣٦

الولاة على الأقاليم في عصر بني أمية.. ٣٦

المبحث الأول: الولاية على الأقاليم في الدولة الأموية (دور الوالي وواجباته وصلاحياته وعلاقاته مع الخليفة).. ٣٧

المبحث الثاني: الجزيرة العربية.. ٥٠

المبحث الثالث: الشام ومصر.. ٧١

المبحث الرابع: العراق والمشرق.. ٧٩

المبحث الخامس: إفريقيةوالمغرب الإسلامي.. ٩١

الفصل الثاني:.. ١٠١

العوامل المؤثرة في مواقف الولاة من الاتجاهات الثقافية والسياسية.................. ١٠١

المبحث الأول: التكوين الأسري والثقافي.. ١٠٢

المبحث الثاني: سياسة الدولة الأموية.. ١١٩

المبحث الثالث: موقف العلماءوالقضاة.. ١٢٩

المبحث الرابع: نشاط الحركات العلمية والفكرية.. ١٤٤

الفصل الثالث:.. ١٥٦

مواقف الولاة من الاتجاهات العلمية و الثقافية.. ١٥٦

الاتجاهات العلمية في المجتمع الإسلامي:.. ١٥٦

أولاً / العلوم الشرعية:.. ١٥٨

ثانياً / علوم الأدب واللغة:.. ١٧٣

ثالثاً / العلوم الطبيعية:.. ١٩٢

رابعًا / علوم وآداب الأمم السابقة (الإسرائيليات— علوم الفرس):.................١٩٨
الفصل الرابع:.. ٢٠٩
مواقفهم من فكر الفرق.. ٢٠٩
مدخل:.. ٢١٠
أولًا / الخوارج:.. ٢١٠
ثانيًا / الشيعة:..٢٢٨
ثالثًا / الجهمية:.. ٢٤١
رابعًا / المعتزلة:.. ٢٤٩
خامسًا / القدرية:.. ٢٥٧
الفصل الخامس:.. ٢٦٤
أثر مواقف الولاة على الحياة السياسية والحضارية في الدولة الأموية.......... ٢٦٤
المبحث الأول- أثر مواقفهم في تقوية مركز الخلافة........................ ٢٦٤
المبحث الثاني- أثرمواقفهم في تماسك الجبهة الداخلية من التفكك والفوضى... ٢٦٤
المبحث الثالث- أثرهم في التعامل بشكل حاسم مع مصادر التهديد الظاهرة... ٢٦٤
المبحث الرابع- أثر مواقف بعض الولاة السلبي في ضعف الدولة وسقوطها.... ٢٦٤
الخاتمة.. ٢٩٦
الملاحق.. ٣٠٠
قائمة المصادر والمراجع.. ٣٠٥
أولاً — المصادر المخطوطة : ٣٠٧
ثانيًا — المصادر المطبوعة : ٣٠٨
ثالثًا — المراجع العربية والمعربة : ٣٣٥
رابعًا — الرسائل العلمية غير المنشورة : ٣٤١
خامسًا - الأبحاث والمقالات العلمية : ٣٤٢
الفهارس.. ٣٤٣